



قسم العلاقات الدولية

الأدوار الاستراتيجية للقوى التعديلية في النظام الدولي:

الصين وروسيا دراسة مقارنة (2023-1010)

مذكرة مقدمة الاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الماجستير في العلوم السياسية

تخصص: علاقات دولية

إشراف:

أ.د. ابتسام أوعشرين

إعداد:

أيوب مكرنف

أعضاء لجنة المناقشة:

الصفة	مؤسسة الانتساب	اسم ولقب الأستاذ
رئيسا	المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية	أ.د. علي لاراي
مشرفا ومقررا	المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية	أ.د. ابتسام أوعشرين
عضوا مناقشا	المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية	د. كلتومة بن دادة

السنة الجامعية: 2023م/2024م-1444هـ/1445هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ
وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي
عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾

صدق الله العظيم

سورة النمل: الآية (19)

شكروعرفان

اللهم لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضا حمدا يليق بعظيم فضلك ومنتك التي رافقتني في انجاز هذا العمل

لله نجاح أشخاص يعرفون معناه، وللإبداع أشخاص يحصدونه، أذكرى التحيات وأرقها وأنداهما أرفها لكي بكل ود وإخلاص أستاذتي " ابتسام أوعشرين " اعترافا وامتنانا برعايتك الكريمة لي ولفكرة المذكرة.

الشكر موصول لأصحاب الخبرة والتميز والأفكار النبيلة، أعضاء لجنة المناقشة الأستاذ "علي لراي"، والأستاذة "كلثومة بن دادة" اللذان يحملان أمانة العلم والإخلاص، فشكرا لدعمكم ولتشجيعكم.

للأيادي التي لم تبخل بالعطاء يوما ولم تتردد بتقديم العون للحظة أستاذتي " حميد رامي " طارق تاحي"، "محمد سي البشير"، "ياسين بلالوة"، "فلة قصدي"، "نجوى بوزرين"، "إيمان بلقرشي"، "نسمة عقة"، "مليكة هارون" وردة بن بخيثة"، " حياة فراني"، "مريم رليد"، "حليمة موساوي"، "هجرة أوبعيش" حقا كلمات الشكر لا توفيكم حقكم كنتم لي الأب والأم والأخ والأخت والسند غديتم شعلتي وأنرتم دربي بضياء معرفتكم وشدتكم ازري بارك الله لي فيكم

لكل أسرة المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية

لكل من كان عوناً لي في مسيرتي الأكاديمية

جزيل الشكر والعرفان أهديكم

الإهداء

إلهي

القدس في وسط الالهيب تبكي من توغل العدو للعين

وتذيب في اهاتها شكواها إلى الله العظيم

نداء مسجذك المقدس يا رحيم

إلهي

لمن اصوغ اشعاري

لمن اشكو كلام حزن المؤمنين

النار تلهب فؤادي

والمحن تهد كياني

رسالتي

أخطها إلى أخي في أرض الأحرار

إليك أنت يا أخي في ثورة الجهاد

روح الطهارة لأنها من الدماء مدادها

رسالتي

إلى القلوب الثائرة على ضياء شعله البنادق

من جراح غزة تحية إلى براءة الأطفال في فجر الصغر

مقدمة

الفصل الأول: الإطار المفاهيمي والنظري للدراسة

المبحث الأول: تحولات البيئة الدولية وفضاءات الفراغ الجيوسياسية جذور الاعطاب وسياقات الإنجاز في القرن الحادي والعشرين .

المطلب الأول: النظام الدولي بين معطى البناء والتعديل "إشكالية المفهوم وحدود التوظيف".

المطلب الثاني: ملامح النظام الدولي على ضوء التطورات والمستجدات المرحلية "فحص القضايا والاهتمامات".

المطلب الثالث: التعقد كبراديجم تحليلي للاتجاهات الجيوسياسية العالمية.

المبحث الثاني: الأداء الاستراتيجي للقوى التعديلية وسياسات انتقال القوة كآلية للتوازن الجيوسياسي العالمي.

المطلب الأول: ديناميكيات التفاعلات الدولية دراسة لدلالات التغيير والترتيب في مراكز القوة العالمية.

المطلب الثاني: أبعاد الصعود الاستراتيجي للقوى التعديلية في النظام الدولي "بحث المكانة والدور"

المطلب الثالث: استيعاب القوى التعديلية في النظام الدولي منعطف محورية الصراع وحيوية التموقع.

المبحث الثالث: الأطر النظرية والمقاربات الاستراتيجية المفسرة لتفاعلات البيئة الدولية.

المطلب الأول: حوارات التنظير الكبرى في السياسة الدولية جدلية حدود التفسير والتنبؤ.

المطلب الثاني: المقاربات الاستراتيجية المفسرة للسلوك التعديلي الصين – الروسي.

المطلب الثالث: النظريات الشارحة لتحول القوة في النظام الدولي.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية " منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي ".

المبحث الأول: الصعود السلمي للصين كقوة عظمى " بين طموح تعزيز المكانة واستراتيجية الهيمنة العالمية ".

المطلب الأول: مؤشرات الصعود الصيني في النظام الدولي "مبدأ الاعتدال والسلمية ".

المطلب الثاني : التوجهات الناعمة في السياسة الخارجية الصينية.

المطلب الثالث: الصعود الاستراتيجي للصين وأثره على التوازنات الإقليمية والدولية.

المبحث الثاني: الادراك الاستراتيجي الروسي للنظام الدولي " القيود والفرص ".

المطلب الأول: مقومات وأبعاد القوة الاستراتيجية الروسية.

المطلب الثاني: الصحوه الاستراتيجية الروسية بين تصور العودة وادارك التغيير في السياسة الدولية.

المطلب الثالث: تداعيات التوجهات الاستراتيجية الروسية على بنية النظام الدولي.

المبحث الثالث: الأداء الاستراتيجي الأمريكي تجاه السلوك التوازني للصين وروسيا كقوى تعديلية.

المطلب الأول: طموح العظمة الامريكية جدلية تجديد الهيمنة ومسلمة التراجع.

المطلب الثاني: صراعات أضلاع المثلث الاستراتيجي العالمي بين نزعة التفرد والتعديل.

المطلب الثالث: استراتيجية الصين وروسيا كقوى تعديلية في مواجهة سياسة الاحتواء الامريكية.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية " بوادر نظام عالمي جديد".

المبحث الاول: مقومات التحالف وميكانيزمات الاستقطاب الصين – الروسي وأثره على النسق التفاعلي في

البيئة الدولية " المضامين والتوجهات ".

المطلب الأول: الديناميات الجيواستراتيجية لمسار حركية العلاقات الصينية الروسية (2010-2023).

المطلب الثاني: دوافع ومرتكزات التحوط الاستراتيجي الصيني – الروسي لإعادة تشكيل بنية النظام

الدولي.

المطلب الثالث: الشراكة الاستراتيجية الصينية – الروسية وأفاق مأسسة توازن دولي جديد.

المبحث الثاني: التحديات الجيوستراتيجية أمام المحور الصيني – الروسي في ضوء كسموبولتانية

السياسة العالمية "العقلانية والمسؤولية في إدارة التحول البنيوي " .

المطلب الأول: قضايا البيئتين الداخلية والخارجية المؤثرة على الأداء الاستراتيجي للصين في النظام

الدولي.

المطلب الثاني: تعقيدات وقيود البيئتين الداخلية والخارجية المعطلة لإعادة بعث الدور الروسي في النظام الدولي.

المطلب الثالث: آليات الاستجابة الصينية -الروسية لتهديدات البيئة العالمية " بين الاستراتيجية التعديلية والمنطق التنافسي الصين -اوراسي".

المبحث الثالث: المسارات المستقبلية لحراك منافسات القوى العظمى في النظام الدولي – رؤية استشرافية-

المطلب الأول: سيناريو النظام الدولي بين إنحدار الأحادية القطبية وارتقاء مشهدها الثنائي.

المطلب الثاني: سيناريو التعددية القطبية وعدميتها في عصر الطفرة التكنولوجية.

المطلب الثالث: سيناريو فوضوية النظام الدولي بين مشهد القطبية القارية والقطبية التخصصية.

خاتمة

مقدمة

توطئة

تسم النظام الدولي القائم على تفاعل القوى والقواعد القانونية على مدى قرون عدة بوجود عدد من المستويات التي توالى تباعا، حيث نظام التعددية القطبية الذي استمر الى فترة الحرب العالمية الثانية تلاه نظام الثنائية القطبية، وصولا الى اسدال ستار الحرب الباردة وتصعد المعسكر الشرقي ومن ثم التحول الى نظام الأحادية القطبية ليقفل بعدها القرن العشرين على فكرة اكتسحت مراكز الأبحاث والاعلام والبرامج الدولية قوامها ان النظام الدولي دخل مرحلة غير مسبوقة في تاريخه الحديث يستند فيه الى مقومات الأمم المتحدة الليبرالية والديمقراطية المثلى المحكومة برؤى وممارسات القطب الأمريكي.

غير أن هذا الاستقرار لم يتحقق، حيث بات النظام الدولي يشهد تغيرات حركية متسارعة في موازين القوى العالمية، بدأ معها القطب المتبقي يواجه تغيرات وقضايا على صعيد العالم بصورة اشمل وأوسع من نطاق قدرته على تيسير هذا النظام وإدارة أزماته بشكل منظم وفعال، ليتجه الى بسط سيطرته التي أسهمت في اضطراب العلاقات الدولية، وتوقد المواجهة على حصص توزيع القوة، وتفجر الصراعات داخل الدول وخارجها، وانهار تحالفات وقيام أخرى، وخوض القوى الكبرى حروبا مباشرة او بالوكالة عنها، فأصبح واضحا وجليا تراخ النظام الأحادي وضعف قدراته على تحقيق السلام الدولي لتتصاعد بذلك حدة المنافسة بين الساعين لإرساء هيرا ركية جديدة .

جملة هذه التطورات، عجلت بصعود قوى تعددية احتلت موقعا ديناميكيا في حراك المنافسة الجيوبولتكية، وسعت بشكل حثيث للعب أدوار حيوية في النظام الدولي، لمضاعفة حظوظ أدائها الاستراتيجي لإعادة تشكيله، وهو ما تعكف عليه اليوم الصين وروسيا، عبر تبنيهما استراتيجية البحث عن المصلحة وتعزيز الامن وادامة الريادة الإقليمية، سعيا لإدراك وثبة انتقالية صوب قمة الهرم الدولي.

وبناء على ما سبق فان الإحاطة بحديثات الصعود الاستراتيجي للصين وروسيا كقوتين تعديلتين خلال الفترة الممتدة من 2010 الى 2023، يعد امرا حاسما لفهم مطارحات التغيير في موازين القوى ومناقشة مآلات الثورة على القوة الامريكية البائدة، في إطار مأسسة وتنسيق جهودهما المستقبلية لرسم معالم المشهد العالمي الجديد.

أهمية الدراسة

تكتسي أهمية صعود وهبوط القوى الكبرى، والديناميكيات المحركة لهذه العملية الحيوية للنظام الدولي، ورصد التحولات المترتبة عنها على مختلف الأصعدة، وإعطاء الاحتمالات المتعلقة بطبيعة ونوعية ونمط انتقال القوة المتوقع، والذي يتراوح ما بين الأنماط الصراعية والتعاونية والتوافقية، ومستويات

القوة وعدم الرضا التي ينبغي ان تصلها الصين وروسيا كقوى متحدية لزعزعة القائد الأمريكي من مكانته، اهتماما وافر من قبل الباحثين ومراكز البحوث والدراسات الاكاديمية.

تتوضح أهمية هذه الدراسة من خلال اطارين أساسيين يكمل كل منهما الآخر ويضيفان على موضوع البحث زادا علميا:

أ / الأهمية العلمية

تأتي هذه الدراسة في مرحلة مفصلية من تاريخ ومسار العلاقات الدولية وصيرورة النظام الدولي يميّزها بروز ما يمكننا تسميتها بخطابات متعددة لكنها متقاربة في سياقها العام مثل "خطاب الصعود" الذي يتّصل ببروز قوى دولية متحدية للوضع وخطاب التراجع والافول الذي يتزعمه كتاب غربيون يندرون بتفكك وشيك لعرى الغرب الثقافية والمادية التي منحته القوة لأزيد من ثلاث عقود ما يمكننا في الأخير من أخذ صورة عامة عن الديناميكيات الحاصلة بين القوى الكبرى من ناحية (الصين وروسيا) والقوة العظمى المهيمنة من ناحية ثانية (الولايات المتحدة الامريكية)، والمحددات الاستراتيجية التي تضبط تلك العلاقات.

يندرج هذا الموضوع بشكل عام في إطار التحولات المتسارعة التي يشهدها النظام الدولي على مستوى بنيته وتوزيع القوة بين فواعله الرئيسيين، وبشكل أكثر تحديدا بين قواه الصاعدة، والقوة المهيمنة على مفاصله، ما يجعل منه محل اهتمام مختلف ساحات البحث.

ولا ينفصل فهم واستيعاب التطورات الحاصلة على مستوى النظام الدولي عن واقع ومستقبل المنطقة العربية بشكل العام فما يمكن ان يشهده العالم من تحولات في تراتبية القوة في مستوى اعلى سيكون له بالتأكيد انعكاساته على الأقاليم والنطاقات الجغرافية الأدنى وعلى المنطقة العربية، ولذلك فضرورة مثل هذا العمل تتجلى في السعي نحو توفير فهم واستيعاب كبيرين للزلال العظيم الذي يمكن ان يعرفه العالم في حال تغيرت موازين القوى مستقبلا لصالح قوى الشرق مع ما يعنيه ذلك من ضرورات التكيف والتموضع بالشكل اللائق للاستفادة من الوضع الجديد ورسم شبكة علاقات وتحالفات بديلة تراعي مصلحة دول المنطقة، وتقليل حجم الصدمة والارتباك الذي يمكن ان يصيب منطقتنا المشوبة بالهشاشة تجاه المتغيرات الإقليمية والعالمية .

ب / الأهمية العملية :

يؤمل أن تقدم هذه الدراسة للدارسين والباحثين في الشأنين الصيني والروسي وكذا صناع القرار ومراكز الأبحاث ما يغطي حاجة لا تنقطع الى المعرفة الراهنة بدور القوتين التعديليتين ومكانتهما في البنية الهيكلية للنظام الدولي .

كما تحاول هذه الدراسة على المستوى الممارساتي، تسليط الضوء على مؤشرات ومحددات الصعود الاستراتيجي الصين - روسي ضمن بنية هندسية حركية جديدة لمشهد النزاع العالمي في القرن الحادي والعشرين، مع الوقوف على طابع التفاعل الشبكي المفضي لسلسلة القنوات الجيواستراتيجية في مسارات استشراف مستقبل الهيمنة العالمية استنادا الى شواهد التقارب بين القوتين.

➤ مبررات اختيار الموضوع

ترجع مبررات اختيار الموضوع الى مجموعة من الدوافع، منها ما ارتبط بالميل وبالبيوعات الذاتية والبعض الاخر ارتبط بالجوانب الموضوعية:

أ / المبررات الموضوعية

يتميز هذا الموضوع بجاذبية خاصة وبقيمته المعرفية والعلمية المتميزة، لاندراجه ضمن الإشكالات الفكرية والاستراتيجية للقرن الحادي والعشرين، ولما أصبح يحظى به من اهتمام من قبل الباحثين السياسيين تماشيا مع الديناميكيات السياسية التي أصبحت تعرفها كل من روسيا التي تستعيد قوتها، والصين التي ينتشر نفوذها بسرعة هائلة، وما يقابل ذلك من سلوك احتوائي امريكي قد يؤدي الى إعادة ترتيب العلاقات الدولية.

- ✓ الاهتمام الكبير الذي بات يولي لموضوع الدراسة في ساحات النقاش العلمي والسياسي، وحتى في مختلف الأوساط الإعلامية والأكاديمية، بصورة لافتة بالنظر لما تعكسه أهمية الموضوع.
- ✓ اصالة الموضوع باعتباره أحد أهم مواضيع الساعة، بالنظر الى الإشكاليات والتحديات التي قد يثيرها مستقبلا على الصعيد الجيواستراتيجي .

ب / المبررات ذاتية

بالنظر للاهتمام الشخصي بعلاقات القوى الكبرى، خصوصا من زاوية علاقة القوى الصاعدة بالمهيمنة، هذا الاهتمام الذي انطلق من طور اللبسان التحضيري واستمر الى طور الثاني من التكوين بالماستر، وهذا ما يشكل أرضية مناسبة لتحقيق التطلعات العلمية المستقبلية المرتبطة بكشف مسارات

واتجاهات تحول بنية النظام الدولي، والاستراتيجيات المتاحة امام القوى الصاعدة، وتلك التي تريد ان تستعيد دورها الحضاري، في ظل العولمة والهيمنة الأمريكية.

➤ أهداف الدراسة

انطلاقاً من الاهمية التي يسعى هذا العمل لاكتسابها، فإنه يحمل على عاتقه كذلك تحقيق مجموعة من الأهداف والغايات النظرية والعملية على النحو التالي:

- التعريف بنظرية انتقال القوة من حيث فلسفتها ومطلقاتها، وكيفية توظيفها لفهم وتفسير عملية انتقال القوة في الواقع الدولي.
- الوقوف على مجريات عملية انتقال القوة التي يشهدها النظام الدولي حالياً، ومعرفة أهم أسبابها ومحركاتها وأهم القوى الفاعلة فيها.
- رصد اهم مؤشرات ومظاهر ودلائل تراجع الولايات المتحدة الامريكية وصعود الصين وروسيا كقوتين تعديليتين.
- تحليل مختلف المبادرات والهياكل الجديدة التي تستحدثها قوى الشرق (الصين وروسيا)، لتحقيق رغبتها في تغيير هيكل النظام الدولي فعلياً.
- الوقوف على أهم العراقيل والعقبات التي تواجه المسعى التعديلي للصين وروسيا، تحقيقاً للتوازن الاستراتيجي مع الولايات المتحدة الأمريكية.

➤ الأدبيات والدراسات السابقة

تزخر المكتبات العالمية بسيل كبير من الكتابات المتعلقة ببنية النظام وعلاقات القوى الكبرى فيه، خاصة بعد الاحداث الكبرى التي طبعت تاريخ العلاقات الدولية كالحربين العالميتين ونهاية العلاقات الدولية في طورها الثنائي بتصدع الاتحاد السوفياتي، حيث يسود الاتفاق المطلق على ان القوة ليست في حالة ثبات وسكونية، بل تعرف ديناميكية وحركية وانتقالاً من فاعل لأخر ومن منطقة الى أخرى , وحظي الافتراض القائل بإمكانية حدوث انتقال للقوة من الغرب الى الشرق وفقاً لمؤشرات ودلائل مادية وفلسفية وتاريخية متماشية مع السن الكونية للتحول وعدم الثبات ,باهتمام كبير المنظرين والاستراتيجيين الوازنة أسمائهم ,ونتيجة العدد المعبر من الكتابات في هذا المجال سنعرض اهم الادبيات والدراسات السابقة التي أسهمت في التأصيل لموضوع هذه الدراسة وتحليله :

1. كتاب **The Rise And Fall Of The Great Powers: Economic Change And Military** للمؤرخ "بول كينيدي Paul Kennedy"، الصادر سنة 1987، حيث استهل مؤلفه بالحديث على ظاهرة صعود القوى العظمى وتأثيرها على النظام الدولي، لكونها عملية ذات نسب نمو وتغيرات تكنولوجية متباينة تفضي الى تبدلات في موازين القوى، وأرجع نشوء قوى وتداعي أخرى الى التذبذب في الحروب الطويلة والكبرى والتغيرات الاقتصادية، بالإضافة الى أن عامل الموقع الجغرافي، ويخلص كينيدي الى أن عامل التوازن العالمي لا يكون في حركة دائمة بل يتعرض لتغيرات مهمة مؤكدا على خاصية الفوضى التي يتسم بها النظام الدولي، وركز على ان عوامل القوة للقوى الكبرى تتحدد في حجم السكان والمستوى الصناعي، واستهلاك الطاقة، وحجم الناتج الصناعي، والقوة العسكرية.

2. كتاب **The Clash Of Civilizations And Remaking Of World Order** للمنظر الأمريكي "صمويل هنتنغتون Samuel Phillips Huntington"، الصادر سنة 1996، والذي دق من خلاله ناقوس الخطر بشأن مكانة الغرب، وفند أطروحة "فرانسيس فوكوياما" حول نهاية التاريخ، وجادل على العكس من ذلك بأن الغرب سيدخل صراعات أخرى ذات طابع حضاري أساسا، مع كتل وقوى حضارية أخرى متباينة عنه، كما انها تحظى بمستويات قوة ديموغرافية وعسكرية اقتصادية متنامية بمقابل تراجع قدرات الغرب وتآكلها، وتحفل الدراسة بالتوصيف والتحليل وتوظيف المصطلحات الدقيقة والتعمق في كشف أسباب ومظاهر الانشطار الكبير الجديد بين كتل الحضارة الشرقية والغربية وتفسيره وفقا لمقرب الجغرافيا السياسية والصراع التاريخي بين القوى الكبرى البرية والبحرية، والذي تقوده الصين وحليفها روسيا من جهة، والولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها الأوروبيون من جهة ثانية، متوقعا أن يسود هذا المشهد خلال النصف الأول من القرن الحادي والعشرين.

3. كتاب **Thucydides's Trap : Historical Interpretation Logic Of Inquiry ,And The Future Sino-American Relations**، للباحث السياسي الأمريكي "ستيف تشان STEVEN CHAN"، الصادر سنة 2020 حيث تحدى في هذه الدراسة التصور السائد بين باحثي العلاقات الدولية القائل بأن القوة المهيمنة تعمل دوما على المحافظة على الوضع القائم في النظام الدولي بينما تسعى القوة الصاعدة لتعديليه ليتناسب مع مصالحها، مؤكدا انه ذات التصور الذي يظهر الولايات المتحدة الأمريكية اليوم باعتبارها قوة وضع قائم، فيما يجعل الصين قوة تعديلية في نظام دولي تسعى لتغييره او قلبه حينما تجد الفرصة الأنسب، وهو الامر الذي يؤدي في العادة الى نشوء حرب كبرى، ليس الامر حتما بالنسبة لتشان، حيث تعد الولايات المتحدة الأمريكية في نظره اليوم اكبر قوة تعديلية في النظام الدولي، بينما تميل الصين بمرور الوقت لان تحافظ على الوضع القائم، إضافة الى ذلك يحاول

تشان التمييز بين نمطين متباينين من الأنظمة الدولية وهي الأنظمة الدولية التقييدية (Restrictive International Ordre) والأنظمة الدولية المتساهلة (Permissive International Order) ففي حين تتميز الأولى بحرمة الأراضي المحايدة وتدعم مبدأ عدم التدخل، والحد من بهرجة القوة واحترام قدسية الاتفاقات والمعاهدات، أما الثانية يغلب عليها طابع الإضرابات والصراعات الذي انتهجته الولايات المتحدة الأمريكية في حروبها الوقائية ومساعي تغيير النظام في الخارج.

4. كتاب **The Tragic Mind: Fear. Fate And Burden Of Power** للمنظر الجيوليتيكي الأمريكي

" روبرت كابلان ROBERT D. KAPLAN " الصادر في سنة 2023 ، والذي يرى من خلاله أن القوى العظمى الثلاث (الولايات المتحدة الأمريكية ، الصين ، روسيا) تواجه مستقبلا غير يقيني لا يمكن فيه استبعاد احتمال الانهيار أو حدوث درجات من التفكك، مشيرا ان روسيا تواجه مخاطرا وشيكة جدا مقارنة بغيرها، فحتى وان كانت لها الغلبة في الحرب الأوكرانية فسوف يكون عليها امتصاص الكارثة الاقتصادية ناعتا أيها " بالرجل المريض لاوراسيا "، لينتقل بالحديث عن الصين التي أوضح ان نموها الاقتصادي السنوي يتباطؤ من رقمين الى رقم واحد ، وفي ذات الوقت الذي بلغ فيه الاقتصاد الصيني مرحلة النضج تقلصت استثماراته، موضحا سياسات المعيبة لحزب تشي جي بينغ ، كما يلفت كابلان النظر الى ان مسار العولمة ساهم في انقسام الولايات المتحدة الأمريكية الى قسمين متحاربين بين أولئك الذين انجرفوا نحو الحضارة الكسموبولتانية وأولئك المحافظين مع تراجع مقومات الأمم المتحدة الليبرالية ، ولخص كابلان ثلاث سيناريوهات تشكل ملمح القطبية الدولية ، سيناريو الأول يفضي الى انحدار روسيا بسبب حربها غير الشرعية، وتراجع الصين بسبب نزعتها الشيوعية ، في حين تتجاوز الولايات المتحدة الأمريكية اضطراباتها وتعيد الصعود، اما السيناريو الثاني الذي توقعه فهو بروز عالم ثنائي القطبية تحافظ فيه الصين على ديناميكيتها الاقتصادية حتى وان صارت اكثر استبدادا، مضيفا إمكانية سيناريو ثالث تهاوى فيه القوى الثلاث، مما يقود الى درجة اعظم من الاناركية في النظام الدولي .

5. كتاب **The New Asian Hemisphere : The Irresisted Shift Of Global Power To The East** ، للكاتب والدبلوماسي السنغافوري "كيشور محبوباني Kishor Mahboubani" والذي يبين في

مقدمة كتابه كيف ان الوقت قد حان لصعود اسيا وعودتها للريادة مجددا، وهو ما يتسبب في تحولات عالمية كبيرة مثلما حدث حين صعد الغرب، كما يكشف أن الصعود الاسيوي من شأنه ان يخيف الغرب ويملؤه بالشك بل بالرعب، في ظل عدم التوصل الى فهم مشترك بين الطرفين لما سيكون عليه شكل العالم الجديد ، فنحن بحسبه على مشارف مرحلة جديدة من مراحل تطور النظام العالمي تقودها قوى الشرق ، التي انتقلت وفقه من طور المنفعل السلبي بالمبادرات الغربية الى

طور الفاعل المشارك في صياغة ضوابط القرار الدولي، سيما الصين التي باتت تراكم من القوة الاقتصادية والتكنولوجية والعسكرية ما يجعلها في صدارة القوى العظمى ليختتم عمله بعرض سيناريو تشاؤومي لما يمكن ان يحمله المستقبل في حال اذ ما حاول الغرب ان يستمر في سيطرته التي ستقابل لا محالة برد عنيف يضع مصير البشرية على مفترق طريق حاسم لا يمكن تجنبه .

ب /الدراسات السابقة

1. مقال موسوم ب " The Next Global War : How Today's Regional Conflicts Resemble The Ones That Produced World War 2 " ، للكاتب والمستشار السياسي " هال براندز " Hal Brands ، الصادر في 2022 ، الذي حذر في دراسته من تصاعد مخاطر النزاع العالمي الحالي عبر استحضار التشابه القائم بين الصراعات الإقليمية الحالية والاحداث التي أدت الى الحرب العالمية الثانية ,داعيا الولايات المتحدة الامريكية الى معالجة قدرتها العسكرية والاستعداد الاستراتيجي لمواجهة التحديات القادمة ,واستعرض الكاتب هنا بان الحرب العالمية الثانية بدأت كسلسلة من المنافسات المرتبطة على نحو فضفاض بالهيمنة في مناطق مفتاحية حول العالم، ليجادل براند بأن امرا كهذا يمكن ان يحدث مع الصراعات الحالية في أوروبا بالخصوص مع الغزو الروسي لأوكرانيا ,في الشرق الأوسط مع الصراع الوجودي بين الكيان الإسرائيلي والفلسطينيين, وفي شرق اسيا مع السلوكيات العدوانية للصين خاصة في مضيق تايوان .

2. مقال موسوم ب " The Battel For Eurasia : China Russia And Their Autocratic Friends Are Leading Anthoer Epic Clash Over The Worlds Largest Landmas " ، الصادر في 2024 ، والذي يعرض فيه معالم الصراع الجيوبولتيكي الأبرز خلال القرن الحالي بين القوى العظمى ,والذي سيدور مرة أخرى حول اوراسيا ,طرفاه كتلتان متباينتين جيوبولتكييا وايدولوجيا ,وكما يسمهما ادوارد " العالم الحر " بقيادة الولايات المتحدة الامريكية من جهة ,وقوى " اوراسيا المحصنة " القارة المأهولة بأعداء العالم الحر,من جهة أخرى ,ابرزها الصين وروسيا , ويضيف ان هناك دول متأرجحة بين الكتلتين تناور من اجل تحقيق مكاسب معينة من كلا الطرفين , يختم الكاتب مقاله بالتذكير اننا نعيش حاليا للمرة الرابعة خلال قرن او اكثر قليلا ,مرحلة جديدة من صراع ملحي يجري حول اوراسيا, سوف يقتضي من واشنطن ان تحشد حلفاءها في " العالم الحر " ,بينما تنافس من اجل التأثير على البلدان التي لن تلتزم معها بطريقة ما .

3. مقال موسوم ب: " The Myth, Of Multipolarity American Power's Staying Power " . لباحثي الشؤون الخارجية ستيفن بروكس وولفوث (William ,Stephen G. Brooks And C. Wolfforth ، الصادر في 2023 ، اللذان قدما نقدا صريحا للدعاءات السائلة والقائلة بأن عهد " الأحادية القطبية " قد ولى مع التراجع الذي تعرفه القوة العالمية للولايات المتحدة اليوم مقابل صعود

قوى تعديلية كبرى كالصين وروسيا، وبان النظام الدولي مقبل على حقبة جديدة سمتها التعددية القطبية أو الثنائية القطبية، أو أنه قد دخل أحدهما بالفعل، إنها مجرد أسطورة كما يصفها بروكس وولفوت، ويحاج الباحثان أن الولايات المتحدة الأمريكية لا تزال تحظى بقوة استراتيجية مقارنة بغيرها، رغم ما تعرضت له من صدمات وإزمات خلال العقدين الماضيين خصوصاً، إذ لا تزال فجوة القوة كبيرة لصالحها لذا يقترحان مفهوماً جديداً يعبر عن سمة الدولي الراهن بشكل أنسب بدلاً من سمة التعددية القطبية المغلوطة، وهو مفهوم الأحادية القطبية الجزئية.

4. مقال موسوم "The Persistence Of Great-Power Politics : What The War In Ukrain Has Revealed About Geopolitical Rivalry"

التي تعدّ من أبرز المدافعين عن مقارنة ضبط النفس في السياسة الخارجية الأمريكية، إذ تحتاج بوجود فشل واضح خلال العقود الأخيرة في قرارات البيت الأبيض، لا سيما بعد تعثر واشنطن في ردع الغزو الروسي لأوكرانيا مما يؤشر إلى عودة التنافس الجيوبولتيكي القديم والصراع من أجل مناطق النفوذ، وعودة النظام القائم على القوة بدلاً من النظام القائم على المسؤولية المشتركة من أجل تحقيق الأمن والسلم العالميين، لتصل بذلك إلى محصلة حتمية تنبؤ بمواجهة متنامية تتداخل فيها مجالات النفوذ الغربية وتلك الخاصة بالقوى الصاعدة التعددية كروسيا والصين

وما يميّز هذه الدراسة من حيث مضمونها مقارنة بالأدبيات المذكورة أنفاً هو أنها تستفيد من قراءة موسعة لتلك الأعمال، وإجراء مقارنات وعمليات تفحص لمضامينها ومحاولة التوفيق في بعض الرؤى ذات التضارب لتوظيفها بالشكل اللازم دون الإخلال بالتناسق المعرفي لفكرة الدراسة وأهدافها وبناءً على ذلك فإن هذا العمل يختص بما يلي:

✓ معالجة لهذا الموضوع من زاوية معاكسة، أي ردة فعل القوى الصاعدة المتمثلة أساساً في الصين وروسيا إزاء سياسات الاحتواء الأمريكية الموجهة صوبهما، وما يمكن أن يجمع هاتين القوتين في سبيل ذلك، بالأخص بعد كل الحبر الذي أسالته شراكتهم الاستراتيجية والتأويلات المختلفة التي أخذتها.

✓ أن يستهدف تكوين رؤية متكاملة وواضحة حول استراتيجيات هذه الدول، حيال التوازنات الإقليمية والدولية لإعادة بعث دورهما المحجوب عن ساحة التفاعل الدولي.

✓ عدم اقتصره على حراك المنافسات الإقليمية والدولية، مثلما فعل علماء الجيوبولتيك في إطار نظريتي "الهارتلاند" و"الريم لاند" والمهتمين بالدراسات الإقليمية، وإنما يتعدى ذلك إلى المستوى العالمي على صعيد المؤسسات الدولية، وشبكة التفاعلات ما فوق الدولاتية وما دونها.

إشكالية الدراسة :

انطلاقاً مما يشهده العالم اليوم من دلالات ومعالم انتقال وشيك وجديد للقوة وهذه المرة من الغرب نحو الشرق، بفضل ما أصبحت عليه دول هذا الأخير بشكل واضح وغير قابل للإنكار من مصادر متزايدة للقوة بشتى أنواعها، وسيطرتها بشكل لافت على نصيب أكبر من الثروة العالمية وتقديمها للعالم الاسهامات الأكبر في التكنولوجيات الحديثة سواء من حيث الابداع والابتكار الصادر عنها او الكفاءات التقنية العالية التي تصدرها من موارد بشرية تسير أكبر شركات التكنولوجيا والمعلوماتية في الغرب ليبصم كل ذلك على صعود لافت لقوى تلك المنطقة تقوده كل من الصين الصاعدة وروسيا العائدة لمحاولة قلب موازين القوى الدولية في مقابل غرب يعتريه الضعف في مصادر القوة وتراجع من حيث نصيبه في مختلف مؤشرات التقدم حتى وإن لم يتبلور بعد منظور استراتيجي موحد أو على الأقل متقارب للقوى المحسوبة على الشرق لكيفيات التعامل مع قضايا حاسمة من قبيل الحاجة للتغيير على مستوى قمة النظام الدولي، لذلك فإننا بحاجة الى فهم عملية الانتقال الجارية او المحتملة للقوة ومعرفة اهم مجرياتها ومحركاتها ومظاهرها وطبيعة القوى التي تقودها، وكذلك حدود هذا الانتقال ومعوقاته. وعليه نطرح الإشكالية البحثية التالية:

كيف يُفسّر الصعود الاستراتيجي للصين وروسيا كقوى تعديلية في النظام الدولي في ظل تراجع النفوذ الدولي للولايات المتحدة الأمريكية؟

الأسئلة الفرعية:

تدفع الإشكالية المطروحة باتجاه طرح مجموعة من التساؤلات الفرعية لتفكيك الظاهرة البحثية وعليه نطرح التساؤلات التالية:

1. هل تمتلك كل من الصين وروسيا كقوى تعديلية في النظام الدولي، المقومات والخيارات الكافية لبناء استراتيجيات متكاملة من شأنها تغيير التوازنات الدولية؟
2. ماهي طبيعة العقبات التي تحول دون إمكانية تحقيق الانتقال المنشود للقوة لصالح قوى الشرق (الصين وروسيا)، في ظل الية الاستجابة الغربية (الأمريكية)؟
3. ما مدى قدرة التحالف الاستراتيجي القائم بين الصين وروسيا الاتحادية على القيام بدور مؤثر وفعال في النظام السياسي الدولي ؟

فرضيات الدراسة

تماشياً مع الإشكالية المركزية والتساؤلات الفرعية المطروحة نقترح الفرضيات الاتية:

1. تتنامى الأدوار الاستراتيجية للقوى التعديلية الصينية والروسية لتغيير التوازنات الدولية، بجسر الهوة التي تفصلها عن القوة المهيمنة الأمريكية.

2. تتصاعد حالة عدم الرضا عن الوضع القائم على الهيمنة الامريكية دوليا، بتزايد عناصر ومقومات القوة التي تحوزها كل من الصين وروسيا كقوى صاعدة تعديلية.
3. تتعزز فرص قوى الشرق لتعديل النظام الدولي بتزايد عناصر قوتها وبتراجع مؤشرات القوة الغربية.
4. كلما غابت آليات التوافق في الأهداف والغايات بين الصين وروسيا، كلما عجزت قوى الشرق عن خلق استراتيجية شاملة لمواجهة قوى الغرب المنسجمة استراتيجيا.

➤ مجالات الدراسة

تستدعي الضرورة المنهجية لكل دراسة أو بحث علمي مجال معين له حدوده. من حيث الظرفية الزمانية والمكانية، وهذا بالشكل الاتي:

1. المجال المكاني:

يشمل الإطار المكاني للدراسة مختلف فضاءات ونطاقات التنافس الجيوسياسي العالمي بين القوى العظمى بأقاليمها الجيوطاقوية والجيواقتصادية، كمحور لطموحها الجيوبولتيكي المتجدد لتبوء مكانة القطب الدولي في النظام الدولي المتعدد الأطراف، فالبيئة الجغرافية للصين وروسيا ومنافستهم الامريكية هي مكنم تفاعلات تراتبية القوة العالمية لمد حراك النفوذ.

2. المجال الزمني:

تمتد الدراسة على مدار العقد والنصف (2010-2023)، وقد وقع الاختيار على هذه الفترة لأسباب موضوعية نوجز منها ما يلي:

- سنة 2010 كبداية للدراسة وذلك بالنظر الى حجم التقارب الصيني -الروسي في إطار مؤسسي رسمي، لتعزيز موقعهما في الساحة الدولية وطرح بدائل بديلة للوضع الدولي القائم، تحقق لهم مكاسب استراتيجية، داخل قبة البريكس، وما رافق ذلك من نشاط دبلوماسي واقتصادي وعسكري، متوج لمسار الشراكة الاستراتيجية الكائنة بين البلدين منذ تسعينيات القرن المنصرم
- تعمدت هذه الدراسة البحث في مسار الصعود الاستراتيجي وتنامي التنسيق والتعاون الصيني-الروسي بشكل أكبر الى حدود التحالف الاستراتيجي الوثيق، وتزايد نقاط الوفاق والتفاهم بينهما الى اقصى حدودها، خاصة فيما تعلق بالعمل على تغيير هيكل النظام الدولي ومعارضة الوضع القائم، لأن القوتين الصاعدتين والطامحتين الى استعادة مكانتهما العالمية تمتلكان مقومات قوة متكاملة.

إلا أن الإحاطة بجميع جوانب الموضوع تستدعي العودة إلى فترات زمنية سابقة بهدف تفسير وتحليل مختلف التحولات الحاصلة.

الإطار المنهجي

يستند تحليل مضمون هذا العمل على عدد متنوع من المناهج البحثية والأدوات والتقنيات المساعدة، ويأتي هذا التنوع في المرجعيات المنهجية تماشياً مع تعقد وتشابك الإشكالات التي يحملها هذا العمل، وطبيعة الأسئلة التي يطرحها، والطابع المتداخل لخلفيات ومنطلقات التحليل والبرهنة والجدل، والمتراوحة ما بين تاريخية وثقافية وحضارية واستراتيجية وجيواقتصادية، وعليه تتشكل الهيكلية المنهجية لهذا العمل من العناصر والأدوات التحليلية التالية:

1. المنهج المقارن:

هو أسلوب في البحث يتعلق بمقارنة خواص الظواهر والعناصر الجوهرية فيها، وذلك بتناول البنيات الأساسية المكونة للظاهرة، كما أن الهدف من وراء هذا الأسلوب في البحث هو التعمق في دراسة الظاهرة السياسية، وقياس العلاقة بين المتغيرات وبرهنة الافتراضات المطروحة في البحث، لتتجلى بعد ذلك أمام الباحث مسارات واتجاهات المتغيرات ومنحى تبدلاتها ومدى عمق وحدات المقارنة المعيارية.

وقد تم الاعتماد على المنهج منذ بداية الدراسة الى نهايتها طبقاً للخطوات المنهجية من تحديد الإشكالية، ثم متغيرات الدراسة المتمثلة في المتغير المستقل: "الأدوار الاستراتيجية للصين وروسيا كقوى تعديلية"، والمتغير التابع "النظام الدولي"، ثم فرضيات الدراسة التي تحدد العلاقة السببية بين المتغيرين، للتأكيد على الخيارات الرئيسية المطروحة أمام الأداء الاستراتيجي للصين وروسيا كقوى تعديلية في النظام الدولي، وخاصة مقاومة سياسة الاحتواء ودرجة الرضى لدى كل منهما عن قواعد النظام الدولي القائم، برصد تحركاتها الاستراتيجية لتحقيق وثبة التغيير في هيكل توزيع القوة.

2. منهج تحليل المضمون:

يهدف الى اتباع خطوات منهجية تؤدي الى قراءة تحليلية او نص، أو رسالة ويعرّف هذا المنهج بأنه: "أداة لجمع البيانات يهدف الى وصف محتوى مادة من المواد وتحليل مضمونها"، للتعرف على الاتجاهات البارزة في محتواها ومن خلال هذا المنهج نهدف الى شرح ودراسة الوثائق المتعلقة باستراتيجيات القوتين الصينية والروسية التعديلية في مقابل القوة الامريكية المسيطرة من "خطابات سياسية، عقائد عسكرية، وثائق استخباراتية، واستراتيجية" بغية فهم مصالح وأجندات مثلث القوى الثلاث في سلم هيرا ركية القوة .

3. المنهج الاحصائي:

تم الاعتماد عليه لتزويد الدراسة بمختلف الأرقام والمؤشرات والدلالات الإحصائية المتعلقة بالصعود الاستراتيجي الصيني – الروسي، وأثره على التوازنات الدولية والاتجاهات العظمى للنظام الدولي، لكسر عصر

الأحادية الجامدة، بشكل يمكننا من إعطاء قراءة تحليلية لمطارحات النظام الدولي والقوى الكبرى في المسرح الجيوسياسي العالمي الجديد.

➤ الإطار النظري:

اقتضت هذه الدراسة استعمال مجموعة من المقاربات النظرية التي تدعّم موضوع البحث وهي كالتالي:

أ/ اقتراب تحليل النظم:

تبلور هذا الاقتراب مع منتصف الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي، ويرجع الفضل في إرساء قواعده وتطويرها الى علماء الاجتماع أمثال "تاركوت بارسونز (T.PARSONS)" و"هومانز (HOMMANS)"، كما يعود الفضل الى عالم السياسة الأمريكي دافيد ايستون (DAVID ESTON) في إدخال هذا الاقتراب الى حقل العلوم السياسية، من خلال تقديمه لإطار تحليلي متكامل للنظام السياسي، الذي يرى فيه حلقة متواصلة ذات طابع دينامي تبدأ بالمدخلات وتنتهي بالمخرجات، تتخللها عملية التغذية العكسية التي تصل النهايات بالبدايات.

ويفيد هذا الاقتراب الدراسة من خلال الاحاطة بالتفاعلات ذات الطبيعة المتداخلة والمتأثرة بعوامل داخلية وإقليمية ودولية، الحاصلة خلال عمليات انتقال القوة لدى القوى المتحدية والقوة المهيمنة، نوظف اقتراب تحليل النظم لمميزاته التي تسمح بالانتقال من الجزء الى الكل والعكس، والتدرج في المستويات الثلاثة للتحليل (مستوى الوحدات الوطنية / والمستوى الإقليمي / ومستوى النظام الدولي) فعملية انتقال الزعامة من الولايات المتحدة الامريكية الى الصين وروسيا محكومة بشكل او بآخر بعوامل تتعلق بكل مستوى من المستويات التفاعل المذكورة.

➤ الإطار المفهومي

محاولة الاقتراب من الاستراتيجيات الصينية والروسية، لتغيير الوضع القائم المهيمن عليه أمريكا وفق الإطار المنهجي سالف الذكر تستوجب الاستزادة بعدة مفاهيم أبرزها:

1. القوى العظمى GREAT POWER

هي العبارة الأكثر معاصرة من مفهوم "القوى الكبرى" GREAT POWER الذي استخدم في الادبيات التقليدية للعلاقات الدولية، والأكثر ملائمة لظروف القرن الحادي والعشرين، فالقوى العظمى تسعى الان تكون عالمية، بالحصول على مقدرات استراتيجية عابرة للحدود الجيوسياسية، تسمح لها بالتفاعل مع الفاعلين غير الدوليين، والمنتميات الإقليمية وأدوات ومؤسسات الحكم العالمي.

2. النزعة التعديلية REVISIONISM

نزوع لدى القوى العظمى والدول عموماً نحو تغيير أو تعديل توازن القوة لصالحها سلماً أو حرباً، الآن القوة النسبية للدولة في مقابل الدول الأخرى هي الضامنة الأولى لبقائها واستمرار ديناميكية تفاعلاتها في نسق الفوضى العالمي، لذلك تقف القوى التعديلية على طرف النقيض من قوى الوضع الراهن التي تسعى للحفاظ على تراجيدية توزيعية القوة، بقلبها لمعادلة التوازنات الدولية واستتبابها للتوازن الاستراتيجي.

3. الدور الاستراتيجي Strategic Role

تعدّ الرؤية والتفكير والتخطيط أحد أهم مداخل ضبط الأداء السياسي الخارجي (الأداء الاستراتيجي)، إلا أن جميع هذه المقومات تتوقف على معطى مهم وهو العقيدة الاستراتيجية لصانع القرار السياسي، التي تسهم بشكل فعال في استحضار لبناء القوة وتعويضها، لتأمين التفوق وجسر الهوة مع المنافسين استعداداً لدحرجتهم.

4. التكيف الاستراتيجي Strategic Adaptation

يستخدم هذا المفهوم عادة في العلاقات الدولية، ليعبر عن الاستجابة التي يقوم بها أحد الفواعل الدوليين إزاء الضغوطات والتحديات التي يواجهها، على أن هذه الاستجابة لا تعني الخضوع التام والتغيير الجذري أو الانعزال عن النظام الدولي وتفاعلاته المختلفة، ولكن الانخراط فيه وتبني بعض قيمه بعد تعديلها وتطويعها مع الخصوصيات، في الوقت نفسه السعي إلى تغيير هذا النظام من الداخل بالشكل الذي يخدم الاستراتيجية المرسومة.

5. الشراكة الاستراتيجية Strategic Partnership

انتشر هذا في فترة ما بعد الحرب الباردة، حيث عرفت هذه الفترة محاولة الأحداث التقارب وتطبيع العلاقات، عبر مضاعفة علاقات الشراكة بمختلف أنماطها ومستوياتها بين الدول، وبالأخص القوى الكبرى فيما بينها وبين باقي وحدات النظام الدولي، على أن هذه الأخيرة ليست موجهة ضد طرف ثالث محدد على خلاف علاقات التحالف التي تستهدف طرفاً ثالثاً.

➤ هيكلية الدراسة

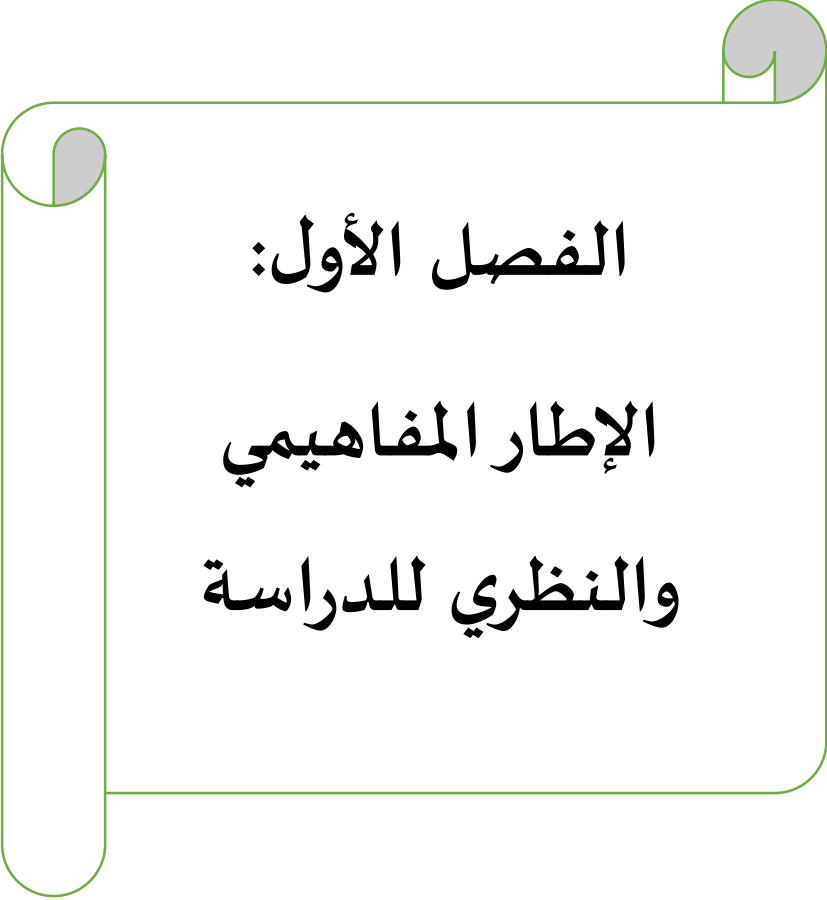
اعتماداً على الإشكالية المطروحة والتساؤلات والفرضيات المتبعة ويهدف الإحاطة بمختلف جوانب الموضوع قسمت الدراسة على النحو الآتي:

يختص الفصل الأول بعرض الإطار المفاهيمي والنظري، والذي يتصدره النظام الدولي كمفهوم مركزي للعمل، ونظرية انتقال القوة مرجعية تحليلية أساسية، فالقوة مفهوم غامض ومتغير، وحتى شيوع المفهوم وكثرت تداوله لا تنفي الصعوبات المعرفية والابستمولوجية، في ضبط دلالاته ومعانيه، وفي سياق متصل كان لابد من التعريف بالقوى التعديلية وبنظرية انتقال القوة، وتوضيح مطلقاتها ورؤيتها التفسيرية لديناميكيات التحول في القوة بين الفاعلين الدوليين.

في حين تم التركيز في الفصل الثاني على المجال المخصص للتعلم في الخلفيات التاريخية والحضارية والاستراتيجية الانتقال القوة من القطب الأمريكي الى القطبين التعديليين الروسي والصيني، باعتبارها سنة كونية من جهة، ونوعا من الحتميات التاريخية من جهة أخرى نتاجا لتطورات استراتيجية واقتصادية وتكنولوجية في مصادر قوة الدول من جهة ثالثة، بشرط توافر الادراك اللازم لدى هذه القوى بضرورة تغيير الوضع القائم، كما يناقش هذا الفصل قوى الشرق (الصين وروسيا) اطارا ثقافيا وحضاريا واستراتيجيا متميزا استطاع مجارات الولايات المتحدة الامريكية على إدارة هيكل النظام الدولي، مع بروز النزعة التشككية في قدرة هذه الأخيرة في الحفاظ على مكانتها نظرا لعوامل الضعف التي انتابتها، ما حدا بصانع القرار في البيت الأبيض الى صياغة استراتيجية احتوائية تحجمية لنفوذ هاتين القوتين الرجعتين .

أما الفصل الثالث فسيتم التطرق فيه الى المبادرات والسياسات والخطوات العملية التي تتخذها القوى غير الراضية (الصين وروسيا) عن وضعيتها في النظام الدولي لتغيير هيكلته وكسب مكانة افضل ضمنه، وربما خطف الريادة والهيمنة من نظيرها الغربية والأمريكية بالتحديد، حيث يسلط هذا الفصل الضوء على الطبيعة المتحدية لكل من الصين وروسيا للوضع القائم وطبيعة العلاقات التي تجمعهما بالولايات المتحدة الامريكية والمآلات المحتملة للصراع بين تلك الأطراف نحو العسكرية والتصادم او التعايش والصعود السلمي التوافقي، ويفصل هذا الجزء من العمل مختلف المؤسسات والمبادرات التي قادتها الصين وروسيا ضمن مجموعة البريكس، ومنظمة شنغهاي للتعاون ومساعي انشاء مؤسسات مالية بديلة وكسر الهيمنة الامريكية ولا تكتمل صورة التحليل دون الأخذ بعين الاعتبار المعوقات والصعوبات العملية التي تواجه انتقال القوة المنتظر اذ تقف عدة حواجز في وجه هذا المسعى منها ما ينبع من البيئة الداخلية للقوى الصاعدة في حد ذاتها ومنها ما يتعلق بقوة ومقاومة الغرب للحفاظ على مكانته ودحر منافسيه على صعيد آخر.

في حين خصص الجزء الأخير من الدراسة للاستنتاجات والنتائج التي توصلت إليها الدراسة فيما يتعلق بموضوع: "الأدوار الاستراتيجية للقوى التعديلية في النظام الدولي: الصين وروسيا دراسة مقارنة 2010-

A decorative graphic of a scroll with a green border and grey circular accents at the corners and along the left edge.

الفصل الأول: الإطار المفاهيمي والنظري للدراسة

تمهيد:

لا بد لأي دراسة أو عمل أكاديمي أن يرتبط بخطوات منهجية وعلمية محددة، وما ضبط المصطلحات وتحديد أهم المفاهيم إلا إحدى هذه الخطوات الرئيسية وأولها، والتي لا يمكن لأي دراسة أكاديمية أن تستغني عنها أو تنطلق دونها، كما تستأثر أي دراسة أو نظرية علمية بمصطلحات ومفاهيم مقررّة، تخصّها دون غيرها. لذلك ارتأينا أن نحدد أهم المصطلحات والمفاهيم المرتبطة بالنظام الدولي، والتي سترافقنا في طيات هذا البحث، وذلك بغية تجنب أي غموض أو سوء فهم قد يكتنف الدراسة والوصول في نهاية الأمر إلى تحليل أكثر جلاء ووضوحاً وموضوعية.

ومما لا شك فيه أن مسألة تحديد طبيعة المناخ المترتب عن ظاهرة الفوضى الدولية، تستدعي منا الوقوف على فهم التغير الحاصل في أبعاد النظام الدولي ككل، أو بالأحرى تحديد أنماط التفاعلات الدولية على مستوى القوى الكبرى والمهيمنة في بنية النظام الدولي، كما أن السلم التراتبي لتلك القوى وطبيعة تحولات أنماط النظام، غالباً ما تحيلنا إلى أبعاد النقلة التاريخية لتغير ميزان القوى في العلاقات الدولية.

المبحث الأول: تحولات البيئة الدولية وفضاءات الفراغ الجيوسياسية جذور الاعطاب وسياقات الإنجاز في القرن الحادي والعشرين

إن السعي الحثيث لدى العديد من الأنظمة السياسية، يتمثل في تحقيق قدرة التكيف والتأقلم مع التغيرات الطارئة في بيئتها الدولية، ويقتضي ذلك فهم رموز ودلالات النظام الدولي لاسيما أن ذلك لا يوفد لها إلا من خلال دراسة ماضي وحاضر مختلف أنماط النظم الدولية، قصد التنبؤ بالمجرى المستقبلي للأحداث والوقائع السياسية في المستوى الدولي والتي يشوبها الابهام والتعقيد الشديد كما أن مسألة تحقيق وظيفة تحويلية بالنسبة للنظام السياسي هي محددة بنيويا ومن شأنها أن تشكل نموذجا مصنعا للقيام بتلك الوظيفة ما يؤدي الى نتيجة الافتراض أو التنبؤ المستقبلي بمجرى الأحداث والوقائع، وهو ما سنخرج عليه باقتضاب في متن هذا المبحث تفحصا لخصائص النظام الدولي الأحادي مع إيلاء بالغ الاهتمام ببراديغم التعقد في النسق الدولي المبهجن.

المطلب الأول: النظام الدولي بين معطى البناء والتعديل إشكالية المفهوم وحدود التوظيف

إن الحديث عن مفهوم النظام الدولي ذو شجون، لتعدد تعريفاته، وتفاوت دلالاته التفسيرية والتأويلية منها، ومنوال الغوص في أعماق فهمه وتدليل منعرجات أدائية عمله يعد الفيصل في ميدان العلوم السياسية عامة والعلاقات الدولية خاصة، وفي دراستنا هذا سنكتفي بكشف الغطاء عن الاختلاف الحاصل حول كينونة هذا المفهوم وتداولاته، إلماما بكافة محاوره ومدراته بناء على تحليلات وشروح المنظرين والممارسين الاستراتيجيين، حتى نضع أنفسنا في قالب الدراسة، ولا ننزاح عن جوهرها.

أولا: لمحة ايتمولوجية لمفهوم النظام

لا يمكن فهم حدود الدور الذي يمكن ان تلعبه الدول بعيدا عن طبيعة النظام الدولي، وموازن القوى بين اطرافه، والحديث عن النظام الدولي وتفاعلاته يقودنا أولا الى التعرف على مفهوم النظام وتقفى حيثياته مع الحرص على تقصي مدلولاته وايتمولوجيته .

النظام في اللغة هو التأليف، وضم شيء الى شيء اخر ويقال نظم الأشياء ينظمها نظاما، أي لفها وضم بعضها الى بعض، وكل شيء قرنته بأخر، أو ضمنت بعضه إلى بعض، فقد نظمته. ويعد مفهوم النظام من أكثر المفاهيم استخداما في المعارف والعلوم شتى. ولقد ظهر مفهوم النظام للوهلة الأولى في مجال الفلسفة والرياضيات، ثم انتقل بعد ذلك على أسس غير دقيقة إلى مجال دراسة المجتمع ابتداء

من القرن التاسع عشر، ومع ذلك فقد تعين الانتظار حتى منتصف القرن العشرين كي يظهر مفهوم واضح ومتماسك للنظام¹.

وقد نشأت نظرية النظام من نموذج الترابط المعقد للعلاقات الدولية في سبعينيات القرن العشرين، وتعددت بذلك التعريفات المقدمة للمصطلح مع زخم النقاشات النظرية. وفي هذا الصدد يعتد "كريس براون" (KRIS) (BRAWN) بتقديم التعريف الأكثر قبولاً للنظام على وجه العموم كونه "مجموعة من المبادئ والمعايير والقواعد وإجراءات اتخاذ القرارات الضمنية أو الصريحة التي تلتقي حولها توقعات العناصر الفاعلة في مجال معين للعلاقات الدولية"، ومن جانب "روبرت موندل" و"الكسندر سوبودا" (ROBERT MODEL AND ALEXANDER SVOBODA) يمثل النظام "مجموعة من الكيانات المتفرقة التي تجمع بينها تفاعلات منتظمة نتيجة لوجود شكل من أشكال السيطرة"². إذن يفترض النظام وجود مجموعة من الوحدات المرتبطة فيما بينها بعلاقات ما، تحدد لها مجموعة مرتكزات وخصائص مشتركة تؤدي إلى وجود روابط بين هذه الوحدات، وتتيح العلاقات بين هذه الوحدات إمكانية الاتصال والتأثير المتبادل داخل الهيكل النظامي.

من زاوية أخرى كان ولا بد من الإشارة إلى أن الخلط الواضح في استخدامات مفهوم النظام، هو ما أثار حيرة كثيرين إذ تعددت النعوت المسندة إليه بين ORDER / SYSTEM/ REGIM، ما أسهم في بلورة ثلاثة اصطلاحات تدور في تخوم النظام، بداية بمصطلح SYSTEM المعرب عن تشكيلة القواعد والأساسات المنظمة للعلاقات بين أطراف محددة في نطاق ظرفية زمنية معينة، في حين أن مصطلح REGIM ينبئ بمركب نسقي تتضافر في صياغته مقومات متباينة من وسط اجتماعي وقيمي وقانوني، بيد أن مصطلح ORDER ينم عن إدارة واعية وحكيمة لضبط التفاعلات البينية³.

ثانياً: الضبط الاجرائي لمفهوم النظام الدولي

يصعب تحليل الحقائق والمعطيات أو قراءة المستقبل والتنبؤ بمساراته الإحتمالية والرغبية، دون الاحتكام إلى أسس وقواعد ناظمة خاصة في حقل العلاقات الدولية، الذي خبرت له الشواهد

¹ -Korhan Yazgan, **Change In International System : A Comparative Study Of Hierarchic And Anarchic Systems**, A Thesis Presented To The University Of Waterloo Fulfilment Of Thesis Requirement For The Degree Of Master In Political Science (Waterloo , Ontario, Canada ,2005) , P54 ,55.

² -Robert Jervis , **System Effects ,Complexity In Political And Social Life** (New Jersey :Princeton University Press , 1998) , P 182-184 .

³ -Ibid, P.185.

والدلائل النظرية بالتعقيد والالتباس الشديد في دروبه المعرفية ما استدعى حضور النظام الدولي مفهوما وممارسة بشكل محوري في العلاقات الدولية، لكونه مكون رئيس في مسار الكيانات السياسية وعنصر جوهري في سنة التدافع والصعود والهبوط التي تحكم ديناميكيات السلطة والنفوذ عبر التاريخ ، وليس من الغريب أن النظام الدولي من المفاهيم الحيوية ، التي نتعثر بها في الخطابات الإعلامية والأكاديمية والسياسية التي تملئ عالمنا ولا مناص من توظيف هذا المفهوم والتشدد به ، حتى دون تكلف عناء الوقوف عنده قليلا لتحديد ماهيته وأركانه وطبيعته ونمط بنيته وما يمكن أن يطرأ عليه من تغيرات وتحولات في هيكلته¹ ، وهو ما يحدث شرخا معرفيا بين ما نقوله اعتباطيا وما نستوعبه فعليا ، وهذا ربما قصده المفكر المغربي الراحل "محمد عابد الجابري" حين تصدى لإشكالية تعريف المفاهيم المتداولة بشكل واسع وتساءل بعمق " ترى هل سيولة العبارة على السنتنا يقابلها نفس الوضوح في اعيننا " ، فواقع الحال يجعل ذلك التساؤل ينسحب على كافة المفاهيم الأخرى خاصة في العلوم الاجتماعية ذات الصلة الجدلية وعلى رأسها النظام الدولي .

إذ دُتبت منظورات وازنة في العلاقات الدولية إلى إنباء اهتمام وافر، بإماطة اللثام عن التعقد والغموض المكتنف بمفهوم النظام الدولي، في مقارنة معرفية بحثة جادت بها سجالات الباحثين والمهتمين، وهو ما عبرت عنه توليفة واسعة من الطروحات النظرية، التي اسهم في وضع أسانيدها كل من مورتن كابلان وريتشارد روزيكلاوس وتشارلز ماكيلاند وجورج مدلسكي ودافيد سينغر، وغيرهم ممن عنوا بتطوير أبعديتها النظرية إثراء لمجالات البحث. ورغم زخم التحليلات المستفيضة للنظام الدولي إلا انه لا زال محل خلاف إبستمولوجي وأنطولوجي مما عسّر عملية بناء اجماع أكاديمي لتعريفه.

يقترح مورتن كابلان (Morten Kaplan) خمس متغيرات جوهرية في تعريفه للنظام الدولي : (1) القواعد الأساسية المحددة للعلاقات والارتباطات العامة بين الفواعل ، (2) قواعد التحويل وهي التي تطلع بتحديد كيفيات تطبيق القواعد النازمة في بعض الحالات والمواقف المتبناة وبالتالي تأطير ردود الأفعال المشروطة قياسا لتباينات السلوك التوازي ، (3) المتغيرات التصنيفية للفاعل والتي تمثل بدورها السمات والخصائص البنيوية للفواعل ، كالدول القومية والتحالفات والمنظمات الدولية ، (4) متغيرات القدرة المعبرة حصرا عن قدرات الفواعل للتحرك والفعل في مضمار هيراركية القوة ، وأخيرا

¹ -Joseph S. Ney , **The Changing Nature Of World Power** ,Political Science Quarterly , Vol .105, No.2, (Summer, 1990) ,P.154.

(5) متغيرات المعلومة الدالة على معرفة القوى الفاعلة ورصد تحركاتها وتفاعلاتها البينية، ومنه أورد لنا كابلان ستة نظم دولية للاستفادة من هذه المتغيرات¹ ;

أ. نظام توازن القوى (BALANCE OF POWER)

ب. نظام القطبية الثنائية المرن (LOOSER BIPOLAIRE SYSTEM)

ج. نظام القطبية الثنائية المحكمة (TIGHT BIPOLAR SYSTEM)

د. النظام العالمي (UNIVERSEL SYSTEM)

هـ. النظام التدريجي (HIERACHICAL SYSTEM)

و. نظام وحدة الفيتو (UNIT VETO SYSTEM)

أما ستانلي هوفمان (Stanley hoffman) فقد قدم تعريفا اقل تعقيدا وتجريدا من سابقه، اذ أشار الى ان النظام الدولي يجسد شبكة من العلاقات والروابط المتينة بين الوحدات الأساسية الفاعلة في مسرح السياسات العالمية، والذي تلتئم صورته بالأهداف التي تقرها وحداته استنادا الى استقرار الوسائل والإمكانات المتاحة².

في حين جادل ارنست هاس (Ernst Hass) بضرورة تحري الصرامة المفاهيمية ذات الصبغة العلمية المقتضية لـ: (1) علاقات التبادل المنسوجة بازدواجية الطابع التعاوني و الصراعى و المحددة طبقا لافرازات جعبي المدخلات والمخرجات، (2) الوحدات المشكلة لكيقونة النظام ودرجة التجانس والانسجام بينها، (3) بيئة النظام الدولي وحدوده، (4) الملامح السائدة للنظام كالتوازن او التنافس والاستقرار والثورية، (5) البنيات والرواسي المحركة لدواليب ميكانيكية التفاعل الدولي³

أما المنظر تشارلز ماكيلاند (CHARLES MAKILAND) فقد طرح نموذجا مغايرا لتحليل النظام الدولي، يستند فيه بالأساس الى عملية التفاعل والتناجح بين وحدتين ترتبطان بشكل وظيفي عبر زمرة

¹ -Mortan A Kaplan, **System And Process In International Politics**, (Colchester, England : (11) Espr, 2005), Pp. 52-61.

² -Stanley Hoffman , **International Systems And International Law**, World Politics Transition, Vol.14,No.1,(Spring 1974), Pp. 32,33

³ -Ernst Hass, **Beyond The Nation – State : Functionalism And International Organization** ,(Stanford : Stanford University Press ,1964) , Pp. 62,63 .

من الشبكات وفق منطق ' الحاجات ' و ' الاستجابات ' ، اذ يولي ماكيلاند عناية بالغة الأهمية لنماذج التفاعل الحاصلة بين النظام الدولي ونظمه الفرعية، وهو ما يتيح الكشف عن المظاهر السلوكية الواقعة قاب قوسين داخل سرداب كل وحدة من هذه النظم الفرعية، استشرفاً لإنعكاساتها المستقبلية على النظام الدولي¹.

في ذات السياق يحيلنا "روبرت غيبيلن" (Robert Giplin)² الى الغموض الذي يعتري مفهوم النظام الدولي، اين يمكن ان يحمل في تنياه العديد من الظواهر المشحونة بتياري التذبذب والتشابك في قنوات الاتصال بين الوحدات الدولية، زر الوصل بينها يكمن في مطرقة السيطرة، اذ يتحدد النظام الدولي وفقاً لهاته الرؤية في ثلاث جوانب أساسية يمكن ايجازها: في وجود كيانات متعددة تتراوح بين فواعل دولاتية وغير دولاتية، اتاحة انموذج للتفاعل الانتظامي والذي تتباين طبيعته تحالفاته وتحولاته الاستراتيجية تبعاً للأنظمة الدولية الجاسدة، كما تتفاوت ايقونات التفاعل بين الفطور والتناقض تارة، والتكافل والتضامن تارة أخرى وصولاً الى تحين الضوابط الشرعية لمؤسسات النظام الدولي باعتبارها دركي السياسة العالمية .

حري بنا في موضع ذي صلة، التطرق اجتهادات الباحثين العرب في صياغة تعريف دقيق وشامل للنظام الدولي بدئ بـ " محمد طه بدوي " الذي اقر "بأنه مجموعة من الوحدات السياسية المتدرجة لجهة القوة والمتفاعلة في علاقاتها على نحو يبيئ الاتزان قواها والانتظام علاقاتها بعيداً عن الفوضى الدولية من جهة وبما يحول دون هيمنة اية من هذه الدول على ما عداها " اما "، محمد السيد سليم " فقد عرف النظام الدولي "بأنه مجموعة من الوحدات المترابطة نمطياً عبر عملية التفاعل البيئي"³، و الجدير بالذكر هنا ان صفة النظام الدولي تطلق على مجموعة العلاقات المنتظمة التي تربط الدول ببعضها البعض ، والتي تأسس على الاعتمادية المتبادلة ضمن اطار سياسي واقتصادي واستراتيجي، والمعبرة عن واقع فرض نفسه بفعل شروط تاريخية وعلمية وعقائدية .ويمكن لهذه العلاقات ان تأخذ شكل التعاون والتفاهم والسلام من جهة ، وطابع التنافس والمواجهة من جهة أخرى.

¹ - Richard H. Masland, **Little Approaches To International System: Some Ontological And Epistemological Consideration**, British Journal Of International Studies, Vol.3, No.5, (October 1977), P.201.

² - Robert Giplin, **War And Change In World Politics**, (Cambridge: Cambridge University Press, 1981), Pp.83, 84.

³ - محمد السيد سليم، تطور السياسة الدولية في القرن التاسع عشر والعشرين، (القاهرة: دار الفجر الجديد للنشر والتوزيع، ط2، 2008)، ص 11.

جملة الارهاصات الفكرية المذكورة انفا تسدل الستار عن جدلية صقل مفهوم النظام الدولي، وتقودنا بهوادة الى وضع تعريف جامع ومانع لهذا الأخير لكونه تجمع يتشكل انطلاقاً من وحدات سياسية مستقلة ذات سيادة، تتفاعل فيما بينها بتواتر واستمرارية معقولة وفقاً لعمليات منتظمة وبناء على قواعد متفق عليها، وتلعب القوة المتغير الحاسم والمحوري في حركة التفاعل البيئي المتأرجح بين فلكي القطيعة والاستمرارية، وتاليا صياغة توجهات الوحدات المشكلة للنظام الدولي. كما يتسنى لنا ان نعرف النظام الدولي بانه إطار مؤسسي، سياسي قانوني دبلوماسي ناظم للعلاقات الدولية، تتفاعل ضمنه الوحدات الدولية (من الدول وغير الدول) في أروقة التعاون والتنافس والاشتباك، وهو ما يعد المحرك الأكبر للنظام الدولي.

➤ لا يسبر غور النظام الدولي دون التطرق لضبط اصطلاح "هيكل النظام الدولي" المفضي الى:

1- INTERNATIONAL REGIME : القائم على القواعد القانونية النازمة التي تحدد نمطية السلوك

2- INTERNATIONAL ORDE : المسدد على سلم القوى الهيرواركي (التراتبية) / - عظمى - صغرى - وسطى - هشّة)

3- INTERNATIONAL SYSTEM : الكائن بتفاعل القوى Oder والقواعد القانونية الامرة في الصرح الكسموبولتاني

بالتالي يعرف هيكل النظام الدولي بالاحتكام الى عناصر القوة و الفاعلين الرئيسيين في النظام (دوليين وغير دوليين)، داخل وحدات النظام وترتيبها باعتمادية نسبية في اطار تعاضدية النسق العلائقي، حيث تطفو إمكانية تقسيم الفاعلين في النظام الدولي الى الدول القومية (NATION) (STATE) التنظيمات الدولية بشقيها الحكومي وغير الحكومي (العالمية / الإقليمية) ، التحالفات الدولية (INTERNATIONAL ALLIANCES) ، يضاف لها أنشطة الجماعات والشبكات دون مستوى الدول (SUB NATIONAL ACTORS) ، ناهيك عن الافراد من ذوي السلطان السياسي النافذ¹، وتأسيساً على ذلك تعين محددات النظام الدولي من لدن أربعة اتجاهات:

أ) الاتجاه الأول: يذهب الى تصنيف النظم حسب مستوى التعقد (مكانيكي - ستاتيكي -

بيولوجي ...) يتزعم ريادته KENNETH BOULDING

¹ - Masland, Op.Cit , P.204.

(ب) الاتجاه الثاني: يؤمن أنصار هذا الاتجاه بمركزية الفعل التوازني كمؤشر حجاجي يقيس قدرة النظم على التكيف والاستجابة والتفاعل مع ظروف البيئة الضاغطة تشمل هذه التفاعلات ما يلي:

1. توصيف الأنماط التفاعلية "سياسية، عسكرية وامنية" بين التكتلات الرئيسية في النظام الدولي اقرارا بسنن التنافس والتكامل بينها.
 2. اعلاء صيت التفاعلات الاقتصادية في بنية النظام الدولي امتعانا بالتكافؤ والاختلال
 3. شيوع النزعة القيمية في تفاعلات البيئة الدولية بفعل استقطابات العولمة والتكنولوجيا الرقمية.
- (ج) الاتجاه الثالث: يركز الى الجزم بتأثير التكتلات والتحالفات على نواتج النظام الدولي، ومخرجاته وان أي طارئ قد ينيها سيدفع صوب تغيير اضطراري في بنية النظام الدولي.
- (د) الاتجاه الرابع هذا الأخير يعهد باستماتة الى الربط بين هياكل وبينان النظام الدولي ومدارك قدرته في الاستنابة بوظائف تكليفه¹.

ثالثا: مكونات النظام الدولي

في موضع متصل كان لا بد من التطرق الى مكونات النظام الدولي الأربع باعتبارها ركنا أساسيا في ضبط موازين القوى الدولية

1- الوحدات الدولية:

يقصد بها القوى الفاعلة التي تقوم بأدوار معينة داخل النسق الدولي، أي القوى الجديدة التي ظهرت على المسرح الدولي نتيجة صعود الوحدات الدولية وهبوطها.

2- البنية الدولية:

هو مفهوم تنظيمي ينصرف الى ترتيب وحدات النسق الدولي في علاقاتها ببعضها البعض ويشمل البنية الدولية بعددين أساسيين هما توزيع المقدرات ودرجة الترابط بين الوحدات وهناك ثلاث اشكال من الأبنية الدولية هي: الأحادية القطبية، القطبية الثنائية، والقطبية المتعددة.

¹ - Giplin, Op.Cit ,P.86.

3- المؤسسات الدولية:

يراد بذلك إقرار مجموعة من القواعد والأعراف والإجراءات التي يقبلها الفاعلون كإطار شرعي لممارسة النشاط عبر فترة زمنية معينة، أي وجود قواعد واطر وأعراف دولية مقبولة لممارسة مختلف الأنشطة الدولية، وهذه المؤسسات قد تكون رسمية (تنظيمية او قانونية) وقد تكون مجرد قواعد عرفية.

4- العمليات الدولية:

تنصرف العمليات السياسية الدولية الى حركة الوحدات الدولية لتحقيق أهدافها الخارجية، وهي بهذا المعنى تمثل الجانب الحركي من النسق الدولي ويمكن تعريف العمليات السياسية الدولية بأنها مجموعة من الأنشطة المتعاقبة والمتراطة التي تضطلع بها الوحدات الدولية في اطار نشاطها الخارجي استنادا الى ضوابط معينة من ثم فإن العمليات السياسية الدولية تشمل أربعة ابعاد محدد أولا: تنطوي على مجموعة من الأنشطة المستمرة أي المستديمة زمنيا، ثانيا: الأنشطة المنضوية تحت غطاءها تتسم بقدر من التماسك والتنسيق عالي القدرة، ثالثا: تتم في إطار مجموعة من القواعد الوضعية و من خلال مجموعة من الأدوات الفنية التي تحدد طبيعة الأنشطة التي يمكن ان تنشأ او تنبغ في اطار تلك العمليات، رابعا: إن تلك الأنشطة الكثيفة ترمي الى تسجيل أهداف استراتيجية تتوخى الوحدة الدولية تحقيقها في النسق الدولي¹

رابعا: المفاهيم المقاربة من النظام الدولي:

عند محاولتنا لتحديد المعنى الاصطلاحي للنظام الدولي، يظهر أنه مفهوم مشوب باللبس، ويبدو حقا أن هناك نوع من التقاطع الدلالي مع كوكبة من المصطلحات غير أنها لا تعني الشيء ذاته، كالمجتمع الدولي، التنظيم الدولي، التوازن الدولي

1- المجتمع الدولي:

يدل مفهوم المجتمع الدولي على مجموع الدول التي تتقاسم نصيبا من المصالح والقيم المشتركة المسهمة بدورها في الحفاظ على المؤسسات الدولية، اذ ينم عن جملة المعاني المعيارية والقيمية التي

¹ - David J Singer , **Correlates Of War Project :Interim Report And Rational** , World Politics , Vol.24, No.2(January 1972), Pp . 116, 117, 118 .

تشكل الإطار التفاعلي للوحدات السياسية. فقد عرفه إسماعيل صبري المقلد، "بكونه السياج الكافل لعضوية الدول اعترافا بسيادتها الوطنية وإقرارا بالمساواة الماثلة في فقه القانون الدولي، ما يحفز شجن الاقدام لديها على صنع مجتمع توافقي"¹.

ان الأصل في اصطلاح المجتمع الدولي هو وجود سلطة القانون النافذة وهذا ان دلّ على شيء إنما يدلّ على طابع التنظيم والترتيب في هيراركية القوة وتوزيعها لكن الواقع ينافي الافتراض ما استوجب من الدارسين في سلك العلاقات الدولية تحبيذ اطلاق تسمية الجماعة الدولية على البيئة الدولية، مع عزوفهم في المقابل عن اطلاق عبارة المجتمع الدولي؛ الإيقانهم التام بغياب فكري الحق والقانون عن عالم التفاعلات الدولية، فتجدهم لا يؤمنون الى بسمو وغلبة الفوضوية، وتماشيا مع هذا المنظور نجد رائد المدرسة الإنجليزية "هيدلي بول" (Hadley Paul) الذي لاحظ ان النظام الدولي بعيد كل البعد على ان يكون في حالة حرب دائم، ويعود الفضل الى المصالح المشتركة التي قيدت استعمال العنف وحلت محله المساومة والتكيف المستمر والمستديم مع التحولات، مسلطا الضوء على ان القواعد والمؤسسات المنظمة في أي نظام عادة تتطور الى الحد الذي يصبح فيه الأعضاء واعين بالقيم المشتركة، ويصير النظام مجتمعا دوليا²، هذا الطرح يؤسس لدور القوى العظمى في بلورة القواعد والأسس التي من خلالها يدار المجتمع الدولي، والتي عادة ما تخدم مصالح هذه القوى وتتجاهل القضايا والمعايير التي لا تراها مهمة لمصالحها.

ضرورة الامر تستدعي منا تقديم الفرق بين النظام الدولي والمجتمع الدولي، حيث ان الأول يعني وجود قدر كاف من الاتصالات بين الدول ويكون مستوى كاف للتأثير على قرارات بعضهم البعض، مما يجعلنا نعتبر سلوكياتهم أجزاء من الكل، اما الثاني عندما تنشأ مجموعة من الدول الواعية بمصالحها وقيمها المشتركة مجتمعة، بمعنى ان الدول في هذا الإطار تتصور نفسها ملزمة بمجموعة مشتركة من القواعد في علاقاتها مع بعضها البعض وتتواصل ضمن مؤسساته المشتركة.

2- التنظيم الدولي:

يؤسس منطق التنظيم الدولي على الاعتقاد الجازم بإمكانية درء وتلافي الصراعات والخلافات الدولية، عبر آلية تنمية وتعميق سياسات وتدابير التعاون الدولي المشترك على مستوييه الإقليمي

¹- إسماعيل صبري مقلد، دراسة في الأصول والنظريات، (الكويت: منشورات دار السلاسل، الطبعة الرابعة، 1985)، ص. 162.
² - Hedley Bull, *The Anarchical Society: A Study Of Order In World Politics*, (London: Palgrave, Third Edition, 2002), Pp.133-137.

والدولي، فبعد ان تجرعت الوحدات الدولية ويلات الحروب والصراع التي طبعت البنيان الدولي منذ عهد الدولة الوستفالية، هموا الى صياغة قواعد قانونية نازمة لعلاقاتهم يشرف على مراسمها التشريعية تنظيمات دولية قارة.

ويقصد بالتنظيم الدولي التركيب العضوي للجماعة الدولية، أي مجموع الأنشطة والمهام والمؤسسات التي يحتويها إطار العلاقات الدولية من منظور ديناميكي، تشمل دراسة الوضع الراهن لنظم الحياة الدولية بما تنطوي عليه من نقص وقصور، مع استشراف مستقبل تلك النظم واحتمالات تطورها وإمكانية تعديلها وتكييفها لتوائم تحولات البيئة الدولية¹.

فيما ذهب فريق من باحثي العلاقات الدولية، الى وضع تعريف شامل لمفهوم التنظيم الدولي بإجماع منهم على كونه اتحاد دول تشكّل بموجب معاهدة اتفاقية، يحوز إطاراً مؤسساتياً وأعضاء مشاركين في بناءه ويمتلك شخصية قانونية تعد فريدة من نوعها عما هي عليه بالدول الأعضاء، ويتجاوز المفاهيم العرضية مسددا هدفه تجاه معالجة أوضاع المجتمع الدولي وتقصي نظم حكمه العامة².

في ضوء ما تقدم، يمكن اعتبار التنظيم الدولي بمثابة الهيكل أو الإطار الجامع للوحدات السياسية ذات المصالح والرؤى المشتركة؛ استناداً الى مرجعية القواعد القانونية الأمرة في نص دستوري أو ميثاق تعريفي، تحقيقاً لثلة من المطامح والمسااعي المشتركة.

3- التوازن الدولي:

إن دراسة سلوكي الموازنة والمسايرة ضروري ومهم للتعرف على تأثير هذين الأخيرين على مسار الاستقرار والتغير في السياسة الإقليمية والدولية، وهو ما قاد منظري العلاقات الدولية الى الخوض في مفهوم التوازن الدولي وتتبع سير اغواره للاقترب من مفهمته وتشريح عناصره، باعتباره مبدأ أو سياسة تتبعها دولة ما أو تحالف دولي بعينه في مواجهة دولة أو تحالف دولي آخر، بحيث لا يتاح لأي دولة كانت التحالف في سبيل الاستئثار بالنفوذ الدولي أو الاستفراد بالهيمنة المطلقة على الآخرين، وهو ما صدقه "كينيث والتز (Kenneth N Waltz) الذي عرف التوازن بأنه الأداة المفتاحية لتنظيم صراعات القوة

¹ - Jenny Edkins, *Poststructuralism And International Relations: Bringing The Political Back*, (Minneapolis: University Of Minnesota Press, 1999), P.11.

² - Barry Buzan, *An Introduction To English School: The Social Approach*, (United Kingdom: Policy Press, 2014), Pp.12, 13.

، وضمان استمرار النظام الدولي ناهيك عن حمايتها المستتبة لاستقلال الدول ،وتعمل بتفان منقطع النظير في الحيلولة دون ابتلاع كيائها من طرف دول اقوى او هدر سيادتها وإعطائها ، في المصعب الاكاديمي ذاته عرّف " ارنولد تويني " التوازن الدولي بأنه: "نظام الديناميكيات السياسية المتفاعلة في المجتمعات التي يقوم تنظيمها على وجود عدد من الدول المستقلة ،للإبقاء على مستوى معين من القوة السياسية المتاحة لكل منها ،وإذا ما توجهت احدى الدول لتجاوز المستوى المحدد المسموح به ،تتولد ضغوطات تلقائية تدفع بالآخرين لمقاومة التهديد الناشئ"¹ .

نافلة ما في القول ان التوازن الدولي هو من المفاهيم المحورية في نظرية تحليل النظم ،ومن الركائز الثابتة في مبنى العلاقات الدولية والذي لا مفر من التعاطي معه ، لاسيما بعدما رسخت دعائمه في نموذج توازن القوى الذي طوره كينيث والتز ونظرية توازن التهديد التي طرحها ستيفن والت.

رابعا: سمات النظام الدولي

1- السمة الفوضوية:

الفوضى Anarchy كاصطلاح هي نقيض النظام ،وهي مشتقة من اصل يوناني "Anarkho" والتي تعني غياب سلطة الحاكم الراعية لشؤون الافراد والساهرة على سلامتهم وأمنهم ،فمنذ صلح وستفاليا عام 1648 لم تنقطع محاولات صياغة قواعد وأعراف لضبط سلوك الدول ، وإنشاء مؤسسات دولية لتعزيز التعاون والحد من الصراعات بين الفاعلين الدوليين ،وهو ما حرصت عليه مختلف المداخل النظرية والتطبيقية في العلاقات الدولية استنباطا لمعان ومدلولات تفسيرية جمة ،احيطت بمفهوم الفوضى الدال على الافتقار العضوي لقواعد رصينة وغياب سلطة عليا تضبط لجام الفاعلين الدوليين ،مما يولد معضلة اللانظام والهشاشة في هيكل النظام الدولي في ظل هذا الزخم التنظيري برزت الطروحات التحجيمية للفوضى سواء محاولات تطويع المسببات الفوضوية والسيطرة عليها ،وفقا للنظريات المثالية والليبرالية ،او مداخل التعايش مع الفوضوية والصراع من اجل القوة بل ومحاولة توظيفها في كف الصراعات بين الدول وفقا للمنظور الواقعي ،في المقابل فان بعض الاتجاهات الصاعدة تنفي إمكانية التحكم في التفاعلات الدولية الراهنة ،ومن ثم تؤكد على أهمية تعزيز مستويات المرونة والارتداد للتوازن لدى المؤسسات الدولية والدول والمجتمعات ،وبناء المناعة

¹ - Kenneth N Waltz, **Theory Of International Politics**, (London: Addison – Wesley Publishing, 1979), Pp. 103-112.

الداخلية للدول، والتكيف والتعايش مع التحولات العالمية سريعة الإيقاع¹، وفي هذا الصدد تتمثل اهم ملامح فوضوية النظام الدولي فيما يأتي :

(أ) صراعات القوة: يمثل جوهر العلاقات الدولية والقلب النابض للتفاعلات الدولية وهذا ما حاجج عنه هانس مورغانثو في مؤلفه الموسوم بـ "السياسة بين الأمم: الكفاح من اجل القوة والسلام" مؤكدا حرص الدول في المقام الأول على استتباب كيائها وتحصينه من التهديدات، لتتنحو تجاه تحقيق مصالحها القومية التي تعد عماد وجودها، وهو ما يدفعها للسعي الدائم في امتلاك وتطوير وتوظيف القوة كمعطى طبيعي لا مناص من التخلف عنه².

(ب) معضلة الامن: ينجر عن سعي الدول الدؤوب في ضمان أمنها عبر تعزيز مقومات قدراتها العسكرية وبحث الانخراط في منظومة التحالفات الدولية؛ ايقاظ هاجس التهديد لدى باقي الدول، مما يحملها الى اتخاذ تدابير إجرائية حماية لأمنها من الانكشاف وهو ما يترتب عنه دون أدني شك تفاقم حدة التوترات وتلغم النزعات وتفجر بؤر الصراعات، فوفقا لجون هيرتز (Johan Hertz) حتى التنافس والصراع المشحونة بهستيريا الشك والريبة ستزكي لا محالة من ثنائية الامن ((HELP SELF)، نتيجة ازيمات الثقة التي تسود العلاقات الدولية³.

(ج) لامركزية التفاعلات: نتيجة غياب سلطة عليا تجيد احكام صولجانها على بيئة التفاعلات الدولية، تعزو الدول الى بناء صرح توافقي تستسيغ من خلاله القواعد والأعراف التي تباشر المؤسسات الدولية العمل في حدودها، دون أي مساس بمركزية السيادة التي تكفل للدول حق تحديد خيارات سياساتها الخارجية⁴.

(د) تعدد الفاعلين: على الرغم من الخطوة المركزية لمكانة الدولة في النظام الدولي، فان التفاعلات الدولية تشمل أدوار مؤثرة لعدد كبير من الفاعلين، مثل المنظمات الدولية والشركات دولية النشاط، والفاعلين العابرين للقومية مثل الحركات الانفصالية والمليشيات المسلحة وشبكات الناشطين الدوليين، والمنظمات غير الحكومية، ووسائل الاعلام العالمية بالإضافة للأفراد .

¹ - Bruce Biddle And Edwin Thomas, **Role Theory : Concept And Research** , (New York, London : Willy And Soon , 1966),Pp. 7,8.

² Kenneth N Waltz, Realist Thought And Neorealist Theory, **Journal Of International Affairs**, Vol.44, No.1, (September 1999), P .94.

³ -Ken Booth, J. Wheeler, **The Security Dilemma: Fear Cooperation And Trust In World Politics**, (Basingstoke: Palgrave, 2008), P.07.

⁴ - Robert Jervis, Cooperation Under The Security Dilemma, **World Politics**, Vol. 30, No .2, (January 1978), Pp.33-39.

يسفر هذا التعدد في الفاعلين الى عدم القدرة على توقع مسارات التفاعلات الدولية، نتيجة اقتصار قواعد القانون الدولي على تنظيم التفاعلات بين الدول، ومن ثم عدم خضوع الفاعلين من غير الدول لقواعد تضبط سلوكهم وممارساتهم، أضف الى ذلك قدرة هؤلاء الفاعلين على الانتقال المرن والسلس من النطاقات الداخلية الى الإقليمية والدولية، مما يسهم في تلاشي الحدود الفاصلة فيما بين الداخل، والإقليم، والعالم، الامر الذي يزيد من استفحال الفوضوية واستحالة انضباط التفاعلات الدولية¹.

2- السمة الهرمية

بحكم تساوي الدول أمام القانون الدولي وبموجب تمتعها بالطابع السيادي، فهي لا تقرر الاعتراف بأي حال من الأحوال لأي جهة ارفع منها منزلة، بيد ان تلاشي تخوم التكافؤ بين وحدات النظام الدولي، سيحرك مورفولوجيا الدول نحو تحقيق الاندماج بحثا لها عن مكانة اسمى في سلم ترابعية القوى الدولي، او انه سيكرس مبدأ الانتظام استنادا الى الخطوة المكانية في بنية النظام الدولي وفق اطر التسلسل الهرمي، فالتفاوت الجاسد بين وحدات النظام الدولي من حيث القوة والقدرة على التأثير أمر مفروغ منه بصرف النظر عن المساواة القانونية فيما بينها، وقد كان لنظريات العقد الاجتماعي عظيم الأثر في تشريع فكرة النظام في السياسات الدولية، قوامها تنازل الدول عن جزء من سيادتها لصالح طرف دولي قوي، باعتبار هذا الأخير السلطة العليا النافذة التي ينصاع لها كافة الفاعلين الدوليين مقابل حرصه على توفير مضلتي الامن والسلم الدوليين، وعليه نستشف بوضوح منقطع النظير ضرورة إيجاد عامل الهيمنة الدولية كشرط أساسي ينم عن سنن التسلسل الهرمي في السياسات العالمية، ومن ثم اجهار عملة الاستقرار والتوازن في انساق النظام الدولي².

خامسا: أنماط النظم الدولية

إذا كانت بنية النظام الدولي لا تقبل التجزؤ والتحول من حيث القيم، فإنها تقبل من دون أي شك التحول من حيث النمط، ويقصد بالتحويلات النمطية حالة الانتقال من الطور السائد في بيئة النظام الدولي، الى مستوى طور مختلف تماما، وعموما فان طبيعة او نمط النظام الدولي تتحدد بناء

¹ - Barry Buzan And Others, **The Logic Of Anarchy: Neorealism To Structural Realism**, (New York: Columbia University Press, 1993), Pp. 27.

² - تيم دان، وأميلييا كوركي وستيف، ترجمة: ديماء الخضراء، نظريات العلاقات الدولية التخصص والتنوع، (قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016)، ص ص. 252-255.

على نمط القدرة التوزيعية للقوة بين الوحدات الدولية ، مما يفضي الى تشكيل ملمح القطبية المرهون بـقالب الاستقطاب أي توزيع الولاءات بين عدد محدود من مراكز القوة تبعاً للقرب أو البعد من سياسات ومصالح وبرامج فكرية وسياسية وإيديولوجية، فالقطبية والاستقطاب هما علاقة قوة صراعية ترتبط بتكوين سياسات وتحالفات تنطوي علاقاتها على التنافس ، ولذا فإن مدرك اقـطاب القوة في النظام الدولي يعتبر بمثابة البوصلة التي توجه ريان السفينة ، فإذا كانت القوة منتشرة بشكل متقارب بين مجموعة من تلك الوحدات ، فإن نمط النظام الدولي سيتأرجح نحو التعددية القطبية ، وإذ ما توزعت تلك القوة بين كتلتين وازنتين ، فسنكون بصدد نظام ثنائي القطبية ، أما في حال استحوذت قوة عظمى على جل المقدرات المتاحة في بنية النظام الدولي سيكون المأل الترنج تحت جبروت الأحادية القطبية المحكومة برؤى وممارسات الاستفراد في إدارة دواليب النظام الدولي¹ .

1. النظم التعددية الدولية multipolaire

تتميز معالم هذا النظام بوجود مجموعة قوى تمتلك من مصادر القوة القومية والنفوذ ما يؤهلها لتبوء مركز هام على قمة الهرم الدولي ، على أن تكون مواردها وإمكاناتها الاقتصادية متكافئة ومتعادلة نسبياً كما هو الحال في توازن القوى التقليدي الذي يركز على رغبة الدول الأطراف في النظام على إبقاء الاستقرار واستتباب لبناته في دوائر التفاعل الدولي وردع كل صيغ العدوان، وهو نتيجة تحصيلية لمفرزات نظام دولي يتسم بتعدد وحداته المستقلة ذات الهوية السيادية ما يطلعها بحرية التحوط الاستراتيجي في صف التحالفات الدولية طلباً في استزادة أمونها وتعظيم مصالحها حفاظاً على توازن ما، وهذا التوازن يقيد السلوك المزعزع للاستقرار ويستبعد فرص ظهور قوة مهيمنة ، ويتحقق التوازن التعويضي المنبثق من رحم القوى الصاعدة باستجلاء غرضين رئيسيين هما : الحفاظ على أمن كل دولة على حدى، وحماية النظام الدولي من الاضطراب كنتيجة مسفرة عن ذلك² .

2. النظم الدولية الثنائية bipolaire

تقوم على وجود مركزين متفوقين من مراكز القوى ، ويحيط بكل منها عدد من الدول المنقادة والدائرة في فلكها ، ويتميز هذا البنيان بتجمع النفوذ الدولي في قطبين رئيسيين ؛ بسبب تركيز توزيع

¹ - Pascal Boniface, **Comprendre Le Monde : Les Relation International Expliquees A Tous**, (Paris : Armand Colin, 7eme Edition, 2023), Pp.47, 48 .

²- Karl Dutsh And David J Singer, Multipolarity Power Systems And International Stability, **World Politics**, Vol .16, No.3,(July 1964), Pp .90-101.

المقدرات بين دولتين أو كتلتين بارزتين ، ويتميز بوجود صراع محتدم حول خاصرتي القطبين الدوليين ، وتتوزع ميكانيزمات القوة وأدوارها في اطار هذا البنيان على أساس تدرج هرمي، وقد أعطت حقبة الحرب الباردة احسن نموذج عن ذلك بما عرفه العالم من استقرار (بين القوتين العظميتين) مثلثا فيه الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفياتي رأس الحربة ، ما عجل بظهور تغيرات هيكلية سريعة التواتر والشدة في موازين القوى العالمية ، استظهرت معالمها في سياسات الاحلاف العسكرية " حلفي وارسوا والاطلسي " ، ناهيك عن انفلاج سياسات سباق التسلح بالمنعشة باستراتيجية الردع النووي المثبطة لطبول الحرب ، وهذا دفع بالمقابل الى فتح قنوات اتصالية تدار بواسطة جملة المسائل العالقة بينهما¹.

3. نظم القطبية الأحادية unipolaire

في النظام الأحادي تهيمن دولة واحدة (أو منظومة قطب) وتفرض ارادتها ومنطقها على سائر الدول ، ويظل الاستقرار حاصلا مادامت هذه الوحدة الدولية تمتلك وتحوز مقومات ثلاثية القوة والقدرة والمقدرة على ادامة وإطالة هيمنتها ، وتفردا كبحا لتطلعات ومطامح الأطراف المناوئة لها ، و تعطيلاً لأدوارها الاستراتيجية بغية عدلها عن نزعة التغيير والتعديل في ستاتيكية القطبية المشكلة ، هنا تبرز اعمال الواقعي الجديد روبرت غيبلن لاسيما من خلال كتابه المعنون بـ: "الحرب والتغيير في السياسة العالمية" المتضمن لفقه "نظرية الاستقرار بالهيمنة" ، تجسدت صورة هذه النظم في خير مثال لها بنهاية العلاقات الدولية المحكومة بالثنائية القطبية عقب تصدع الجبهة الاشتراكية وما صاحبها من اثار عميقة لحصاد الحرب الباردة لترسم في المقام الموالي معالم المشهد العالمي الجديد في طوره الأمريكي المتفرد بمقومات الأممية الليبرالية والديمقراطية المثلى².

سادسا: وظائف النظام الدولي

بغض النظر عن طبيعة النمط الذي يتخذه النظام الدولي في حقبة ما، في أن جميع النظم الدولية ومن دون أي استثناء تهدف لتحقيق خمس وظائف أساسية يمكن تلخيصها فيما يأتي:

¹ - Raymond Aron, **Paix Et Guerre Entre Les Nations**, (Paris : Calmann- Levy, 8eme Edition, 1984) .Pp.354-407.

² - GPLIN, Op.Cit , P.87.

✓ التكامل: integration يتضمن مفهوم النظام انتقال الوحدات المكونة له من حالة الاستقلال الى حالة من الترابط والتفاعل الوظيفي; بوجود مجموعة مشتركة من الخصائص والمصالح، ويختلف مفهوم التكامل كعملية نظامية باختلاف نمط النظام الدولي، ففي النظام التعددي يأخذ شكل التكتلات الوظيفية كالاتجاهات الاقتصادية والمؤسسية. بينما يأخذ شكل التبعية في النظام احادي القطبية ، حيث يكون هناك نظام جريء تسوده دولة واحدة ، تصدر أوامرها من المركز وتتبعه بقية وحدات التنظيم ، اما في نظام الثنائية القطبية سواء المرن او الجامد فان التكامل يكون اقرب للأحلاف منه للتكتلات ، وفيما يتعلق بأداء وظيفة التكامل فهي تطوعية في النظام متعدد الأقطاب ، بينما تتسم بالإكراه والإرغام في النظام الأحادي وتأخذ صورة الاستقطاب في النظام ثنائي القطبية ، وبينما يتمتع الأطراف في النظام الأول بحرية الحركة ، فإنهم في الحالة الثانية يتميزون بالعجز ، اما الثالثة فالأمر متوقف بشكل حصري على طبيعة العلاقة بين الأطراف والأحلاف ، فالأطراف المنضوية تحت قبعة الاحلاف تكون اقل استقلالية في الحركة عمن سواها¹ .

✓ الامن: (security) ترتبط هذه الوظيفة بقدرة النظام على حماية بقائه وتأمين اطرافه ، وهو ما يستدعي بدوره رصد الموارد وتعبئتها وتحويلها الى قدرات تخدم هذا الهدف ، وتختلف هذه الوظيفة في مضمونها ومدى أدائها باختلاف نمط النظام الدولي القائم ، وهي على العموم : أولا التوازن أي القدرة على تحقيق الاجماع ، ثانيا ، الرفاهية أي القدرة على اشباع الحاجيات ، ثالثا ، القدرة العسكرية اللازمة من اجل تأمين كل من التوازن و الرفاهية في مواجهة التحديات المترتبة باستقرار النظام الدولي ، ويظهر ذلك بجلاء في النظام متعدد الأقطاب .

✓ التنمية (development): يعنى بها القدرة على استخراج الموارد وتوظيفها بصورة تؤدي الى تطوير كفاءة وفعالية النظام ، وانتقاله الى حال افضل مع ضمان المحافظة على استقراره من الاهتزاز والتزعزع، درنا لمظاهر الاضطراب والتشويش فيه ، الامر الذي يحتم وجود سلطة مركزية او عدة مراكز تستطيع ان تمتلك زمام عمليتنا الاستخراج والتوزيع ، ويختلف مستوى ذلك باختلاف نمط النظام القائم² .

¹- Robert O Keohan And Joseph S Ney, **Power And Interdependence World Politics Transition**, (Boston: Little Brown, 1977), Pp.161-175.

² - Hans Morgenthau, **Politics Among Nations: The Struggle For Power And Peace**, (New York: Lfred Knopf, 5th Edition), Pp. 27-54.

✓ **التكيف/ التعديل: (ajustement)** ويقصد بها القدرة النظامية على الموائمة والاستجابة المرنة للضغوط والاملاءات السلطوية، بشكل عقلائي يحقق سجية التوازن من جهة وسمة الاستقرار من ناحية أخرى، وتتوقف القدرة على التكيف شريطة وجود منظمات فاعلة داخل النظام تواجه مرارة جسيمة تفرضها عوامل الضغط وعناصر الاضطراب، وتحتوي آثارها المدمرة والمدوية على النظام، عبر بوتقة قدرة ذاتية للنظام تعمل بكل عزم على توفير سبل حمايته وديمومة بقاءه¹.

✓ **الشرعية: (legitimacy)** يستشف من خلالها درجة القبول التي تحظى بها أفعال القوى الدولية من طرف بقية الفواعل في النظام الدولي، وقد عكف "هنري كيسنجر" (henery) (Kissinger) في كتاباته النظرية الى كشف الابهام الحائم بهذا المفهوم المحوري موازنا إياه بمفهوم القوة، ويرى بأن الشرعية تعني ذلك القبول والرضى الذي يميز أفعال وسلوكات كل القوى الكبرى في اطار تفاعلات الأطراف الدولية، بحيث تضمحل وتهاوى نزعات الاستياء لدى الدول عما يسود الوضع الراهن، وتعد المانيا حسب وجهة نظره خير مثال على ذلك فبعد توقيع معاهدة فرساي استشعرت هذه الأخيرة الجور ما دفع بها الى السخط على شرعية النظام المتشكل، باندفاعية عدوانية وثورية سلكتها سياساتها الخارجية بزعامة كاريزمية جسدها شخص الرئيس ادولف هتلر، وهو ما ينعتة كيسنجر وغيره من دعاة الطرح الواقعي بالقوى الثورية (او الرجعية) على الوضع القائم، لذا خلص كيسنجر الى فرض مؤداه ان النظام الدولي الشرعي لا يجعل الصراعات مستحيلة بيد انه يحد ويحجم من نطاقها، في نهاية المطاف يؤمن كيسنجر ان الموازنة بين الشرعية والقوة يعد امرا شديدا التعقيد، فكلما كانت المساحة الجغرافية التي تنطبق عليها المتلازمتين اضيق وكانت القنوات الثقافية في جوفها اكثر واغلب كان "استقطار" واستحضار نوع من الاجماع العلمي ايسر واسهل، غير انه يرى بان الحاجة في العالم الحديث تدعو بالحاح استعجالي مستمر الى ضرورة وضع قواعد نظام عالمي يغطي كوكب الأرض اجمع، تتناقح وتتلاقى فيه حشود من الكيانات مختلفة الامصار والامشاج، فمربط الفرس وفق راية كامن في بحث آليات اذابة وتثمين جملة التجارب التاريخية والقيم

¹ -George Modelski, **Long Cycles In World Politics**, (Cambridge: Cambridge University Press, 1987), Pp.333-358.

المتباينة لشعوب و حواضر العالم في بوتقة واحدة لنظام مشترك يشارك في تأسيس شرعيته ووضع قواعده نذر المجتمع الكسموبولتاني¹.

المطلب الثاني: ملامح النظام الدولي على ضوء التطورات والمستجدات المرحلية "فحص القضايا والاهتمامات"

رغم انقضاء ما يقارب ثلاث عقود على ميلاد النظام الدولي الجديد ، إلا أن السجال لا زال محتدما بشأن نمطيته ، الى درجة دفعت البعض الى التشكيك في كينونته أصلا ، فغداة نهاية الحرب الباردة اصر العديد من الباحثين ورجالات السياسة على " الأحادية القطبية " ، باعتبارها تحصيل حاصل لتهاوي واندثار أحد قطبي النظام الدولي البائد ، لكن سرعان ما بزغ رد سريع مفاده ان العالم يشهد نظاما هجيناً ، نظرا لترهل القيادة الامريكية وانحسار زخمها الذي سوقت له دوائر صناعة القرار في البيت الأبيض ، مقابل تنامي توجه تغيير مارد تقود تياره مجموعة من القوى الصاعدة ، فضلا عن ذلك برز اتجاه مفعم بالصخب والحماسة الارتداد النمط التعددي في ظل السيولة والتعثر الذي يشهدها النظام الدولي في تفاعلاته سواء التعاونية او الصراعية ، ما غدى بدوره صيت انتفاء القطبية في ظل استعجالية انتقال مراكز القيادة العالمية .

في غمرة الانتصار التاريخي للمعسكر الرأسمالي على نظيره الاشتراكي ، وفي وصفه البليغ اعلن الكاتب الصحفي المحافظ والمفكر الأمريكي " تشارلز كراوتهمار " عام 1990 عن حلول نشوة " لحظة الأحادية القطبية المعروفة باسم " (tig t unipolairty) بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية ، وهو السياق الزمني الذي وسع نطاقه لاحقا ليصبح عصرا أمريكيا بحثا ، ويعد كل من " وليام وولفوت " (William Wolfforth) و " ستيفن بروكس " (Steven borax) اللذان يعوزان التفرد التاريخي الأمريكي الى الدور القيادي الذي أضحت تلعبه تزامنا مع حيازتها لمقومات القوة الشاملة ابرز دعاة هذا الطرح² ، في معترك هذه التحولات الجيوسياسية الجذرية التي شهدتها العالم طرحت للوجود نظرية " صدام الحضارات " (clash of civilizations) لصموئيل هنتغنتون ، التي تركز بالأساس على فكرة اعتبار الحضارة العامل الجديد الذي سيتحكم في صيرورة العلاقات الدولية ، وبالتالي فالانقسامات الكبرى ستكون انقسامات ثقافية بالدرجة الأولى ، باعتبار ان الهوية والثقافة ، هي التي تشكل نماذج التماسك والتفكك والصراع في عالم ما بعد الحرب الباردة ، كما برزت أيضا أطروحة " نهاية التاريخ والرجل

¹ -Henery Kissnger, **World Order**, (New York: Penguin Press, 2014), Pp.65, 66.

² -Francis Fukuyama, **Liberalism And It's Discontents**, (New York: Farrar Straus And Giroux, 2022), Pp.17-81.

الأخير " (the end of history and the last man) التي اتخذت كمرجعية رصينة لفهم طبيعة التطورات الدولية ، وتوصيفا لما يجري من تغيرات طارئة على هيكل النظام الدولي ، وقد رأى فكوياسكا انه بسقوط الأنظمة الفاشية والنازية ومن ثم الشيوعية مع نهاية القرن العشرين ، يكون الصراع الازلي بين الليبرالية والماركسية قد تبخر بانتصار الفكر الليبرالي الذي اصبح يشكل الطور النهائي للصراعات الأيديولوجية في العالم ، سير هذه الاحداث المتتالية كشف بجلاء ان البيئة الدولية تقف عند عتبة مرحلة من تطور العلاقات الدولية ليس لها أي خصائص تقليدية مقرونة بالمرحلة السابقة ، لكونها عرفت احداثا مهمة ومفصلية تركت اثرا بالغاً على هيكل توزيع القوة في النظام الدولي ، وكل ذلك صب في اتجاه تعزيز وتأكيد الانفراد الأمريكي بريادة العالم¹ .

يصطف ثلة من الباحثين وراء هذا الاتجاه القائل بأن الولايات المتحدة الامريكية لا تعتبر رائدة العالم فحسب ، بل انها مرشحة للحفاظ على هذه المكانة في المستقبل المنظور ، وهذا ليس فقط لكونها استأثرت بمقومات القوة اللازمة وإنما ايضا بحكم غياب منافس بديل ، كتب زبنيو برجنسكي (zbigniew brzezinski) في هذا الخصوص " فالولايات المتحدة الامريكية ... تترعب على قمة العالم من دون ان تواجه خصوما قادرين على مناظرة قوتها العالمية الشاملة ... في الوقت الراهن ليس ثمة امة يمكن القول انها تدنو من مناظرة الولايات المتحدة الامريكية فيما يتعلق بالامتياز والقوة العالميين..." ، فعلو كعب قوتها العسكرية والتكنولوجية سيجعلها في مأمن من نوايب تحولات البيئة الدولية وهو ما تدلي به للغة الأرقام والإحصاءات . وتماشيا مع ما سبق ذكره سلفا ، ذهب فريق من خبراء الاستشراف الى توكيد فرض الهيمنة الامريكية على مفصل هذا النظام على امتداد خمس عقود تالية ، متكئين في طرحهم على مؤشرات التفوق الأمريكي العابر للميادين ، راصدين حجم ومقدار التأثيرات الاستراتيجية لهذا التفوق على كافة بقاع العالم ، ومن ثم على نسيج حركة التفاعل الدولي² .

في خضم تعالي الأصوات المنددة بتراجع القوة الامريكية واستكانتها ، جادل الكثير من الأمريكيين ان بلادهم تشكل الاستثناء " للقاعدة او الحتمية التاريخية " ، المذكية لقانون التبدل والتحول من بينهم " هيلاري كلينتون " Hillary Clinton التي شغلت منصب وزير الخارجية في عهد إدارة الرئيس " باراك أوباما " Barack Obama " هناك من يشكك في قدرتنا على الصمود ... لكن بدون تيقن او

¹ - Zakaria Fareed, **Can America Be Fixed: The New Crisis Of Democracy**, Foreign Affairs, Vol.3, No.15, (January – February 2009) Pp.22-34.

² -Zbigniew Brzezinski, **Strategic Vision: America And Crisis Of Global Power**, (New York: Basic Books, 2013), Pp.129-141.

تفحص ففي كل النوائب والتحديات التي جابهتنا تمكنا بعزم لإرادة وربطت الجأش من تجاوز انتكاساتنا ،فقدرتنا على العودة والنهوض لا تضاهى ... ان العالم لا يزال يتطلع بتوق للقيادة الامريكية ... جيشنا مازال الأقوى... اقتصادنا هو الأكبر ... صناعاتنا هي الاجود والأفخم ... جامعاتنا ذائعة الصيت ... لذا لا ينتابنا أي شك بالقدرة على ادامة احكام سلطتنا زهاء هذا القرن ...¹ .

غير ان هذا الاستقرار لم يتحقق، فمع نهاية القرن العشرين وبداية العشرينات الأولى من القرن الحادي والعشرين بات النظام الدولي يشهد تغيرات حركية متسارعة واسعة النطاق و المدى ، القت بثقلها على القطب المتبقي الذي ما انفك يرعى دعائم سطوته ، حتى اذ به يرتطم بعجز رهيب في تفعيل قواعده النازمة لتسيير وإدارة أزمت النظام الدولي المتفاقمة ، فكانت المحصلة اضطراب العلاقات الدولية في المزامحة على حصص توزيع القوة وتفجر الصراعات داخل الدول ، بتنامي ازمة الهوية وتصاعد موجات المد الانفصالي وانهيار تحالفات وقيام أخرى ، وخوض القوى الكبرى والعظمى حروبا بالوكالة او بالنيابة عنها إذكاءا لمصالحها الاستراتيجية في فتح أسواق بيع الأسلحة ، كسبيل كفيل لجني الأموال وإنعاش اقتصادياتها وهذا ما يفسر إعادة بعثها وبقوة للمركبات الصناعية العسكرية ، اصف على ذلك شيوع ازمة تهاوي الدولة الوطنية وهشاشتها ، ما فتح المجال امام تنامي التأثير الذي تمارسه الانساق الفرعية دون القومية داخل حدود الوحدة السياسية من جماعات الجريمة المنظمة والمختصة وشبكات الإرهاب الدولي ،ناهيك عن التطور الرهيب في أجيال الحروب بميلاد الحروب السبيرانية وحروب المجال المفتوح والحروب البيولوجية إضافة الى الحروب الهجينة² .

تعكس هذه السيولة والعجز ازمة أكثر عمقا في نمط القيادة احادي القيادة الذي سعت الولايات المتحدة الامريكية لترسيخه بعد تصدع المعسكر الشرقي ، وبالنظر الى ان فاعلية او كفاءة أي قيادة دولية يمكن قياسها بقدرة الطرف القائد -دولة كانت او تحالفا دوليا - على أداء وظيفتي صنع القواعد العامة للنظام الدولي ، وضبط مختلف التفاعلات الدولية والسيطرة عليها وفقا لهذه القواعد، وذلك بأعلى درجة من الفاعلية ، واقل قدر ممكن من التكلفة ، فان خبرة العقديين الماضيين تكشف بجلاء عن فشل واضح في فاعلية القيادة الامريكية على توفير تفاعلات نظامية مستقرة في عالم اليوم..وقد كان صعود قوى إقليمية مراجعة احد التحديات الكبرى التي واجهت القيادة الامريكية ، والذي تعزز

¹- Hillary Clinton Tim Kaine, **Strong Together: A Blueprint America's Future**, (United States: Simon &Schuster, 2016), Pp.187-197.

² - Stephen Gill, **America Hegemony And The Trialteral Commession**, (Cambridge: Cambridge University Press, 2015), Pp.75-100.

في ظل نهج الانسحاب والانكفاء الذي تتبناه الإدارة الحالية حيث وجدت تلك القوى متنفسا وهامش استقلالية أكبر للحركة و التأثير في محيطها الإقليمي ، ومن ثم راحت تضاعف حظوظ أدائها الاستراتيجي لإعادة صياغة هيكل النظام الدولي البائد¹.

في السياق ذاته لا بد وان ننوه الى عدد من الدراسات الاكاديمية التي اشارت الى ان تنامي مفردات قوة القوى الكبرى في السياسة الدولية قياسا بعناصر قوة الولايات المتحدة الامريكية ، يفيد بالتآكل التدريجي لتأثير الأخيرة في العالم نحصي منها دراسة مستقبلية لبول كينيدي (paul kennedy) في عام 1987 اعتمادا على مناهج الاسقاط "projection" استند فيها على مسار تاريخي لصعود وسقوط القوى العظمى عبر خمس قرون مضت بعنوان " the rise and fall of great power ; economic change and military conflict from 1500 to 2000 " ، تقوم نظرية كينيدي على فكرة ان الدولة العظمى تتوسع تدريجيا ، وكلما توسعت ازداد نفقاتها العسكرية ، لتصل الى نقطة يصبح فيها عبء التوسع اكثر من مكاسبه (التمدد الزائد overstretch) ، مما يدفعها للانحسار ويفتح المجال للقوى الدولية الناشئة اخذ مكانها ، استطاع كينيدي بحكم دراسته المنهجية للماضي كمؤرخ تتبع مسار الزمن للتنبؤ بمستقبل القوى العظمى (الولايات المتحدة الامريكية) في النظام الدولي ، فهو يرى ان معضلة اللاتوازن التي واجهت القوى العظمى خلال عهد مضى كانت ما بين اتجاهات ;

الاستثمار / المكاسب investment ، الدفاع / الحماية defense ، والاستهلاك / الانفاق consumption ، والفشل في تحقيق هذا التوازن أدى الى المخاطرة في التمدد الزائد overextension .

مشيرا الى ان التفاوت والتباين في معدلات النمو الاقتصادي والتكنولوجي، يحمل اثارا طويلة المدى على القوة العسكرية النسبية ، وموقع الدولة الاستراتيجي في النظام الدولي ويستدل بذلك على تغير التوازنات العالمية ابان الثورة الصناعية ، لذلك خلص كينيدي الى احتمال تنبؤي مصوغ بإمكانية الولايات المتحدة الامريكية في تجاوز السقوط المدوي ، ضمن متغيرين variable: من ناحية مراجعة أهدافها العسكرية والاستراتيجية والحفاظ على التوازن بين المتطلبات الدفاعية ووسائل الحفاظ على التزاماتها للمجتمع الدولي ، ومن ناحية أخرى ، إدارة سياسية حكيمة وسلسلة من التعديلات المادية البرغماتية ، لتصدى التآكل في أسس القوة ومواجهة فخ الانفاق المفرط ، كما جادل بإمكانية تحول

¹ - Stephen Gill , Op cit ,Pp104,105.

الولايات المتحدة الأمريكية عن بعض التزاماتها دون انزلاقها في الحماية protectionism او الانعزالية isolationism¹.

في نفس الصدد نشر موقع foreign policy مقالا لجوردن براون Gordon brown رئيس وزراء بريطانيا الأسبق ومبعوث الأمم المتحدة الخاص للتعليم العالمي ، بعنوان " التعددية القطبية الجديدة .. كيف يمكن للولايات المتحدة الأمريكية تجديد المؤسسات العالمية التي انشأتها (a new multilateralism how the united states can rejuvenate the global institution it created) عام 2023 ، مؤكدا فيه ان الولايات المتحدة الأمريكية أصبحت في حاجة الى دعم فكرة التعددية في اللحظة الراهنة ، وكذلك تحفيز المؤسسات العالمية القائمة وهو الامر الذي يرتبط بعدد من الابعاد الرئيسية ، المتمثلة في حاجة واشنطن الى تنسيق العمل المتعدد الأطراف ، مع ضرورة احتراز الحذر واليقظ من المساعي الصينية لتغيير النظام الدولي ، مع التعجيل بزمام مبادرة اصلاح المنظمات الدولية القائمة².

انطلاقا مما سلف لا يرب في ان النظام الدولي مع مطلع الالفية الثالثة تشوبه حالة من الفوضى والاضطرابات على مستوى التفاعلات الدولية ، مما يدعو الى الاعتقاد بان حركة قوى التغيير في هذا النظام بصدد الاندفاع نحو صيغة جديدة لبنية النظام الدولي ونسيج تفاعلاته ، ناهيك عن التحول في طبيعة وحداته وإعادة النظر في أدائها الاستراتيجي ، وتاليا مستويات تأثيرها دون ان تحدد معالمه النهائية بعد ، لذا حري بنا في هذا المقام التطرق الى اهم الرؤى والاتجاهات السائدة بخصوص نمطية النظام الدولي الوليد :

✓ الاتجاه المروج لنظام احادي – متعدد القطبية (uni – multipolar)

الذي ابتدعه صاموئيل هنتنغتون Samuel Huntington مع نهاية العقد الأخير من القرن العشرين ، أي بالموازاة مع الترويج الأمريكي للنظام الدولي الجديد القائم على الأحادية القطبية ، نمطا جديدا يمثل مزيجا بين نمطي الأحادية القطبية والتعددية لعل هذا ما دفع هنتنغتون الى القول أن النظام الدولي يتأرجح حاليا بين الأحادية القطبية والتعددية ، فهو من وجهة نظره لم يستقر بعد على

¹ -Paul Kennedy , **The Rise And Falloff Great Power From 1500 To 2000** ,(New York : Ransom House , 1987) ,Pp.15-89 .

² -Gordon Brown , **A New Multilateralism How The United States Can Rejuvenate The Global Institution It Created** , At :<https://foreignpolicy.com/2023/09/11/us-china-russia-multilateralism-diplomacy-alliances-trade/11/09/2023>. Accessed on : 11/03/2024

الأحادية القطبية مثلما يدعي انصار هذا الاتجاه ، ثم ان انتشار القوة في وحداته لا يزال في مئى عن تجسيد التعددية القطبية ، مما يعني انه في حالة عرضية تعبر عن مرحلة انتقالية من النمط الأحادي الى النمط التعددي ، وفي سياق شرحه ذهب هنغنتون الى الاعتقاد ان السياسة العالمية الراهنة لم تعد تتطابق مع الأنماط الكلاسيكية للنظام الدولي الذي بات هجيناً وهشاً وقد عكف على تقسيمه الى ثلاث مستويات :

❖ **المستوى الأول :** يتمثل في القوة العظمى super power ألا وهي الولايات المتحدة الامريكية ، باعتبارها الدولة المتفوقة في مختلف عناصر القوة (الاقتصادية ، العسكرية ، التكنولوجية ... الخ) والقادرة على تعزيز وتوسيع مصالحها في جميع انحاء المعمورة ، وهذا ما يفسر تواجدها المباشر وغير المباشر في مناطق مختلفة من العالم ، من خلال زرع قواعد عسكرية (برية ، بحرية ، جوية) ، وتموقع اساطيلها الحربية ونشر قوات برية متحركة في العديد من الدول والمواقع الاستراتيجية ، علاوة على تحالفاتها الأطلسية التي غالباً ما يجري توظيفها لحماية حلفائها الاقليميين وتحقيق مصالحها القومية في مختلف ربوع العالم¹ ، ناهيك عن القيادات الامريكية الست الموزعة جغرافياً على القارات الخمس والمتمثلة في : القيادة الامريكية لأمريكا الوسطى والجنوبية us-northcom ، القيادة الامريكية لآروبا وروسيا us-southcom ، القيادة الامريكية للشرقين الأدنى والوسط US – EUCOM ، القيادة الامريكية للمحيط الباسفيكي والصين US – CENTCOM ، القيادة الامريكية للهند والمحيط الهادئ US – PACOM ، والقيادة الامريكية الافريقية AFRICOM² .

❖ **المستوى الثاني :** يكمن في قوى رئيسية أخرى MAJOR POWERS موزعة على مناطق مختلفة من العالم وذات إمكانيات معتبرة ، وتتمثل هذه القوى على الخصوص في الصين ، روسيا ، الهند ، ألمانيا ، اليابان ، البرازيل ... دون ان تكون لها القدرة على توسيع مجال نفوذها على النطاق العالمي ومنافسة الولايات المتحدة الامريكية ، فهزيمة النظام الدولي القائم لن تسمح لهذه القوى – بما في ذلك روسيا والصين – من موازنة القوة العظمى ، بسبب عجزها عن رفع

¹ -Smaul P Huntigton, **Who We: The Challenges To America's National Identity** (United States: Simon & Shustes, 5edition, 2005), Pp.192-217.

² -Reus- Smit Christian, **American Power World Order** ,(Cambridge : Cambridge University Press ,2014),Pp.11-94

التحدي ، وخوفها من اليد الطولي لأمريكا ، حيث ان اية محاولة الاحداث توازن مضاد قد يكون باهظ التكلفة .

في المقام المولى وضمن سياق علاج المشكلات المتصلة بهيكل النظام الدولي الجديد ، يرى هونغتون انه يتعين على الولايات المتحدة الأمريكية اغتنام فرصة تجديد النظام الدولي السائد ما بعد الحرب الباردة ، عبر توسيع قاعدة الأطراف المزكية للنظام القائم ، لتشمل شركاء جدد يتوفرون على اقتصاديات كبيرة سريعة وواعدة على غرار البرازيل ، الهند ، اليابان ، اندونيسيا ، تركيا... من اجل سد الخلل المترتب عن التعثر الأمريكي على المستويين الداخلي والخارجي ، وتفادي الفوضى التي قد تترتب عن غياب القطب ، وفي ظل هشاشة النظام الدولي الراهن وعجز قيادته العنجهية عن التحكم في زمام أمور ادارته ، يجري تطوير وتعزيز بعض التحالفات الاستراتيجية الكائنة بين القوى الكبرى وبناء تكتلات اقتصادية جديدة ، مثل التحالف الصين- الروسي الذي شهد تطورا ملحوظا في السنوات الأخيرة ، في مقابل سعي الولايات المتحدة الأمريكية الى توسيع مجال شراكمتها مع الاتحاد الأوروبي¹.

❖ المستوى الثالث: يضم قوى إقليمية رئيسية من الصف الثاني غالبا ما تتضارب مصالحها مع مصالح الدول الكبرى الأكثر منها قوة ونفوذاً، مثل بريطانيا في مقابل المحور الفرنسي – الألماني المشترك على المستوى الأوروبي، اليابان الصين، أوكرانيا في علاقتها مع روسيا، باكستان بالنسبة للهند والسعودية بالنسبة لإيران، وتعمل هذه القوى التي تتناقض مصالحها في الكثير من الأحيان مع الولايات المتحدة الأمريكية على تعزيز مواقعها وتوسيع مجال نفوذها قدر المستطاع².

يتميز النظام الأحادي – المتعدد القطبية – حسب " هونغتون " – في سعي الولايات المتحدة الأمريكية ورغبتها الجامحة في تكريس نظام احادي القطبية، تكون فيه الطرف المهيمن ، وهي غالبا ما تتصرف على هذا النحو كما لو ان النظام المامول قائم فعلا ، وكأن موضوع الإمبراطورية اصبح مسلما به ، دون ان تتمكن من تحقيق الهيمنة ، من جهة ، وفي تفضيل القوى الرئيسية الأخرى التي تشعر بانها مهددة بسعي القوة العظمى نحو الهيمنة العالمية ، لنظام متعدد الأقطاب ، باعتباره يوفر لها المزيد من هامش المناورة ، ويقلص من حجم

¹ - Jakub J Garygiel, **The Unquiet Frontier: Rising Rivals Vulnerable Allies, And The Crisis Of American Power**, (New York: Princeton University Press, 2016),Pp .19-61.

² - Ibid,Pp .65.66.

الضغوطات والقيود المفروضة عليها من طرف القوة العظمى¹ ، وهذا ما ادلى به وزير الخارجية الروسي " سيرجي لافروف " SERGUEI LAVROV عام 2007 " تظهر لنا تجارب السنوات الست الماضية بشكل منقطع ان اية محاولة لتجاهل واقع العالم متعدد الأقطاب سيحكم عليها في نهاية المطاف بالفشل " ، وتاليا فان كل الأطراف المنتمية الى المستويات الثلاث - وعلى عكس الأنماط الكلاسيكية الثلاث - تبدو غير راضية في ظل هذا النظام القائم ، ما يمكن استخلاصه جراء الملاحظة ان الولايات المتحدة في اطار النمط " الأحادي - متعدد القطبية " تقيس قوتها - وفي الحقيقة عظمتها الفائقة - ليس بمعايير قدرتها على تحقيق واستمرار سيطرتها على الآخرين ، ولكن بمعايير قدرتها على العمل مع الآخرين لمصلحة المجتمع الدولي كله².

✓ الاتجاه المروج للتعددية القطبية

من زاوية أخرى حري بنا التطرق الى الاتجاه الثاني الذي يقرب التعددية القطبية ، إيماننا منه ان هيمنة دولة عظمى واحدة على النظام الدولي ظاهرة عابرة وغير قابلة للاستمرار ، وان الأحادية القطبية ليست سوى حقبة جيوسياسية فاصلة سوف تعود وتستسلم للتعددية القطبية multipolar ، موضحا ان النمط الأحادي حالة مؤقتة يحتوي بذور فنائه لسببين : أولهما ، هاجس القلق الذي ينتاب القوى الدولية الأخرى على وزن قوتها النسبية داخل النظام الدولي القائم ، مما يبرئ البيئة المواتية لهذه القوى الساعية الى موازنة القوة المهيمنة ، ويفضي بالمحصلة الى بروز قوى عظمى جديدة منافسة ، وثانها ، الى دخول قوى دولية جديدة في حلبة الصراع ومنافستها للقوة المهيمنة ، سيؤدي لا محالة الى تآكل القوة النسبية للأخيرة ، من خلال عملية إعادة النظر في توزيع القوة داخل النظام الدولي ، وتاليا وضع حد للأحادية القطبية ، فالقوة الدولية المؤهلة والقادرة على المقارعة لا يمكنها التقاعس عن تحدي انفراد قوة عظمى بالنظام الدولي ؛ بحكم ان استكانتها وعدم رفعها التحدي ، سيعرضها لوطأة الخضوع ، ويقلص من هامش مناورتها وتظل رهينة استغلال واستفزاز الدولة المهيمنة ، وعليه ، فان عملية كبج انحراف المنحى الخطي للقوة في اتجاه الدولة المهيمنة ، لا بد ان تتم ، مما يفتح المجال امام حتمية عودة التوازن للنظام الدولي على شكل تعددية قطبية جديدة ، فقدر الولايات المتحدة الامريكية بتيسير الانتقال من النمط الأحادي الى التعددي محتوم ولا مفر منه

¹- HUNTINGTON, Op.Cit ,P.218-242.

² - ZAKARIA FAREED, **THE FUTURE OF FREEDOM: ILLIBERAL DEMOCRACY AT HOME AND A BORDER**, (NEW YORK: NORTON PUBLISHERS, 2009), PP.47-97.

، سواء عن طريق السلم او الحرب ، فبدل ان يجرفها التغيير نحو قدره المجهول ، من الأفضل لها السيطرة عليه واحكام لجامه وقيادته الى ذلك ، في حال اذ ما رغبت فعلا في الحفاظ على مستقر وضعها الريادي¹ .

في كتابه النظام العالمي world order ، الصادر عام 2014 والمتضمن رؤيته بشأن النظام العالمي الجديد على ضوء المعطيات والمستجدات المطروحة رهان الساعة، اعترف وزير الخارجية الأمريكي الأسبق " هنري كيسنجر " Henry Kissinger ان التطورات الدولية والإقليمية الحاصلة في مناطق مختلفة من العالم (عودة الحرب الباردة بين الولايات المتحدة الامريكية وروسيا، تنامي دور القوى الصاعدة، اندلاع الحروب الاهلية، تراجع الاقتصاد العالمي وغيرها..) وضعت النظام الدولي في ازمة تقتضي ضرورة إعادة التفكير في التأسيس لنظام دولي جديد بديل للنظام الحالي الهش، موضحا ان هيمنة فاعل واحد على النظام العالمي ستفضي لا محالة الى مآلات يصعب حمد عقباها او حتى احتواؤها، الامر الذي يتطلب وجود اكبر قدر ممكن من التعاون الدولي لتدعيم أسس النظام العالمي المأمول وفق رؤية شاملة ووافية لمختلف القيم العالمية² .

لعل ابرز ما يذكي سالف القول هو ما تنبأت به أجهزة الاستخبارات الامريكية نفسها بان التعددية القطبية ، ستصبح حقيقة ماثلة في غضون اقل من عقدين من الزمن ، باعتبار ان الولايات المتحدة الامريكية اهدرت قوتها وعجلت بنهضة العديد من القوى الدولية التي تولت الأعباء والمسؤوليات العالمية عنها ، اذ رجح التقرير الخاص ب "الاتجاهات العالمية الكبرى عام 2030 " (global trends 2030 ; world national intelligence) ، الصادر عام 2012 عن مجلس الاستخبارات الوطني الأمريكي ، والذي اعتمد على تقنية تحديد الاتجاهات العظمى mega – trend التي تعنى بالسّمات الرئيسية للنظام الدولي في مختلف المجالات (السياسية ، الاقتصادية ، التكنولوجية ...) ، وطبقا الاحدى عشر مؤشرا استند اليها التقرير فان النظام الدولي المتعدد الأقطاب سيتشكل أساسا من ثمان دول كبرى (الولايات المتحدة الامريكية ، الصين ، الهند ، بريطانيا ، فرنسا ، ألمانيا وروسيا) ، مما يعني ان الولايات المتحدة الامريكية لن تعدوا ان تشكل سوى احد اقطاب هذا النظام³ .

¹ Joseph S Ney, *Is The American Century Over* ؟, (United States: Policy Press, 2015), Pp.133-180.

² - Kissinger, *Op.Cit*, P.54, 55.

³ -United States, *Global Trends 2030: Alternatives World National Intelligence Council*, 2013, Pp. 7-19.

فيما ذهب سرب اخر من انصار هذا الاتجاه على رأسهم " جون ميرشايمر " JOHAN (MEARSHEIMER) الى درجة نفي " لحظة الأحادية القطبية " من اصلها مقرا بالتعددية القطبية ، من خلال ادعائه ان التحولات التي طرأت على بنية النظام الدولي غداة انتهاء الحرب الباردة ، لم تفضي الى نظام دولي جديد قائم على أحادية القطبية مثلما جرى الترويج له ، بقدر ما تمثل انتقالا الى حالة تعدد القوى ، معللا ذلك بان تمتع الولايات المتحدة الامريكية بتفوق واضح في معايير القوة العسكرية والاقتصادية ، لا يخول لها تلقائيا وبالضرورة ناصية الزعامة العالمية خاصة مع الصعود الاستراتيجي للمارد الصيني والعودة القوية التي سجلها القطب الروسي المستكين¹.

✓ الاتجاه المروج الانتفاء القطبية

بصرف النظر عن الاتجاهين السابقين ، ظهر تيار مشدود الأثر بانتفاء القطبية وعدميتها وتنطوي وجهة النظرهاته عن مشهد واعد لنظام دولي سمته الأبرز " اللاقطبية " في خضم تزايد أدوار الوحدات الإقليمية ، وبروز فاعلين دوليين من غير الدول بالموازاة مع افرازات العولمة وتشابك مآربها ، ففي مقاله الموسوم بـ " الحركة نحو عالم ما بعد الغرب " (moving into a post-western world) سلط " سيمون سيرفاتي " المختص في العلاقات الدولية الضوء على اللاعبين الدوليين الرئيسيين في عالم ما بعد الغرب وطبيعة تفاعلاتهم البينية ، قائلا " ، ان عصر الأحادية بقيادة الولايات المتحدة قد ولى للابد " ، متفقا بذلك مع اراء ووجهات نظر العديد من الباحثين التي تصب في نفس المنحى ، اذ اكد فريد زكرياء fareed zakaria ان الولايات المتحدة الامريكية لن تكون سيدة العالم مستقبلا ، بفعل التنامي المطرد لدور القوى الصاعدة ، ويعتقد الخبير الأسترالي "ليزلي جيلب " leslie h. gelb ان الولايات المتحدة قد شرعت فعلا في الانحدار على مستوى قياداتها مؤسساتها ، وهي تسير بخنوع في اتجاه فقدان شيم الهيمنة².

بيد ان ما يميز هذا الطرح هو تأكيده على انتفاء القطبية في عالم اليوم الذي اضحى في حاجة ماسة الى صياغة بنيان جديد للنظام العالمي، قصد استيعاب العدد الهائل والمتزايد من الفاعلين الدوليين المنتشرين في مناطق مختلفة من انحاء المعمورة، بالاعتماد على مفاهيم جديدة، بدل العودة الى صياغات قديمة (توازن القوى، المصلحة القومية) التي اكل عليها الظهر وشرب، ولم تعد

¹ -Johan J Mearshimer, **The Great Delusion: Liberal Dreams And International Realities**, (New Haven:Yale University Press, 2018), Pp.22-62.

² - Simon Serfaty ,**Moving Into A Post Western World** ,**The Washington Quarterly** ,Vol.42,No .2(Spring2011),Pp.7-23.

صلاحياتها قابلة للتجديد في زمرة القرن الحالي، محذرا من ان غياب أي شكل من اشكال القيادة في عالم متعدد الأقطاب من شأنه خلق مناخ فوضوي محفوف بالعقبات، ثم ان التشابك العنكبوتي للمصالح قد يعزز من فرص التعاون بين الأقطاب، لكن التباين في الرؤى والتصورات والمناهج المعتمدة، يجعل بعض المسائل من قبيل التمييز بين العدو والصديق، الغموض الذي يلف العلاقات بين الدول، ردع الخصوم، تفادي الحروب والنزاعات ... الخ امرا في غاية الصعوبة¹.

في سياق متصل يرى ريتشارد هاس (Richard hass) ان العلاقات الدولية تحكمها سياسات اللاقطبية ،عبر توزيع القوة بدلا من تركيزها ، مما يسفر عن تحول راديكالي في النظم الدولية المألوفة ،معرجا على مسببات التغيير المنسوبة لحتميات العولمة التي زادت بدون ادنى ريبة اوشك من سرعة واهمية التدفقات العابرة للتخوم ،ما غدى وقائع الفوضى العالمية ، وهو ما عززه مقاله الموسوم بـ " فوضى عالمية " (international chaos) " نحن لم نعد في عالم متوافق حول نموذج اقتصادي واحد ، وهو الرأسمالية الليبرالية الديمقراطية ، بل نحن في عالم بلا اقطاب ، تتعدد فيه الاشكال والنماذج الاقتصادية التي كثيرا ما تكون غير الليبرالية ، نحن لسنا بصدد نظام عالمي جديد ، بل فوضى عالمية ..وعالم منقسم ، ساخن ، من المنتظر ان تندلع فيه نزاعات متعددة في المستقبل القريب ، لقد اوجدت الشعوب خارج الغرب نماذج جديدة تمزج ما بين ديناميكية اقتصاد السوق وحكم الحزب الواحد او العائلة الواحدة ، وتكون ملكية الشركات الكبرى في هذه النماذج للدولة وحدها ، كما انه من الشائع ان يستشري الفساد في هذه الأنظمة لعدلوها عن قدسية القانون " ².

يلاحظ من خلال القراءة الأولية للحجج والأدلة المشار اليها أعلاه انتشارا افقيا للقيم والمعايير المؤسسة للنظام الدولي، نتيجة سعي القوى الفاعلة الى المضي قدما في تحقيق طموحاتها، عبر اخراج اوراقها الراحبة، مما سيؤهلها الى قيادة العالم والتدبر في شؤونه، ومن ثم إرساء ثوابته ونواميسه الجديدة، عقب انكسار شوكة النصر التي احتضنتها الولايات المتحدة الامريكية زهاء العقود الأخيرة.

¹ -Johan J Mearshimer, Bound To Fail The Rise And The Fall Of Liberal, **International Security**, Vol.43, No.4 (Spring 2019), Pp.7-50.

² - Richard N Hass, **The Age Of Nonpolarity : What Will The Follow United States Dominance** ,At <https://www.foreignaffairs.com/articles/united-states/2008-05-03/age-nonpolarity>. Accessed on : 12/03/2014

المطلب الثالث: التعقد كبراديجم تحليلي للاتجاهات الجيوسياسية العالمية

يعيش النظام الدولي منذ نهاية الحرب الباردة ، وصولا الى ملحمة طوفان الأقصى تحت ظلال جملة من التحولات والتغيرات ، على مستوى البنى والهيكل والأدوار والفواعل وتوزيع القوة والقيم ، فلم تعد الدولة بالمفهوم الوستفالي هي الوحدة السياسية الرئيسية والفاعل الأساسي في شبكة العلاقات الدولية ، في ظل بروز وتنامي دور الفواعل الأخرى من غير الدول سواء كانت فوق او تحت دولانية من افراد وجماعات ومنظمات ومؤسسات وغيرها ، ولم يعد توزيع عناصر النفوذ والقوة في مجال محدد بل تعددت الى عناصر اقتصادية ، عسكرية ، قيمة ، تكنولوجية وهو ما انعكس على تراتبية القوى في هرمية النظام ، وعجل بصعود قوى تعديلية احتلت موقعا ديناميكيا في حراك المنافسات الجيوبولتيكية ، والتي سعت بشكل حثيث للعب أدوار حيوية في النظام الدولي ومضاعفة حظوظ أدائها الاستراتيجي لإعادة تشكيله ، وأمام هذه التحولات المتسارعة والمتدفقة في مشهد النظام الدولي ، وجدت المقاربات النظرية التقليدية في حقل العلاقات الدولية نفسها مكتوفة اليدين وقاصرة عن تقديم أي اطر تحليلية او تفسيرية ، ما شكل فرصة سانحة لاقحام التعقد كبراديجم معرفي يضطلع بمحاولات اجتهادية لفهم واستيعاب التغيرات وفحص جذورها وعملياتها ومساراتها المتشعبة¹ .

لا يقتصر التعقيد المتزايد في السياسة العالمية بتعدد الفواعل حصرا ، او بتعدد قضاياها وتشابكها فحسب ، بل يرتبط أيضا ، وعلى نحو اكثر ، بتحول جوهري في النظام الدولي برمته ، حيث باتت المفاهيم الكلاسيكية كالفوضى وتوزيع القوة مهجورة وفارغة من محتواها ، بل الادهى والامر من ذلك ميلاد موقف استقطابي دون سابق رصد دعواه الحق اطلاق صافرة الحديث حول نظام عالمي مستحدث ، قوامه توليفة دامغة لشبكة العلاقات ما بعد دولية ، وتعتبر كتابات ايمليان كافالسكي emilian kavalski اهم الاسهامات في هذا المجال ، مثل المقال الذي نشره سنة 2007 بعنوان " النقاش الخامس وبرزوز نظرية تعقد العلاقات الدولية : ملاحظات حول تطبيق نظرية التعقد في الحياة الدولية " ، والذي فسحت اطروحته المجال الاكاديمي لرسم معالم النقاش الخامس في دراسة السياسة الدولية ، استنادا لقدرتها على تزويد حقل العلاقات الدولية بالمفاهيم والأدوات الاستكشافية القادرة على تحدي التقاليد البحثية السائدة ، وفي مقال اخر نشره سنة 2008 بعنوان " تعقد

¹ -محمد حمشي، نظرية التعقد والنقاش النظري الخامس: مراجعة للأدبيات، المجلة الجزائرية للأمن والتنمية، ع.12(جانفي 2018)، ص.06-02.

حوكمة الامن العالمي: رؤية تحليلية عامة " ، شدد فيه على حاجة الحقل الى مقارنة قائمة على افتراضات نظرية التعقد ، وان تجریداتها الفكرية من شأنها ان توفر اطر معرفية ذات صلة ليس من الصعب منعها . لكن يبقى التنبؤ بها عويصا¹.

أولاً: استعصاء المقاربات التقليدية في فهم واستيعاب التحولات الجديدة في النظام الدولي .

اعتدادا بالنفس نافحت صفوة من الباحثين والمهتمين بالتطورات المتراكمة في النظام الدولي ، بوهن المقاربات التقليدية في ميدان العلاقات الدولية ، وانساقوا الى التسليم بعجزها عن تقديم رؤية تفسيرية دقيقة لطبيعة وخصوصية هذا النظام المعروف بشواشه وتعقده ازدواجي المسار اللاخطي واللايقني ، لدرجة نعمتها بالأمثلة الدارجة " نبید معتق في قنان جديدة " ، هذا ما انعكس على مستوي التحليل الابستمولوجي والانطولوجي اللذان ادركا وثبة انتقالية عسيرة المخاض ، كاستجابة مناعية لظهور أنماط سلوكية وظاهرية غير مالوفة ومعهودة ، كالحوكمة العالمية الشبكية في مقابل تراجع دور الدولة ، وتاجج مظاهر العنف في صوره ما قبل الحداثية ، في مقابل تراجع حدة الحروب بين الدول ، والاستمرار في خصخصة الاقتصاد والسياسة الخارجية والامن ، بمعنى ان الإخفاق الذريع للتقليد العقلاني المهيمن في تزويدنا بالعدة النظرية والزاد المفاهيمي ، ساهم في توفير المبررات الكافية الاطلاق اجندة بحثية خاصة تدرس الخلفيات التبولوجية للنقاشات المهترئة ، فضلا عن مساءلة مدى صلاحيتها لترسيخ مشروع نظري جديد².

مبدئيا ، يبدو ان ظاهرة التعاقب ، التي توجي بخطية linearity واضحة واحيانا مستعصية على المساءلة ، لا تتسم بها النقاشات وحدها ، بل حتى المقاربات النظرية المشاركة في تلك النقاشات ، اذ ان تطويرية حقل العلاقات الدولية ارتبطت تاريخيا بسلسلة من المقاربات النظرية المتتالية ، بدءا بالمثالية فالواقعية ، فالسلوكية ، فالماركسية ، فالليبرالية ، فالعقلانية (الواقعية الجديدة والليبرالية الجديدة) ، فالتاملية ، وصولا الى البنائية ، هذه المقاربات المتواترة نفسها انخرطت في حلقة من النقاشات المتسلسلة ، استهلالات بالنقاش الأول بين الواقعية والمثالية ، فالنقاش الثاني بين الواقعية والمثالية ، فالتاملية ، فالتقليديتين والسلوكية ، مروراً بالنقاش الثالث بين العقلانية الوضعية والتاملية ما بعد الوضعية ، وصولا الى النقاش الرابع بين البنائية التأملية والعقلانية ، هذا التصور الخطي والنمطي

¹ - Robert Jackson And Georg Sorensen, **Introduction To International Relations Approaches**, (United Kingdom: Oxford University Press, 2017), Pp. 63-71.

² -Campbell A.B, **Applied Choo's Theory A Paradigm For Complexity** (New York: Academic Press Pigeon, 2003), Pp.42-49.

ترسخ في اذهان دارسي الحقل بحيث أصبحت محاولة التملص منه ، والتفكير ضمن تصور او قالب بديل امرا مستعصيا للغاية ، الى ان زين النقاش الخامس فراش العلاقات الدولية بمولود جديد جبلته التعقد¹.

فاذا كان النظام الدولي بنية مادية (مثلما يزعم الواقعيون والليبراليون) ، وبنية اجتماعية (مثلما يصرح البنائيون) ، وبنية معيارية (حسب تصور المؤسستين الليبراليون) ، فانه بنية حية أيضا تدب فيها الحياة عند كل مستوى من مستوياتها . وفي كل بعد من ابعادها وهذه هي الحكمة المستنبطة من نظرية التعقد ، انه نظام معقد ، وشواشي ، ولا خطي ، وغير قابل للتنبوء ، ولا يخلو من عوامل الاضطراب غير المتوقعة التي تعمل بوصفها محولات game – changers ، ولا يمكن حصر هذه المحولات تحديدا او استثناءا ، الان التنبوء بها غير ممكن ، فهي تتبدى في شكل أزمات بنيوية حادة في الاقتصاد العالمي ، او في شكل نزاعات إقليمية / دولية تعيد توزيع القوة العالمية ، لكنها قد تاتي في شكل كوارث طبيعية هائلة ، مثلما يمكن لها ان تضرب العالم على حين غرة في شكل اوبئة او جائحة عالمية تهدد شرعية حوكمة السلطة العالمية وفاعليتها ، وبات واضحا للعيان ان النظام الدولي لا يقتصر البتة على العلاقات بين الدول كما سبقت الإشارة ، لكون هذه الأخيرة تتعايش وتتطور على نحو مشترك مع عدد كبير من الفواعل الخارجة عن سميائية الأنظمة المتحورة حول الانسان anthropocentric الاقتصادية ، او الاجتماعية ، او الثقافية ، اذ بها تشمل الأنظمة الطبيعية المنسلخة عن سجية الانسان nonanthropocentric ، ما اثمر لنا بذور سياسة عالمية مركبة تتداخل وتترابط عضويتها وتغيب شيفرة تفكيكها او تبسيط معادلاتها شائكة الترويض².

ثانيا: جيوسياسية التعقد في القرن الحادي والعشرين

لم يسبق ان حظيت النظم الدولية السائدة على مر التاريخ بنفس القدر من الاهتمام والنقاش من طرف المفكرين والمحللين السياسيين ، مثلما حظي به موضوع ما يعرف ب " النظام الدولي الجديد " الذي برزت ملامحه الأولية خلال فترة ما بعد انتهاء الحرب الباردة ، لا سيما من حيث هيكله والتفاعلات البينية لوحداته الأساسية ، حيث بدت الولايات المتحدة الامريكية انداك ، باعتبارها قوة

¹-Kavalski Emilian, The Fifth Debate And The Emergence Of Complex International Relations Theory: Notes On The Application Of Complexity Theory To The Study Of International Life, **Cambridge Review Of International Affairs**, Vol. 20, No.3 (2007), Pp. 435-454.

²-محمد حمشي، النقاش الخامس في حقل العلاقات الدولية نحو اقحام نظرية التعقيد داخل الحقل، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في العلوم السياسية تخصص علاقات دولية(جامعة باتنة 1 قسم كلية الحقوق والعلوم السياسية , 2017)، ص.101-108.

عظمى وحيدة تتوفر على مختلف عناصر القوة ، الفاعل الدولي الأكثر قدرة على امتلاك ناصية القيادة العالمية ، بيد ان هذا النظام مسته حالة من السيولة الواضحة في تفاعلاته ، سواء التعاونية او الصراعية ، يتجلى ذلك في العجز الذاعر عن تفعيل قواعده القائمة فعليا في مواجهة العديد من الصراعات المتفاقمة حول العالم ، والتي بات تهدد الوحدة والسلامة الإقليمية للعديد من الدول وفيما يلي سنوضح خارطة التحولات الجيوسياسية في الالفية الثالثة من القرن الحادي والعشرين :

■ يتسم النظام الدولي الحالي بوجود العديد من المتغيرات التي تستحق الدراسة والبحث ، ولعل ابرزها صعود القوى الدولية الجديدة على الساحة العالمية ، الامر الذي يغير بشكل مباشر من هيكلية النظام الدولي ويحرك الهرمية الدولية بشكل فعال ، خاصة بعد تريع الولايات المتحدة الامريكية على قمة الهرم الدولي منذ تصدع الجبهة الاشتراكية ، وتعد روسيا والصين الناهضتين في مقدمة الدول المرشحة الاحداث الحراك السياسي المرتقب ، وذلك لما تمتلكانه من قوى سياسية وعسكرية واقتصادية هائلة ستاهيها لسلك مسار التعديل المدمج بجدور الاعطاب وخطوط الصدع ، لتسهم بعتي ارادتها في إعادة صياغة دواليب النظام الدولي بشكل اكثر انسجاما وموائمة لطموحاتها ووزنها في السياسة الدولية¹ .

■ رغم صعوبة الاستدلال على ملامح النظام الدولي الا ان شكل التسلسل الهرمي للسلطة العالمية لن يعمر طويلا نتيجة الصراع بين القوة العظمى المهيمنة ، والقوى الكبرى الصاعدة ، وقد كان لفشل الولايات المتحدة الامريكية في تقديم نفسها كقوة متعالية مميزة في مواجهة الجائحة العالمية اثر في اهتزاز ثقة الحلفاء والعالم بها ، في مقابل النجاح الباهر الذي حصده الصين في إدارة الازمة محليا ودوليا لا سيما ما تعلق بهباتها الاغاثية التي غطت كل بقاع العالم ما ترك انطبعا طيب الأثر بموثوقيتها ، وبالتالي فان جائحة كورونا وضعت شرعية النظام الدولي على محك الاختبار لمدى قدرة هياكل ومؤسسات الحوكمة العالمية على مواجهة قيد العاديات والأزمات المتفاقمة على مستوى الصرح العالمي ، فقد نجم عن ازمة جائحة كورونا حالة من الاضطراب والتعقد في النظام الدولي ،² اين تراجع الاعتماد المتبادل وعوض بسياسات الحمائية ، مما عرى عن زيف التعاون والتكامل الإقليمي المهمل به من انصار الطرح الليبرالي ، اذ عطلت المركبات

¹ -Robert D Kaplan, The Downside Of Imperial Collapse: When Empires Or Great Power Fall Chaos And War Rise, **Foreign Affairs**, Vol .4, No.11 (October 2022), Pp.13-33.

² -Hal Brand , **Coronavirus Is China's Chance To Weaken The Liberal Order** , At: <https://www.aei.org/ops/coronavirus-is-chinas-chance-to-weaken-the-liberal-order> 16/03/2020 , accessed on : 14/03/2024

الصناعية وحجمت حركة المواصلات والملاحة ، مما كشف لنا عن تبعات فنية على المستوى المتوسط والمنظور زادة من حظوظ تغير قواعد النظام الدولي وسيره وإعادة ترتيب القوى الفاعلة والمؤثرة فيه ¹.

■ تسارعت وثيرة الاحداث في اعقاب اتجاه روسيا لغزو أوكرانيا ، اذ فرضت التحركات الروسية وردود الفعل الدولية والإقليمية الكثير من الاثار والتداعيات ، التي لم تقف عند حدود القارة الأوروبية بل تجاوزتها للعالم بأسره ، حيث دخل النظام الدولي في اطار عملية تغيير تحمل الكثير من التكهّنات حول مستقبل الاستقرار ومصائر الشعوب، وما هو المثال الذي ستمتطي عليه القوى المهيمنة على العلاقات الدولية مع نهاية الازمة ، في ظل الاستقطاب المتصاعد واتجاه العديد من الدول الى تغيير سياساتها الدفاعية بالتخلي عن حيادها العسكري ومحاولة الانضمام الى حلف شمال الاطلسي ².

■ إن الاهتمام المعاصر بالتكتل الإقليمي أو ما يطلق عليه بالإقليمية الجديدة new regionalism يمثل بدون ادنى ريبة اوشك احدى الاتجاهات المهمة في العلاقات الدولية ، والذي تزامن ظهوره مع انشاء عدد من المنظمات الإقليمية مثل الاتحاد الأوروبي اتفاقية أمريكا الشمالية للتجارة Nafta ، ورابطة دول جنوب شرق اسيا ASEAN ، ورغم ذلك فان بنية العلاقات الدولية تزداد تعقيدا ، حيث يوجد اختلاف صارخ في الاتجاهات بين تعزيز سرديات السيادة والحاجة الى تكامل إقليمي ، ويبدو في هذه الاثناء ان الاشكال الجديدة من روابط التكامل مازالت تتطلب قوة محرّكة تتولى مهمة تنسيق الجهود وتوثيق اواصرها ، والمثال النموذجي الحي على هذا هو أوروبا ، فعلى الرغم من المسيرة الاندماجية التي تشهدها أوروبا منذ عقود الا ان استحضار الواقع يفند هذه المزاعم ودحضها مقابل هيمنة المشاعر الوطنية على الأوروبيين ، والتي تتخذ أحيانا ابعادا متطرفة مناهضة لعملية الاندماج والانصهار ولكل المظاهر المهددة لهويتهم الوطنية ، وهو ما نم عنه البريكست البريطاني ناهيك عن ما يعكسه تصاعد موجات العداء والكراهية ضد المهاجرين ومعضلة الإسلام فوبيا ، ذلك ودواليك تكرر في خضم تصدر الأحزاب اليمينية للمشهد السياسي في البيت الأوروبي ³.

■ يعيش الاقتصاد العالمي اليوم في مرحلة من عدم اليقين ، اذ تتراجع الافاق المتوقعة له يوما بعد يوم بسبب النكسات التي اصابته النمو العالمي بفعل تراجع مستويات الثقة بالسياسات

¹ -Stephen M Walt ,A World Less Open Prosperous And Free :How The World Will Look After The Coronavirus Pandemic , **Foreign Policy** , Vol.11, No.7(March 2020), Pp. 12-26.

² -Mark Galeotti, **Putin's War From Cheyhan To Ukraine**, (New York: Bloomsbury, 2022), Pp. 09-49.

³ -Björn Hettne, András Inotai, Osvaldo Sunke, **The New Regionalism And The Future Of Security And Development**, (New York: Palgrave Macmillan, 2018), Pp. 140-169.

الاقتصادية ، اذ يواجه الاقتصاد العالمي اليوم تحديات مترابطة من قبيل ضغوط الميزانية العمومية التي تعتصر النمو الاقتصادي العالمي وتخنقه ، فلا تزال الديون المفرطة في النظام المالي العالمي ، وعدم اليقين يحوم حول الكيانات السيادية في الاقتصاديات المتقدمة ، كالاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية ، وهو الأمر الذي ينعكس بشكل سلبي على مستقبل النمو الاقتصادي العالمي ، ويرتبط هذا الأمر بالتحدي الأطول أجلا والمتمثل بمخاطر عدم الاستقرار في عمق النظام الاقتصادي العالمي ،¹ و مع استمرار حالة التدابير القائمة على الائتمان من قبل الاقتصاديات الصاعدة كالصين مثلا لمعالجة المخاوف بشأن التباطؤ الاقتصادي العالمي ، والعمل الدؤوب على إنهاء سطوة الدولار على المعاملات الدولية وهو ما تنحودول تكتل البريكس BRICS الإيجاده ، ومن الممكن ان تزيد حالة التعرض الانهيار مالي عالمي لا يقل تأثيرها عن الازمة المالية العالمية التي عصفت بالاقتصاد العالمي عامي 2007 و 2008² .

■ لا مرأ في القول أن الثورة الصناعية الرابعة والتي تعرف بالثورة الرقمية ، ستؤثر تأثيرا عميقا على مستقبل النظام الدولي في القرن الحادي والعشرين ، فحتى وقت قريب كانت القدرة على إلحاق الضرر بنطاق واسع تصدر عن ترسانات اعلى الإمبراطوريات العسكرية او من قبة أعضاء النادي النووي ، بيد ان الثورة التكنولوجية قلبت الموازين وبات الضرر على نطاق واسع ممكنا لحفنة من المجموعات الصغيرة او الافراد العاملين من أجهزة الكمبيوتر المنزلية ، ولا سيما وان الأدوات التي اوجدتها المؤسسات الدولية لمنع تفاقم النزاعات واستفحالها في النظام الدولي (كالمعاهدات والاتفاقيات او مبدا التدمير المتبادل بالنسبة للدول النووية) ، أصبحت ذا فائدة مشكوك فيها عندما باتت القوة التدميرية في يد نفر من الفواعل اللادولالية ،³ وبما ان الثورة التكنولوجية فتحت جبهة جديدة في الحرب لم تعد فيها المسافة المادية توفر الحماية للدولة من خلال نقل المعركة الى الفضاء الإلكتروني ، ونظرا لان الهجوم اسهل من الدفاع في الفضاء الإلكتروني ، ونظرا لصعوبة تطبيق استراتيجية الردع في الحرب السيبرانية ؛ بسبب التعقيدات التي تحيط بتحديد مصدر الهجوم والعدد المهول للجهات المباغته سواء كانت جهات تابعة لدول

¹ -United Kingdom: London, Price Water House Coopes – Pwc Report, **The World In 2050: Will The Shift In Global Economic Power Continue**, February 2017, Pp. 2-14.

² -Klaus Schwab, Shaping The Fourth Industrial Revolution ,**The Project Syndicate**, Vol.18, No.7(April 2016) , Pp.12-18.

³ -Kapersen. A, A.Hagan ,**Emerging Technologies Transforming International Security** ,At :<https://www.weforum.org/agenda/2015/09/8-technologies-transforming-international-security/>, accessed on :17/03/2024

بعينها او مستقلة ، فان ذلك سوف يشكل تحديا كبير لقوانين الحرب ، مما سيؤدي مستقبلا الى زعزعة الامن الدولي ويغير توازنات القوى في النظام الدولي ، وسيشجع حركات التمرد والجماعات الإرهابية من استغلال العجز الأمني والاستفادة من الطفرة التكنولوجية الجديدة لتعزيز حضورها وتأثيرها السلبي في المشهد الأمني العالمي¹ .

■ من المتوقع في الربع الثاني من القرن الحادي والعشرين ان تتضخم المشاكل الأمنية القائمة نتيجة لتغير المناخ ونقص الموارد، فمن المرتقب ارتفاع رهيب في درجات الحرارة وتزايد حالة الجفاف وارتفاع مناسيب المياه والمحيطات ، فالتأثير المحتمل لتغير المناخ على مستقبل الامن الغذائي سيؤثر بشكل ملحوظ على المشهد الأمني الدولي ، وستزداد بذلك حالات التوتر والصراع بين الدول وهو ما يندرباندلاع حروب الندرة المتعلقة بالمياه والموارد ، اذ ستمتلك الدول مستقبلا الرغبة في الوصول الى نفس الثروات وستتصادم هذه الطموحات فيما بينها بشكل يؤجج للصراع البيئي بين الدول ، ويزلق الدول نحو دوامة العنف المجتمعي² .

في ضوء التحولات الجيوسياسية المذكورة انفا ، يمكن القول ان المسرح الدولي يزداد تعقيدا ، في ظل التحديات التي تراوده وتعصف ببنيتها وتعكر صفوة الخطوط الرامية للتعامل مع الحالات الطارئة ، لا سيما امام تزايد فرص اللاعبين من غير الدول التي انتشرت في أحضان العولمة متبنين استراتيجية هدم البناء الهرمي للدولة القومية ، ما يكشف الجبهة الداخلية لهذه الأخيرة امام عمليات الاختراق الخارجية ، وعلى الإيقاع ذاته تؤثر الثورة التكنولوجية وإدارة الموارد الطبيعية وتغير المناخ ، ناهيك عن تراجع النمو الاقتصادي وتحول موازين القوى الاقتصادية بين الدول الصاعدة والمتقدمة ، وسيؤدي زيادة التنافس بين القوى الكبرى في النظام الدولي الى تشابك مسالك السياسات العالمية ، وسيؤدي الى تعديل ميزان القوى الدولي.

¹ - Joseph S. Ney, **Can Cyber Warfare Be Deterred?**, Project Syndicate , Vol.16, No.1(December 2015),Pp.11-19.

² -Kathleen Miller's ,**Climate Change Impact On Ecosystems** , At : <https://www.epa.gov/climateimpacts/climate-change-impacts-ecosystems>, Accessed On : 18/03/2024

المبحث الثاني: الأداء الاستراتيجي للقوى التعديلية وسياسات انتقال القوة كآلية للتوازن الجيوسياسي العالمي .

لم يكن الجدل المحتدم ذو الأبعاد الفلسفية والتاريخية والحضارية والجيواستراتيجية حول ملامح حدوث انقلاب متوقع في موازين القوى العالمية من كتلة حضارية واستراتيجية الى أخرى ،وليد تخمينات وتكهنات او ترف فكري قط ، بل لطالما كان مرتبطا بوقائع وشواهد ودلالات من البيئة الدولية ، لذا وثّقت عملية صعود القوى وهبوطها في النسق الدولي لحظات فريدة من نوعها في تغير ماهية الوحدات الدولية وتلاشيها كما جرى في توار واضمحلال الامبراطوريتين النمساوية – المجرية والعثمانية عقب الحرب العالمية الأولى ، وصعود دول مستقلة ، وهذا الصعود و التهاوي للدول يسهم بشكل فعال في خلق وحدات دولية جديدة تؤثر على احتمالات الحرب او السلام في النسق الدولي ، مثلما أدى زوال الاتحاد السوفياتي وتبدد قواه الى نشوء وحدات دولية جديدة أدت الى زيادة رهيبة في معدل النزاعات العرقية داخل الفضاء الشرقي للقارة الأوروبية ، كما أن للصعود تأثيرا مهما في عملية تغيير البنيان الدولي ، خاصة وأن هذا الأخير يضطلع بمعية الوحدات الدولية الى زحزحة بنية القطبية الدولية ، وهو ما مميز المانيا بعد وحدتها الملحمية التي ما فتئت تتعافى من نكباتها حتى راحت تتطلع بحفاوة طوباوية لتزعم الحلف الأوروبي ، كما ان لهبوط القوى وزوالها مآثر مذمومة على شكل القطبية واعلامها ، وهو ما يستشف من الوهن والتقهقر الذي دبّ في القوة الفرنسية بعد رحيل نابليون بونابرت ، لينبثق عهد جديد ارساه مؤتمر فينا 1815 اين اتصفت سمته الأساسية لهذا النظام في وجود مجموعة اقطاب تمتلك قدر متكافئ من مؤهلات القوة .

إن المتصفح الفطن والنبه لزمرة الادبيات الواسعة التي اغدقتنا بفيض تحليلاتها واستنباطاتها سيصل لا محالة الى إيقان دوافع انتقالات القوة عبر التاريخ المكتنز لمعضلة اللاستقرار ، التي ولدت نتاج تصادم مصالح قوى الوضع الراهن مع نظيرتها الصاعدة او المتحدية ، التي تدفعها أنفة التعديل والتغيير الى الضلوع في اثارة الفوضى مما يسحبها الى الوقوع في فخ ثيوسيدس ، ويمثل الصعود الاستراتيجي للقوى التعديلية او الموازنة في النظام الدولي حالة من الابهام في الأوساط السياسية والأكاديمية وهو ما سنعكف على تبسيطه وتذليل عقباته عبر فحصنا لعينة من الاستبصارات النظرية المؤطرة له ضمن ادبيات التنظير في حقل العلاقات الدولية ، ليتسنى لنا الالمام بحقائق ووقائع البيئة الدولية الغامضة والحافلة بالدسائس.

المطلب الأول: ديناميكيات التفاعلات الدولية دراسة لدلالات التغيير والترتيب في مراكز القوة العالمية.

فيما يتعلق الأمر بمفهوم يستعمل على نطاق واسع ، فان مفهوم القوة على نحو يدعو للدهشة هو مفهوم مراوغ وخلافي ومن الصعب قياسه او احصاؤه ، ويعكس بوضوح لافت اختيار الأشخاص لترجمة مصالحهم وقيمهم الضامرة ، فالبعض يعرفها على انها القدرة الواهية في خلق التغيير او احجامه ، في حين ذهب فريق اخر لتوصيفها بالنزعة الحاسمة لامتلاك الموارد المحققة للنتائج المبتغاة، للقوة وجهان أولهما يتمثل في قدرة الجذب العاتية للآخرين ما يحث على العمل بأساليب وطرق مناهضة لافضالياتهم واستراتيجياتهم الأولية ، اما ثانيها فيستثب في التأثير على سلوكهم عن طريق تشكيل افضلياتهم بأساليب يفضي الى ما ننشده عوضا عن الارتكان الى العصى لتغيير سلوكهم ورغباتهم ، حينما يتحول الزخم الى دفع مقحم¹ .

في المقام الموالي وعلى عكس الاختلاف المسجل في تعريف القوة وتحديد عناصرها الأساسية ، إلا انه يسود توافق عام حول ميزتين أساسيتين لها وهما ؛ التباين في توزيع القوة : اذ تختلف دول العالم فيما بينها على خلفية ما تمتلكه من محددات وعناصر للقوة بشقيها المادي والمعنوي (الصلبة و الناعمة) ، وتدرك كل دولة في ظل البيئة الدولية التي يحكمها منطق الصراع بالأساس ، ان حماية حدودها ومكتسباتها الوطنية فضلا عن تحقيق مصالحها القومية ، رهن امتلاك القوة والسعي الدائم لزيادة هذه القدرة الى ابعد مدى ممكن ، وذلك بإضافة مصادر وطرق او وحدات انتاج جديدة لها (تحالف ، تعاقد ، تفوق تكنولوجي وعسكري وغيرها) ، او بالعمل على اضعاف الخصوم بشتى الوسائل والإمكانات المتاحة (الحرب ، الدعاية ، التفريق ...) . ثانيها التحول وعدم الثبات ؛ من ميزات القوة في العلاقات الدولية طابعها الحركي والدينامي ، حيث تنتقل من منطقة الى أخرى ومن تخوم وحدة سياسية الى تخوم أخرى ، يكون ذلك مصحوبا بتغير عرضي في هيكل النظام الدولي ، أي سلم توزيع القوة بين فواعل النظام ، وهنا تتعدد صورة النظام الدولي بحسب حالة توزيع القوة ، لتتعدد بين نظام احادي القطبية (تركز القوة لدى فاعل واحد) ، وثنائي القطبية (تتوزع القوة بين فاعلين) ، او متعدد الأقطاب (تشتت القوة بين ثلاث فاعلين فما فوق) ، وهي الأنماط الرئيسية المعبرة عن كيفية توزيع القوة في قمة النظام ، وتسمى هذه الوضعية بتحول او انتقال القوة في النظام الدولي وفي

¹ -Peter Zeihan, **Disunited Nations: The Scramble For Power In Ungoverned World**, (United States: Haper Business, 2020), Pp.80-84.

العلاقات الدولية ، والتي تعد من خصائص التفاعلات الدولية ، بأفول قوى تقليدية وبروز قوى جديدة في حالة تحول جذري للقوة ، او حدوث توازن نسبي في القوة بين مهيمن قديم ومتحد او متحدين في حالة تحول او انتقال للقوة اقل تطرفا وراдикаلية من سابقه¹ .

خص سجال انتقال القوة في العلاقات الدولية بكبير الاهتمام والعناية ، وكان اهم ما توصل اليه التراث التنظيري في دراسة هذا المجال ، نظرية انتقال القوة power transition theory التي صيغت على يد المفكر الأمريكي من الأصول الإيطالية " ابرامو فييمو كينث اورغانسكي " abramo fimo Kenneth organsky سنة 1958 ضمن مؤلفه الموسوم بـ (world politics) وكان كل من "جوناثان ديتشيكو" jonathan dicicco ، و " جاك ليفي " jack levy ، قد اشادا في مقال صدر لهما في 1999 تحت عنوان (power shifts ; the evolution of power transition research program) ، بقدرة نظرية اورغانسكي على الاستمرار والصمود كل تلك العقود كأحد المحاور الكبرى للبحث في حقل معرفي خصيب كالعلاقات الدولية ، اين يكون فيه عادة عمر نصف الأفكار النظرية الجديدة اقصر من ذلك ، بل وقد تطورت تلك النظرية منذ ان قدمها " اورغانسكي " وانطوت أجيال من الباحثين في صقل وتنقيح هذه النظرية² .

يؤكد " اورغانسكي " organsky و " جاسيك كوغلر " jacek kugler في اسهامها ضمن دليل دراسات الحرب ، (handbook of war studies) ان نظرية انتقال القوة تصنف النظام الدولي على ضوء نسب موارد القوة وإمكانية نشوب الحرب ، مما يعكس نظاما هرميا تراتبيا يقتاد بنسقية القوة وتوزيعها الفضفاض ، وهو ما يتعارض بشكل صارخ عما كان يتم عليه الامر سابقا ، لكونها تقوم على رفض ثلاث مسلمات أساسية تحويها زاوية الرؤية الواقعية التي كانت مخيمة على السياسة العالمية نجتبي منها ;

■ ترفض نظرية انتقال القوة بشكل قاطع الافتراض الواقعي المزعوم بفوضوية النظام الدولي ، وتنظر له بدلا من ذلك على انه منتظم في نسق هرمي تسلسلي ، بشكل مماثل للنظام السياسي الداخلي ، حيث يقبل الفاعلون المختلفون وضعهم في النظام الدولي ، ويعترفون بالنفوذ القائم على التباين في توزيع القوة بين الأمم.

¹ -Johan J Mearshimer, **The Tragedy Of Great Power Politics**, (New York: Norton Company, 2001), Pp. 21-76.

² - Joseph S Ney, **The Future Of Power**, (New York: Public Affairs, 2011), Pp. 165-172.

- تقر نظرية انتقال القوة بالتمائل في القواعد التي تحكم كلا من النظامين السياسيين الداخلي والدولي، ولا سيما في مجال التنافس على الموارد.
- على خلاف ما ارتكزت عليه نظرية توازن القوى من كون الدول مجبولة فطريا على التنافس تعظيما لقوتها (maximization of power)، ترى نظرية انتقال القوة ان الدول تسعى من وراء ذلك الى تعظيم مكاسبها الخالصة (maximization of net gains)، ووفقا لذلك يسود التنافس السلمي عندما توقن الأطراف الدولية ان خسائرها من النزاع اكبر من منافعها البحثة، والعكس صحيح¹.

تولى اورغانسكي (organsky) في نظريته تقسيم الدول وفقا لقوتها في هيكلية وهرمية النظام الدولي، تعتليها القوة العالمية المهيمنة (hegemon)، وهي التي تحافظ على مكانتها كقوة مهيمنة عبر ضمان رجحان القوة لصالحها في مواجهة المنافسين المحتملين، وكذا إدارة النظام الدولي ضمن القواعد المريحة لحلفائها والمرضية لطموحاتهم، تليها ضمن موقع ادنى في هرم القوة الدولية " القوى العظمى " (great power)، وهي مجموعة من الدول الكبرى التي ليست قوية كفاية للقيام بدور المهيمن، غير ان لديها القدرة التي تؤهلها لتكون ندا ومنافسا محتملا للقوة المسيطرة، وعموما فان معظم القوى العظمى ترضى بالبقاء في تحالف مع الدولة المسيطرة غير انه ضمن بعض الظروف الشادة قد تزدهوا دولة من هذه المجموعة قوة بما فيه الكفاية، ما يجعلها غير راضية بشكل كبير عما ينشده الوضع القائم ما يحدوها الى محاولة تغييره².

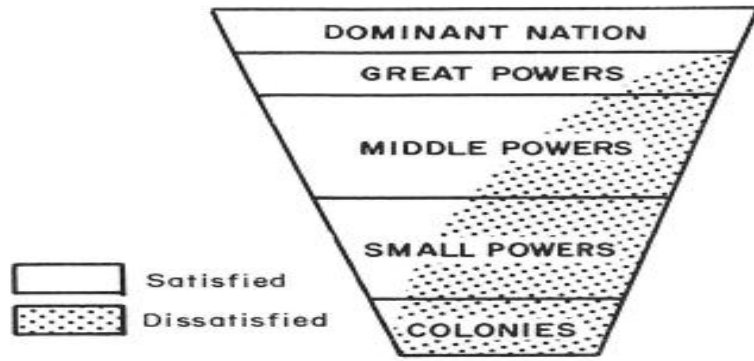
فالقوى العظمى وفقا لتوصيف اورغانسكي (organsky) هي تلك التي نمت وازدهرت الى اقصى درجة ما زاد محصلة قوتها وفعاليتها في النظام الدولي المرسخ، والتي لم يكن لها بالتالي أي حصة في انشائه او التمتع بمنافعه، كما تصطدم بواقع مخزي لرفض القوة المسيطرة ومؤيديها عموما منح القادمين الجدد اكثر من جزء زهيد من المزايا التي تستمدتها من الوضع الراهن، وعلى صعيد الجبهة الثانية يسعى المتحدون الى تأسيس مستقر لهم في المجتمع الدولي، تلك المكانة التي يحسون قوتهم المتنامية تخولهم إياها، وغالبا ما تتنامى قوة هذه الأمم بشكل سريع ويتوقع لها الاستمرار في النمو بشكل حدسي، ما يزيدها حافزية وثقة باستطاعتها الصلدة على منافسة القوة المسيطرة ومن ثم

¹ - Jacek Kugler And Afk Organski, 'The Power Transition: A Retrospective And Prospective Evaluation', In: Midlarsky Manus (Ed), 'Handbook War Studies', (New Yor: Rutledge Revivals, 1989), Pp. 111-173.

² Diccio Jonathan And Jack Levey, Power Shift: The Evaluation Of Power Transition Research Program, 'The Journal Of Conflict Resolution', Vol.43, No.06 (November 1999), Pp.675-704.

التفوق عليها ، كما انهم لن يرضوا بوضع المهملش والثانوي في الشؤون الدولية ، اذا كانت السيطرة ستمكنهم من حصد منافع وامتيازات اعظم ، ضمن مستوى ادنى تتموقع " القوى المتوسطة " middle powers () ، وهي دول قوية نسبيا في أقاليم محددة ولكنها ضعيفة من حيث جاهزيتها على مجارات ومنازلة الامة المسيطرة او بنية النظام الدولي في مجملها ، اما القوى الصغيرة (small power) فهي تصطف اسفل الهرم الدولي للقوة ، ويوضح الشكل المبين ادناه هرمية القوى في النظام الدولي وفقا لتصنيف اورغانسكي المشار اليه في متن السطور أعلاه¹

الشكل رقم (01): التصنيف الهرمي للدول في النظام الدولي عند اورغانسكي



المصدر

Jack Kugler And A F K Organsky, The Power Transition: A Retrospective And Prospective Evaluation, In: Midlarsky Manus (Ed), Handbook Of War Studies, (New York, Routledge Revivals, First Edition 1989). P.174

تنظم عملية انتقال القوة عبر خمس مراحل ،تمتاز المرحلتان ،الأولى والثانية ، بقيادة مستقرة من طرف القوة المهيمنة على الوضع القائم ، والمرحلة الثالثة تحدث عندما تنمو وتبرز قوة متحديّة (challenging power) ، وتحقق نوعا من التكافؤ في القوة مع الدولة القائدة للوضع السائد ،وتدخل عملية الانتقال المرحلتين الرابعة والخامسة عندما يحقق المتحدي المراجع للوضع الراهن قوة مهيمنة وقيادة مستقرة ،ويمكن ان يظل هذا النظام سلميا ومستقرا ما دامت القوة المسيطرة تستثّر بالنظام الدولي ، على صعيد اخر يجادل انصار انتقال القوة على ضرورة توافر عاملان أساسيين في دفع القوى الصاعدة لتحدي الفاعل المهيمن ومحاولة زحزحته عن مكانته وهما :عامل تكافؤ القوة power

¹ -David Niebel, The Power Transition Theory And The Sino-American Contention For Power, **Towson University Journal Of International Affairs**, Vol.20, No.1 (September 2020), Pp.2-14.

(parity) وعدم الرضى (dissatisfaction) ، فأعلى احتمال للحرب يكون عندما تصبح القوة الاجمالية للمنافس الناشئ والأمة المسيطرة أكثر تكافؤاً وتناسباً¹ ، لذا هم اورغانسكي (organsky) الى تصنيف الفاعلين الدوليين طبقاً لمعاري المقدرات ، ودرجة الرضى والاكتنات عن الموقع في النسق الدولي السائد الى اربع فئات تأتي على ذكرها ترتيباً وهي : (دول قوية راضية ، ودول قوية غير راضية ، ودول ضعيفة راضية ، ودول ضعيفة غير راضية) ، وتمثل الفئة الثانية التي تضم الدول القوية غير الراضية تهديداً وتهويلاً للقوة المهيمنة في النظام الدولي ، والأكثر حرصاً على تحويل مقومات القوة لصالحها في التفاعلات الدولية ، ومثلت المانيا النازية في حقبة ما بين الحربين هذا النوع من القوى ، ولذلك ، فان الدولة المهيمنة تنظر بعين الترقب والتوجس لوضع الدول الكبرى التي تليها في تدرج هرم القوى ، بالنظر الامتلاك هذه الأخيرة لمقومات القوة والمقدرة على تحديثها ومنافستها² .

إن اكتساب الدول للقوة عبر التطوير العسكري و النمو الاقتصادي والابداع التكنولوجي سيحرك نزعة الفاعل المتحدي (الرافض للوضع القائم) ، الاحداث تكافؤ في القوة مع غريمه القائد (الساعي للحفاظ على الوضع الستاتيكي) ، وهو ما يزيد من احتمالات الحرب ، بينما يؤدي رجحان القوة لصالح الفاعل المهيمن على النظام الدولي القائم الى غلبة كفة السلام (الاستقرار بالمهيمنة) (stability of hegemony) ، وتأخذ نظرية انتقال القوة بعين الاعتبار " التفضيلات " (preferences) التي تتعلق بمواقع الدول في النظام الدولي ، والمعايير ، وقواعد اللعبة ، وبينما تنبأ النظرية بإمكانية حدوث الحرب الناجمة عن الثنائيات المتنازعة والمتباينة ، وخاصة في حالة وجود نوع من التوازن في القوة بين الجانبين المراجع والمهيمن ، وتذهب في الوقت ذاته الى المجادلة بان السلم يمكن ان يسود عندما تتلاقى التفضيلات والاولويات بينهما ، فمثلاً عندما تتشارك قوتان نفس المصلحة في استمرار النظام الدولي ، وتتقاسمان نفس الرؤى والتصورات حول المعايير الدولية والقواعد السائدة ، تنكفى وتنخزل الحوافز والمسوغات الباعثة على استخدام القوة العسكرية لحل مشكلة التداول على القيادة العالمية³ ، ويظل حدوث انتقال وارتحال للقوة مرهوناً بحصول الوافد الجديد على مصادر للقوة اكبر واجل مما لدى الدولة المهيمنة ، او على الأقل يحدث تعادلاً مع المقدرات القومية للدولة السيدة على لجام الحالة

¹ - Yuen Foong Khong , **Power In Transition The Peaceful Change Of International Order** , (New York : Unup , 2001), Pp.51-76.

² -Yi Feng , Global Power Transition And Their Implication For The 21st , **Pacific Focus** , Vol .14, No.2(August 2013), Pp.10-30

³ -Jose Pedro Filipe Deoliveria Baptista , **Power Transition And Conflict Applying Power Transition Theory And Liberalinstitutionalist Theory Tou United State – China Relations**, (Master Degree Peace And Conflict Studies , University Of Oslo ,2012),Pp. 11-23.

الحاضرة ، وهذا يعني انه يتعين على القادم الجديد ان يحاول ادراك الدولة المتجبرة والمسلطنة ، التي انهكها طول المسير فتصدعت جسارتها وصلادتها والتي دأب الضعف و الكدى هذيانها وخارت قواها وتبعزقت ، فتدخل معترك فقدان التدريجي لسطوتها وتسيدها لصالح صاعد جديد ظفر بميزان القوة و ارسى كفته لصالحه¹ .

وتدعم شواهد تاريخية عدة صراعات التحول في القوة، ما جعلها تشكل الحديقة الخلفية للادبيات النظرية التي انشغلت بتقديم تنقيحات وتحسينات، وكذا مراجعات بديلة لصيرورة انتقال القوة وتداولها، ومن أهمها تحينات وقراءات كل من " جوناثان ديتشيكو " jonathan dicicco و " و جاك ليفي " jack levy ، وسابقيهما " كيم " Kim . الذين حرصوا اشد حرص على تقديم إضافات واقعية لتغطية مكانم الاعطاب والتلف التي استشررت في محركات النظرية التقليدية، ومحاولة استئصالها مع استذكار التعرّيج على ما توانت وتقاعت عن تحصيله من مرابط ومسالك اكااديمية وهي:

- نموذج التسلسل الهرمي المتعدد (the multiple hierarchy model) : الذي يلتزم هدف جعل النظرية تشمل أيضا دراسة عملية الانتقال لدى طيف الفاعلين الأقل قوة ومكانة ، وهو امر يراه الباحثان " جوناثان " و " ليفي " مهما الى حد كبير ، نظرا لقدرته المهولة على جعل النظرية رهن إشارة التطبيق على شتى المجالات
- نموذج انتقال التحالف (the alliance transition model) : اوجد على يد " كيم " الذي اباح عن رفضه القاطع لإغفال وتفريط كل من " اورغانسكي " و " كوغلر " لدور التحالفات في تأجيج الحروب الكبرى واشعال فتيلها ، وأوضح ان النزاعات لا تتصل فقط بثنائيات وزيجات القوة بين المتحدي والمهيمن ، ولكن أيضا بتساوي القوة ضمن التحالفات وتعادلها بإنصاف اتزاني ، اذ لا بد من إيلاء اهتمام اكبر بتأثيرات ونفوذ العوامل الخارجية للتوازن ، بدل الاقتصار المجحف والعاسف في حق دراسة ثنائيات القوة بمعزل عن محيطها الخارجي² .
- ظرفية ومكانية شن الحرب (THE TIMING AND INITIATIONS OF WAR) : طرحه كل من " ديتشيكو " و " ليفي " لتغطية الثغرة التي كانت تشوب نظرية " اورغانسكي " و " كوغلر "

¹ - Michael Barnett And Raymond Duvall، Power In International Politics، The Washington Quarterly، Vol.42، No.4(Winter2005)، Pp.115-131،

²-Jonathan Dicicco، Power Transition And Essence Of Revisionism، Oxford Research Encyclopedia Of Politics، Vol.13، No.2 (September2017)، Pp.2-27.

، فهذان الاختاران حسمهما لم يجيبا بدقة ولا بالشكل الكافي على أسئلة : من ؟ ومتى ؟ ولماذا؟، الان الفلسفة التي بنيت عليها نظرية انتقال القوة تتوافق مع احدى مسلمات وسنن ونواميس الكون، التي تفيد باستحالة استمرار أي وضع كان بما هو عليه هذه الفلسفة فصل فيها الكاتب الألماني " جابور شتاينغارت " (GABOR STEINGART) في كتابه المثير للجدل " الحرب من اجل الثروة ؛ القصة الحقيقية للعولمة او لماذا يتحطم العالم المسطح ؟ " الصادر عام 2006، حيث خلاص في مؤلفه هذا الى ان التغيير قادم لا مناص منه، وعلى الأمم القوية المتريعة على عرش الصدارة العالمية ان تعي ذلك، واذا اغضت النظر وتغافلت عنه ستمارس نوعا من الخداع الذاتي، وهو من السبل المعجلة بمنية الامة وهلاكها، خصوصا اذا تملكها شعور التفوق ووهم الخلود والسرمدية، فالمستقبل مقل بريح التغيير لذا كان ولا بد للأمم القوية ان تتسلح بسداد رأي حكيم لإقصاء وتحييد القوى المترصدة بمكانتها¹.

وتأسيسا لما سبق ذكره ، سنستند الى قانون العلامة " عبد الرحمن بن خلدون " الخاص بنشوء وزوال الدول، الذي يقوم على خمس مراحل او اطوار تمر بها الدولة في مسارها منذ وجودها الى انصرام اجلها ، وتركيزنا هنا سيكون على المرحلة الرابعة وهو طور القنوع والمسالمة ، حيث يخنع ويدعن صاحب الملك بما اوتي من موروث ابائه ، ويكتفي باقتفاء اثارهم وسيرهم ، وينغمس في تحصيل وحصد ثمرات الملك ، متوقفا ومتقاعسا عن مواصلة مسيرة البناء والتطوير ، في الوقت الذي تتأهب فيه الدول الأخرى وتحشد هممها لمنازعته في الملك والسلطان بعد ان بلغت امته عتيا من الهرم والشيخوخة ، ويضع ابن خلدون رواصي هذه الحتمية التاريخية التي بناها على مشاهداته العينية ، وقراءاته الحصيفة والحاذقة بسنن الكون وقوانينها².

ومن ثم يمكن القول ، ان ظاهرة صعود وهبوط القوى الكبرى تاريخيا ، تستأنس بكوكبة من العناصر المتداخلة والمتربطة يلزم بعضها ممارسات تلك القوى وتفاعلاتها على الساحة الدولية ، في حين يتعلق البعض الاخر بالأطراف المناوئة لتلك القوى الراضية والمماقتة لممارساتها واستراتيجياتها الامبريالية او التوسعية ، والتي تتحين بترث مستमित اللحظة التاريخية لإسقاط تلك القوى بل وربما محاولة ارث دورها العالمي او الإقليمي ، استنادا الى سنة التداول التي تحكم حركة البشرية منذ بدء

¹ -Gabor Steingart, **The War For, Wealth: The True Story Of Globalization Or Why The Flat Is Broken**, (New York: Mcgraw Hill, 2008), Pp.121-171.

² - عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، (بيروت: دار الكتب العالمية، 2013)، ص ص. 264- 307 .

الخليقة الى ان يرث الله الأرض ومن عليها لقوله تعالى في منزل ذكره الحكيم " وتلك الأيام نداولها بين الناس " (آل عمران 140) .

المطلب الثاني: أبعاد الصعود الاستراتيجي للقوى التعديلية في النظام الدولي "بحث المكانة والدور "

لقد صور مفهوم الصعود الاستراتيجي في العديد من ادبيات العلاقات الدولية ،وصكت عملة تداوله على مصراعها أواخر القرن العشرين ،وقد اعطى بول كينيدي صاحب نظرية صعود القوى العظمى وهبوطها تعريفا للصعود "بأنه عملية ديناميكية ذات نسب ونمو وتغييرات جيواستراتيجية تفضي الى ثورة راديكالية في موازين القوى العالمية لصالح قوى صاعدة" ، في حين ان الباحث مايكل غولسني عرف في رسالة دكتوراه بعنوان " الاستراتيجيات الكبرى للقوى الصاعدة " the grand strategy is of rising power)، الصعود على انه "الانتقال المناوي من حالة القوى اللاعظمى الى حالة القوى العظمى"¹ ، وفي دراسة لمحمد السيد سليم ، عرف الصعود الاستراتيجي بأنه "زيادة نوعية متتالية في مكونات القوة الشاملة للدولة مقارنة بغيرها من الدول ، بحيث تستأثر بنسبة عالية من المقدرات الشاملة في النظام الدولي"² ، وفي مقال صادر لسمير أمين حمل اسم " هل تمثل مجموعة الدول الصاعدة بديلا للعملة الفجة ؟ " وصف الصعود في قالب مجموعة من التحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية التي تسمح بالحديث عن صعود وحدة سياسية ما، في تخوم وحواشي المنظومة العالمية القائمة، وينطوي الصعود بتركيز خاص على عملية تخطيط منهجي لمنظومة إنتاجية حديثة وفعالة تتكئ على بعدين أساسيين هما: الزيادة المطلقة في مقدرات وقدرات الدولة وهي زيادة نوعية ومتتالية، وكاسحة لكل الجوانب والميادين³ .

تتفاعل الدول في النظام الدولي وفق ثلاث نماذج رئيسية هي : الاندماج (integration) ، المراجعة والتصحيح (revision) ، والانعزال (separation) ، ويشير النموذج الأول الى الاستراتيجيات

¹ -Glosny Michael , The Grand Strategy Of Resign Powers : Reassurance Correction And Balancing Responses , (Phd Thesis , The City University Of New York,2014),Pp.74-87.

² - سليم محمد السيد، الصعود الصيني والصعود الهندي في النظام العالمي، مركز سبأ للدراسات الاستراتيجية، ع. 198 (أكتوبر 2011)، ص ص. 45-75.

³ - سمير امين، هل تمثل مجموعة الدول الصاعدة بديلا للعملة الفجة، في: <https://Gate.Ahram.Org.Eg/Daily/News/41319/4/328> (2014/09/28) ، تاريخ الاطلاع: (2024/03/20).

الدولية التي بنيت على أساس تقبل المبادئ والمعايير السائدة و التسليم بها دون ابداء أي تحفظ او انزعاج فيما يسميه هيدلي بول hedley bull ب " المجتمع الدولي " ، ويتم النظر الى هذه الدول كقوى وضع قائم (status – quo) "قائمه او راضية" (satisfied) ، او محافظة (conservative) سمتها الأبرز تستشف من رغبتها المباداة في العمل ضمن حاضنة النظام الدولي ، فيما تتضمن الفئة الثانية تلك القوى المشار اليها بعبارة " التصحيحية " (revisionist) ، " غير راضية – او غير قانعة " dissatisfied ، او الثورية (revolutionist) ، حيث تركز هذه القوى الصاعدة جهودها للقيام بمراجعة شاملة الأسس النظام الدولي ، بغية الحصول على نفوذ سياسي اكبر يتناسب مع قدراتها الجديدة ، ما يدفعها لترنو الى اظهار استعدادها الرغبي في متابعة مصالحها ، حتى ان استدعى الامر منها اللجوء الى تفعيل ميكانيزم القوة امام جماح قوة الوضع الراهن التي تكون مدفوعة بالخوف والشك من المنافسة¹ .

تعمل قوة الستاتيكيو الامبريالية باستعجال على احتواء وتثبيط قوة غيرها ونفوذه ، وفي ظل تشبثها بقناعات الدفاع عن الوضع الدولي القائم في مقابل القوة الناشئة التي تتبنى نيات تعديلية ، فسيكون من المتعذر تفادي او الجاه طبول النزاع المقرعة ، اما المقترب الثالث والأخير فيشمل الدول التي تحاول الانعزال او الانطواء بنفسها عن فلك المعايير والممارسات الدولية السائدة (isolationism) . وقد حملت لنا بطون التاريخ نموذجين حافلين بالذكر هما الولايات المتحدة الامريكية ابان القرن التاسع عشر ، ناهيك عن الحالة اليابانية في عصر "توكوغاوا" (tokugawa) ، ويكاد يكون هذا النموذج منعما في الوقت الحالي نظرا لتشابك الحياة الدولية وتعقد تفاعلاتها وتعدد فاعليها² .

انطلاقا من مدى رغبة القوى الصاعدة في الإبقاء على سلم تدرج الهيكلية التوزيعية للقوة ، او رغبتها في قلبه راسا على عقب ، يجري التمييز بين شكلين متباينين من اشكال سياسات التوازن الدولي ، التي سنمضي قدما الى رصد مؤشراتهما مع التسليط الضوء مركزية ومحورية كل منهما في استتباب معالم الوضع الدولي :

¹ -Walter Russel Mead, The Return Of Geopolitics: The Revenge Of Revisionist Powers, **Foreign Affairs**, Vol.93, No.3 (May 2014), Pp.69-74.

² -Jason Davidson, **The Origins Of Revisionist And Status-Quo State**, (New York: Routledge Publisher ,2011) ,Pp.17-39.

1- سياسات الحفاظ على الوضع القائم (STATUS – QUO POLICIES)

يقصد بسياسات الحفاظ على الوضع القائم تلك السياسات الهادفة إلى ديمومة الصورة النمطية لتوزيع عناصر القوة في النسق الدولي، أكثر من مراجعتها أو تعديلها وتوصف من منظور استراتيجي على أنها ذات طابع دفاعي فعادة ما تنكب عليها الدول نتيجة ضغوط البيئتين المحلية والدولية المتكومة في النسق الدولي، فنجدها تهرع إلى إيجاد تسوية سلمية وعاجلة لأي صراع قائم عند أدنى مستوى ممكن من التوتر الدولي، مع الحرص على الحيلولة دون تفاقم مسبباته أو بعثها من جديد¹.

وحسب ما أورده رائد الفكر الواقعي هانس مورغانتو (HANS MORGENTHAU) فإن سياسة الوضع القائم تهدف إلى المواظبة على توزيع القوة ضمن سياق اعتيادي، لكونها تعارض وتناقض بشدة أي مسعى تحويلي لعلاقات ترابط القوة بين الوحدات الدولية، غير أنها تقر بوضعية القوة النسبية للأمم التي لا تبرح أصالتها، لكن ما غاب عن مورغانتو هو تحديد طبيعة التعديلات الرغبة لهذه القوى ونبوءاتها السلوكية²، من ناحية أخرى عكف رواد نظرية تحول القوة أورغانسكي (organsky) و كوغلر (Kugler) على نعت دول الوضع القائم على أنها تلك القوى التي عهدت إلى المشاركة في تصميم وتبني قواعد اللعبة مع الكد على الاستفادة من هذه القواعد المصوغة، في غالب الأمر تتسم سياسات الحفاظ على الوضع القائم بالتحفظ والحيلة مع توخي الحذر، كما تتميز الانساق الدولية التي يغطيها هذا النوع من السياسات بالاستقرار والتوطيد، لدرجة أن التغيرات التي تطرأ عليها تعرف ببطء معدلات سرعة حدوثها ومحدودية مداها، وقد حاول أورغانسكي (organsky) تفسير العوامل التي تقف وراء انتهاز الدول أو سلكها لسياسات هادفة إلى الحفاظ على الوضع المعهود سابقا أو تعديله³، وقد اعتمد في إطار تحليله على معايير تصنيفية مركبة تمتزج فيها القوة بدرجة الرضى والخنوع أو الرفض والثوران سنجتي على اثنين منها طبقا لمتطلبات البحث:

¹ - Nik Hynek ,Vít Stritecky ,Political Revisionism: Old And New, **Europ-Asia Studies** , Vol .4, No.3(July 2020) , Pp.25-35.

² - Hans Morgenthau , **From Great Power To Superpowers** , (London :Oxford University Press ,1969) , Pp.140-173.

³ -Jack Levy, War **In Modern Great Power System**, (Lexington: University Press Of Kentucky, 2007),Pp.35-52.ول

أ) دول قوية وقانعة (POWERFUL AND SATISFIED STATE)

وهي الدول التي ترى ان هناك تناسبا وتوافقا بين ما تحوزه من إمكانيات القوة، وبين ما تمارسه من تأثير ونفوذ دولي، وبمعنى تكميلي فهي قانعة بوصولها الى مستوى من القدرة الفعلية على التأثير في الشؤون الدولية بما يوازي حجم مقوماتها، ومن ثم فهي لا ترى أي فجوة او عارض يحجب أو اصر الوصل بين استطاعتها وبين ما تتوخاه من اهداف، وتتسم سياسات هذه الدول واجنداتها الخارجية بالتماس مراد تكييف الأوضاع الدولية الراهنة والسعي في ادامتها تقديرا لمصالحها¹.

ب) دول ضعيفة وقانعة (powerless and satisfied state)

وهي فصيلة من الدول معطوبة التأثير الدولي، ومع ذلك فهي تقر بتناسب واتساق هذا الحد من التأثير مع ما تتمتع به طاقة الفعل وما تستحوذه من قوة، و بناءا على ذلك فهي لا تمتلك صلاحية تفخيم وتعظيم قدراتها داخل شبكية التفاعل الدولي باعتبارها في منأى عن تعريض امنها للانكشاف والتهديد، ما يجعلها تسلم بالأمر المفروض وترضخ بدون أي انفة او امتناع او احتجاج الاسياد الوضع الراهن وتنحني بإذعان وانقياد تامين امامهم².

2- سياسات مراجعة الوضع القائم

وردت في ادبيات العلاقات الدولية تعبيرات ومدلولات عدة تصب في ذات المضمون المقترن بالقوى التعديلية، فقد استعمل ادوارد هاليت كار (EDOUARD HALIT CARRE)، مصطلح الدول الراضية والدول غير الراضية، بينما اعتمد هانس مورغانتو مصطلح قوى الوضع القائم والقوى الامبريالية، فيما تحدث فريدريك شومان هو الاخر عن قوى متخمة وقوى غير متخمة. في حين يفرق هنري كيسنجر بين دول المحافظة والدول الثورية، اما جون ميرشايمر ساقنا في كتابه المعنون ب "ماساة القوى العظمى" (the tragedy of great power) الى حصر نزعة التعديل في القوى العظمى الميالة نحو تغيير او تعديل توازن القوة لصالحها سلما او حربا، زخم المشارب والنحل هذا يعزي الى فحص مصطلح القوى المراجعة " التعديلية " المشير الى تلك السياسات التي تنتهجها وحدات سياسية بصدد مراجعة او تغيير توزيعية القوة في النسق الدولي السائد تعبيرا عن رفضها واستنكارها للأوضاع

¹ - Davidson, Op.Cit. , Pp.40-47.

² - مالك عوني، تحدي الأحادية: القوى الإقليمية الصاعدة واتجاهات تطور هيكل القيادة الدولية، السياسة الدولية، م.50، ع.198 (نوفمبر 2014)، ص ص.12-16.

الدولية القائمة ، ومن ثم سلكها سبل التمرد والعناد الافتكالك مقاصدها ومبتغاها في تبوء المكانة المثلى و اللانقطة بحجم القوة والمقدرة التي بلغتها ، وقد تعرض المفهوم الى مزيد من التهذيب والتصويب النظري ، ليعبر عن توليفة من الدول الطامحة لتصدر مشهد التفاعلات الجيوسياسية القائمة في البيئة الاستراتيجية ، نظرا للإجحاف والضميم الممارس في حقها بما يحملها الى إحلال وضع جديد يراعي ويوائم مصالحها الجيواستراتيجية ، ولا غورة من ان يكسبها مساحة اكبر من التأثير والفاعلية¹.

واستنادا الى ما سبق فان سعة الأفق وغزارة المعرفة بالسياق الجيوبولتيكي ، تعزينا لوصف هذه السياسات بالطابع الهجومي من منطلق استراتيجي لكونها الذرع الواقي وصمام الأمان لقوى التصحيح ، ويدلي التاريخ بشواهد ماثلة عن تغيرات راديكالية وجدرية متلاحقة كرستها حروب الهيمنة الانتقالية الأكثر ضراوة ، التي افقدت الدولة المسيطرة سرجها القيادي لمصلحة قادم جديد سريع التنامي ، مكنت له حظوة الحصول على مصادر اكبر مما هي للدولة المهيمنة او اقل شيء تعادلها مأذونية المنافسة بعد ان ازدادت وتعاضمت قوته الى اقصى حد ممكن ، وفي غالب الامر تكون الدولة المتزمتة بالريادة الدولية ومؤيدوها غير أبين بمنح الوافد الجديد جزءا من المزايا التي يستمدونها من الوضع الراهن ; الامر الذي يثير حفيظة وسخط القوى الكبرى التي تسخر امكانياتها ومقدراتها الاثارة الاضطراب وزعزعة ثوابت النظام البائد² ، اذ توضح المؤشرات التصنيفية التي واكب اورغانسكي على وضعها الى فئتين او فيلقين من القوى التصحيحية سنقيدها في السطور التالية :

أ) دول قوية وغير قانعة (powerful and dissatisfied state)

وهي الوحدات السياسية الى تستشعر عدم تناسب وتساق صور التأثير الذي تباشره على الساحة الدولية مع حجم القوة المتاحة والمتوافرة لها ، اذ ينتابها استياء واستشاطة من التقزيم والتحجيم الذي املاه الوضع الحالي على نفوذها وسلطانها الصنديد ، ما يجعلها تتقدم بتهور ملهوف الى هدم البنيان القديم وترجيح كفة ميزانه الى صفها ما يؤهلها الى إعادة ترتيب تدرج سلم القوى الدولي خدمة لمصالحها واجنداتها ، غير ان طفرة هذا الصعود الاستراتيجي من شأنها تأليب خارطة

¹ - Tonny Brems Knudsen And Cornelia Navari, **Power Transition The Anarchical Society: Revising Power Institutional Change And The New World Order**, (Cambridge: Palgrave Macmillan, 2022), Pp.160-213.

² - Stephen G Brooks And William Wohlforth, **The Rise And Fall Of The Great Power In The Twenty –First Century: China Rise And The Fate Of America’s Global Position**, **International Security**, Vol.40, No.3 (Winter2015), Pp.16-62.

التوازنات الجيوسياسية العالمية ، توخيا للأهداف المسطرة التي ترتجىها نيات التعديل والمراجعة للقوى الصاعدة¹ .

(ب) دول ضعيفة وغير قانعة (powerless and dissatisfied)

هي تلك الوحدة الدولية الأضعف في بيئة التفاعل الاستراتيجي، والتي تنخرط بشكل مكثف في فضاءات التعاون والصراع الدولي تعظيما لمكاسبها وتجنباً لسيناريوهات التبعية؛ لتتحوّل من حيادية إلى مشاركة في شأنها الخارجي، وتستهدف هذه القوى توظيف هيكلتها وقوتها وقدرتها المحدودة لظفر بمكانة وازنة، ادعانا للقيادة الدولية الراهنة ، لتتخذ من التحولات الاستراتيجية مع القوى الكبرى المشاركة لها في الطموح التصحيحي ملاذاً آمناً يقيها ويعصمها من التهديد ويلبى نزعتها الثورية² .

3- مبررات تعديلية القوة في النظام الدولي

تزامنت وتبارت كتلة من الدوافع والمحركات في شحن ظهير القوى التعديلية وتزكية فاعلية أدوارها الاستراتيجية في بيئة التفاعلات الدولية سناتي على تعديدها – اقتباساً من روبرت غيبيلين فيما يلي:

✓ الدافع المجتمعي:

اذ تلعب الآليات الاجتماعية لتوزيع القوة والمنافع الداخلية دوراً تحفيزياً للدولة تدفعها بغتتها إلى السعي العاجل في تغيير النظام الدولي ، فالقوى المؤثرة في المجتمع لها دور محوري في توجيه سياسات الدولة إلى هذا المسعى ، شريطة موافقة مصالحها المنشودة ، كما لا يفوتنا التنويه على طابع الشخصية الاجتماعية التي تعزز من هذا الاتجاه ، اذ ان بعض المجتمعات لا يفوتها قطار انتهاز فرصة الاستجابة الانية للمكاسب التي تتيحها التغيرات الدولية ، فتحاول جاهدة ادخال اللبنة التغيير الموافقة لمنظورها ، في مقابل تعثر وتخلّف مجتمعات أخرى عن ادراك وحسن استغلالها ، عند منعرج هذه الزاوية يحيلنا غيبيلين إلى ما سبق استرصاده من قبل المنظرين الاجتماعيين على غرار مكيا فيلي ، مونتسكيو ، ابن خلدون ، في تحديدهم لتلك العلاقة القائمة بين التكوين الاجتماعي للدولة ونزعتها ، الميالة نحو التوسع ، كما تنبه ثيوسيديس إلى ضلوع عاملي الشخصية الوطنية والثقافة السياسية في

¹ - Rynn Jonathan, The **Power To Great Wealth: A System Based Theory Of Rise And Decline Of Great Powers**, (Phd Thesis , The City University Of New York 2013), Pp. 27-39.

² -Ibid ,Pp.41,42.

رسم محددات وابعاد السياسة الخارجية للدول ، حينما جعل من اختلاف شخصيتي الأثنين والإسبارطين وتباين تكوينهم وتنشئتهم الاجتماعية عاملا حاسما في الحروب النابليونية الضارية¹.

✓ الدافع الاقتصادي:

من الأشياء الداعية للفت الانتباه في تحليلات روبرت غلبين هي الإضافة الاقتصادية الجديدة التي اضفها للمنظور الواقعي في تحليل السياسة الدولية ، والتي تلعب في نظره دورا دامغا في تحديد اجندات السياسية الخارجية للدول ، فالقوة التي لطالما تغنى به طيف الواقعيين يستوجب ان يكون لها قاعدة اقتصادية عاتية ، اذ ان هاجس الدول في تحصيل اكبر قدر من مصادر القوة لا يحول دون أي حال من الأحوال بينها وبين ما تبتغيه من ثروة ، فأزلية الصراع تخبر عن تعاضدية وتلازمية القوة والموارد فهما وجهان لعملة واحدة ، لذا جسد التفاعل البيئي للإقتصاد والسياسة خاصية جوهرية من خصائص عملية التغيير السياسي الدولي ، فالرغبة الشامخة في نيل المكسب الاقتصادي توقظ شغف التغيير الدولي ، كما ان توزيع القوى بين الدول يشكل من دون نقاش محددات استراتيجية لنمطية النشاط الاقتصادي ، ليفشي في نهاية المطاف عن قالب صراعي لا فكاك منه بين تكديس القوة والرغبة الجامعة في الكسب الاقتصادي².

✓ نشوة التفوق والتقدير الاستراتيجي لتكاليف الربح والخسارة

لن تتهور أي دولة وتغامر بتغيير النظام الدولي مالم تتوخى ميزات نسبية على نظيرتها من الدول ، أي مالم ترسي ميزان القوى لصالحها ، حيث غالبا ما تقود بوصلة بحث عناصر التفوق الكثيرة الى القوة الاقتصادية الفائضة وابتكارات التكنولوجيا العسكرية المعزية الى شعور التفاخر والمباهاة ، والتي تستثمرها القوى الصاعدة في بنية النظام القائم لتفتك مكانتها المسلوبة متى سنحت لها الفرصة بذلك ، الا انها تترث وتتأني قبل ان تخطي أي خطوة - باعتبارها فاعلا عقلانيا - هوجاء بتزكية حسابات الربح والخسارة ، ومفاضلة التكلفة والمنفعة ما سيحذونها الى الاقدام على تبني سلوك تعديلي يعود لها بثمار طائلة بما يعني ربح صافي ، في مقابل ذلك تسعى "دول الستاتيكو" التي يخدم النظام الدولي الراهن مصالحها للمحافظة عليه ، الامر الذي يكبدها تكاليفا مرتفعة تتجاوز قدرتها

¹ -Alexander Wendt, Stefano Guzzini, Anna Leander, **Constructionism And International Relations**, (New York :Routledge, 2006), Pp.51-101.

² -Martin Wolf, **The Crisis Of Democratic Capitalism**, (London: Allen Lane, 2023), Pp.48-72.

على الدفع ، واستمرارها في تحمل هذه الأعباء قد يجبرها الى ازمة اقتصادية وبنوية حادة¹ ، وعلى هذا النحو تنكب القوى الصاعدة على تنمية قدراتها التي توقن أي ايقان بنجاحها في تغيير ملامح النظام الدولي بما يستهويها ، طالما ان المنافع التي ستجنمها تزيد اضعافا مضاعفة عن مقدار التكاليف المتصورة بشأن إحلال نظام دولي جديد ، لذا عادة ما تعمل القوى المسيطرة على ادخال تعديلات وتنقيحات املا في إعادة التوازن الى النظام المضطرب اما في حال فشلها ، فسيكون سبيل حل لبس انعدام التوازن عن طريق رعى الحرب مثلما أشار اليه الأستاذ " شيبارد كلاو " (CHIPBOARD KLOU) في مؤلفه " ظهور الحضارة وافولها "² .

✓ دافع هوان شرعية النظام القائم

اسهب هنري كيسنجر بكتاباتهِ الجزالة في اثراء هذه النقطة ، اذ أوما الى ان الدول التي لم يكن لها نصيب في لعب ادنى حد مكن من الأدوار الاستراتيجية في صياغة أسس النظام الدولي القائم ، سترنوا الى التشبث بنزعة التعديل والمراجعة وستتبني خطاب التغيير والثورة ، كما ستمضي بعزم وثبات الإحباط وتخيب كل محاولات وسياسات إضفاء الشرعية على النظام الدولي من قبل دول الستاتيكو ، تمهيدا لتقويضه وتبديل موازينه فيما يخدم مصالحها واستراتيجيتها ، في سياق متصل تحدث هورتي (hawtrey) عما يسميه بالهيبية محججا ان تراجعها وارتدادها بالنسبة لقوى النظام القائم سيدمي مقلة هذه الأخيرة وسيحملها ما لا طاقة لها به . ويراد بالهيبية تلك السمعة والوقار اللذان تظفر بهما الأمة، والتي على أساسها تعترف الدول الخاضعة والتابعة بسيادة وانفرادية القوة المهيمنة، بيد انه اذا ستشرى داء الرعونة في النظام الدولي سيؤول لا محالة الى الانهيار والانحلال، ومن ثم يخسف من دون سابق إنذار ، وعليه ستطلق قوى التعديل تحديها لمجاراة القوى العجوز التي خارت قواها ، ما سيأثر بدوره على منافسات القوى العالمية³ .

من خلال ما تقدم من أفكار تتضح العديد من المهمات المحيطة بعملية الصعود الاستراتيجي للقوى التعديلية في النظام الدولي ، والتي تسلك سلوكا تصادمية مع القوى العظمى ، للوصول الى موقع الصدارة في النظام العالمي ما يزيد من احتمالات الصراع التي تأخذ منحى تصاعديا حينما يبدأ

¹ - Rand Corporation، **Understanding Competition: Great Power Rivalry In Changing International Order – Concepts And Theories**، March 2022، Pp. 11-23.

² - Jonathan، Op.Cit، P.40.

³ -Henery Kissnger، **Leadership: Six Studies In The World Strategy**، (New York: Penguin Press، 2022)، Pp.132-151.

ميزان المقدرات بينهما في التغير والاختلال، وبالأخص اذ لم تستوعب القوة المهيمنة وحلفاؤها مصالح القوة التصحيحية ضمن النسق الموجود ، اذ تفترض الحسابات الاستراتيجية للقوى التعديلية منطلقا خاص للتفاعل في البيئة الدولية ، لا سيما ما يتصل بتوزيعية القوة وفعاليتها الإدراك وثبته انتقالية تنجدها اما في استمرار رغبتها بالحفاظ على النظام ما مكنتها من أداء أدوارها الاستراتيجية ، واما الهرولة الى الانتفاض على النظام المشيد والمعمّر طويلا والتي ترى فيه تهويلا لصعودها ، ففسيفساء الحوافز والفرص ووضعيات التكافؤ وعدم الرضى هي ما يشكل خطرا على استقرارية النظام الدولي ، ويعلي من صيت انتقال القوة بثنائها السلمية او الصلدة من محافظ قديم الى مارد جديد .

المطلب الثالث: استيعاب القوى التعديلية في النظام الدولي منعطف محورية الصراع وحيوية التوقيع .

ترتبط عملية الاستيعاب (accommodation) في النظام الدولي ، بمدى قدرة كل من القوة المسيطرة والمتحدي الصاعد على الوصول الى اتفاق ضمني حول كيفية تكييف النظام الدولي السائد مع التوزيع الجديد للقوة فيه ، فبمجرد تجاوز الدولة الصاعدة العتبة التي تمكنها من تحدي القوة المهيمنة على النظام ، تلج كلتاها الى منطقة الخلاف والاشتباك ، اين تشرعان في التفاوض على هرمية القوة وكذا المبادئ والقواعد المنظمة لعمل النظام الدولي ، كما يشير مفهوم الاستيعاب أيضا الى خلق " السلام المستدام " (sustained peace) او السلام العميق (deep peace) بين القوى الكبرى ، وهو اقرب الى السلام الساخن (warm peace) على حد وصف كينيث بولدينغ (Kenneth (boulding بمعنى السلام المؤسس على التعاون والطمأنينة المتبادلة ¹.

ضمن هذا السياق يعتقد " يون فون كونغ " ، بان صراع الأفكار والقناعات حول النظام الدولي هو احد الأسباب الملازمة لحروب الانتقال على غرار التحول النسبي في القوة بين الدولة المهيمنة والأخرى الصاعدة عند انصار نظرية تحول القوة ، وعليه ، فمتى اقتربت قوة المتحدي الصاعد من قوة الدولة المسيطرة على النظام او المهيمن الاقل ، كلما زادت توقعاتها بان افكارها حول كيفية تنظيم عمل النظام وسييره ستأخذ على محمل الجد ، وبالتالي ، فاذا كانت هذه الأفكار حول النظام تتعارض جوهريا مع مفاهيم القوة الآفلة ، إضافة الى كون كلاهما متعنّت وغير ابي بالتنازل ، فان السبب الملازم للحرب سيتحقق ، الامر الذي يزيد من احتمالية الصراع بينهما ، وعلى العكس تماما ، اذا تم التفاوض

¹ - Michelle Murray, **The Struggle For Recognition In International Relations: Status Revisionism And Rising Powers**, (Oxford: Oxford University Press, 2019) , Pp.81-141.

بنجاح على اتفاق ناشد حول مبادئ النظام فستختفي بواعث الحرب وستزداد فرص الانتقال السلمي للقوة ، من خلال التنازلات المتبادلة والاتفاق على حل المشاكل الجوهرية التي يطرحها نمو القوة التفاضلي بينهما ، وهذه التدابير تتوصل الى استيعاب بعضها البعض وتحقيق توافق سلمي¹.

وعلى الرغم من ندرتها ، الا ان الأمثلة التاريخية الاستيعاب القوى الصاعدة وإدارة الانتقال السلمي للقوة تشير الى وجود ظرفية معينة من شأنها تعزيز الانسجام وتمتين الروابط المشتركة، المفضية الى تناغم وتكامل المصالح والاهداف مما يساعد في التغلب على النزاعات الناتجة عن التغيرات في القوة النسبية ، إذ ينافح انصار الطرح الليبرالي بجدوى الاعتماد المتبادل (interdependence) كحافز للتفاوض والاتفاق على التغيرات في النظام الدولي وكألية وقائية للتغلب على المعضلة الأمنية ، كما يبشرون بداع ثان يسهم في نزوع الدول نحو الانتقالات المرنة والسلمية (affinity ، وهو اللفة ، المعبرة عن الاعتراف بالهوية المشتركة ، سواء كانت عرقية او تاريخية او أيديولوجية ، وبالتالي فهي ما يقود الى الفهم والقبول المشترك للنظام المنبثق عن التغير النسبي في القوة وقواعده ، وعلى سبيل المثال تعود سلمية الانتقال الفريد من الهيمنة البريطانية الى الامريكية لكون كلا النظامين يستندان الى حزمة انجلوسكسونية من الأفكار والقواعد النظامية ، كما قد يعود الامر الى ان الاختلافات المعيارية بين الأنظمة المتعاقبة قد خفت مع مرور الوقت نتيجة التقارب المفرض عن الضغوط النظامية².

يقوم استيعاب القوى الصاعدة ذات النزعة التعديلية وترويضها بدلا من استعدادها على متغير رئيس يقبع في قلب تحولات القوة ، الا وهو الاعتراف (recognition) الذي يأخذ شكل نموذج الاستجابة لما له من اثار رسوبية لديناميات التواصل بغية نيل المكانة والحظوة ، ومن دون الاعتراف ، ينظر الى تصرف القوة الصاعدة على انه سلوك غير شرعي وعمل خارج القواعد التي تحكم النظام الدولي ، وتعامل كممثل ادنى ، وليس عضوا كاملا الصلاحيات في نادي القوى الكبرى ، بناءا عليه تتكشف التفاعلات بين القوتين التعديلية والقائمة في اربع خطوات سيؤدي تكرارها لا محالة الى زعزعة ثوابت النظام الدولي نعرضها فيما يلي ;

¹ -Feng Yong Ping , The Peaceful Transition Of Power From United State To The Chinese , **Journal Of International Politics** ,Vol.7,No.1(Janvier 2016) ,Pp.14-27.

² - Arnold Toynbee , **A Study Of History : The Growth Of Civilization** , (Oxford : Oxford University Press,2007) , Pp.25-57.

- 1- لا تعتبر قوة الوضع القائم القوة الناهضة مؤهلة لنيل الحقوق والمسؤوليات التي تحدد دور هوية القوة الرئيسية في المجتمع الدولي ، خلافا لما تؤمن هذه الأخيرة بامتلاكه من قوة وهيبة ، ومن شأن هذا الانفصام ان يولد اشكالا من انعدام الامن الجماعي .
- 2- تجربة عدم الاحترام اذ يعتبر راينهارد وولف (rehan Woolf) ان عدم الاحترام هو انكار غير مبرر لتراتبية القوى التعديلية في هيرا ركية النظام الدولي ، فما ان تستشعر القوة الصاعدة ذلك حتى تنجح الإعلان مقاومتها للخضوع وتعمل بهمة عالية على تصحيح الوضع ، واذا حدث وفشلت محاولاتها الباسلة في التغيير ، فإنها تركز لتكيف مع موقفها الترتيبي الأدنى ، لتحضن في النهاية راية التبعية ، او قد تنتهج التزاما صارما بمطالبها مع إعادة صوغها ابتغاء لمرادها في اجبار القوى القائمة على تقبل ممارساتها الطموحة¹.
- 3- تقف القوة القائمة امام خياران لا ثالث لهما في الاستجابة لمطالب الاعتراف ، يتمثل الأول في تأكيد عضوية القوة الصاعدة من دون عوائق ، والنظر في طموحاتها بما يساهم في خدمة أغراض النظام الدولي ، حيث يذر إضفاء الشرعية على القوة والاعتراف المتبادل ، توقعات مستقرة بشأن المستقبل ، وبحسب توماس ليندلمان ، يبرز الاعتراف عندما يكون هناك " رابط هوية إيجابي " يقلل المسافة المعيارية بين الدولتين ، اذ تدفع الهوية المشتركة (اللغة ، العرق ، نوع النظام) الى ذرا وتلافي كل التوترات والأزمات الخلافية ، اما الخيار الثاني فيتمثل في استمرار انكار مطالب الاعتراف بالقوة الصاعدة ما يثير غضبها لتقدم على تصعيد المواجهة الى ما هو غير متوقع ، ولتتحول من قوة صاعدة تنادي بالعدالة والانصاف الى قوة متهورة وخطرة ، وهنا يبرز مسار " الأمنة " كرد فعل من قوى الوضع القائم ، التي تستشعر تهديدا وجوديا في القوى الناهضة ما يملي عليها تبني استجابة فورية وغير اعتيادية².
- 4- تؤدي الأمنة الى احتواء القوة الصاعدة التي ينظر اليها باعتبارها قوة عدوانية بالفطرة ، ولا يمكن التعامل معها الا من خلال الالتزام الثابت بسياسة الاحتواء والتقويض ، ونتيجة لذلك ستنقل الأمنة مسؤولية التعاون الى القوة الصاعدة التي ستضحي المهتم الأول بفشلها ، عقب تنصل القوة القائمة من دورها في انتاج هذه العلاقة المشوشة التي تجسد العودة الحقيقية الى جدلية هيجل في سيطرة السيد على العبد والاستمتاع بثمار عمله دون تكلف عناء المشقة ،

¹ -Randall L Schweller, Triopolarity And The Second World War, **International Studies Quarterly**, Vol.12, No .1 (March 1999) , Pp. 13-37.

² -Hedley Bull, **The Anarchical Society: A Study Of Order In World Politics**, (New York: Columbia University Press, 3rd Edition, 2004), Pp .19-63.

وعلى الرغم من ان تكلفة السلام بالنسبة الى القوة الصاعدة قد تتجسد في التخلي عن طموحها في ارتداء عباءة القوة الكبرى ، فان هي الاكزة مؤقتة ، فما يترتب عن الأمانة لا يكون الا دوامة من سوء الفهم وانعدام الامن الذي يأخذ شكلين هما : انعدام الامن الجماعي نتيجة خبرات عدم الاعتراف ، وانعدام الامن المادي المرصود في سباق التسلح¹ .

ولعل من المفيد ان القوى التعديلية تعي تمام الوعي ان قوة الوضع الراهن هي بمنزلة حارس بوابة نادى القوى الكبرى ، وحرصا على تحصيل الاعتراف بهويتها وكيانيتها تنصرف الى النضال المستميت حتى تبلغ يقين ما تستشرفه من اهداف ومنافع ، وافترضا لذلك تعتمد القوى المراجعة ثلاث اشكال من ممارسات القوة ; ترقبا لنيل وجني الاعتراف من القوى المهيمنة :

➤ **صوت القوة العظمى:** تؤدي القوة العظمى بحسب هيدلي بول ، دورا محوريا في تحديد القضايا التي تؤثر في الامن الدولي وسلامة النظام ككل وتعمل على تحديد شروط الحفاظ على النظام الدولي ، وتفترض ان امنها لا يعتمد على الهيكل الدولي فحسب ، بل هو قادر أيضا على التأثير فيه ، وقد يكون صوت القوى العظمى رسميا (في المؤتمرات الدولية ومؤتمرات القمة) ، او غير رسمي (الروابط الشخصية بين القادة) ، وعلى حد تعبير راينهارد وولف Rihand Woolf ، كسب الاحترام و " نيل الاعتبار الكافي " هو مؤشر مهم على الاعتراف ، ستعامل بموجبه القوة الصاعدة باعتبارها عضوا متساويا في مجمع القوى الكبرى ، اذ ينبغي للقوة الناشئة التحلي بصفات صوت القوة العظمى والانخراط بشكل نافذ في حل الازمات الدولية وتسويتها² .

➤ **قدرات عسكرية مثالية:** تنجلي السمة الأبرز للقوى الكبرى في القدرة على التدخل سياسيا ومتابعة المصالح العالمية ، كما تكون لها قدرة الابتكار والتميز في التكنولوجيا ، وتشكل الالة الحربية اعنى قوة تستأنس بها نظرا لصيتها الذائع وزخمها المنتشر ، وهذا ما يطرح تعريفا متفردا للقوة العسكرية المثالية باعتبارها شكلا من اشكال القوة التي تواظب القوى التعديلية على امتلاكها حصريا ، وحرى بنا استحضار بعض الأمثلة الحية التي تعبر عنها مرئية برامج التسليح وميزانيات التعتيد الضخمة المخصصة لتطوير الذرع العسكري وتجديد الترسانة

¹ -Johan Baylis , **International Relations And Global Security In The Post – Cold War Era** , (Oxford : Oxford University Press , 2004) , Pp.120-136.

² - Nicholas Onuf , **World Of Our Making** ,(Columbia : University Of South Carolina Press ,1995) , Pp.7-15.

النووية ، التي خطت فيها الصين وروسيا خطوات متقدمة تجاوزا لكل ضعف قد يربب قوتها او يفشل مخططاتها الاستراتيجية¹.

➤ مناطق النفوذ: قد تكون الامبريالية أكثر أشكال النفوذ استهلاكاً ، وهي ممارسة سيطرة سياسية جزئية او كلية على ملكية استعمارية ، غير ان الاعتراف غير المتماثل قد يجر القوى الصاعدة الى مستنقع وهمي ، وثبات هذا النوع من الاعتراف سيضيف الطابع المؤسسي على العلاقات الهرمية ، ففي مناقشات مايكل بارنت وريموند دوفال Michel brunette and Raymond (Duvall) حجاج الأخيرين على كون الهيكل الاجتماعي للنسق الدولي لا يعتمد حصرياً على الفاعلين وقدراتهم ، بل أيضاً في فهم الذات والمصالح التي تسحبهم على غفلة منها لقبول أداء دور ثانوي ، لكن أحيانا قد تتعنت القوة الصاعدة امام عدم اعتراف القوة القائمة بقدرتها ووزنها الجيوسياسي ما يهدد في المقابل بزعة الاستقرار الدولي².

ومن جهة أخرى ، يفصح ادوارد هالت كار (EDWARD HALLET CARR) عن وجود امرين ضروريين في جعل الاستيعاب ناجحاً ، الأول يكمن في كون الدولة المتحدية للوضع الراهن قادرة على التأثير في الدول المسيطرة على النظام عبر اليقي الضغط والتهديد ، نظرا الان هذه الأخيرة ستتخلف عن إيجاد حافز محرك الادخال تغييرات على الوضع القائم مالم تتكلف القوى الصاعدة بذلك ، اما الثاني فمادام ان الجدوى والمنفعة مردها ومرجئها الى "قوى الستاتيكو" ، فان عليها التزامات أخلاقية بتقديم تنازلات معتبرة لتحقيق تسوية ناجحة ، وهنا استدل كار على ان سياسات الاسترضاء ستعيد الانسجام والتوافق مرة أخرى لمكونات النظام الدولي ، الا ان هذه الأخيرة ادلت بدلو فشلها في ثلاثينيات القرن الماضي ، حيث ابى البريطانيون والفرنسيون آنذاك الاكتراث بإيجاد دافع لتقديم تنازلات ضرورية تلبية لمطالب المانيا المشروعة ، وعندما بات بوسعها فرض مطالبها ، لم تعد التنازلات الاغرائية التي عرضتها قوى الوضع الراهن كافية للإيفاء بالغرض واعتبرت علامة على الضعف لا عملا ينم عن الكرم

³.

¹ - Hedley Bull , **The Control Of The Arms Race : Disarmament And Arms Control In The Missile Age** , (New York , Praeger, 4ème Edition , 1989), Pp.46,47.

² - Michel Brunette, Raymond Duvall, **The Dividing Discipline: Hegemony And Diversity In International Theory**, (Boston : Allen Unwin , 2006), Pp.25-30.

³ - Edward Hallet Carr, **The Twenty Years Crisis 1919-1939**, (New York: Papermac, 1981), Pp.183-217.

على صعيد آخر ، وكما اسلفنا الذكر ، فالاستيعاب لا يعتمد فقط على ظهور نظام دولي مقبول من الطرفين ، ولكن أيضا على مدى شرعية هذا النظام ، وتنبثق الشرعية متى اتفقت القوة السائدة والمتحدي الصاعد ليس فقط على قضايا الهرمية ومجموعة القواعد الأساسية المؤطرة لسلوكيات سياساتها الخارجية ، ولكن أيضا على مجموعة من المبادئ المعيارية الأكثر عمقا ، وهو ما جادل عنه " كريستيان روزمت " (Christian reus – smit) ، في معرض حديثه عن علاقة الشرعية بالقوة وتحولاتها في الأنظمة الدولية معتقدا ان الشرعية ليست شيئا مميزا عن القوة ، بل انها واحدة من المصادر الحيوية للقوة ، واذا كانت القوة تشكل طبيعة وتطور الأنظمة الدولية ، فان سياسة الشرعية تتضح بشكل بارز في بناء هذه الأنظمة وصيانتها وكذا انهيارها¹ .

من الجانب العملي ، وفي ظل تنامي السخط الدولي على السياسات الامريكية وتآكل الشغف العالمي لتبني القيم الامريكية والانغماس في الحلم الأمريكي ، بزغ فجر قوى صاعدة تعاضد اقتصادها وتضاعف معدل تطورها العلمي والتكنولوجي ، ما حرك دوائر صناعة القرار في البيت الأبيض التي نددت بان استخدام القوة الناعمة وتوخي الهيمنة الرضائية ، اللتين من خلالهما يمكن إطالة امد الهيمنة الامريكية على العالم لن يتأتى قبل ان تتخذ واشنطن خطوة جريئة ومهمة تتمثل في التخلي عن سياسة استعداد القوى الدولية القائمة او الصاعدة لا سيما المنافسة منها كروسيا والصين ، بما يساعد على تجنب خلق جيئات للصراع لا داعي لها مع تلك القوى على نحو يستنزف الولايات المتحدة الامريكية ، وينال من قدرتها على الاحتفاظ بريادتها للعالم كما يقلص من فرص إطالة زمن هيمنتها عليه² .

ولما كانت الدوائر الأمنية والاستخباراتية الامريكية قد عمدت منذ انهيار الاتحاد السوفياتي السابق ، الى البحث عن عدو بديل توجه اليه الولايات المتحدة طاقاتها الصراعية وادواتها القتالية التي كانت مصوبة تجاه ذلك العدو البائد فيما غدت معطلة وعديمة القيمة بعد ذلك ، فقد وجهت شيئا من اهتمامها واتهاماتها ناحية العالم الإسلامي فيما خصت الصين بنصيب الأسد من هذين الامرين ، حتى صارت الصين في نظر الرأي العام الأمريكي هي العدو الجديد البديل او ما سعى بالخطر الأصفر ، الذي بات يحل محل الخطر الأحمر الشيوعي السوفياتي ، بل الادهى من ذلك ان اجنحة مهمة داخل دوائر صنع القرار طفقت تتعاطى مع الصين بوصفها التهديد الأول والاكبر للحضارة الامريكية ولهيمنة

¹ -Byoung Won Min, Understanding International Hegemony And Legitimacy: A Complex Systems Approach, **Journal Of International Area Studies**, Vol. 10, No.1 (September 2003), Pp.21-40.

² - Douglas E Schon , Melik Kaylan , **Return To Winter Russia China And The New Cold War Against America** , (New York : Encounter Books ,2015) , Pp .70-92.

واشنطن على العالم خلال الحقبة المقبلة ، الامر الذي كان له بالغ الأثر على العلاقات الامريكية الصينية ، حيث هوى بها الى مستنقع موحش من انعدام الثقة وسوء الفهم المتبادلين ، وقد سبق وان حذر مسؤولون وخبراء امريكيون عديدون من خطورة ذلك النهج الاستعدادي الأمريكي للصين ومن تداعياته السلبية على السياسة الخارجية والمصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة الامريكية ، وطالبوا الإدارة الامريكية بضرورة العمل على مد جسور التفاهم والتنسيق مع الصين وترويضها ؛ بغية ترشيد توجهاتها العالمية والإقليمية وتقنين تطلعاتها الاستراتيجية على النحو الذي يضخم مكاسب الولايات المتحدة ويحمي مصالحها ومشاريعها في القارة الاسيوية ويقلص مخزونها الهائل من الوجود العسكري والكلفة الاقتصادية في المنطقة وعبر المحيط الهادئ ، كما يتطلب الامر من واشنطن تجنب استفزاز الصين من خلال التقارب مع خصومها و مناوئتها ، او عبر دعم تايوان وبدلاً من ذلك حري بها تشجيع التفاعل بين بكين وتايبيه مع تأكيد التزامها بالسيادة الصينية وقطع كل العلاقات العسكرية مع تايوان والإصرار على التزام الجزيرة بسياسة الصين الواحدة¹.

وضبط لنفس يناط من واشنطن المثل الى التخفيف من الصراعات السياسية التي تقوض الاستقرار الاستراتيجي مع غريمها الروسية ، عبر سلكها سبل التنازل عن " دائرة النفوذ " التي يطالب بها بوتين ، وذلك على سبيل المثال من خلال الحد من نشاطات الترويج للديموقراطية في فضاء الاتحاد السوفياتي المتصدع ، مع الامتثال الى غلق الباب في وجه توسيع إضافي لمنظمة حلف شمال الأطلسي NATO ، والاتحاد الأوروبي في المنطقة ، وقد يوشى ترتيب من هذا النوع الى روسيا ان الولايات المتحدة الامريكية لا تمتلك النية لتغيير النظام في موسكو ، مما قد يحسن ويلطف العلاقات الامريكية الروسية ويحد من خطر نشوء صراع عسكري في المناطق المتنازع عليها على غرار أوكرانيا او دول البلطيق .وعليه فان الولايات المتحدة الامريكية وباعتبارها دولة وضع قائم وجدت نفسها اما مطرقة وسندان القوى الصاعدة المشحونة بنزعة التعديل والتغيير ما عزی بها الى ترويض هذه الأخيرة واستيعابها لتأني بنفسها من امتعاض وسخط هذه القوى المتحدية والمنادية بنظام دولي جديد يكون لها فيه نصيب يوازي ما تمتلكه من قوة ونفوذ استراتيجي².

¹ -Johan J Mearsheimer , The Gathering Strom China's Challenge To United State Power In Asia , **The Chinese Journal Of International Politics** , Vol .3 , No .10(Novembre 2010) , Pp.381-396.

² - Keir Giles, **Moscow Rules: What Drives Russia To Confront The West**, (London: Chatham House, 2019), Pp.129-167.

من خلال ما تقدم عرضه في هذا الجزء من البحث ، يمكن القول بان التفاوض الناجح بين القوة المترسخة في النظام الدولي والقوة الصاعدة هو مفتاح عملية الاستيعاب التي تمثل بديلا عن الاحتواء والمواجهة ، فالقوى العظمى بإمكانها حل المشاكل الجوهرية التي يطرحها نمو القوة التفاضلي بينها، والتوصل الى منتهى استيعاب بعضها البعض وتحقيق توافق سلمي ، خصوصا في ظل وجود بنىات مؤسسية دولية مرنة بما يكفي للتكيف مع صعود وافول القوى الكبرى ، فكلما كانت هذه البنىات المؤسسية اكثر شمولا واتساعا ، وكان النظام الدولي اكثر استيعابا لزيادة أعضائه وحدوده ، كلما ازدادت احتمالات استيعاب مكانة القوى الصاعدة ، دون ان نغفل أهمية عامل الشرعية الحاسم في مسارات انتقال القوة ضمن الأنظمة الدولية .

المبحث الثالث: الأطر النظرية والمقاربات الاستراتيجية المفسرة لتفاعلات البيئة الدولية

تشكل علاقة التناوب الطردي ببعديها الموجب والسالب بين النظام الدولي على مدى مراحل مختلفة والقوى الكبرى في مختلف تجلياتها ، جدلية واسعة البحث واحدى اهم بوابات فهم العلاقات الدولية في المرحلة المعاصرة ، فقد فتحت هذه العلاقة مجالا واسعا للتنظير والبحث في كنف النظام الدولي والقوى الكبرى بشكل كبير ، وقد تناوبت علاقة التأثير والتأثر والتغذية العكسية المزدوجة بين النظام الدولي والقوى الكبرى بحسب كل مرحلة وكانت هذه العلاقة هي البانية الرئيسية لموازين القوى في مراحل عديدة ، فلما كانت الحاجة ملحة لأن يكون النظام الدولي هو المعيار الأساس لتصنيف القوى الكبرى في العالم ، صار لدينا نظاما دوليا مستقرا واضح المعالم من حيث التشكيل النظفي في ابعاده الهيكلية المختلفة ، أي أنّ النظام الدولي هو من أرسى مفهوم ونوعية الهيكلية على الدول وفرض إيقاع حركتها خشية اختلال التوازن او انفراط حالة دولية معينة ، بينما يمكن ان يحدث العكس تماما أحيانا حينما تصبح القوى الكبرى صاحبة النية التعديلية في ذروتها القوية فتغذي هي النظام وتمنحه هيكلته .

لذلك يعد الربط بين ما هو كائن وما يجب ان يكون بالنسبة لاستراتيجيات القوى الكبرى على نطاق المسرح الجيوسياسي العالمي من المتلازمات الذهنية التي لا تكاد تنفك عن مدركات المفكرين الاستراتيجيين ، وهو ما مثل المفتاح الرئيس للولوج نحو فهم آليات عمل النظام الدولي وطبيعة الاشتباك الحاصل بينه وبين القوى الناشئة التي كشف الزخم التنظيري عبر تفسيرات مقنعة ومدعمة امبريقيا عن مسألة نزوعها الى مراجعة وتعديل الوضع القائم ، وتجاوبا مع هذه المستجدات شكلت الانتقالية القوية الجديدة سبقا مفاهيميا ونظريا اقتضت معه الضرورات المنهجية والعملية التطبيقية ، طرح مسوغات إعادة انتاج نظريات جديدة تستطيع تحليل وقياس البيئة الدولية والمسرح الجيوسياسي العالمي الذي اصابته عدوى التوسع والانتشار مع التنوع والتخصص بعيد انتفاء معترك التصادم البارد.

بين اسدال الستار على نظام دولي وافتتاح نظام دولي اخر لا يزال الطور التنظيري المستقبلي لحالة الفوضوية والقطبية وتحولات القوة المحمومة بآليات الصعود وبناء الذات وعوامل الانهيار و التهاوي ، قيد التطوير في مختبرات التنظير ومراكز التفكير التي تنشأ رصد صورة توضيحية لتفاعلات البيئة الدولية المتشابكة التي يتعذر ضبط طرفيها نتيجة الانسيابية وتعقيداتها اللاخطية ، وهو ما

سنحاول استعراضه من خلال هذا المبحث محاجة بأهم المقاربات النظرية والبناءات المعرفية المفسرة لقضايا الاستراتيجية العالمية التي يستعصى الخوض في مبناها ، في هذا السياق نقتبس قول الباحثين " جيمس دورتي وروبرت بالاستغراف " في كتاب النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية " ان التوصل لحل دائم لقضايا الصراع والحرب ليست اقل من العثور على علاج لمرض السرطان " ، هذا وان دل على شيء يدل على تعقيد علم العلاقات الدولية وظواهره المتعددة ، فالتنظير يجعل المتتبع لأية ظاهرة كانت في مجال مؤطر علميا يستطيع من خلاله الفهم والتحليل والتفسير ، كما يزود العقل البشري بالقدرة على امكانية ايجاد مقاربات جديدة لحقب زمنية معاصرة.

المطلب الأول: حوارات التنظير الكبرى في السياسة الدولية جدلية حدود التفسير والتنبؤ

كان انتقاؤنا للاتجاهات النظرية محل الدراسة والبحث ، نابعا من مدى تأثرها بالتحولات الدولية التي افرزتها فترة ما بعد الحرب الباردة سلبا او إيجابا ، والتي ظهرت كمرآة عاكسة لتحولات البنية الدولية وما صاحبها من اختلالات طردية في ميزان القوى الدولي الذي اغشت القوى التعديلية نواصيه ، حيث نشد الواقعيون البنيويون وأبناء عمومته من الواقعيين الكلاسيكيون الجدد على الفرص المتاحة ، امام القوى الصاعدة لمضاعفة نفوذها الدولي ، في مضمار مغاير أشاد عقلاء الرأي الليبرالي على جنوح القوى الكبرى الى استخدام المؤسسات الدولية لتحقيق أهدافها مطلقة عنان المنافسة الاقتصادية والامتيازات الاستراتيجية داخل الحكومة العالمية ، اما البنائيين فقد اثاروا احجية إمبريقية مردها تحولات توزيعية القوة في كنف الفوضوية الدولية التي نسجت علاقة بين النضال من اجل الاعتراف وتشكيل الهوية التي تحكمها أنماط متميزة من الصراع والتعاون .

أولا: المنظور الواقعي

خلال العقدين الماضيين ، أفرزت مجموعة من التطورات في السياسة الدولية عن تزايد الاهتمام بما أصبح يعرف بـ: "عودة الأدوار الاستراتيجية للقوى التعديلية في الجغرافيا السياسية" ، بعد ان دفعت نهاية الحرب الباردة الى الاعتقاد بنهايتها ، اذ يعد مفهوم " الدولة المراجعة" مفهوما جوهريا في المدرسة الواقعية ، ويشكل الى جانب مفهوم "الدولة المحافظة على الوضع الراهن" ، أساسا للانقسام بين مقاربتين رئيسيتين داخل هذه المدرسة ، الواقعية الهجومية والدفاعية ، يرجع التمييز بين المفهومين الى هانس مورغانثو منتصف القرن الماضي ، حيث ميّز بين الدول التي تسعى الى زيادة قوتها على ما هي عليه من خلال العمل على تغيير نمط علاقات القوة القائمة في النظام الدولي "الدول الامبريالية" ، والدول التي تسعى للمحافظة على قوتها ولا تميل نحو التأثير في نمط توزيع القوة القائم لصالحها "الدول المحافظة"¹.

لا يتوقف الامر عند فحص مقولات الواقعية الهجومية ، لكنه يتعداها بالعودة الى الواقعية البنيوية التي طورها كينيث والتز منذ خمسينيات القرن الماضي ، يميز والتزين نوعين من نظريات السياسة الدولية ، النظريات الاختزالية التي تختزل أسباب سلوك الدول في المستوى الأول والثاني

¹ -Stephen Walt, International Relations: One World, Many Theories, **Foreign Policy**, No .110(January 1998), Pp. 37, 38.

للتحليل (الفرد والدولة) ، والنظريات النظامية التي تضيف الى ذلك مستوى ثالثا للتحليل ، هو بنية النظام الدولي ، اذ يميز والتر بين شكلين أساسيين لبنية هذا الأخير ، النظام الهرمي الهرمي الهيراركي /والنظام الفوضوي الأناركي ، وفي الوقت الذي تأخذ فيه النظم الداخلية شكلا هرميا حيث تتركز السلطة في يد الأجهزة المركزية للدولة نجد أن النظم الدولية تأخذ شكلا فوضويا حيث ينتفى وجود سلطة مركزية عليا شبيهة بتلك التي تميز النظم الداخلية ، وهو ما جعل السياسة الدولية في الأساس تفاعلا بين الدول "في غياب حكومة عالمية" مركزية تتولى سن القوانين وفرضها على غرار السياسة الداخلية ، فيما تترتب عن فوضوية النظام الدولي مجموعة من الآثار المحددة لسلوكيات الدول ، ترتبط هذه الآثار بمفهومين أساسيين في الأدبيات الواقعية ، معضلة اللامن (security dilemma) والاعتماد على النفس (help self)،¹ حيث تشعر الدولة باستمرار أن أمنها مهدد من قبل الآخرين ، وفي ظل غياب سلطة مركزية يذعن لها الجميع تجد الدولة نفسها في حالة تأهب وترقب مستمر لأي تهديد محتمل قد يترص بأمنها ، فحالة الشك وعدم الثقة الدائمين حيال الاستعدادات العسكرية للدول الأخرى ؛ من شأنها ان تؤدي بالدول مجتمعة الى دوامة من الفعل ورد الفعل ، حيث يولد الشعور بالأمن من احتمالات الحرب ودوامة العنف².

وساجل جون ميرشايمر رائد الواقعية الهجومية ، بأن الدول حتى في حالة انخراطها في ترتيبات للحد من انتشار الأسلحة مثلا ، ستبقى دائما تتخوف من قيام الأطراف الأخرى بالتنصل منها والقيام بتحقيق سبق عليها ، في هذه الحالة تعيش الدولة مثقلة بأعباء ذاتانية امنها وتقوم الواقعية الهجومية على مجموعة من الاسانيد ، منها فوضوية البنية الدولية ، حيث يكتسي البقاء أهمية قصوى ، وتعتبر القوة النسبية المكسب الأهم للدولة من القوة المطلقة ، فالدولة لا تسعى لامتلاك القوة لأجل القوة في حد ذاتها ، ولكن ترمي من وراء ذلك منافسة الدول الأخرى المناوئة لها ، مع الحرص الشديد على ردعها ونكوصها عن تفخيم قوتها بالقدر الذي يجعلها تعادلها او تعلوها ومكانة ، ضف الى ذلك تحمل فوضوية النظام الدولي في جيوبها الاحتمال الوارد بشكل ملح حول ظهور دول مراجعة - على نحو مفاجئ - للوضع القائم ، وهو ما يزيد من دافعية الدول الى السعي الدؤوب والمستمر لتعظيم قوتها النسبية ، ويفترض الواقعيون الهجوميون بجأش ان الدول المحافظة على الوضع القائم نادرة في السياسة الدولية ، لأنه من شأن الفوضى خلق حافزية صلبة للدول في بحث فرص ومواطن زيادة

¹ -James Dougherty, Robert Pfltzraff, **Contending Theories Of International Relation**, (New York: Longman, 2001), Pp.90, 91.

² - **Ibid**, P.93.

قوتها على حساب خصومها ، لذا يبقى المبتغى الاسمي للدول في الوصول لهيئة الدولة المهيمنة على النظام الدولي¹.

دون تفويت سابقة الذكر؛ لا بد من الإشارة الى أن مراجعة النظام يتضمن إعادة النظر في المؤسسات والمعايير الضابطة لسلوك الدول المشكلة له ، مع التنكر لها والتملص من ضوابطها المعارضة للمصلحة الوطنية ، ووفق دعاة هذا الطرح لا ترتبط النزعة لمراجعة النظام الدولي بالنوايا فحسب ، لكنها ترتبط كذلك بالأفعال ، لذلك فإن الدولة لا تعتبر مراجعة للنظام الدولي إلا اذا كان سلوكها الخارجي موحى بذلك ، وهذا تقليد عريق لدى الواقعيين يعود الى تمييزهم بين القدرات والنوايا ، كما ان نمط توزيع القوة في النظام الدولي ينبغي ان يقاس بنمط توزيع القدرات العسكرية النسبية ، والتي ترتبط بدورها بشكل حاسم بالعوامل الجيوسياسية ، من جهة أخرى ، ينبغي الانتباه كذلك للسلوك الخارجي الذي يستدل به على تحول الدولة الى دولة مراجعة لا يرتبط استثناء بالأفعال المادية ، لكنه يرتبط كذلك بالأفعال الخطابية التي تسعى من خلالها الى تقديم خطاب يقوم على الشجب والغيظ إزاء الوضع الراهن والدعوة الى التغيير الثوري².

انسجاما مع ما طرح من مسلمات قيدت النزعة المراجعة والتعديلية في السجل المدني للمسائل السياسية المغتربة عن سرب المعيارية ، فغالبا ما ينظر الى الوضع القائم على انه مرادف للاستقرار ، لذلك فان أي مساع لمراجعته ستعتبر محاولة لزعة الاستقرار ، وهو امر غير مرغوب فيه من قبل الأطراف التي تشعر ان مصالحها تتناغم وتتماشى طرديا مع بقاء الوضع القائم وديمومته ، سواء كانت مهيمنة او مسيطرة للدولة المهيمنة ، بينما يفترض ان الأطراف التي تشعر بعدم الرضى حيال الوضع القائم ، ستساند الدعوة لمراجعته حتى وان كانت غير مؤهلة للانخراط بشكل مباشر وفعال في هذه الحركة ، وابرزا للطابع المعياري للخطاب السائد حول النزعة التصحيحية في النظام الدولي ، يمكن الالتفات الى كيفية تقديم القوى التعديلية على انها قوى شريرة / مجازفة / مارقة / غير عقلانية ، نظر الإقدامها المندفع على استخدام قبضة القوة في تجاوز المعايير السائدة ، بينما يسود الصمت الواجم تجاه حقيقة المعايير السائدة ، التي رسختها القوة في سياق تاريخي سابق مختلف عن السياق الحالي

¹ - Glenn Snyder, Mearsheimer's World –Offensive Realism And The Struggle For Security, **International Security**, Vol.27, No.1 (December 2002), Pp.152-158.

² -Jeffery Taliaferro, Security Seeking Under Anarchy, **International Security**, Vol.25, No.3 ,(October 2000), Pp. 128-136.

،ومن البديهي ان تكدح القوى الصاعدة الى المراجعة والموازنة طالما ان نمط توزيع القوة انقلب الى صالحها¹.

بشكل عام، يحظى موضوع سلوك القوى الصاعدة باهتمام واسع من قبل انصار احدث اتجاه فكري ضمن المقرب الواقعي، حيث يفترض الواقعيون الكلاسيكيون الجدد ان تزايد القوة المادية سوف يقود في نهاية المطاف الى توسع في أنشطة واهداف السياسة الخارجية لهذه الدول، فالقوى الكبرى الصاعدة ماهي الا قوى تعديلية تسعى لتأثير سياسي اكبر على الصعيد العالمي، يكون في نفس مستوى قدراتها الجديدة، توسيعا لمصالحها واحكاما لنفوذ خصومها ومنافسها المحتملين².

افضت سجلات البحث داخل جعبة المنظور الواقعي الى الحاجة بان صعود الصين وعودة روسيا وما ينتج عنه من انتقال للقوة، سوف يخلق صراع قوى عظمى حول إمكانية هيكلة النظام الدولي، مستبشرين باحتمالات ظهور التعددية القطبية، ويشكل الاستقطاب احد المحددات القوية لنشاط القوى العظمى، فمصالح هذه الأخيرة مشروطة بالجغرافيا السياسية وانماط امتلاك الأسلحة التي يمكن ان تشكل متغيرات قوية، اذ يبعث المحور الصيني-الروسي على المزيد من القلق والريبة، ليس فقط لمجرد احكامه عن قبول المؤسسات وتقسيمات الحدود ومناطق النفوذ والتسلسل الهرمي للمكانة السياسية التي جرى ارساءها في عهد مضى اتسم فيه موضعه بالضعف النسبي، بل الان هدفه مسدى بإحكام الى مرمى اسقاط نظام انفرادية الهيمنة الامريكية، مؤسسا لترتيبات جديدة تعكس بشكل دقيق تصورات الاستراتيجية حيال هيكلة البنية الدولية.

ثانيا: المنظور الليبرالي

شكلت الرؤية الليبرالية الإطار التفسيري الثاني لصعود القوى التعديلية في النظام الدولي، مسلمتا ان هذه الأخيرة شأنها شأن القوى الأخرى تندفع الى انتهاج سياسة عقلانية هدفها الأساسي تحقيق الرفاهية والتركيز على معالجة المسائل الداخلية، وفي هذا السياق يشدد انصار هذا الاتجاه على أهمية المطالب المطلقة التي تجنبها القوى الصاعدة من تفاعلاتها وعلاقاتها الاقتصادية مع الدول الأخرى، بالشكل الذي يجعلها تحجم عن انتهاج سياسة عدوانية خشية ضياع هذه المكاسب، وفي

¹ - Paul Viotti And Mqrk Kauppi, **International Relations Theory: Realism, Pluralism, Globalism**, (United State: Allyn Bacon, 2011), Pp .78, 79.

² - Steven L. Lamy ,**Contemporary Mainstream Approach : Neorealism And Neoliberalism** , (Oxford : Oxford University Press , 3rd Edition , 2008) ,Pp.111,112.

عصر المؤسسة الدولية والاعتماد المتبادل سيكون انتهاج القوى الصاعدة لمسار ثوري شامل أمرا مستبعدا¹.

وعلى ضوء التحولات البنيوية التي مست السياسة العالمية ما بعد عام 1991، ونجاح المؤسسات الاندماجية على غرار "الاتحاد الأوروبي" والأمنية "حلف الناتو"، ناهيك عن تنامي الأدوار الاستراتيجية للصين وروسيا كقوى معدلة في النظام الدولي، أكد التحليل الليبرالي المؤسساتي "البنيوي" على تعدد مصادر القوة الموزعة على الأطراف الفاعلة الجديدة في النظام الدولي، إذ ترتبط الليبرالية المؤسسية بنظام دولي يتوفر فيه شرطين أساسيين أولهما وجوب توفر مصالح متبادلة بين الفاعلين من الدول وغيرها من الوحدات نتيجة لعملية التعاون، ثانيهما أن يكون التغيير في درجة المؤسسة يمارس تأثيرا قويا على سلوك الدول²، وهو ما تنشده اليوم الصين وروسيا في إطار منظومة البريكس وشنغهاي سعيا لمحو طور الأحادية القطبية.

تحمل هذه الرؤية التحليلية اقرارا بالفوضوية الدولية مع وجود إمكانية التكامل الدولي واستبعاد فكرة تعظيم القوة والحرب من خلال طرحها لمفهوم "فكرة السلام الديمقراطي"، بما يتضمنه من التزام بالديمقراطية وحقوق الإنسان، ويرى دويل w . doyle أن الدول الديمقراطية لا تميل لمحاربة بعضها بقدر ميلها للسلم، ويشير "جوزيف ناي JOSEPH NEY" بدوره إلى أن حالة الاعتماد المتبادل خلقت مزيدا من التعاون السلمي وانسجام المصالح بين الفاعلين، لتحول فكرة القوة باتجاه متغير المعلومات - القوة الناعمة -، إذ يشير إلى أن هذه الأخيرة هي الوجه الآخر للقوة حيث من المهم أن تحوز القوى التي تضطلع بمركز القوة العظمى في سياستها الدولية لأجندة تجذب الفاعلين الآخرين دون التلويح بالقوة العسكرية وهو ما زكته الصين في سياستها الخارجية، فهي لا تدعو إلى التدخل، ولا تنتهك سيادة أي دولة، وتناشد بالتسوية السلمية للنزاعات الدولية وتنادي بتطبيق قواعد القانون الدولي ومبادئ الأمم المتحدة وتقف ضد أي عمل عدواني، وتسعى إلى شراكة اقتصادية تقوم على مكسب مشترك winner - winner، أما روسيا فقد كثفت جهودها في محاولات تغيير نظام أحادي

¹ - Robert O. Keohane And Others , Correspondence Back To The Future Of International Relations Theory And Post – Cold War , **International Security** , Vol.15 ,No. 2,(January 1990), P.193.

² - Duncan Bell, What Is Liberalism?, **Political Theory** , Vol .42 , No. 6 (December 2014),Pp. 675-715

القطبية ، وإعادة رسم علاقاتها الاقتصادية والتجارية ، وبناء تحالفات جيواستراتيجية جديدة ترسيخا لدورها الفعال في انماء التعاون الدولي واستدامته¹ .

تجنح الصين وروسيا اليوم الى استخدام المؤسسات الدولية لتحقيق أهدافها، مطلقتين عنان التنافس على القيادة والامتيازات داخل الحكومة العالمية، مطالبتين بنفوذ متزايد يراعي وزنهما وثقلهما الجيواستراتيجي لتحريك المظلة الامريكية التي تربعت على رواسي النظام السياسي العالمي (هيئة الأمم المتحدة ومجلس الامن الدولي)، والاقتصاد العالمي باحتكارها سلطة إدارة مؤسستي الحوكمة النقدية والمالية (صندوق النقد والنك الدوليين)، منادين بإصلاحات راديكالية تعيد الاعتبار لمصالحهم المهدورة والمهمشة² .

ثالثا: المنظور البنائي

يطرح المنظور البنائي تصورا مختلفا للمرحلة الانتقالية التي يمرّ عبرها النظام الدولي، ما أدى به الى الانخراط في نقاش حاد مع العقلانية، ليبيدي اهتماما وافرا بآليات التعامل مع القوى الصاعدة وبحيثيات تحولها الى قوة ناشئة او تعديلية، وتأثير مختلف السياقات الثقافية والتاريخية في مشوار اكتساب هويتها وإدراكها لذاتها، مما قدم جرعة إضافية للتنظير القيمي في العلاقات الدولية، تنال فيه الهويات الحظ الاوفى من الاهتمام والدراسة.

صاغ باحثو هذا التيار علاقات متناظرة بين الفروض العلمية ،قاداتهم الى بناء قناعات حتمية حول صعود قوى عظمى جديدة تتحدى النظام الدولي السائد ،من شأنها احداث تحولات سلطوية تزعزع الاستقرار جوهريا ، كما يفترضون أن سياسات الدول الخارجية لا تستهدف تحقيق المصلحة المادية فحسب ، بل تتعدها لإنشاء هوية ذاتانية تنم عن مطلب الاعتراف الذي هو في حقيقة الامر "فعل اجتماعي" محض ، لتكون بذلك الحجة التعديلية للقوة الصاعدة بمنزلة بناء اجتماعي تضمن لممثلها المكانة الدولية المشروعة، تماشيا مع البنية الفوضوية القابعة في قلب مأساة سياسات القوى

¹ - Johan Baylis، **The Globalization Of World Politics : An Introduction To International Relations** , (Oxford : Oxford University Press , 3rd Edition , 2005) , Pp. 242-247.

² -L. Lamy , **Op.Cit**, Pp.118,119.

العظمى ، فأبرز هاجس شغل البنائين وعلى رأسهم الكسندروندت (alexander wendt) هو إعادة العنصر الاجتماعي الى أحضان التفاعلات الدولية¹.

و يؤكد المرجع البنائي على تاريخية التميز الحضاري والثقافي بين الشرق والغرب ، وعليه تثار مناقشات بشأن الصعود السلمي للصين والعودة الاستراتيجية للقطب الروسي بين رؤيتين متضابيتين: الاحتواء والمشاركة ، اذ يتبنى أنصار الاحتواء رؤية متشائمة بشأن هاتين القوتين الموازنتين والمنافستين للولايات المتحدة الأمريكية ، ويعتبر هؤلاء أن قوة الصين الاقتصادية ونفوذ روسيا العسكري ما هو الا نقطة بداية لجماع جيواستراتيجي ، خصوصا أن نفوذهما الإقليمي بات اكبر واقوى من ذي قبل ، لذلك يدعو منتسبو هذا التيار الى إعادة توجيه سياسة الولايات المتحدة الأمريكية الخارجية بغية احتواء التهديد الوشيك الذي تمثله قوى الشرق الصين وروسيا ، لكن يحمل الاحتواء في طياته معضلة تجاهل حجات الصين وروسيا الى نيل الاعتراف بمكانتهما الدولية الوازنة² ، أما انصار فكرة المشاركة فيرون ان السياسة الخارجية الصينية والروسية مدفوعة باهتمامات جيواقتصادية وجيوأمنية لتغيير النظام السياسي الدولي القائم ، ما رفع من وثيرة انخراطهما في رفض ميزاته المتضاربة والمتناطحة مع ثقافتهم الاستراتيجية ، مهللين بامتعاضهم من العولمة والأمركة ، ما نمّ غلا دفيينا تجاه الوضع الراهن وحفز استعدادهم لارتجاء مساحة كافية في المنظومة الدولية والمشاركة في إرساء مأسستها وشرعيتها ، ومن الملاحظ ان الصين وروسيا تتقاسمان وتشتركان في مبتغى واحد ، نابع من قريهم الحضاري والهوياتي في التغيير واستعداد قوى الغرب المهددة لمصالحهم ومشاريعهم الحضارية³.

¹ -Robert Cox, **Production Power And World Order : Social Forces In The Making Of History** , (New York : Columbia University Press , 1987) , Pp . 83-91.

² -Alexander Wendt, **Anarchy Is What State Make Of It: The Social Construction Of Power Politics** , **International Organization** , Vol.46, No.2, (Spring 1992), Pp.391-425.

³ -Frederic Encel, **Les Voies De La Puissance : Penser La Geopolitique Au 21^{eme} Siecle**, (Paris : Odile Jacob , 2022), Pp.62-67.

المطلب الثاني: المقاربات الاستراتيجية المفسرة للسلوك التعديلي الصيني – الروسي

كان لصعود بعض الفاعلين الدوليين الى مكانة القوة الدولية الحدث الأبرز في عالم ما بعد الحرب الباردة ، لتطفو معه إشكالية صعبة الترويض في تشكيل أبحاث العلاقات الدولية وتدويلها بهدف التغلب على التضيق وتحصيل الانعتاق ، فقد انتجت لنا الأسس الانطولوجية والابستمولوجية لبحث زخم التنظير-الصيني والروسي – مجموعة متنوعة من الخطابات – بما في ذلك تحليلات ما بعد الوضعية أمثال كتابات باري بوزان (BARRY BUZAN) ، واولي ويفر (OLY WAEVER) ومساهمات المتخصصين في الدراسات المناطقية ، وباحثي الصين على سبيل المثال شأن (CHAN) ، وانج جيسي (OUNG JESSY) ، ومنظري روسيا ، الكسندر دوغان (ALEXANDER DUGAIN) ويفكني بريماكوف (LEVGUENI PRIMAKOV) ، والتي بالكاد تتداخل او تتواصل مع بعضها البعض ، كمحاولة لسد الفجوة بين "الانعكاس الذاتي للنواة " (العلاقات الدولية الغربية) وتمرد المحيط ضد المركز والبارديغمات الغربية ضمن ملعب اختبار النظرية ، ولكن بدلا من الغوص في الأسس الفكرية لفلسفة العلاقات الدولية ، لتجاوز الجدل الحاصل حول الميتا- نظري (MET –THEORETICAL) بإمكانية تشكيل حقل علاقات دولية غير غربية المنبع ، فالحديث عن نظرية ذات "خصائص صينية او روسية" ليست شعار أجوفا فالأطر الاصلية قد تكون قيد الانشاء بالفعل¹.

أولا: مقارنة الصعود السلمي للصين الشعبية:

لقد شكل عام 1978 البداية الفعلية لعملية النهوض السلمي للصين ، غير ان تبني الصين لمفهوم "الصعود السلمي" ، (peaceful rise) الذي صاغه الاستراتيجي والمستشار السياسي زينغ بيجان (ZHENG BIJIAN) - رئيس منتدى الإصلاح الصيني- كان سنة 2003 ، في خطاب له بعنوان " الطريق الجديد لصعود الصين السلمي ومستقبل اسيا " ، فالهدف لتبني هذه الفكرة هو الدعوة الى التخلي عن نظرية التهديد الصيني ، عبر طمأنة المجتمع الدولي حيال الصعود الصيني وعودته من جديد الى الساحة العالمية لارساء معالم السلام لوحده ومؤسساته ، نفس الخطاب كان من نصيب " هو جيناتو" (HU JINATO) ونائبه " وين جيا باو" (WEN JIABAO) ، مقترحين ان يكون المفهوم مكونا رئيسا لسياسة

¹ - Acharya Amitva, Barry Buzan, **Why Is There No Non-Western International Relations**, (Stanford: Stanford University Press, 2007), Pp.187-212.

الصين الخارجية¹ ، ناهيك عن الاشتراكية ذات الخصائص الصينية ، وقد وثّقت دورة المجلس الوطني لنواب الشعب الصيني في مارس 2004 ، خمس عناصر رئيسية يركز عليها الصعود السلمي للصين :

✓ تستفيد الصين من السلام العالمي لتعزيز التنمية في البلاد، مقابل اسهامها في تحصيله وتمنيعه عبر ما تحقّقه من تنمية ورخاء.

✓ تتكل الصين على قدراتها الذاتية، وعلى الجهد المبذول لمستقبل أرق.

✓ الاستثمار في سياسة الانفتاح والقواعد الفاعلة للتجارة الدولية والتبادل التجاري كضمان لتحقيق الريادة العالمية.

✓ تحقيق هذا المفهوم سيستغرق اشواطاً طوال وأجيالاً أمناء.

✓ سعياً لتحقيق هذا المراد، لن تقف الصين في صدى أي دولة، ولن تخطو أي خطوة الى استنجاهه على حساب أي امة².

تحتاج الصين ان دورها يجب ان يتوافق مع كونها قوة نامية ، لهذا دائما ما ترد على الدعوات الشرسة التي تتهمها بحذو مسرى الولايات المتحدة الامريكية في التربع على عرش المهيمن مستقبلا ، غير ان هذا الزعم ينفيه كل دراس للتاريخ الصيني مستأثرين بجذور الماضي الكاشفة عن تباين الوجهات الاستراتيجية للبلدين ، فالأولى نشأت في كنف الليبرالية التقليدية ، والثانية قامت على المبادئ الكونفوشيوسية والشيوعية ذات الخصائص الصينية ، حيث تعمل الصين والولايات المتحدة الامريكية على الانخراط في عملية مستمرة من ضبط النفس الاستراتيجي والاستيعاب المتبادل ، الذي يمكّنهم في نهاية المطاف من النظر الى بعضهم البعض كأنظمة حميدة وصولا الى صياغة اتفاق عام حول الخطوط العريضة للنظام الدولي وشرعته³.

ومع ان أربعة عقود من سياسات الإصلاح والانفتاح وإعادة الانخراط في المجتمع الدولي على قاعدة "الصعود السلمي" كانت ناجحة الى حد كبير ، إلا ان توقع الاستمرارية ضمن هذا المسار يبقى محكوما بعلاقات الصين مع المجتمع الدولي إقليميا وعالميا ، خصوصا مع الولايات المتحدة الامريكية ، وان كانت سياسات الصعود السلمي ستصبح أكثر صعوبة فإنها تبقى غير مستحيلة ، فمن الواضح جدا

¹ -Yaqing Qin , Theoretical Problematic Of International Relationship Theory And Construction Of A Chinese School , **Social Sciences In China** , Vol 34,No.1, (Spring 2007), Pp.289-300.

² - Wang Yiwei , Development Of International Relations Theory In China , **International Studies** , Vol.46, No.5,(December 2009) ,Pp.185-201.

³ - Wang Jisi , **International Relations Theory And The Study Of Chinese Foreign Policy** , (Oxford : Clarendon Press , 2011) ,Pp.181-205.

ان علاقة الصين والمجتمع الدولي عرفت تحولا كبيرا من أواخر السبعينيات ، ومما لاشك فيه أيضا هو ان هذا التحول قد تم بنجاح كبير ، إقليميا ، تعتبر الصين الان على نطاق واسع " مواطنا صالحا " من جانب معظم جيرانها في جنوب شرق اسيا " أسيان " (ASEAN) ، هذا إضافة الى أنها تتقاسم الكثير من جيرانها العديد من القيم ، فهي تقارب قضايا السيادة وعدم التدخل من منظور ويستفالي تقليدي ، كما لها الرغبة في الحفاظ على القيم الثقافية المميزة . وكذا الالتزامات المشتركة من خلال التجارة والاستثمار¹ .

اما على المستوى العالمي ، فالصورة تبقى مختلطة نوعا ما ، فقد خطت الصين خطوات كبيرة في السعي لتحقيق اندماج اقتصادها ضمن الاقتصاد العالمي ، وبالأخص عضويتها في منظمة التجارة العالمية ، كما قدمت بعض المساهمات في عمليات حفظ السلام الدولي ، ويبقى موقفها السياسي هامشيا ونسبيا رغم منحها وضع القوة العظمى باعتبارها غير ديموقراطية ضمن نسيج القوى القائدة ، يشكل عدم ارتياح للعديد من القوى العظمى الغربية المسيطرة على النظام الدولي ، اذ توجي المؤشرات الانية ان سلوك الصين لم يسع الى اسقاط النظام العالمي الليبرالي الذي تستفيد منه ، بل وتبحث دوما لزيادة نفوذها في اطاره ، فقد اكد " زنج بيجيان " على ان طريق الصين للقوة والازدهار هو طريق السلم ، مجادلا بأن الصين لن تكرر مسار القوى الصاعدة السابقة التي عطلت النظام الدولي وانخرطت بذلك في التوسع للهيمنة على العالم ، وبالمثل يدافع " تشين ياكينغ " (QIN YAQING) على فكرة ان الصين قد أصبحت دولة الوضع الراهن اكثر منها ثورية او تعديلية ، فالصين تعيد تعريف مصالحها الأمنية في تصور سياسي - عسكري محض ، كما ان ثقافتها الاستراتيجية قد تحولت من منظور نزاعي الى تعاوني ، وعليه فان هذا التحول في الهوية سيققل من الناحية النوعية من إمكانية الصعود العنيف للصين ، واستنادا الى حالة العلاقة بين الصين والمجتمع الدولي ، يوجه " تشين " تصريحها اكثر عمومية مفاده انه كلما زادت الدولة تعريف نفسها بشكل إيجابي في المجتمع الدولي ، كلما كانت ثقافتها الاستراتيجية اكثر تعاونا ومصالحا الأمنية تؤول بشكل صحيح ، ومنه فصعود الصين سلميا سيعتمد في النهاية على هويتها كعضو مسؤول في المجتمع الدولي² .

¹ -Lu Peng, **A History Of China In The 21 Century**, (New York: Palgrave Macmillan, 2018), Pp.31-67.

² - Johan King Fairbank, **Meler Goldman, Histoire De La Chine Des Origines A Nos Jour** (Paris : Tallandier, 2010), Pp.53-71.

ثانيا: المقاربة الجيوبولتيكية الروسية:

شكلت الجيوبولتيكا اللوحة الجغرافية العالمية المترجمة لطموحات القوى المسيطرة على تفاعلات الساحة الدولية ، التي تعكس بأدوارها فحوى ومحتوى سياستها القومية الرامية لكسب التنافس الدولي على رقعة الشطرنج الدولية وبلوغ الهيمنة العالمية ، وهو الامر الذي انبعث في الامة الروسية ، حيث حلت الفكرة الأوراسية في الفكر التنظيري الاستراتيجي الروسي كعقيدة جديدة محل الشيوعية عقب تفكك الاتحاد السوفياتي وتراجع دور روسيا العالمي ، تحوي رؤية اليمين الروسي المتطرف الذي يركز على " فوبيا الغرب " ، و "نظرية المؤامرة " والتي تشارك في صنعها مع الكنيسة الأرثوذكسية بهدف الدفع بروسيا نحو استعادة مكانتها العالمية ، حيث تتحدد الوطنية الروسية اليمينية الصاعدة والهوية الأرثوذكسية في مركب عقائدي جديد المسمى " اوراسيا الجديدة " ، وهي الرؤية التي تؤكد على الدور الروسي الأكثر أهمية وحيوية في اسيا منه في أوروبا¹ .

تكرس التوجه الأوراسي الجديد عام 1996م ، اين بلور رئيس وزراء روسيا " يفجيني بريماكوف " (LEVGUENI ، PRIMAKOV) خطة استراتيجية لدور روسيا في تفاعلات السياسة الدولية يتمحور حول، العناصر التالية إولاً: الدفع الإقامة نظام عالمي يقوم على مبدأ تعدد الأقطاب واقتراح انشاء تحالف أوراسي يضم روسيا – الهند – الصين كممثل استراتيجي يوازن القوة الامريكية ، ثانياً: معارضة توسع حلف الشمال الأطلسي في دول الكتلة الاشتراكية السابقة ومعارضة غزو الناتو ليوغسلافيا ، وثالثاً: التأكيد على دور الأمم المتحدة ومبدأ سيادة القانون الدولي² .

ارتبط التوجه الأوراسي الجديد بالنزعة التوسعية مع تحليلات "الكسندر دوغين " الجيوبولتيكية منذ عام 1997م مع ، الأخذ بنظرية قلب العالم وروسيا المحور الجغرافي للتاريخ لماكيندر ليؤكد على الطموحات و المقدرات الجيوبولتيكية الروسية كقوة قارية في تحقيق وحدة واستقلالية القارة الاوراسية ، بالتحالف الاستراتيجي مع القوى الإقليمية (ايران ، اليابان ، المانيا ، الصين) المناهضة للهيمنة الأمريكية في القارة الاوراسية ، ويرى ان النظام الدولي المستقبلي متعدد الأقطاب اقتصاديا

¹ -Johan Berryman , Geopolitics And Russian Foreign Policy , **International Politics** , Vol.34, No.4(July 2012), Pp.529-531.

² -Dawish Karaen , Parrott Bruce , **Russia And The New States Of Eurqsiaq : The Politics Of Upheaval** , (Cambridge : Cambridge University Press , 2005), P.93.

بمراكز ثقل متباينة ، إلا أنه يطغى على تصوره الكلي ملامح الثنائية على أسس المنافسة الجيوبوليتيكية بين الأوراسية – الأطلسية بدل الأسس الأيديولوجية .

من هذا المنطلق يصوغ دوغين (ALEXANDER DUGAIN) ماضي روسيا ومستقبلها في مسار امبراطوري حتمي ، والتاريخ السياسي الروسي يثبت ذلك التوجه السياسي الخارجي المطرد بين التكامل السياسي والمكاني نحو بناء الإمبراطورية والتوسع الحضاري الذي حمل معنى جيوبوليتيكي ، وهو ما تجسد في الوعي العميق بضرورة توحيد الفضاءات الجغرافية في الكتلة القارية الأوراسية ، بالمقابل هذا النمط الجيوبوليتيكي ساهم في بلورة المقوم الحضاري الروسي وأضحى الوعي الجيوبوليتيكي محددًا جوهريًا للهوية الروسية في صياغة الآماد الأوراسية¹.

تبني دوغين تحليلًا أوراسيًا أكثر تعقيدًا وتوسعا لمستقبل الإمبراطورية الروسية في النظام العالمي الأوراسي الجديد ، تبني هذه الإمبراطورية على الصعيد الداخلي وفق مقومات اثنية – دينية مرنة واقتصاد قوي يدعم البناء الاجتماعي – السياسي ، أما على الصعيد الخارجي يقوم النظام الجيوبوليتيكي العالمي الذي يطرحه دوغين على ربط المناطق الجغرافية القارية الأوراسية المترامية على الخريطة الجغرافية العالمية ، بتحقيق التحالفات الاستراتيجية وفق المحاور الجيوسياسية التالية : الآسيوي محور روسيا – طوكيو ، الأوروبي محور روسيا – برلين ، الإسلامي محور موسكو – طهران ، المحور العربي موسكو – الشرق الأوسط وشمال إفريقيا ، بالشكل الذي يضمن وصول القارة الأوراسية للمنافذ البحرية في الشمال والجنوب والشرق (بحار ومحيطات ، قنوات ومضائق) ويجعل الفضاء الأوراسي الجيوبوليتيكي مكتفي ذاتيًا ، ومن جهة أخرى بالشكل الذي يضعف التأثير الأمريكي الأوراسي ويضرب الهيمنة الأمريكية².

على صعيد السياسة الخارجية الروسية ، شكل وصول بوتين للسلطة ، وحسمه للحرب الشيشانية مجبرًا حلف الشمال الأطلسي على الإذعان للفعل الروسي وتكريس الفكر والتوجه الأوراسي الجديد في السياسة الأمنية الروسية ، منعرجًا حاسمًا حول مستقبل العلاقات الروسية – الغربية بتأكيد على " مبدأ يفجيني بريماكوف " إلى جانب " مبدأ بوتين " القائم على إعادة بناء الدولة وتقويتها لمنح روسيا استقلالية أكبر في تحركها الخارجي على صعيد تفاعلات السياسة الدولية ، مشيرًا إلى أولوية الحفاظ على مكانة روسيا كقوة نووية عظمى لحماية المصالح الجيوستراتيجية الحيوية للأمن القومي

¹ -Alexander Dugain , *The Forth Political Theory* , (London : Arkots Media Ltd ,2012) , Pp.98-104.

² -Ibid ,Pp.107-117.

الشامل ، وما يتطلبه هذا الأخير من استعادة روسيا لنفوذها في المجالات الجيوسياسية البلقانية والشرق أوسطية وآسيا الوسطى وبحر قزوين وهذا ما يستشف في (سيطرتها على شبه جزيرة القرم ، انخراطها في الازمة السورية ، وغزوها لأوكرانيا) ، إضافة الى مضمها قدما في انشاء تحالفات اسيوية تعديلية لإنهاء الدور القيادي الأمريكي¹ .

بناء على ما سبق، قدمت لنا تحليلات التنظير الروسي والصيني اسانيد وحجج تبريرية تتخللها دوافع اقتصادية وأمنية وإيديولوجية واستراتيجية لصعودها نحو مركز السلطة العالمية، ومنافسة سلطة الولايات المتحدة الامريكية المتجهة نحو القبول بتراجع نسبي لسلطتها، امام تنين صيني مندفع الى البحث عن المكانة التي تليق به، ودب روسي استردّ دوره المحجوب والمغيب عن تفاعلات النظام الدولي.

المطلب الثالث: النظريات الشارحة لتحول القوة في النظام الدولي

في معترك التحول الكبير للقوة وانتقالها بين اللاعبين الدوليين، وتغير شكل التراتبية والمركزية والسيطرة ، تتشخص مرحلة القوى البازغة او ما بات يعرف بنهوض البقية في النظام الدولي ، التي من شأنها ان تعيد توصيف هيكلية القطبية الدولية في العالم وتشكل التحولات في القوة الاقتصادية والعسكرية والجيواستراتيجية ، وما يصاحبها من نفوذ سياسي على الساحة الدولية ، فيما اضحى يوسم ب " الواقع العالمي الجديد " الذي صار يهدد قواعد وأسس النظام الدولي الذي التأمت صورته بعد نهاية الحرب الباردة ، وتوصف هذه المرحلة بأنها نهاية لعصر من السيطرة والصعود الغربي في مقابل اكبر وأسرع ثورة صناعية شهدها العالم تجري على ارض الصين ، مع عودة اعنى مارد في المخيلة الجيوبولتيكية الاوراسية " القطب الروسي " ، ولقد دفعت هذه التغيرات الهائلة والسريعة العديد من الاستراتيجيين والمحللين لمناقشة تداعياتها المنتظرة على مسالك النظام الدولي

وتكمن المشكلة المركزية في دراسة تحولات القوة في طابع اللبس الذي يغمرها، والذي يأخذ في اغلب الأحيان سمة التذبذب المحدود والمرغوب فيه، ومن هنا، يصبح التساؤل في نطاق العلاقات مستندا لضرورة التميز في أنماط التحول بين تحول جوهري او هامشي، مع الأخذ بعين الاعتبار أن

¹ - Alexander Dugain , **The Theory Of A Multipolair World** , (London : Arkots Media Ltd ,2020),Pp. 80-86.

التحول يحدث نتيجة الطاقة الناجمة عن عملية تفاعل الأطراف الدولية، أي أن التحول ليس عنصرا طارئا بقدر ما هو أحد مقومات النظام نفسه.

وترتبا على ما تقدم، ثمة عدة نظريات رئيسية تفسّر عملية التحول في القوة والتغير الحادث في هيكل النظام الدولي وعلى رأس هذه النظريات: نظرية تحول القوة، ودورة القوة، وتوازن المصالح.

أولاً: نظرية تحول القوة:

تضاهي نظرية " تحول القوة " (power transition theory) هي الأخرى على تفسير ظهور القوى المراجعة في النظام الدولي ، ويرافد روادها على نقاه مرحلة تكافؤ وتساوي القوة لتأثيراتها الصراعية ، حيث يزداد مرام النزاعات في ظل المسعى الرغبي لاحدى الدول التي تحتل منزلة أقل على هرم القوة في تحسين وضعها أو حظوتها في الهيكلية التي يفرضها النظام ، او بمعنى اخر استيائها من الوضع القائم الحاجب لحجم الدور المنوط بها استنادا لقوتها ومقدراتها ، ما يسري بها الى اطلاق حملة تصحيحية وتعديلية لأسس وثوابت المنظومة الدولية الناكسة لمصالحها وأهدافها الاستراتيجية¹ .

ان التحولات التي ترتاد النظام الدولي والمقترنة بتغير نمط توزيع القوة بين فواعل النظام الدولي الراهن اسفرت عن تراجع القوة الامريكية البراقة في مقابل تصدقوى جديدة للمشهد الدولي ، يذكر منها الصين وروسيا الساعتين لاكتساب المزيد من مدخرات القوة للعب أدوار مؤثرة وفعالة على أرضية رقعة الشطرنج الدولية ، ولتحقيق هذه الأهداف تعمل باستماتة على إعادة صوغ نظام دولي متعدد الأقطاب يمكنها من إدارة ومجارات تفاعلات السياسة الدولية المتواشجة والمتراكبة² .

إنّ نجاح الصين في دورها الضالع كقوة تعديلية تصبو الى بحث مكانتها ووزنها الفاعل ، تعتمد على متانة اقتصادها وصموده الصلد امام عتي المنافسة القوية التي تقودها امبراطورة الاقتصاد العالمي " الولايات المتحدة الامريكية " ، زد على ذلك اقتدارها العسكري والتكنولوجي الذي يشغل حيزا من التحديث والتطوير متناهي العظمة والمهابة ، أما فيما يتعلق بدور روسيا كقوة تعديلية في النظام الدولي فإن جدوى استعادتها لأمجاد الماضي مرهون بتنبؤها مقام التأثير في مجالها الحيوي وبتحيين

¹ - Afk Organski, » The Power Transition « In: James N. Rosenau, **Political Foreign Policy** (New York: The Free Press Of Glencoe, 1961), Pp.371-374.

² -Ronald L. Tammen, **Power Transitions: Strategies For The 21st Century** (New York: Seven Bridges Press, 2015).Pp.142-168.

عقيدتها العسكرية ، اكتمالا بمنظومة اقتصادية معافاة تحوي بنية شبكية من علاقات الاستثمار والتبادل التجاري في فلك العولمة السابحة¹.

ثانيا: نظرية دورة القوة:

على غرار نظرية تحول القوة، تعتبر نظرية دورة القوة إحدى أهم النظريات الديناميكية التي اهتمت بتقديم إطار عام لتفسير سفسطائية صعود وهبوط القوى الكبرى، انطلاقاً من رؤية دقيقة لبنية القوة، وترتبط هذه النظرية أساساً بأعمال تشارلز دوران (CHARLES DORAN) الذي وضع أعمدة أسسها الفكرية مطلع ستينيات القرن المنصرم، وإلى جانب دوران، تشكل أعمال كل من " ويس بارسونز واندرو باراسيليتي " (WES PARSONS ANDREW PARASILITI) ، وستيف تشان STEVE CHAN) أبرز أدبيات نظرية القوة.

تفترض نظرية دورة القوة أن الدول تكونا أكثر انسياقاً نحو تبني سلوك عدواني عندما تزدور دورة قوتها على إحدى النقاط الحرجة ، بمدلول إشاري إلى نسبة قدرة الدولة على حافة تحول دراماتيكي، وتؤيل ذلك هو تزايد حدة التناقض بين طموحات الدولة ومساعدتها من جهة ، وبين وسعها على التأثير الملموس من جهة ثانية ، بفعل الانحراف القائم بين المسار الخطي للأولى (الطموحات والأهداف) والمسار المنحني للثانية صعوداً وهبوطاً (القدرة على التأثير) ، والمحصلة الحصادية هي أن قدرة الدولة على التنبؤ بمقدرتها النسبية تنهار أطراداً لخطوط الانحناء التي قد تتحول على نحو مفاجئ سواء كانت تلك المتعلقة باتجاه أو بمعدل النمو².

في هذه النقاط يتعين على الدولة أن تعيد تقييم موقعها النسبي، وفقاً لأسس القدرة الوطنية، و أهداف سياستها الخارجية، والقدرة على تحقيق هذه الأهداف، خصوصاً وأنها ستأتي على ادراك أن أغلب الافتراضات التي وضعتها حول قاعدة قوتها المستقبلية في النسق قد تغيرت ، وسوف تصبح نظرتها إلى الخصوم مختلفة إلى حد بعيد ، حتى خياراتها والتزاماتها سيطلها التغيير ، حيث تنقلب من تابع أو حليف إلى قائد أو من فاعل متفوق إلى مجرد فاعل متساو مع الآخرين ، كما أن احتمالية اللجوء إلى توافق ضمني لا تسقط سوء الإدراك والمبالغة في رد الفعل أو حتى في العدوان التام ، الذي قد يحركه طرفان أو فاعل وحيد بإدراكه السيئة وعدوانيته الهستيرية ، فالإخفاق من جانب صناع القرار

¹ - Ronald L. Tammen , Op cit , Pp.170,171.

² -Brock Tessman, Critical Periods And Regime Type: Integrating Power Cycle Theory The Democratic Peace Hypothesis, **International Interaction** Vol.31, No.3, (Spring 2005), Pp.225-239.

والنخب الأخرى في خلق ترتيبات تتلاءم مع الحقائق الجديدة ، هو ما يكون مسؤولاً عن العرضة الفعلية للانخراط في او المبادأة بالحرب نتيجة لنوبات الجنون والارتياب (paranoid) الذي يقصي فاعلية الدولة ويرمي بها في غياهب الوهن¹.

مفاد الافتراض الثاني لنظرية دورة القوة ، هو ان القوة النسبية ليست سوى أداة لتحقيق دور قيم في النسق الدولي ،منظرو دورة القوة يقدمون " الدور " بعبارات المكانة الدولية (prestige) والنفوذ الدولي ، كما يمتد هذا المفهوم ليشمل التأثير الثقافي والنفوذ على مختلف المنظمات الدولية ،وانطلاقاً من هذا الأساس قد تتجاوز أهمية الدور مكانة القوة ضمن النسق الدولي ، في المقابل من ذلك يقتضي الدور مسؤوليات وشروط مشروعة مرتبطة بالموقع او المكانة ، وهو يشمل مجال القيادة او التبعية ، مع القدرة على تصدير الامن للآخرين او الاعتماد على الامن الموفر من قبل اطراف خارجية.

تثبت نظرية القوة شروحاتها المفضية الى ان القوى الصاعدة تلعب بشكل عام دور غير كاف ولا يتناسب مع قوتها ، في الجانب المقابل تتمتع الدولة النازلة بدور زائد عن حده مقارنة بقوتها النسبية ، أي انها مازالت تحتفظ بدورها الموروث عن المرحلة السابقة رغم تقلص حصتها من القوة مقابل القوة الصاعدة ، هذه الفجوة بين القوة والدور (power – role gap) هي المصدر الرئيسي للتوتر الدولي ، ومصدر كامن للنزاع بين الدول ، رغم ان شروحات القوة الدور لا تخلق على نحو نموذجي تهديدا دائما يرغم قادة هذه الدول على إقرار الحرب كأفضل خيار سياسي ، الآن الدول الصاعدة ورغم خيبة أملها حول هذه المسألة ستبني حساباتها على مستقبلها ، من خلال الاعتقاد بان قدراتها النسبية في النسق الدولي ستستمر في التوسع ، هذا التفاؤل يجعل ساسة هذه الدول يؤجلون بشكل متعمد اية مطالب قد تقود الى مجابهة مبكرة مع القوة القائدة في النسق ، لاعتقادهم الجازم ان موقعهم في المساومة يستمر في التحسن بمضي الوقت².

تشكل هذه النظرية أداة تصويرية هامة لفهم ديناميكيات السياسة العالمية نظرا لجهودها البحثية التي صقلت مسار الاستبصار لتطور النظام الدولي ، اذ تسجل بزعمها القوي على ان نيات التعديل التي تجول بخاطر الصين وروسيا الارتياح الدور القيادي الذي يوائم قوتها النسبية ، سيفضي الى نقاط حرجة ستعمل على جر الولايات المتحدة الامريكية الى فخ ثيوسيدس ، منافحة على ان نفوذ

¹ -Lui Hebron, Testing Dynamic Theories Of Conflict: Power Cycles, Power Transitions Foreign Policy Crises And Militarised Interstate Disputes, **International Interactions**, Vol.33, No.1, (Summer 2007), Pp.03-15.

² -Charles F Doran, Power Cycle Theory: The Shifting Tides Of History And Interpreting China's Rise, **The Bologna Center Journal Of International Affairs**, Vol.15 ,No.01,(Spring 2012), Pp.16-36.

القوتين المتزايد والمتعاظم سيمكنهما من قلب بوصلة الهيمنة الأحادية صوب تعدديتها ، فالعولمة والنزعة القائمة على السوق والاندماج في النظام الدولي القائم على القانون ، كلها ستؤدي في نهاية المطاف الان تصبح الصين وروسيا ديمقراطيتين في الداخل ، وتتطور الى "شريك مسؤول" في الخارج ، غير ان دورة صعودهما الاستراتيجي تبقى محفوفة بالمخاطر والتوجس من قرع طبول حرب دامية مع سيدة الوضع الراهن ، إلا ان إلقاء نظرة سريعة على أدوار الصين وروسيا في ساحة التفاعل الدولي توشي بترتهم وخيراتهم العقلانية في فحص المتغيرات الإقليمية والدولية ، تقوية لموقفهم في المساومة وتحسين مكانتهم الاستراتيجية في سلم القوى الدولي .

ثالثا: نظرية توازن المصالح:

يستخدم مفهوم التوازن في مختلف بحور العلم، مثلما يستعمل لوصف سياسات الدول والفاعلين الدوليين الذين يستهدفون تحقيق هذا التوازن ، ويقدم لنا الباحث راند شويلر (RANDALL SCHWELLER) طرحه لنظرية توازن المصالح التي جاءت لتراجع وتنفض الغبار عن نظريتي توازن القوى " لكينيث والتز (KENNETH WALTZ) وتوازن التهديد لستيفن والت (STEVEN WALT) ضمن فلسفة أطروحات الواقعية الجديدة ، حيث ان كلتا المنظرين ركزا على مستوى واحد من التحليل وهو " بنية النظام الدولي " ، حيث ركز والتز على توزيع القدرات في النظام بوصفه عامل توان واختلال للقوة في النظام ، ولما كان توزيع القدرات يشكل محورا لتشكيل التحالفات لـ " والتز " فان إعادة التوازن بالتحالف مع الجانب الأضعف هو السلوك الشائع في السياسة الدولية ، اما " ولت " الذي طرح مسألة إعادة النظر في نموذج " والتز " لتوازن القوى في ما اسماه " توازن التهديد " ، الذي حاجج فيه بأن الدول تتحرك في تشكيل التحالفات ضد التهديد الذي تبثه قوة صاعدة ولهذا التهديد أربعة معايير هي : (القدرات الاجمالية ، القرب الجغرافي ، القوة الهجومية ، النوايا العدوانية) ، ويبدو جليا اهمال الباحثين لعنصر الدولة بوصفها " وحدة تحليل " محورية بما تتضمنه من متغيرات ، على هذا الأساس طرح شويلر نظريته التي تناولت القوى الصاعدة والمهيمنة ووضع لها مستويين من التحليل " مستوى الدولة " ، " ومستوى النظام " ، يضاف اليهما مستوى ثالث وسيطا وهو " مستوى الفرد " (صانع القرار)¹

ويأتي مفهوم التوازن والمسايرة في طرح نظرية توازن المصالح مركزا على تلك التحالفات التي تشكلها القوى التعديلية بدافع الربح والكسب ، وليس فقط على العلل الأمنية ، في مقابل القوى

¹ - Randll L. Scheweller, Bandwagoning For Profit: Bringing The Revisionist State Back, **International Security**, Vol.19, No.1, (Summer 1994), Pp.82-88.

الراضية التي تستحب الانضمام الى ائتلاف القوى الراهنة ، فالمسيرة (BANDWAGONING) واحدة من السلوكات الدارجة في السياسة الدولية التي تفك شيفرة الاختلاف في دوافع انحياز الدول ، باعتبارها مستوى التحليل الأمثل في حسابات اختيار التحالفات ، وعلى المستوى النسقي ، فالعوامل البنيوية والمادية تشكل التهديدات والفرص للدول ، لكن استجابة الدول تتوقف على حسابات دوائر صناع القرار على مستوى الدولة عما اذا كانت راضية عن موقعها النسبي في النظام الدولي ام لا¹.

وتأسيسا على ما تقدمت به الافتراضات النظرية ارتقت العلاقات الثنائية بين الصين وروسيا الى مصاف شراكة استراتيجية وطيدة ، غدتها مطامحها المتقاطعة في تغيير بنيوية النظام الدولي بعد ان تحررتا تورطهما في خندق القطبية الامريكية ، والتي لا مناص لتبديدها وزعزعتها الا بتكثيف جهودهما ضمن محور تحالفي يفي لهما بغرض بناء عالم متعدد الأقطاب ، وفق رؤاهم المشتركة واستراتيجياتهم التخطيطية لتقلد مراكز القيادة العالمية ، ويشكل التقارب الصيني الروسي تحديا جزريا للبنيان الدولي الراهن ، نظرا لتطلعاته الاستشرافية في قلب معادلة الستاتيكو ومراجعتها لاقتطاف ثمار التعديل وكسب لعبة الشطرنج الدولية .

في ختام هذا الحوار النظري وحيثياته وملابساته الميدانية تتجلى بوضوح قضية تكلّى ببصائر وإدراك القيادات الصينية - الروسية ، التي تفتنت واستيقنت ان الاندماج في النظام العالمي لن يكون سلميا بالمرة ، بل حتما سيكون تصادما وعنيفا مهما طال الزمن او قصر وهو امر راسخ وكامن في تاريخ العلاقات الدولية التي تتسم بثنائية الحرب والسلم ، فقد عودتنا الشواهد الدولية على مسلمة حتمية مفادها ان اعتلاء أي قوة لمرتبة أقوى ستقابل بالمقاومة من الأطراف المناوئة لها ، وسترى بعين الريبة والتوجس والتهديد ، فإما ان يتم احتوائها او عزلها او الدفع بها الى فخ الاستنزاف والتعبية بإثارة القلاقل على خاصرة فضائها الجيواستراتيجي ، وهو ما يعاين في الصعود الاستراتيجي للصين وروسيا ومفاعيله على التوازنات الدولية ، لتظهر محصلات حصرية لتوازن القوى الناسف لهيمنة القوة الامريكية المتقهقرة ، والتي ترنوا الى تجديد عهدا بلجم القوى المتحدية وتضيق الخناق على مجالتها الحيوية والاستراتيجية فرضا لإملاءاتها ، وهو ما يرصد في التنافس المحتدم على الأرض الأوكرانية وبحر الصين الجنوبي ، وداخل المؤسسات والهيئات الدولية عل غرار هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي ، هذا ما يضيف قالبا توزيعا فوضويا للقوة بأبعادها الثلاث الصلبة والمرنة والذكية ، لتبقى خطوط الصدع مفتوحة الجبهات بين محو الشرق المزاحم ومحو الغرب المتصدي بالمرصاد .

¹ - Randall L. Scheweller, **Unanswered Threats: Political Constraints On The Balance Of Power**, (United State: Princeton University Press, 2006), Pp. 49-56.

خلاصة الفصل الأول:

بناء على ما تم التطرق اليه انفا يخلص هذا الفصل الى مجموعة من النتائج نجملها فيمايلي :

- الفوضى هي السمة الأساسية للسياسة الدولية، لما كانت العلاقات الدولية علاقات متشابكة متصارعة متداخلة لا يمكن ضبط طرفيتها، جوهرها التنافس بين القوى الكبرى على المكانة في النظام الدولي

- أنتج لنا العقل الاستراتيجي العالمي تجليات عديدة من اشكال النظم الدولية، والمتمثلة في التعددية القطبية والثنائية والاحادية، ومن ثم بروز شكل جديد من اشكال الحالة الدولية بسبب طول المرحلة الانتقالية بين اسدال الستار على نظام دولي وافتتاح اخر فضلا عما يحمله التنظير المستقبلي.

- يبدو المجتمع الدولي المعاصر مع مطلع القرن الحادي والعشرين أكثر تعقيدا من ذي قبل، بسبب تطوره الكمي والكيفي، حيث أن النظام الدولي لم يعد يقتصر ضمن سياق تفاعلاته على الفواعل التقليديين فحسب بل تعداها الى أبعاد وأنماط متعددة لعل أهمها الفاعل الرقمي الذي بات مفتاحا للهيمنة الصلبة والليننة على الوحدات الدولية.

- حال القوة في العلاقات الدولية متأرجح بين صعود القوى وهبوطها في حركة تاريخية تغذيها ثنائية القدرة والمقدرة على استدامة التفوق وحيازة الإمكانات.

- تشهد القوة في العلاقات الدولية تشتتا مفصليا تدعمه مؤشرات الانتقال والتحول من الوضع القائم الذي تفره دولة الستاتيكو، الى وضع جديد تقوده نزعة التعديل للقوة الصاعدة المقاومة لسياسات الغرب واجنداته.

- تباث أي نظام دولي مرتبط باستمرار القائد في تحمل مسؤوليته، فان الطابع الفوضوي للمجتمع الدولي المعاصر يعد مؤشرا على عجز الولايات المتحدة عن أداء المهام الملقاة على عاتقها، نتيجة تراجع قوتها النسبية بمختلف أبعادها، وتواري مكانتها الدولية وتقلص دورها ونفوذها العالمي في مقابل ظهور وتنامي دور القوى الدولية الصاعدة مثل الصين وروسيا ومحاولاتها الدؤوبة لسد الفراغ والقيام بالأعباء والمسؤوليات العالمية.

الفصل الثاني

الرؤى الاستراتيجية للمنظومة
الدولية "منظور مقارن بين
الصين وروسيا كقوى موازنة
في النظام الدولي

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

تمهيد:

لطالما امتاز هيكل النظام الدولي بديمومة التغير وعدم الاستقرار، ما ولد معتركا من السياسات الخلافية حيال سلم تراتبية القوى خاصة من قبل الفاعلين غير الراضين عن الوضع الهيكلي لتوزيع القوة على المستوى الدولي ، لذلك تبرز مظاهر الاحتجاج وعدم الرضا من طرف تلك القوى في البداية ثم تنتقل تلك المظاهر الى مستوى اخر وهو مستوى التحرك للتأثير في التوازنات العالمية ، وخلق وضع استراتيجي جديد لخريطة القوى العالمية، ويعتبر النظام احادي القطبية أكثر مظاهر توزيع القوى التي تلقى رفضا وعدم تقبل تاريخيا، فيكون هناك دوما تطلع للخروج من دائرة الهيمنة الأحادية نحو نظام اقل حدة من حيث تمركز القوة ، سواء من خلال نموذج ثنائي لتوزيع القوة او نموذج تعددي ، ويعد الوضع الدولي لما بعد الحرب الباردة أبرز مثال على هذه الوضعية، فانفراد الولايات المتحدة الامريكية بالقيادة العالمية بعد انهيار الاتحاد السوفياتي لم يكن محل قبول وإجماع عالمي ، ولم تكد تمر سوى عشرية واحدة على الاحتفاء الأمريكي بنظام عالمي جديد حتى باشرت مجموعة من القوى في ابداء تحفظها اتجاه الهيمنة الامريكية ، بل وبادرت الى خلق هياكل جديدة وطرح مبادرات لتحدي الوضع القائم.

من بين جميع القوى الصاعدة ، يأتي التركيز الأمريكي والغربي على الصين وروسيا بالدرجة الأولى مدفوعا بطبيعة العلاقات الوطيدة التي تجمعهما ، والمستوى الكبير للقوة والإمكانات التي تحوزانها ، على اصعدة النفوذ والمقومات الدبلوماسية والاقتصادية والعسكرية ، والتقارب الكبير في مصالحهما وتوجهاتهما ، والذي يترافق في الوقت ذاته مع حالة شديدة من عدم الرضا ، والرفض للهيكل الحالي للنظام الدولي ، واتجاههما الواضح لمعارضة سياسات الهيمنة الامريكية ، وأي مسعى منها للانفراد بقيادة العالم ، والدعوة لإقامة نظام عالمي متعدد الأقطاب ، وهي عناصر كفيلة بحسب منطلقات نظرية انتقال القوة بجعلهما على رأس القوى المتحدية للهيمنة الغربية للعالم بقيادة أمريكية ، وتثار تساؤلات شائكة بشأن طبيعة صعودهما (سلي/لا سلي) ، والنمط الذي سيأخذه انتقال القوة المرتقب (توافقي/ صراعي) .

فروسيا لم تتوان في التعبير عن رفضها القاطع لسياسات الغرب تجاهها وتوسع حلف شمال الأطلسي والاتحاد الأوروبي نحو حدودها الشرقية والعمل على تطويقها ومحاصرتها وجسدت ذلك في سياسات القوة تجاه جورجيا ، عام 2008 ، وضم شبه جزيرة القرم عام 2014 ، وغزو أوكرانيا ، عام

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

2022 ، والتدخل في سوريا قبل ذلك ، والتغلغل الحالي في افريقيا ومزاحمة النفوذ الغربي هناك بامتياز ، كما ان الصين لا تتلبث في التلويح باستعمال القوة لحماية مصالحها الأمنية القومية غير القابلة للتفاوض والمساومة لا سيما ما تعلق بتايوان وبأي تحرك غربي لدعمها عسكريا أو مجرد التضامن معها دبلوماسيا ، وما مناوراتها الدائمة في المضيق واختراق طائراتها أجواء الجزيرة سوى انذار مبكر لكل من تسول له نفسه ، بحسب بيكين ، المساس بحقها التاريخي في تايوان كجزء لا يتجزأ من الوطن الأم الصين وهي تمارس دبلوماسية حادة تجاه كل من يعارض سياساتها وتوجهاتها في القضايا المثيرة للجدل مثل حقوق الانسان والديمقراطية ومصدر فيروس كورونا تعالت أصوات هاتين القوتين في اجتماعات ولقاءات المؤسسات التي استحدثتها مثل البريكس ومنظمة شنغهاي ، او المؤسسات التقليدية مثل الأمم المتحدة ومجلس الامن الدولي ، ومختلف المؤسسات المالية العالمية ، جاهرتا بمطالب تغيير الوضع السائد وجعل النظام العالمي بعيدا عن الأحادية ومتماهيا مع التعددية ، هاويتا بعقدة التفوق الغربي ووهم الخلود .

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

المبحث الأول: الصعود السلمي للصين كقوة عظمى " بين طموح تعزيز المكانة واستراتيجية الهيمنة العالمية "

يثير موضوع صعود قوة جديدة إلى مصاف القوى الكبرى مخاوف وتساؤلات لا متناهية حول تأثير الوضع الجديد ، الذي استحدثه هذه الوافدة الجديدة على الوضع الإقليمي او الدولي القائم، وهي المخاوف والأوجال التي يستند جزء منها الى بعض الوقائع والشواهد التاريخية التي أبانت عن وجود علاقة طردية بين كل إضافة إلى ميزان القوى الدولي وإثارة حالة من الفوضى وللاستقرار بدءا بصعود أثينا قبل ألفي عام الى صعود ألمانيا النازية والمعجزة اليابانية في أعقاب الحربين العالميتين والاتحاد السوفياتي في النصف الثاني من القرن العشرين ، تشكل هذه النماذج بالنسبة لبعض الملاحظين استبصارا رئيسيا لرصد سلوك الصين المستقبلي في النظام الدولي .

وعليه احتلت قضية الصعود الصيني في العديد من هياكل القوى الدولية مساحة كبيرة في أدبيات العلاقات الدولية ، بحثا وتحليلا ، فقد نهضت الصين ، وانطلقت إقليميا ودوليا ، متجاوزة العديد من القوى الإقليمية الفاعلة ، حيث بات تقدم هذه الأخيرة حتى وهي مازالت تعرف نفسها كدولة نامية ، نموذجا جذابا للقوى الصاعدة المنفتحة على محيطها الإقليمي والدولي مع احتفاظها بخصوصيتها الثقافية، الحضارية والسياسية ، فقد بلورت نموذجا خاصا اشتراكيا ذا خصائص صينية محضة ، ومع التطور العالمي وعولمته عادت لتصلق نموذجا الخاص لتتعامل ببراغمية مطلقة مع متغيرات العالم ومتطلباته .

ويشير التوتر الدولي الحالي تساؤلات حول رؤية الصين لمكانتها ودورها في العالم ، والسياسات التي ستتبعها في إدارة التفاعلات الدولية في هذه الرحلة المشوبة بالقلق ، ومدى تأثيرها بالموثرات التاريخية والحضارية التي تجنح إليها كدافع محرك لتبوؤ مكانتها " الطبيعية " في صدارة المجتمع الدولي ، ولمحو وصمة المذلة " قرن المهانة " ، والخروج من برائن التخلف والضعف عبر جهود مضنية استثمرت في مسيرة التحديث والإصلاح لكافة المجالات والمستويات ، وعلى هذا الأساس تعدّ الصين اليوم لاعبا دوليا نشطا في إدارة الازمات الدولية والإقليمية وفي ترتيب شؤون الاستراتيجية العالمية .

سنستعرض في هذا المبحث مؤشرات الصعود الصيني التي تزكها جملة من المقومات التقليدية والحديثة، لتسلم مشعل القطب الريادي في النظام الدولي، ومن ثم سنأتي على تقديم أدائية السياسة

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

الخارجية الصينية وفق دلالات القوة الناعمة تكريسا لمبدأ الاعتدال والسلمية، بينما سنناقش في الأخير مستقبل التوازن الاستراتيجي العالمي بحضور الصين في توجيه وإدارة الاحداث الدولية.

المطلب الأول: مؤشرات الصعود الصيني في النظام الدولي "مبدأ الاعتدال والسلمية"

"مارد نائم احذروا إيقاظه" عبارة تحذيرية لـ "نابوليون"، خلّدها استراتيجيو السياسات الدولية وأيقظ هواجسها "غراهام السين" في مؤلفه الموسوم بـ: "حتمية الحرب"، فقد زاد النمو الاقتصادي الحثيث الذي عرفته أرض الصين ابان ثمانينيات وتسعينيات القرن المنصرم من شفاعاة ارتداء عباءة القوة العظمى، وفي غضون ذلك شرعت الصين في تحديث وعصرنة العدة العسكرية، وفي نفص الغبار عن دبلوماسيتها المعطلة والراكدة، ما جعلها محل اهتمام ومحط أنظار لندا انبرى نفر من المراقبين على تحليل مقومات هذا الصعود وتقييم أثره على التوازنات الإقليمية والمحلية، ليسلموا سبقا بصينية القرن الحادي والعشرين.

وانطلاقا من مفهوم الدور على مستوى النظام الدولي وطبيعة التفاعلات السياسية الحاصلة، تفتنت القيادات الصينية للضعف الناشئ عن تراجع عوامل لم تعد تحمل نفس القدر من الفاعلية الدولية، كترجع الأيديولوجية مثلا، والتكيف مع التغير النوعي على مستوى البنية الهيكلية للنظام الدولي، كغياب الاتحاد السوفياتي، فضلا عن استثمار المعطيات المادية والمجتمعية لبناء دور مستقبلي متميز في بنية النظام الدولي الجديد، ولعل الوجه الناعم من وجوه القوة والمكانة يمثل واحدا من المحاور الأساسية التي تعمل عليها الصين محليا وإقليميا وعلى الصعيد العالمي، فبعدما كانت صورة الشمولية والديكتاتورية طاغية، قويت عناصر الانفتاح والحريات في البلاد، وتحاول الصين جاهدة تقديم صور حدائية حضارية معاصرة وجاذبة، وهي كما يبدو وتحقق نجاحات هامة على هذا الصعيد مقارنة مع حقبة ماوتسي تونغ.

أولا: المؤشر الثقافي الحضاري

تعتبر الحضارة الصينية واحدة من أعرق الحضارات وأكثرها اسهاما في التاريخ والمعرفة الإنسانية، وتتميز بتواتر متصل لأكثر من خمسة آلاف عام، محتفظة خلالها بثقافتها وقيمها ولغتها، ولا يتسنى لأي باحث عن مستقبل الصين أو عن تأثير صعودها الإقليمي والدولي، إلا أن يأخذ بعين الاعتبار

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

الهوية الصينية وتأصيلها التاريخي الموغل ، إذ تستأثر هذه الأخيرة بأنفة وعزة المجد والتباهي بسموها الحضاري على الغرب وترنوا بحماسة جياشة لاستعادة دورها التاريخي والحضاري المسلوب¹.

تشكّل الثقافة الاستراتيجية أحد أهم أعمدة السلوك الصيني وهي كتلة من الأفكار التي تحكم القيد القيمي للفرد الصيني ، فرغم التباين الموهل بين شيع القوميات التي يقارب عددها 56 قومية ، يرسى جوهر الثقافة السياسية الصينية على ثلاث أسس متينة هي: "الثقافة الكونفوشية"، "الثقافة الماركسية"، "الثقافة الليبرالية المعاصرة"، وهي محصلة متنوعة لمسار حافل ببطولية الإنجازات وهو ما زكاه الأستاذ " وليد عبد حي" في دراسته المستقبلية التي حملت اسم "المكانة المستقبلية للصين في النظام الدولي 1978-2010"، دالاً على غلبة النموذج الصيني الذي اضحى يشكل إحدى التجارب العالمية الفريدة من نوعها ، التي لفتت انتباه الفكر الإنساني والباحثين الذين ما انفكوا ينهرون بها ويضعونها جوهر أبحاثهم ، حيث تركت على حين غفلة الفاعلين الدوليين في حالة من الدهشة بحديثات تطورها وسرعة انتشارها ، وقوة نفوذها النابع من خصوصية الإنسان الصيني الذي يقدّس سجية العلم والعمل ففي زهاء أربع عقود من تجسيد سياسة الإصلاح والانفتاح تمكّنت الصين من تبوء مقام القوى العظمى في النسق الدولي².

1. الكونفوشية

تعتبر لبنة الثقافة الصينية ، والفكر الأكثر تأثيراً في المجتمع الصيني ، وأساس سلوك أفراده ، حتى أضحت المهيمنة الرئيس على الفكر الصيني مذهباً وثقافة وقيماً ، وانطلق مذهب كونفوشية 479-551 ق.م ، من مبدأ الخير الذي يجب ان يعمم في تعاملات الانسان مع محيطه ، ثم طور لوجوب انشاء حكومة خيرة تحكم بالقسط والعدل ، من اجل الحفاظ على الاستقرار والأمان الداخلي ، الذي يشكل الحصن المنيع أمام التدخلات والدسائس الأجنبية. أراد كونفوشية تحقيق ذلك من خلال احياء نظام أخلاقي متوارث ، يعزّز خضوع الرعية الى ضوابط مؤسسية لعلائقية الحاكم والمحكوم

¹ - Chaunman Zhang ، Understanding China's Attitude Toward International Order: From general Deletimization To Selective Embeddedness ، A Tesis Submitted In Partial Fulfillment Of The Requirement For Degree Of Master Art (L.L.B، East China University Of Political Science And Law ، 2013/2014) ، Pp.13-41.

² - وليد سليم عبد الحي ، المكانة المستقبلية للصين في النظام الدولي 1978-2010 (ابوظبي: مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، طبعة 2014، ص 22-15).

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

، حيث تؤمن الكونفوشيوسية بسماحة العلاقات الإنسانية المتكئة على أسس بناء هرمي تراتبي، يستبطن مفهوم العائلة في كل مستوياته¹.

وقد خط كونفوشيوس خمس ملامح رئيسية تحكم عنفوان العلاقات، وهي علاقة الاب والابن، الزوج والزوجة، الأخ الأكبر والأخ الأصغر، واثقها هي علاقة الحاكم والرعية، التي يعيد طرحها في نطاق عائلي، فالدولة حسب كونفوشيوس هي دولة عائلية، السلطان فيها يقوم مقام الاب، الذي يَكُن له الاحترام والطاعة. نافح كونفوشيوس عن حرمة هذه التراتبية، موعزا لها منة الفضل في خلق جو من الانتظام والانسجام الداخلي الذي يزيد من زهاء وازدهار الأمة فكينونة الوعي التي تنضج في كل فرد تحته لا محالة على الالتزام الأخلاقي بناصية المسؤوليات والواجبات الموكلة اليه والتي تصب في قاطرة الصالح العام².

ولا بد من التأكيد، أن الثقافة الكونفوشيوسية زرعت في المجتمع الصيني مبادئ الاستقامة وحب الخير والولاء، وطاعة الأهل واهلية السلطة المطلقة للحاكم، ونمت روحانية الفكر الصيني الصوفي، وبلورة صفوة الحكمة ونباله الخلق ورفعة المنزلة الخيرة وأحيت كمال المبادئ السماوية، اذ طبع الفكر السياسي الصيني طوعية المستقبل وجرف كهنة الاستشراف بعظمة الشأن ونزعة الجلالة التي ستحظى بها الصين في عوالم القوى الكبرى.

2. الطاوية

هي من الطاو وهو النهج او الطريق، جاءت مخاطبة لروح الانسان ووجدانياته، مطالبة إياه بالعودة الى الطبيعة الأولى الى ميتافيزيقية الأشياء، وارتبطت الطاوية على نحو مكن بالفضيلة والعفة، وترى ان الغاية المثلى من وجود الانسان وخلقته هي التوافق والتانس مع سنن الكون ونواميسه، لذلك عليه الاتصاف بالمسألة والاتزان والرزانة ليستجمع نفوذه وييسر ارادته ويتمكن من مطامحه، فهي تدم العنف وتبغضه وهو ما يلتبس في مبدأ " wei we " الحاث على العمل دون صراع أو تصادم، فعقلنة الأسلوب وسطيرة الهدف سيفضيان الى براعة التدبر وسدادة الخيار، فالحياة وفق التصور

¹- ZHANG، OP.CIT، P.51.

²- Shambaugh ،D، Will China's Rise Be Peaceful ?Security، Stability، And Legitimacy، (London: Oxford University Press ,2018)، Pp.211-230

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

الطاوي اشبه بفن الملاحة لا بفن القتال وسفك الدماء ، حيث يوجه الريان شراعه للريح ، لتأتيه بما يشتهي¹ .

لقد امتصت الثقافة الصينية، مبادئ الطاوية، التي رسخت لدى شعبي ثقافة الصبر والهدوء وأدب التريث والاستشارة والثبات نيلا للمبتغى وإن طال الأمد دون اللجوء الى السلوك القصري أو الصلد ، فبسالة الجندي وشجاعته في الفكر الطاوي لا تقاس بانتقامه وغضبه وتسرع ، فالمنتصر المرباط ليس متسلطا ولا عنيفا ، جملة هذه القيم والنزعات السلمية تترجمها الصين اليوم لطمأنه العالم ، ولتوكيد سلميتهم ومهادنتهم المستوحاة من صولجان حضارتهم الشامخة التي أورثتهم قيم التعايش السلمي ، وثقافة حسن الجوار وفلسفة قبول الآخر² .

كما ساهمت الطاوية في تعزيز البراغماتية كأحد أدوات الفكر السياسي والاقتصادي الصيني المعاصر ، حيث شبه الفيلسوف الصيني "لاوتزي" ، في مخطوطاته التي تعود للقرن السادس قبل الميلاد ، المرونة السياسية بحركة التنين المتناسقة ، ما معناه أن لكل مقام مقال ، ولكل موقف تصرف ، ولكل حالة خصوصيتها ، فلا مرجى من تعميم نمط جامد في التعامل مع مختلف الوحدات الدولية وفي مختلف المستجدات، في هذا السياق يمكن فهم البراغماتية الصينية من باب المصلحة القومية ، فهي لا تتبنى سياسات ثابتة تجاه أي من الفواعل الإقليمية والدولية ، بل تكيف سياساتها وفقا للمعطيات والتطورات الحاصلة بما يحقق لها المنفعة ويجود عليها بالتفوق والموقع الريادي في إدارة الشأن العالمي ، وبما يصاهر ثقل صعودها الاستراتيجي³ .

كحاصل لما تقدم، عززت الثقافة الطاوية في المجتمع الصيني مبادئ الهدوء والسلام، وزكت اساسيات الثبات والعقلانية طلبا لمراد النهوض والانتشار، وهو ما ساهم بدوره في خلق أجيال ملتزمة ومتفانية في مسرى حصيف لعودة الصين قوية وموحدة، كمركز ثقل للإقليم الاسيوي والعالم وكمهبط لحضارة ما تحت السماء.

¹ -Barry Buzan , China In International Society : Is Peaceful Rise Possible ? , The Chinese Journal International Politics , Vol.3, No1, Pp.5-36

² -Zehang Weiwei , The China Wave :Rise Of Civilization State ,Foreing Affairs , Vol .2, No3, Pp.182-213.

³ -Islam Ayyadi, Rise In Current International Order: Levels And Dilemmas, **Journal Of The Arrabe American University**, Vol.4, No.2, (December 2018), Pp.20-45.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

3. الماركسية

الماركسية بنفحتها الماوية التي طرحت مبادئ مركزية الحكم واعتمدت على الإمكانيات الثورية للفلاحين ، والتي تعتبر استمرارا لنضال الطبقات ضد البرجوازية والرأسمالية ، تفترض الماركسية بشكل عام ان ديكتاتورية البروليتاريا هي مشروع دولة من نوع جديد ، ويعدّ انتصار الثورة الشيوعية بزعامة ماوتسي تونغ ، حدثا مفصليا في التاريخ الصيني ، امتد تأثيره على مختلف نواحي الحياة ، فقد كرس ماو كل الإمكانيات والوسائل المتاحة وجيشها لإنشاء قوة عالمية مناهضة للإمبريالية ، من خلال التركيز وصب الاهتمام على الأيديولوجيا الشيوعية ، ومراعاة خصوصية الوضع الصيني ، فراح ماو يجند ويطوع المقدرات الثورية لطبقة الفلاحين ، الذين توجس لأمرهم وتخوف من تحالفهم مع المهيمن الأولغارشي في همة الوصول للسلطة فاعتدّ "ماو" بزئير قوة المزارعين وجعل منها أزرا مشدودا للدفع بعجلة الثورة الصينية ، وفي ذلك ثورة راديكالية على الفكر الماركسي الذي يعتبر أن الاشتراكية تنبت نتاجا لثورة البروليتاريا الصناعية¹ .

استمرت الحقبة الماوية منذ انتصار الثورة الشيوعية بزعامة" ماوتسي تونغ "عام 1949 الى أن وافته المنية عام 1976 حلم "ماو" خلال تلك الحقبة وضع الأسس التي تنقل بلاده من حالة الذل والتبعية الى موقف القوة والاستقلالية ، عبر ارساء لبنات الفكر والايديولوجيا الماركسية ، إلا أن الامر لم يكن هينا فقد تجرعت الصين وشعبها مرارة العيش وضنك الحال على كافة الأصعدة والمستويات ، حيث مرت البلاد بفترة المجاعة الكبرى (1959-1961) أين فقدت من فلذات اكبادها مليوني مواطن ، وموجة الجفاف الكاسح في مطلع ستينيات القرن المنصرم ، وكانت الشعرة التي قسمت ظهر البعير وأدخلت البلاد في وابل من الأزمات هي خطة القفزة الكبرى الى الأمام² ، التي استهدفت تحويل البلاد إلى ركب عمالقة التصنيع .، فالماوية طرحت طريقة تفكير جديدة ، تختلف عن الشيوعية السوفياتية ، وأعادت صياغة فكر ماركسي جديد ، في محاولة سباقية لتعويد العقيدة الماركسية على السياق وخصوصيته الصينية ، وهم قادة جمهورية الصين الشعبية الى وضع "المبادئ الخمسة للتعايش السلمي " التي تشتمل :على الاحترام المتبادل لسلامة الأراضي وللسيادة ، والمساواة والمنفعة المتبادلة ، وإقامة نظام

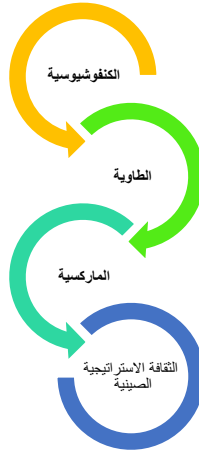
¹ Gerard Strange, China 'S Post –Listian Rise: Beyond Radical Globalization Theory And The Political Economy Of Neoliberal Hegemony, **The New Political Economy**, Vol.16, No.5, (Mars 2011), Pp.539-559.

² -Chirstopher A, McNally, Sino-Capitalism: China's Reemergence And The International Political Economy, **World Politics**, Vol.64, No.4 (June 2018), Pp.741-776.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

عالمي أكثر عدلا، والامتناع عن القوة أو التهديد باستخدامها، وأن جميع الدول تقف على المساواة في تسيير الشؤون العالمية، مؤكدة موقفها الداعم والمساند للدول النامية وحرصها الدائم على السلام¹.

الشكل رقم (02): مخطط يوضح تبلور الثقافة الاستراتيجية الصينية



المصدر: من إعداد الطالب

وعليه، كان للتراكم الثقافي والحضاري الصيني انعكاسات دلالية على الحياة السياسية الصينية داخليا وخارجيا، فقد استمر حكم الحزب الشيوعي منذ استقلال البلاد، بفعل تشبع المجتمع بالفكر الثقافي الكونفوشيوسي الذي دعا إلى امتثال الرعية أمام راعيهم، حفاظا على وحدة الاستقرار والسلام، أما الطاوية فقد رسّخت فلسفة الهدوء والتوازن، وهو ما يتجلى في استجابة بكين المرنة لعصر العولمة والانفتاح وصقلها للنموذج الاشتراكي ذي الخصائص الصينية، أما الماركسية اللينينية يتوجهاتها الماوية، فقد استوعبت سيفساء الشخصية الصينية وجعلت من زمرة الفلاحين وقودا محركا للثورة والبناء، وشددت على مركزية الحكم، ودعمت قربان الديمقراطية الممركزة في يد قادة الحزب الشيوعي، ما قوى انخراط الصين في المنظومة الاقتصادية العالمية، داخل إطار منظومة الحكم الشمولية، وشكل ذلك نقلة نوعية وتحول جوهري، فالصين اليوم هي نتاج ثقافة تاريخية متراكمة، وتجربة حضارية ممتدة لآلاف السنين².

¹ - Strange, **Op.Cit**, P.552.

² -Yanzhong Huang, Sheng Ding, Dragon's Underbelly: An Analysis Of China's Soft Power, **East Asia**, Vol.23, No.4 (April 2016), Pp.22-44

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

أما على الصعيد الخارجي استثمرت الصين ارثها الثقافي وتاريخها الحضاري في طرح رؤيتها لدورها العالمي ، الذي تحوز فيه مكانة قيادية ، تساهم في بناء العصر الجديد ، بسبيل اسهاماتها التنموية في مختلف المجالات ، ومسؤوليتها الدولية كعضو منفتح دون الحاجة لفرض منطق نموذجها التنموي وهو ما حملته التقرير الشامل الذي قدمه الرئيس "شي جي بينغ" للمؤتمر التاسع عشر للحزب الشيوعي الصيني ، الذي أوضح فيه الرؤية العالمية بعيون صينية لعالم أخلاقي تجمع فيه العدالة والمساواة بين جميع الدول بغض النظر عن حجمها ومدى قوتها ، وتعزز وتدعم في هذا العالم المستهدف ، الاعتمادية المتبادلة دون التنافس على الموارد ومصادر القوة ، فالاعتمادية من منظار الصينيين تنطلق من فكرة الفوز المشترك (win – win) ، الذي يزيد من فرص التعاون بين الدول بما يحقق المنفعة المشتركة ، ويوطد السلم والأمن الدوليين ¹.

ثانيا: المؤشر البشري

تعتبر الثروة البشرية أحد اهم مقومات قوة الدولة، وسببا رئيسيا في تنميتها المستدامة، ومرتكزا لتطورها الاقتصادي والاجتماعي ، حيث يعتبر رأس المال البشري أحد عناصر الإنتاج، وله تأثير حي في نمو الدول وتقدمها الاقتصادي ، إذ أن زخم الاهتمام العالمي بالعنصر البشري نابع من فرض رئيسي مؤداه أن البشر هم ثروة الأمة ومقوم نهضتها ، وهو ما استدل عليه " ادم سميث" في كتابه " ثروة الأمم the wealth of nation" ، مشيرا إلى ضرورة الحفاظ على سلامتهم وتطوير قدراتهم من خلال التدريب والتأهيل المستمر وتوسيع مداركهم الفكرية عبر تحسين مستواهم التعليمي وظروف بيئتهم الاجتماعية وتوفير البنى التحتية اللازمة لتنمية الابداع وتطوير روح الابتكار ².

في هذا الصدد؛ تمثل التجربة الصينية في التنمية البشرية مثالا يقتدى به حيث شهدت البلاد تحسنا ملحوظا في معدلات التنمية البشرية في الفترة الممتدة من 1999-2023 ، وذلك وفق تقرير الأمم المتحدة للتنمية البشرية الصادر في 2024 ، فقد زادت قيمة مؤشر التنمية البشرية للصين من 0.63 الى 0.8 بزيادة قدرها 53.5 ، ما جعل الصين في قاطرة الريادة مع ارتفاع ملحوظ في متوسط عمر الولادة الطبيعية وزيادة محسوسة في نصيب الفرد من الدخل القومي الإجمالي للبلاد، بعد ان تعثرت مؤشرات

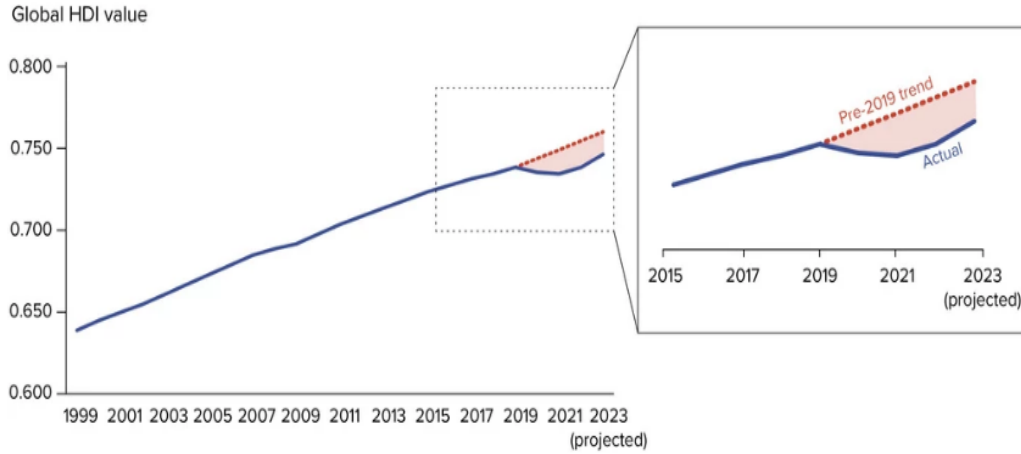
¹ -Yu Yunquan , China's Cultural Soft Power Construction Has Long Way To Go , **Chinese Journal Of International Politics**, Vol.3, No.4 (September 2008), Pp36-47.

² -Kenneth Roth , Chian's Global Threat To Human Rights , At , <https://www.hrw.org/news/2020/09/14/chinas-influence-global-human-rights-system> , Accessed On (02-052024)(15:..20)

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

النمو إبان جائحة COVID-19 ، معاودة الانتعاش تارة أخرى وهو ما يمكن استقراءه في المنحنى البياني الموضح ادناه.

الشكل رقم: (03) يوضح مؤشر التنمية البشرية في الصين (1999-2023).



المصدر : <https://hdr.undp.org/content/human-development-report-2023-24>

ومن الناحية الصحية ، تطور الوضع الصحي للسكان منذ انشاء نظام الصحة العامة الصيني في الخمسينيات من القرن الماضي ، فقد تخلصت البلاد من عبء الأمراض المعدية والطفيلية وهو ما ساهم في انخفاض معدل الوفيات العام ، وتحسن متوسط العمر المتوقع ، أما من الناحية التعليمية الأكاديمية والمهنية ، ادركت الصين ضخامة مقدراتها البشرية واهمية استثمارها في عملية الإصلاح والانفتاح ، وتمكنت من تحويل كثافتها السكانية التي تقدر بـ 1.4 مليار نسمة ، الى قوى عاملة ماهرة ، وقد قدر عدد الأيدي العاملة في الصين عام 2020 بـ 771 مليون نسمة وفق تقديرات البنك الدولي للتعمير والإنشاء ، وقد ساهم التراكم الثقافي للشعب الصيني ، الذي يحث في مجمله على العطاء والتفاني ، والالتزام في العمل ، وطاعة المسؤولين ، في ان تصبح الصين مصنع العالم ، وخلية الانتاج النابضة لسلعه وخدماته¹.

ومن أجل تحقيق ذلك عملت الحكومات الصينية المتعاقبة على تحسين جودة ومهارة طاقاتها البشرية في شتى المجالات والميادين ، من خلال تبني منظومة تدريبية وتعليمية متطورة ، فقد استثمرت الصين في بناء شعبها وتعليمه أهم المهارات والخبرات ، التي تلبي احتياج السوق العالمي من مختلف

¹ -World Health Organization, Asia Health Care Index By Country 2024, January 2024, P.61.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

التخصصات المهنية والتطبيقية والدقيقة منها ، وحرصت بكين على التعليم وحسنت من جودته وفرضت 9 سنوات من التعليم الإلزامي منذ عام 1986 ، بهدف سد الفجوة العلمية بين الريف والحضر ، وقد رصدت الحكومات الصينية مخصصات مالية سنوية لتعزيز التعليم المهني بهدف ضخ طاقة عمالية مؤهلة ومدربة حتى وصل عدد العمال المهرة في الصين الى ما يقارب 200 مليون عامل ، وقد أصبحت العمالة الماهرة والرخيصة اهم مميزات الاقتصاد الصيني ومصدر جذب واستقطاب للمستثمرين الأجانب¹ .

في مجال التعليم العالي شجعت الصين طلابها على الالتحاق بالجامعات وكليات الدراسة العليا ، من خلال تقديم المنح والإعفاءات الدراسية ، فقد ارتفعت المؤشرات التصنيفية للجامعات الصينية وباتت تصدر افضل الجامعات عالميا ، وقد ركزت البلاد على استثمار الطاقات البشرية والكفاءات الأكاديمية والاستفادة الكاملة من معرفتهم وعلموهم وكذا تقنياتهم ، ولبلوغ ذلك قامت وزارة التعليم بالشراكة مع مؤسسات التعليم العالي ببناء مجمعات علمية ، ومراكز تقنية ، بهدف الجمع بين الصناعة والتعليم والبحث العلمي معا ، قصد تحويل العلم والبحث إلى إنتاجية حقيقية تنعكس على مقومات قوة الدولة الاقتصادية والعسكرية والتكنولوجية وغيرها وبالفعل خرجت طاقات أكاديمية ومهنية قادرة على تشغيل أضخم المصانع وأكبر خطوط الإنتاج² .

والجدير بالذكر أن الدياسبورا* الصينية المنتشرة في كل ارجاء المعمورة تقريبا، تمثل ورقة رابحة في غاية الأهمية تستخدمها الصين في عصر العولمة، لتنمية اقتصادها المحلي ومد نفوذها عالميا، فالملايين من الصينيين في الخارج يستثمرون في بلدهم الأم فقرة 75% من الاستثمارات الأجنبية في مصدرها عائلات الدياسبورا، والوزن الاقتصادي الكبير للصينيين في دول عديدة يعطي نفوذا كبيرا للصين داخل تلك الدول³ .

تاليا: أوضحت تلبية الحاجات المختلفة لهذا الكم الهائل من السكان أولوية كبرى للحفاظ على الاستقرار داخل البلاد واستمرار نظام الحكم الذي يتعرض لضغوط غربية متعددة ، وهذه الأولوية تفرض سلوكيات وسياسات معينة . من قبيل الانفتاح على العالم ووضع التنمية الاقتصادية على رأس

¹- Erza Vogek, **Deng Xiaoping The Transformation Of China**, (Harvad University Press, 2011), Pp.47-53.

²-Kai, J, **Rising China In A Changing World: Power Transition And Global Leadership** (Singapore: Palgrave Macmillan, 2017), Pp.71-77.

³- Human Development Report 2021. , At : <https://Hdr.Undp.Org/Content/Human-Development-Report-2023-24> Accessed On (02/05/2024)(17.49)

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

أجندات السياسة الداخلية والخارجية ، والتسيير الجيد لهذه القدرات البشرية على المستوى العالمي، للاستفادة مما توفره العولمة من سهولة تنقل الأشخاص ورؤوس الأموال ،وبذلك يضع العامل البشري حدا لاستراتيجية الانغلاق والتحفظ التي كانت مغروسة في الثقافة الصينية إزاء العالم الخارجي وكل ما هو اجنبي¹ .

ومن الجدير بالملاحظة، إن هذه الطاقات البشرية المؤهلة والمدرّبة ستساهم في استمرار مسيرة الإصلاح والانفتاح وتسريع وثيرة النمو بكافة مستوياته التكنولوجية، والتقنية، والعسكرية. والاقتصادية، لا يتوقف الامر عند هذا الحد بل يتعداه الى كون الكثافة السكانية المرتفعة في الصين تعتبر قوة شرائية هائلة ليس لها من مضاهي حيث تعتبر السوق الاستهلاكية الصينية الأكبر في العالم وتستثمر الحكومة الصينية ذلك في تعزيز اقتصادها لاسيما في أوقات الازمات ، ومثال ذلك ازمة كوفيد 19، حيث سارعت الحكومة الصينية الى دعم المنتجات المحلية من اجل سدّ حاجة السوق الداخلية كما وجهت الصين مواطنيها نحو استهلاك المنتجات المحلية مستفيدة من تنامي الطبقة الوسطى وهو ما ساهم في سرعة تعافي الاقتصاد الصيني، ووضع أساس متين للنمو المستدام حيث يعتبر الاقتصاد الصيني من أوائل الاقتصاديات التي تعافت بعد الجائحة².

ثالثا: المؤشر الاقتصادي

باتت القوة الاقتصادية تحرز حظوة متزايدة في عوالم ما بعد الحرب الباردة فقد رأى مفكرو الاقتصاد السياسي أن الجغرافيا الاقتصادية حلت محل الجغرافيا السياسية وأمسّت القوة الاقتصادية مفتاح النجاح في عالم السياسة والرافد الأهم له فالنموذج الاقتصادي الأنجح هو الأقدر والأكفأ على تمويل قوته العسكرية بالتوازي مع انتاج سلوكيات القوة الناعمة يتفق طرح "جوزيف ستيفليتز" Joseph Strelitz مع هذا التصور حيث ذهب الى اعتبار الجغرافيا الاقتصادية والأمن الاقتصادي احد أهم مقومات صون الأمن القومي لوحدة النسق الدولي.

¹ -The World In 2050 will The Shift In Global Economic Power Continue ?, Pw Site , Available At : <https://www.pwc.com/gx/en/issues/the-economy/assets/world-in-2050-summary-report-february-2015.pdf> , Accessed On (02/05/2024)(22.21)

* دياسبورا (Diaspora): مصطلح اغريقي يشير في معناه الشامل الى استوطان الشعوب المهاجرة من اوطانها لفيافي وامصار مختلفة ليصبحوا منشئتي الوحدة ومفتتي القومية ,يجمعهم حس الحنين الى الوطن ,ونزعة التكافل للعودة

² - Lui Xin , China Issues White Paper On Achieving Human Rights From Development Model :Sustainable For Developing Countries ,At : <https://www.globaltimes.cn/page/202108/1231350.shtml> ,Accessed (03-05-2024)(16.28)

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

وفي الصين كان وصول "دينغ شياوبينغ" الإدارة دفعة الدولة عام 1978 نقطة تحول فارقة في تاريخ الصين الحديث حيث افتتح "دينغ" حقبة جديدة أسماها "الخيار الجديد" (the new choice) رفع فيها شعار "الإصلاح والانفتاح" اما الإصلاح فقد استند الى رأب صدع الوضع الداخلي الصيني في مختلف الميادين إذ أدرك "دينغ" أن عليه أولاً اصلاح الداخل الصيني وإحداث تغيير حقيقي في حياة المواطنين من خلال تشيد قاعدة اقتصادية علمية وتكنولوجية بالتوازي مع الحفاظ على تماسك وثبات النظام السياسي وتأكيد رسوخه وسيطرته على مجمل مناحي الحياة السياسية في البلاد وترافق ذلك مع خروج الصين من قوقعتها والانفتاح على العالم والاندماج تدريجيا في النظام الدولي ورغبتها في الحد من الصراعات الخارجية ذات الطابع الأيديولوجي والنزاعات الحدودية ذات النزعة التوسعية ، فالصين بحاجة ماسة الى التطور الامر الذي تطلب بيئة خارجية مستقرة مواتية للتجارة والاستثمار الدوليين¹.

ومن جانب آخر انطلقت خطة الإصلاحات الاقتصادية في الصين بعدما أقرت اللجنة المركزية للحزب في ديسمبر من عام 1978 التحول من النضال الطبقي الى البناء الاقتصادي واستأنفت تطبيق سياسة الانفتاح على الخارج دون الحياد عن اساسيات الفكر الاشتراكي فقد عملت القيادة الصينية على تطوير نموذج صيني خاص من خلال الدمج بين الاشتراكية ونظام السوق الحر ، فيما صار يعرف بالاشتراكية ذات الخصائص الصينية طبقت من خلاله نموذجها الخاص في التحول نحو اقتصاد السوق الحر من خلال الاندماج التدريجي خلافا لرؤية المؤسسات الدولية في التحول عن طريق الصدمة هذه العملية التدريجية وفرت انتقالا اكثر هدوء وسلاسة ومتابعة وتقييما دائما من قبل قيادة الحزب الأخذ ما يستوجب من الإصلاحات للإشكاليات المترتبة عن هذا التحول ،وتذليل العقبات أمامه لنشد الهدف الأسى في اللحاق بركب القوى العظمى².

ومن الملاحظ أنّ الصين قفزت أشواط متقدمة في ثلاث العقود الماضية محرزة نقلة نوعية هي الأولى من نوعها في عصر العولمة حيث تصدرت مشهد الاقتصاد العالمي كثاني أعتى قوة اقتصادية بعد الولايات المتحدة الأمريكية لتكتسح السوق العالمي وتغزوه بمنتجاتها وتكنولوجياتها الحديثة مما مكّنها من بناء استراتيجيات داخلية وخارجية أسهمت في :

¹ -Xi Jiping , Statement By H.E Xi Jiping Working Together To Forge A New Partnership Of Win –Win Copperation And Creat Community For Shared Future For Mankind , General Debate Of The 70thsession Of The Un General Assembly , September 28, 2015,At : https://Gadebate.Un.Org/Sites/Default/Files/Gastatements/70/70_Zh_En.Pdf , Accessed On (04-05-2024)(21.03)

² -Valerie Niquet, La Chine En 100 Question : La Puissance Et Les Failles, (Paris : Taillandier ,2021), Pp.81-93.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

- الحفاظ على الاستقرار الداخلي وإزالة الفروق في التنمية بين المناطق الصينية مع الحرص على مرافقتها بالتوزيع العادل للعائدات الاقتصادية.
- توفير الشرعية للنظام السياسي الصيني وتحسين الجبهة الداخلية ما يتيح للقيادة الصينية نصب تركيزها على الجبهة الخارجية.
- تمكين الصين من مد مناطق النفوذ والانتشار على المستوى العالمي وما يعنيه ذلك من رواج النفوذ الاقتصادي والسياسي الصيني وارتباطها بمختلف دول العالم وقواه الرئيسية وكسبها لتأييد الوحدات السياسية الأضعف التي تتلقى مساعدات مالية من الصين على شكل هبات او قروض ذات نسب فائدة منخفضة مقارنة بما يقدمه نظرائها الغربيون حتى بات للصين حضور اقتصادي شبه عالمي أكسبها حصانة كبيرة ضد سياسات الاحتواء الامريكية ومنحها قدرة المبادرة والتحرك في مختلف الفضاءات الجيوسياسية¹.

الجدول رقم (01): يوضح اجمالي الناتج المحلي الصيني (1968-2022)

السنة	الناتج المحلي الصيني (بالدولار)
1968	بليون (59.716)
1978	بليون (392)
1989	بليون (988.2)
1999	تريليون (2.55)
2009	5.88 (تريليون)
2018	41.31 (تريليون)
2022	17.88 (تريليون)

المصدر: من اعداد الطالب بالاعتماد على احصائيات البنك الدولي للتعمير والانشاء

(world bank national data)

وفقا للأرقام الموضحة في الجدول أعلاه استناد لإحصائيات البنك العالمي world bank national data لعام 2022 فقد نما الناتج المحلي الإجمالي للصين منذ الوهلة الأولى للإصلاح بوثيرة متسارعة ففي

¹ -Frederic Puppatti, Perceptions Et Interpretations De L'emergence Chinoise Depuis La Guerre Froid : Vers Une Approche Chinoise Des Relations Internationales, **Perspective Internationales**, No.2 (Avril, Septembre 2012), Pp119-147.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارنة بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

حين بلغت قيمته 392 بليون دولار في عام 1978، نما ليصل الى 988.2 بليون دولار بعد انقضاء عقد من الزمن وفي عام 1999 وصلت قيمة الناتج المحلي الإجمالي الى 2.55 تريليون دولار، ومن ثم ارتفعت الى 5.88 تريليون دولار بحلول سنة 2009، لتصل بعد مضي عشرين سنة من ذلك الى 17.88 تريليون دولار في سنة 2022 ما يعكس حنكة القيادة السياسية المتمرسية التي حملت على عاتقها هم تحويل البلاد الى قطب اقتصادي عالمي .

أما من حيث احتياطي العملات فبكين تمتلك أكبر احتياطي من العملة الصعبة في العالم بفعل حجم صادراتها المهيول الأمر الذي يعطي الاقتصاد الصيني أفضلية لاسيما في فترات الأزمات الاقتصادية العالمية وتشير تقديرات البنك الدولي الى أن الصين تحتفظ عما تزيد قيمته عن 3 تريليون دولار أمريكي من السندات الحكومية الأمريكية ضمن احتياطها من العملات الأجنبية نظراً لتثمينها كاستثمار في حربها التجارية مع الولايات المتحدة الأمريكية، ومن جهة أخرى لجأت الصين الى هذه السياسة في ظل وجود فائض مالي كبير من الدولار الأمريكي لديها بفعل انتعاش صادراتها¹.

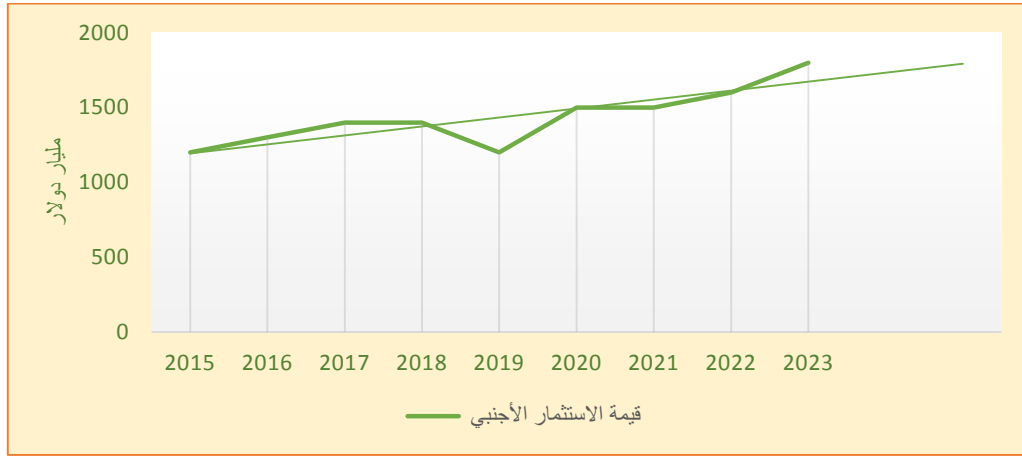
ومن حيث الاستثمار الأجنبي المباشر تعتبر الصين الوجهة الثانية للمستثمرين حول العالم بعد الولايات المتحدة الأمريكية فقد بلغت الاستثمارات الأجنبية في الصين وفق تقرير مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية (Nations Conference On Trade And Development United) لسنة 2022 ما يقارب 141 مليار دولار، مقابل 261 مليار دولار من استثمارات في الولايات المتحدة الأمريكية وفي السداسي الأخير من سنة 2023 بلغت قيمة الاستثمارات التي حازت عليها الصين 158 مليار بارتفاع بلغ 17 مليار دولار اذا ما قورن بزمان الجائحة متجاوزة بذلك الولايات المتحدة بجولات عدة².

¹ -Yinuo Li , What Lessons Can We Learn From China's Growth ?,World Economist Forum ,At : <https://www.weforum.org/agenda/2016/03/what-lessons-can-we-learn-from-china-s-rapid-growth/> , Accessed On (05-05-2024)(14:36).

² -United Nations Conference On Trade And Development,Regional Economic Outlooks ,April 2024,At : <https://unctad.org/publication/trade-and-development-report-update-april-2024> , Accessed on (05-05-2024)(16:52)

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

الشكل رقم (04): تمثيل بياني يوضح الاستثمار الأجنبي المباشر في الصين (2015- 2023)



المصدر: من اعداد الطالب بالاعتماد على: <https://tradingeconomics.com/china/foreign-direct-investment>

يتضح لنا؛ من المنحنى البياني الظاهر أعلاه بروز نسب الاستثمار الأجنبي المباشر في الصين خلال العقد الأخير والتي شهدت لمروية من الزمن تسارعا اطراديا بفعل الحركية التجارية والدفعه الاقتصادية التي شهدتها الصين ، مما لعب دورا حاسما في الانتعاش السريع والتنمية الخاطفة لمعدلات الاستثمار الأجنبي ، إذ باتت الصين جنة الاستثمارات عقب الإصلاحات التي ادرجتها الحكومات المتتالية على القيود الاستثمارية ما ضاعف ميزان المدفوعات وسهل عملية الإقراض المالي من البنوك مع تخفيف قيود الائتمان حيث تضاعفت نسبة الاستثمار الأجنبي من 400 تريليون دولار في سنة 2015 الى ما يفوق 1000 تريليون دولار وهي زيادة معتبرة تعكس نجاعة الدبلوماسية الاقتصادية الصينية التي غطت مختلف الأسواق العالمية، واحتكرت أكثر من ثلث التجارة العالمية ما جعل الصين العملاق الاقتصادي المبشر لقيادة المنظومة الدولية في المستقبل القريب.

بالعودة للاستثمار الأجنبي المباشر وأثره المحفز على الاستثمار المحلي في جمهورية الصين الشعبية نجد ان ثلث الزيادة المرصودة في الدخل المحلي مردّها للوثبة الكاسحة في هذه الاستثمارات كما ان جنوح الصين لسياسة المشاريع المشتركة (محلية – اجنبية) ، مكنتها من الظفر بموارد مالية طائلة فتحت لها آفاق التطلع للاستثمار في شركات جديدة ، لاسيما عقب تطويرها الباهر للبنى التحتية وشبكات النقل والاتصال في اطار مبادرة الحزام والطريق التي مثلت فرصة سانحة للمستثمر الأجنبي وتحفيز السوق المحلية من زاوية أخرى وذكر موقع شينخوا أن حجم التجارة الخارجية الصينية لسنة

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

2023 تجاوزت 7.2 تريليون دولار أمريكية في سابقة من نوعها رغم التأثيرات والتبعات المستمرة التي خلفتها عن جائحة covid 19 على التجارة العالمية ووفق ما أظهرته نتائج البيانات المحينة من الموقع الرسمي للهيئة العامة للجمارك فقد تطور حجم التجارة المقومة باليوان بشكل رهيب بنسبة قدرت ب 21.4 % على أساس سنوي ليبلغ 39.8 تريليون يوان¹.

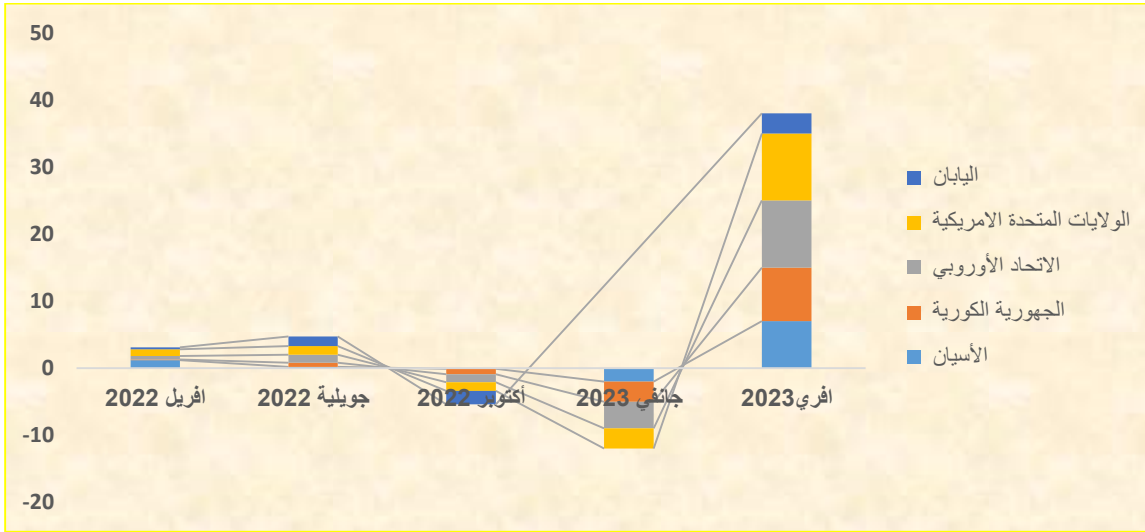
وبمعايينة الميزان التجاري الصيني نلاحظ فائضا لصالح الصادرات أطلعنا بها البنك الدولي للتعمير والإنشاء في المعاينة الأخيرة التي أبانت عن قيمة قدر نصاها بـ: 458.93 مليار دولار بزيادة حدّدت بحوالي 25.34% عن عام 2020 ويؤدي فائض الميزان التجاري وظيفة نوعية تستشف في زيادة تدفق العملات الأجنبية وارتفاع معدّلات النمو الاقتصادي مع اسهامه الجلي في بناء وتطوير القدرات الإنتاجية وامتصاص نسب البطالة القياسية، وعلى صعيد التبادلات التجارية سجلت نسب الواردات والصادرات الصينية ارتفاعا ملموسا مع دول رابطة الآسيان وكذا الاتحاد الأوروبي وحليفته الأمريكية بنسبة 19.7% و 20.2% على التوالي ناهيك عن الزيادة المسجلة في تجارتها الخارجية مع اقتصاديات البلدان المنخرطة في مبادرة "الحزام والطريق"².

¹ -Foreign Investment Guide Of The People's Republic Of China , Legal System For Foreign Investment In China ,March 2023 , At : https://Fdi.Mofcom.Gov.Cn/Resource/Pdf/Wx/2023_En.Pdf , Accessed On (06-05-2024)(6:28)

² -International Monetary Fund World Economic , List Of Countries By Projected Gdp , April 2023, At : <https://www.Worldeconomics.Com/Indicator-Data/Economic-Size/Revaluation-Of-Gdp.aspx> , Accessed On (06-05-2024) (13:11)

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

الشكل رقم (05): تمثيل بياني يوضح صادرات الصين خلال سنة 2023



المصدر: من اعداد الطالب بالاعتماد على:

Report About China Economic Update،2023 ،International Bank For Reconstruction And And Development ، P 15

الشكل رقم (06): تمثيل بياني يوضح صادرات الصين خلال العقد الأخير (2023-2015)



المصدر: من اعداد الطالب بالاعتماد على: <https://tradingeconomics.com/china/exports>

يلاحظ من خلال القراءة الأولية لأرقام الشكلين أعلاه أن؛ صادرات الصين عرفت تأرجحاً وتذبذباً واضحاً وتقلباً مستمراً سواء في زمرة السنوات العشر الأخيرة أو في طيات السنة الفارطة إذ بلغت صادراتها نسبة 20% من الناتج المحلي الإجمالي في سنة 2020 مسجلة انخفاضا حادا قدره 12.5% عما كانت عليه في سنة 2015 بسبب تعطل التجارة العالمية وتوقف حركة الملاحة الدولية ما أوشى

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

بانكماش اقتصادي كاد يهوي بالبلاد الى كساد عميق يمتد لعقود إثر تفشي الوباء لتنتعش مرة ثانية في النصف الأول من 2022، بيد ان الوضع الدولي المتأزم الذي فرضته الحرب الأوكرانية الروسية والحرب في غزة مع احتدام التوترات في بحر الصين الجنوبي جعل نسبة التصدير الصينية في تراجيح وتخط متواصل .

وعلى هذا الأساس تخطف وثيرة نمو الاقتصاد الصيني الأنظار، خصوصا مع تزايد الطلب المطرد على المورد الطاقوي باعتباره عصب الاقتصاد وسر ازدهاره ورخائه، وتقد الصين اليوم ضمن كوكبة أكبر مستهلكي الذهب الأسود في العالم بعد الولايات المتحدة الأمريكية، إذ تنفق بكين بلايين الدولارات في سعيها المستميت لتحقيق أمنها الطاقوي، ويعد مشروع الحزام والطريق واحد من الآليات المسددة للاستثمار في المنتجات النفطية تبعا لما نص عليه كتاب "الطاقة في عصر الصين الجديد" الصادر عن المجلس الإعلامي لمكتب الدولة في بكين¹.

على الصعيد المحلي أدركت الصين ضرورة الاهتمام بالسوق الداخلي، نظرا لأهميته في دعم اقتصادها ودفع عجلة تقدمه، فتعداد سكانها الهائل مثل سوقا خصبة وعلاقة وطيدة بالمنتوج المحلي ما رفع بدوره مستوى الإنتاج ونشط ميكانيزمات الاقتصاد الوطني ، ولعل خير مثال على ذلك ما جرته الازمة المالية العالمية لسنة 2008 من كساد تجاري أشل الطلب العالمي ، ما دفع بالحكومة الصينية استنهاج سبل تحفيزية للسوق الداخلي لتقدمه على اقتناء المنتج المحلي ودعم استهلاكه على أوسع نطاق ممكن هدفة إصابة مرمى التخفيف من كميات المنتجات الكاسدة وهو بدوره ما انقذ الاقتصاد الصيني من شبح الانهيار².

أما على الصعيد الدولي ، تعي الصين تمام الوعي أن وصفها كقوة كبرى ، يعني ضرورة إيفائها بالتزامات دولية أكبر ، وهو ما قد يضعف وتيرة تطورها الاقتصادي ، لذا نجدها تشدد الحرص على وصف نفسها بالدولة النامية ، سواء كان ذلك في المحافل الدولية او في خططها الخماسية . أطلقت بكين في أكتوبر من سنة 2020 خطتها الخماسية الرابعة عشر للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والأهداف طويلة الأجل ، وتؤكد الخطة على ضرورة تعميق الإصلاحات الداخلية ، من خلال تسريع

¹ - United Nations Development Programme, Future Energy Development In China's: A Brief On White Paper Energy In China 'S New Area' At: <https://www.undp.org/china/publications/future-energy-development-china-brief-white-paper-energy-chinas-new-era> , Accessed On (06-05-2024)(17:39).

² -Zhang Fan , Le Marche Chinoise Des Opportunités Pour Le Monde Entier , Sur : <http://french.peopledaily.com.cn/Economie/N3/2021/0616/C31355-9861597.html> , Consulté Le (06-05-2024)(00:14).

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين

وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

نظام اقتصاد السوق الاشتراكي ، وسياسة ديمقراطية شفافة ، وحضارة مزدهرة لمجتمع متناغم يلتزم بثقافة بيئية خضراء ، وتدعم الخطة مواصلة مسيرة الانفتاح على العالم ، وتعزيز التعاون الدولي والمنفعة المتبادلة ، واستمرار العمل المشترك لتفعيل مبادرة الحزام والطريق ، والعمل الفعال على إصلاح نظام الحوكمة الاقتصادية من خلال جهود حماية النظام التجاري متعدد الأطراف وتعزيز التعاون الاقتصادي الدولي والإسهام في إصلاحات منظمة التجارة العالمية¹ .

سارية القول ، أن استمرار النمو الاقتصادي أتى بثمار القوة والثروة على العملاق الصيني والمجمع الآسيوي أيضا ، حيث يشهد العالم انتقالا تدريجيا لمركز القوة من الغرب الى الشرق ، في هذا السياق يرى " انكبري " (INKABRY) ان صعود الصين سيغير شكل منطقة شرق اسيا وسيحد من الهيمنة الأمريكية ، إما بواسطة تشكيل نظام ثنائي القطبية تتنافس فيه الولايات المتحدة الأمريكية مع الصين ، أو أن تتمكن الصين من حل محل القوة الأمريكية كقوة سيدة ، وهذا ما يقلق صانعي القرار في البيت الأبيض ، إذ ما استرشدنا بطرح "جون ميرشايمر" بأن استمرار النمو الاقتصادي المطرد ، سيمكن الصين من تطوير قوتها العسكرية ورفض الهيمنة الأمريكية على اقليمها ، وهو ما يرفع من احتمالات الصدام المباشر مع الولايات المتحدة الأمريكية².

لكن مسألة استمرار النمو الاقتصادي بوتيرة عالية ومستقرة ، تضمن مستوى أمن للصعود الصيني ، تبقى محل جدل وسجال قائم بين المفكرين والمراقبين الاقتصاديين ، حيث يؤكد صندوق النقد الدولي على أن استمرار وتيرة النمو الاقتصادي بمستوى خطي ، يتوقف على مجموعة من العوامل تستلزم ضرورة إجراء إصلاحات عميقة في البنية السياسية والاقتصادية الصينية تشمل المؤسسات المملوكة للدولة ، والنظام المالي ، وضرورة معالجة مشاكل الفساد والفقر العارم والفروقات الاجتماعية ، وانعكاسات التلوث على الحياة العامة ، وغيره من التحديات التي تواجه المجتمع الصيني³ .

¹ - United Nation Development Programme, China's 14th Five-Year Plan, At : <https://www.undp.org/china/publications/issue-brief-chinas-14th-five-year-plan> , Accessed On (07-05-2024)(10:12).

² -Johan Mearchimer , Joseph Nye ,The Rise Of China And America's Engagement Policy , At: <https://thediplomat.com/2015/07/mearsheimer-vs-nye-on-the-rise-of-china/> Accessed On (07-05-2024)(15:05)

³ -Simon Lemplatre, En Chine, Les Ressorts D'une Crise Economique Inedite Que Inquiet Le Monde, Le Monde, No.3, 27 Juillet 2023, P.05.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

رابعاً: المؤشر العسكري

يعد المقوم العسكري ، المعيار التاريخي الذي اعتاد العالم على فهم ابجديات القوة من عدسات منظاره ،ويوصي "جون مرشايمر" من جهته بضرورة تحصن وتمنع الدول بذرع القوة العسكرية ،التي تصوغ مفاتيح الامن والاستقرار ،فهي الملاذ والصور الواقية من غارت العدو الغاشمة والمباغطة .ورغم التحولات التي طرأت على مفهوم القوة وعناصرها تظل القدرات العسكرية العنصر المحوري للقوة بالتوافق مع تنامي الثورة التكنولوجية التي أسهمت في تطوير القدرات والتقنيات العسكرية التي سهلت الولوج للمعلومة كعنصر استباقي وحجمت أسلحة التوجيه عن بعد من خطر الخسائر التي قد تتكبدها الوحدات السياسية وعليه شهدت العقود الأخيرة اهتماما متزايدا بالتكنولوجيا العسكرية من كبرى الدول الصاعدة وأصبحت تلعب دورا نافذا في تحديد مكانة الدول في النظام الدولي¹

تنكب الصين على بدل جهود مضنية وجبارة في سبيل تطوير جيشها وتحديثه وتزويده بالمعدات والآليات والأسلحة النفائفة التي تعتمد على احدث التكنولوجيات ، بما يتساق مع الهدف الرئيس للاستراتيجية الصينية في الوصول الى جيش بمواصفات عالمية ينسجم بشكل شبه كامل مع الصعود الاقتصادي للصين على المستوى العالمي ووفقا للتقارير الصادرة عن موقع global firepower يصنف جيش التحرير الشعبي الصيني (PLA) كأكبر جيش في العالم عدة وعتادا وتعكف الحكومة الصينية على تخصيص ثاني أكبر ميزانية في العالم لتمويل وتحديث القوات المسلحة للبلاد ، ما جعلها تفتك المرتبة الثالثة من الحصة العالمية لمصدري الأسلحة² .

وقد باشرت الصين منذ عقد التسعينيات إصلاحات شاملة لمختلف فروع المؤسسة العسكرية تركزت بالأساس على تحسين معايير التدريب واكتساب نظم تسليح جديدة داخلية وخارجية (روسية بشكل خاص) .وقد فاجأت المظاهر المتعددة للتطور العسكري الصيني المحليين الغربيين وتركبهم في ذهول شديد ،خصوصا سرعة التحديث التي أولتها الصين لقواتها الاستراتيجية .ما عزز من مخاوف القوى الإقليمية الكبرى في شرق آسيا والمحيط الهادئ ، فقد تضاعفت ميزانية الانفاق العسكري الصيني وقفزت الى أعلى سقف مسجلة 1.55 تريليون يوان (231.36 بليون دولار أمريكي) بنمو قدر

¹ -Johan Mearchimere، War With China , At : <https://TheDiplomat.Com/2015/03/Mearsheimers-War-With-China/> ,Accessed On (07-05-2024)(20:43).

² - Global Firepower 2024,China Military Strength Index , At : https://www.globalfirepower.com/Country-Military-Strength-Detail.php?Country_Id=China , Accessed On (07-05-2024) (23:18).

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

ب7.2% عما سجّل في أواخر سنة 2020، ورغم أن هذه المعطيات تكشف الفجوة الواسعة التي تفصل الصين عن الولايات المتحدة الأمريكية التي انفتحت 839 بليون دولار على قطاعها العسكري مطلع العام الماضي، أي ما يعادل تقريبا نصف النفقات العسكرية لكل دول العالم مجتمعة، إلا أن هناك العديد من الاعتبارات تجعل من دلالات هذه الأرقام مسألة نسبية لا غير، أهمها توفر الصين على عمالة رخيصة إضافة إلى عدول الصين عن المسائل العسكرية خارج أراضيها، وإن كان يشتبه ضلوعها في العديد من بؤر التوتر والأزمات باستخدامها للمليشيات المسلحة وشركاتها العسكرية الخاصة التي تشكل حضورا قويا في الدول الهشة والضعيفة¹.

وارتفعت فرص ظهور القوات الصينية على المسرح العسكري الدولي خلال العقد الفارط، حيث اقامت علاقات عسكرية رسمية مع جيوش حوالي 150 دولة، وأطلقت آلية حوارات دفاعية وتشاورات استراتيجية مع وزارات وجيوش 22 دولة مثل حوارات 1+5 الخاصة بالبرنامج النووي الإيراني وشاركت في حوالي 50 مناورة مشتركة، كما انخرطت بفعالية في الشؤون الدولية بإرسال 20 ألف عسكري للمشاركة في العمليات الأممية لحفظ السلام، وانضوت على ايفاد 31 سفينة إلى خليج عدن للمشاركة في عملية الملاحه ومكافحة القرصنة².

1. القوات التقليدية

بشكل عام يشار إلى الأقسام الثلاث من القوة العسكرية الصينية (البرية . البحرية . الجوية) باعتبارها قوى تقليدية لتمييزها عن القوة النووية والصاروخية:

1.1. القوات البرية

تمتلك الصين أحد أكبر الجيوش البرية في العالم، وحسب الإحصائيات الرسمية التي أوفدها وزارة الدفاع الصينية، تتوفر الصين على أكثر من 4.3 مليون جندي، وبإضافة الشرطة الشعبية المسلحة شبه العسكرية التي تضم أكثر من 2.5 مليون فرد وقوات الاحتياط البالغ قوامها 510 آلاف عنصر، ترتفع الصورة الكلية للوحدات في القطاع إلى 8.2 مليون عسكري، وأوردت وكالة

¹ -Military And Security Development Involving The People's Republic Of China ,Annual Report To Congress , At : <https://Media.Defense.Gov/2021/Nov/03/2002885874/-1/-1/0/2021-Cmpr-Final.Pdf> , Accessed On (08-05-2024)(07:02)

² -Sipri , World Military Spending Rises To Almost 2trillion ,At: <https://www.sipri.org/Media/Press-Release/2022/World-Military-Expenditure-Passes-2-Trillion-First-Time> , Accessed On (08-05-2024)(09:40)

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

المخابرات الصينية في ورقتها البيضاء أن الصين بإمكانها بلوغ سقف 10 مليون عضو عسكري نظامي ، وتتوفر القوات البرية الصينية على 94 فرقة عسكرية مسلحة و 117 فرقة للمدفعية ، و 700 ألوية مدرعة وما يزيد عن 16 ألف دبابة¹.

2.1. القوة البحرية

تعد القوة البحرية الموسعة عنصرا أساسيا في محاولة الرئيس "شي جي بينغ" لجعل الصين القوة العسكرية الأبرز في المنطقة، إذ تمتلك الصين قوة بحرية قوامها 750 قطعة قتالية كبرى، حوالي 72 غواصة هجومية (27 منها تعمل بالطاقة النووية والأخرى تعمل على وقود الديزل)، و 425 بارجة حربية ثقيلة ومتوسطة 48 مدمرة قتالية، وأزيد من 216 مركبا لخفر السواحل مجهزة بالصواريخ الباليستية. يضم سلاح البحرية الصينية ثلاثة أساطيل هي: اسطول بحر الشمال، وأسطول بحر شرق الصين، وأسطول بحر جنوب الصين، هذه البيانات المذكورة تشفع لصين ان تكون أكبر قوة بحرية في اسيا².

وجاء استلام الصين لعدد من المدمرات الصاروخية روسية الصنع (SOVERMNNY) ما بين عامي 2012-2013 في اطار مشروع صيني ضخيم لتحديث قطاعاتها العسكرية المختلفة لتواكب نموها الاقتصادي ومصالحها الاستراتيجية المتنامية ، وهذا النوع من المدمرات مهيأ خصيصا لحمل صواريخ "كروز" المضادة للسفن ، (ASCMS) والتي تتمتع بقدرات فائقة على تظليل أجهزة الرادار ، في الاطار ذاته تواصل الصين بناء غواصاتها الذاتية (SONG-CLASS) والمصممة لحمل صاروخ (yz-82) المضادة للسفن ، كما تدعم مؤخرا الأسطول الصيني بغواصات نووية جديدة (SHANG-CLASS TYPE093) مع تحديثات صارخة تتضمن بنية سطحية أكثر احكاما وإتقانا لحاملات الطائرات³.

3.1. القوة الجوية

تمتلك قوات الدفاع الجوي الصيني وبحرية جيش التحرير الشعبي الصيني أكثر من 2500 طائرة حربية مما يجعلها ثالث اكبر قوة جوية في العالم ، وفق ما خلص اليه تقرير البنتاغون ،

¹ -Roger Cliff, China's Future Military Capabilities (Carlisle Barracks : Us Army War College Press, 2023), Pp.54, 55.

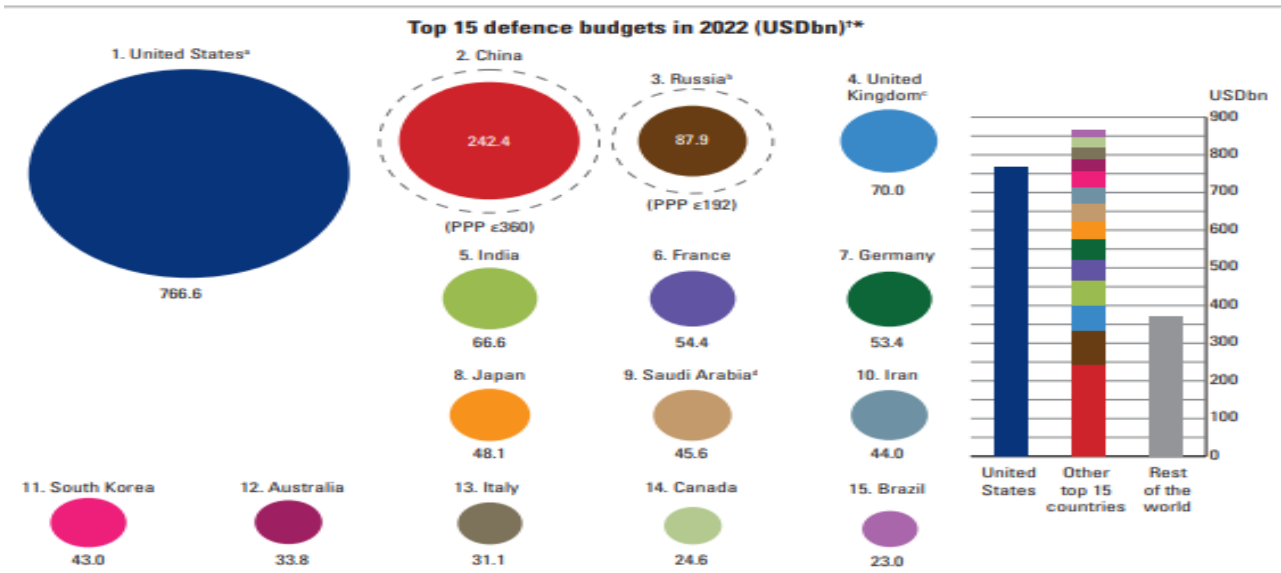
² - United States Naval Institute , Report To Congress On Chinese Naval Modernization , October 20,2023,At : <https://News.Usnl.Org/2023/10/20/Report-To-Congress-On-Chinese-Naval-Modernization-19> , Accessed On (08-05-2024).(11:15)

³ - Brad Lendon ,Simone Mccarthy,Blue Water Ambition : Is China Looking Beyond Its Neighborhood Now It Has The World 'S Largest Navy ? , At : <https://Edition.Cnn.Com/2023/09/01/Asia/China-Navy-Overseas-Military-Bases-Intl-Hnk-Ml/Index.Html> , Accessed On (08-05-2024)(15:06).

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

وتواصل شركات تصنيع الطائرات الحربية استعراض عضلاتها بتقديم مقاتلات متطورة تدمج تقنيات قتالية ذكية ، نحصي منها الطائرات الهجومية الجديدة بدون طيار ، والطائرات المقاتلة الشبح من الجيل الخامس ، وطائرات الشحن ، والدفعات الجوية روسية الصنع من طراز s-400 و s-500 ، وتمتلك الصين اليوم واحدا من افضل أنظمة الرادار في العالم ، يستخدم بشكل متزايد معالجات رقمية متصلة بالشبكة وسرعات الكومبيوتر على أوسع نطاق من الترددات الاكتشاف الطائرات¹.

الشكل رقم (07) : يوضح اهم ميزانيات الدفاع لعام 2022



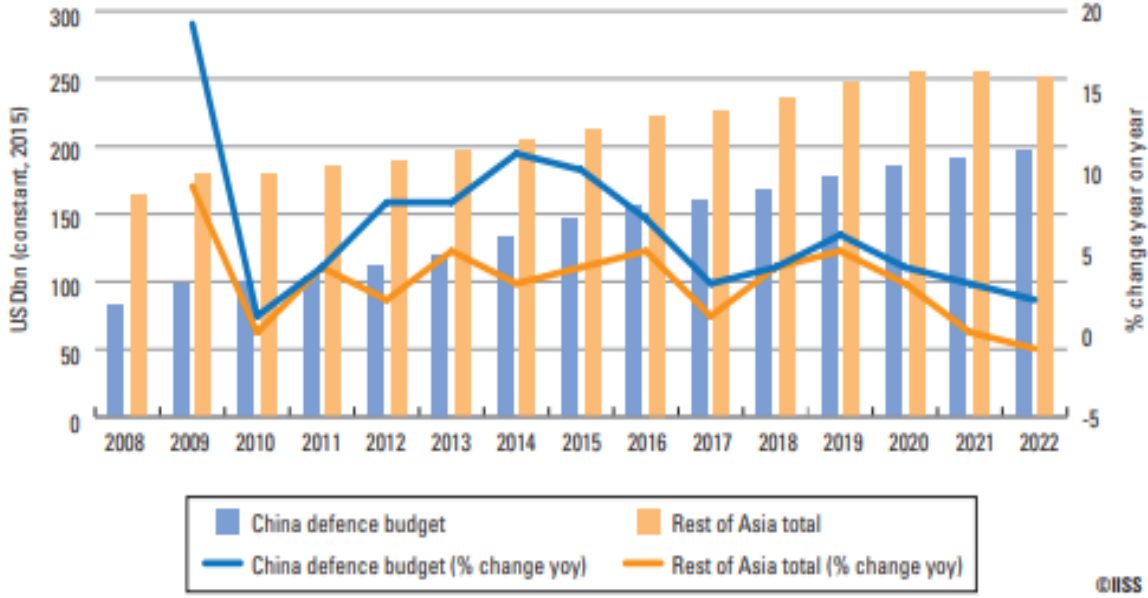
المصدر:

The Military Balance The Annule : Assement Of Global Military Capabilites And Deffence Economic2023، The International Institute For Strategic Studies،P.1

¹ -Rand Corporation, **United States Chinese Air Superiority Capabilities: An Assessment Of Relative Advantage 1967-2023**, April 2023, Pp.19-24.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

الشكل رقم (08) : يوضح ميزانية الدفاع الصينية مقارنة ببقية آسيا (2008-2022)



المصدر:

The International Institute For Strategic Studies, The Military Balance
The Annule Assement Of Global Military Capabilites And Deffence
Economic2023.P.226.

من خلال القاء نظرة تحليلية لمعطيات الشكلين رقم 06 و 07 الموضحين أعلاه يتجلى نهج التحديث والعسكرة الذي تسلكه الصين متبوءة بذلك المركز الثاني ضمن رأسية أرفع ميزانيات الدفاع في العالم لعام 2022 بإنفاق سنوي قدره: 360 بليون دولار حتى انها اعتلت الصدارة ضمن جوارها الإقليمي باعتبارها أكبر بلد آسيوي يفرد مخصصات مالية ضخمة لتعتيد جيشه وتجديد قطاعه العسكري في العقد الثاني والثالث من القرن الحادي والعشرين، وتعاذل مكرسات تصنيع السلاح ودعم منظومات الدفاع ميزانية القارة الآسيوية جمعاء فمنذ سنة 2008 الى 2022 تواترت الزيادات الطائلة في معدل الانفاق وبوثيرة مستمرة لا مقطوعة، ما يوحى بمخاوف بكين حيال استراتيجية التطويق وإذاع القلاقل التي تباشرها الولايات المتحدة في مجالها الحيوي (بحر الصين الجنوبي وفي جنوب شرق اسيا)، ناهيك عن الدعم المسند لتبنيه وهو ما سدد خطوات القيادات الصينية إلى رفع مؤشرات التسليح وتطوير العقيدة العسكرية.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارنة بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

4.1. القوة النووية الصينية

منذ ان أصبحت قوة نووية عام 1964 ، تبنت الصين نهجا نوويا مختلفا عن ذلك الذي اتبعته القوتين العظيمتين اثناء الحرب الباردة ، وهو النهج الذي جسده شعار " عدم المبادرة بالاستخدام" (non first use) الذي أطلقته الصين عقب فترة قصيرة من تجربتها النووية الأولى ، وعرفت بمواقفها البطولية في دعم المساعي الدولية لوقف مسار سباق التسلح النووي ، وكان لنصيب التجارب الوخمة التي استخلصتها الصين من الحرب الكورية ، وأزمات مضيق تايوان ، بالغ الأثر في إقدام الصين على وضع مسألة الردع النووي والقدرة على الضربة الثانية هدفا حيويا لعقيدتها العسكرية¹ .

باشرت الصين في تحسين كمي ونوعي لصواريخها الاستراتيجية " البالستية"، ذات القدرة النووية العابرة للقارات ، وهذا ما مسموح لها باكتساب قدرات ردع نووي عالية الفعالية ، وبحسب الكتاب السنوي لمعهد (SIPRI 2023) فقد بلغ المخزون الاستراتيجي الصيني أكثر من 500 رأس حربي نووي ، ومن المرجح أن يكون لها أكثر من 1000 رأس حربي نووي جاهز للعمل بحلول 2030، كما تعمل بكين على قدم وساق لزيادة عدد منصات إطلاق الأسلحة النووية البرية والبحرية والجوية² .

ويبدو أن منحى التحول بعيد المدى الذي خطت الصين في مضماره ، سيجعل منها قوة عصرية ماحقة وأكثر حداثة من حيث القدرة على شن حروب سريعة الشدة ضد خصومها المبينة ، التي تعادلها في اقتراب التكنولوجيا الثورية ، ويبدو أنيا ان الترسانة العسكرية الصينية موجهة للتمهيد الفوري والاستعجالي لأي طارئ قد يحدث على حين غفلة ، بما في ذلك إمكانية تدخل الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة ، ويجمع أغلب الملاحظين للسياسات الدولية الآسيوية على اعتبار التوجه الاستراتيجي والواقع العسكري لجمهورية الصين الشعبية، سيكون المتغير الرئيس في تحديد معادلة الاستقرار والامن الإقليمي في القرن الحادي والعشرين .

¹ - Woolgar-James, Richard, The Future Of Nuclear Disarmament: The Problematic Estimates Of China's Nuclear Strength, **Comparative Strategy**, Vol .35, No. 1 (April 2016), Pp.43–57.

² -Sipri Year Book 2023: Armament And International Security, (Oxford University Press, Stokhompeace Research Institute, 2023), Pp.383-390.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

الشكل رقم (09) : تمثيل بياني يوضح المخزون العالمي من الرؤوس الحربية النووية لسنة 2023



المصدر: من اعداد الطالب بالاعتماد على:

Hans M. Kristensen, Matt Korda, And Robert Norris, "Status Of World Nuclear Forces," 2023, Federation Of American Scientists (FAS, March 29, 2023, At : <https://fas.org/initiative/status-world-nuclear-force/>

نستدل من خلال البيانات الواردة في الشكل رقم (8) ، على نمو المخزون النووي الصيني بشكل حاد خلال السنوات القليلة الماضية ، رغم استمرار التفوق الروسي الأمريكي كقوتين نوويتين رئيسيتين ، فقد بلغ مخزون بكين الإجمالي من الرؤوس النووية غير المنشورة 410 رؤسا تقديرا أقل ما يقال عنه ، أنه استثنائي في مسيرة صعودها ، بينما تحصي روسيا 1938 رؤسا والولايات المتحدة الأمريكية هي الأخرى تحصي 2815 رؤسا ، ما يعكس النهج السلمي الذي تنادي به الصين اليوم .

من زاوية أخرى ، تنطلق التوجهات العسكرية الصينية من مخاوفها حيال البيئة المحيطة ، الإقليمية والدولية ، لذلك فهي تستعد عسكريا لحماية بيئتها الداخلية في مواجهة أي محاولات للتمرد والانفصال الداخلي ، بالإضافة الى استعدادها الدائم والمتأهب لمواجهة الإرهاب ، والحفاظ على السلم والأمن المحلي ، واستقرار نظام الحكم ، وعلى الصعيد الإقليمي فهناك توجهات عسكرية لحماية المصالح الصينية في الإقليم من خلال تأمين حدودها الإقليمية ، والاستعداد لحرب دفاعية اذا ما استدعى الامر أما دوليا فهناك خوف صيني من احتمالية مواجهة كبيرة مع الولايات المتحدة الأمريكية التي ترفض تقبل صعودها وتحاول تثبيطه ، لذلك تواظب بكين على تطوير قدراتها العسكرية ، حتى

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

أصبحت القوة العسكرية أحد أبرز عوامل قوتها ، وبالرغم من تخلفها عن منافستها الروسية والأمريكية ، إلا ان بكين عقدت العزم على تكثيف أبحاثها وتسخير إمكانياتها لتسند اتكائها الاستراتيجي على جناحها العسكري¹.

في الاطار ذاته ، جسدت نظرية " عقد اللؤلؤ" التي حذتها الصين في المحيط الهندي ، مفارقة استراتيجية من خلال بناء مجموعة من القواعد البحرية الصينية التي تمتد من بحر الصين الجنوبي وصولا الى شواطئ افريقيا على طول الممرات (مضيق ملقا، بحر العرب، الخليج العربي) البحرية وصولا الى الشرق الأوسط لحماية مصالحها الحيوية في المنطقة ما شكل حلقة وصل بين النفوذ الجيوسياسي الصيني والوجود العسكري بإقامة سلسلة من القواعد العسكرية والموانئ الحربية ، ومهابط للطائرات ، لتأمين وصول امدادات الطاقة التي توفد اليها من ما وراء البحار².

جدول رقم (02): يوضح بعض قدرات جيوش " الولايات المتحدة الامريكية – روسيا -الصين
"لسنة 2023"

المؤشرات	الدولة	روسيا	الصين
التصنيف العالمي	01	02	03
ميزانيات الدفاع مليار دولار	770	154	230
القوة البشرية	عدد السكان	142 مليون. ن	1.39 مليار. ن
	عدد الجنود	2.245 مليون	3.355 مليون
	جنود الاحتياط	442000 مليون	510000
القوة البرية	دبابات	6.612	5.250
	عربات مدرعة	45.193	35.000
	مدفع ذاتي محرك	1.498	4.120

¹ -Bhartendu, Kumar Singh, Whither China's Military Modernization?, Strategic Analysis ,Vol.32, No. 4 (July 2018), Pp.677–684.

² -Arton, Benjamin, Leveraging The 'String Of Pearls' For Strategic Gains? An Assessment Of The Maritime Silk Road Initiative's (Msri) Economic Security Nexus In The Indian Ocean Region (Ior) , **Asian Security** ,Vol.17, No. 2 (November 2021), Pp. 216–235.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

3.160	3.391	1.366	أجهزة عرض الصواريخ المحمولة	
777	605	484	قطع البحرية	القوة البحرية
02	01	11	حاملة الطائرات	
41	15	92	مدمرات	
79	70	68	غواصات	
36	49	08	كاسحة الغام	
3.285	4.144	13.241	مجموع الطائرات	
1.200	772	1.957	الطائرات المقاتلة	
371	739	783	الطائرات الهجومية	القوة الجوية
912	1.543	5.463	مروحية عسكرية	
281	544	910	مروحية هجومية	

المصدر: من اعداد الطالب بالاعتماد على <https://www.globalfirepower.com/countries.php>

من خلال مؤشرات الجدول رقم (02) يتبين لنا أن الجيش الصيني يفوق نظيره الأمريكي والروسي في العديد من الجوانب وفي عقد المقارنة نلاحظ أن عدد المجندين في الجيش الصيني يبلغ 3.355 ما يجعله في منزلة اسمى عن منافسيه ناهيك عن الأرقام التي تسجلها أجهزة عرض الصواريخ ، ما يدفع بكين إلى استكمال التحديث الاستراتيجي لصواريخها الباليستية المدمرة ، أما في مجال القوة البحرية تحوز الصين على 79 غواصة بحرية ما يجعلها قوة بحرية إقليمية بدون مضاه ، كما يعد سلاح الجو الصيني الأكفأ من حيث السرعة والتقانة بما فيها طائرات الهليكوبتر القتالية ، وما يجب الإشارة اليه أن الصين عملت فعليا على ترقية تجهيزاتها العسكرية ، وأدرجت ضمن مبادئها الاستراتيجية ضرورة دعم قدراتها الاقتصادية بقدرات عسكرية متطورة لصعود سلم القوى الدولي بساقين متماثلين . عند التمعن في ارقام المقارنة فان الكفة سترجح للولايات المتحدة الامريكية وروسيا، لكن ذلك لا ينفي تصاعد وثيرة الانفاق الصيني على التحديث العسكري ، ووفقا لتقديرات موقع global fire power فإن دؤوب الصين على هذا الإيقاع سيؤهلها لإزاحة الولايات المتحدة الامريكية من قمة الصدارة العسكرية.

تجنح بكين الى امتطاء سياسات التبرير مرجئة توجهات الاستراتيجية في التحديث العسكري الى حماية الأمن ، وتأمين خطوط الامدادات الاستراتيجية للموارد الأولية القادمة إليها ، إلا ان القوى الإقليمية الاسيوية كالهند واليابان ترى أن هذه الخطوات تعكس نوايا توسعية صينية لتلتمس الصين خطاب تبرئة الذمة مما ينسب إليها وتسعى جاهدة لطمأنه محيطها الإقليمي والعالم ، وهو ما جاء على

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

لسان نائب رئيس الأركان العامة لجيش التحرير الشعبي الصيني الجنرال "تشي جيان قوه" في مقابلة صحفية أجرتها معه مراسلة إذاعة صحيفة الشعب اليومية الصينية في 07 نوفمبر 2017، حيث قال " في هذه المرحلة ، لو أردنا التنمية ، يجب علينا أن نرئ بيئة سلمية لتحقيق التنمية لجيراننا ، ولو أردنا الأمن ، يتعين أن نخلق منطقة آمنة يعيش فيها الكل بسلام، ولن يبعث الأمن ولا الاستقرار إلا بتعزيز التعاون مع جيراننا لتحقيق المنافع المشتركة"¹.

خامسا: المؤشر التكنولوجي

لقد أصبح التقدم العلمي والتكنولوجي أحد ابرز عوامل تطور المجتمع الإنساني ،ومعطى رئيس في تسريع الانماء الاجتماعي والاقتصادي للمجتمعات ، لذلك تشدد الدول على حرصها الدائم في وضع سياسة تنمية واضحة المعالم ومحددة الأهداف ، لتعزيز القطاع العلمي والتكنولوجي ، وتبني مخرجاته العلمية والمعرفية والفنية، وتطبيقها على أرضية الميدان لمجابهة سيل التحديات والتهديدات المطروحة في شتى المجالات ، ويطرح كيسنجر في مؤلفه المعنون ب " النظام العالمي تأملات حول طلائع الأمم ومسار التاريخ " فكرة جوهرية تنم عن أهمية التكنولوجيا الحديثة المدعمة بالتقدم العلمي في تطور الوحدات السياسية وتحديد مكانتها في هرمية النظام الدولي².

كانت الصين من الدول السبابة التي راعت تطوير قطاعها العلمي والتكنولوجي ، وقد أعربت بكين في نص خطتها الخماسية التزامها التام بتطوير حقل التكنولوجيات الحديثة والبرمجيات ، اذ خصصت 1.4 تريليون دولار في سبيل دعم مشاريع البحث والابتكار ، وفتحت البلاد أبوابها منذ ثمانينيات القرن الماضي الاستقطاب الاستثمارات الأجنبية في القطاع التكنولوجي بهدف اكتساب المعرفة والخبرة التقنية ، بالتوازي مع ذلك دعمت الحكومة الصينية البنية التحتية العلمية من معاهد ومختبرات ومراكز بحث ، كما شجعت الجامعات ومراكز البحث وزودتها بكافة الوسائل والإمكانات ، ووظفتها الاعداد طاقات بشرية منتجة³.

¹- Menon, Raja, Civil And Defence Science And Technology: China 2025, **Maritime Affairs: Journal Of The National Maritime Foundation Of India**, Vol. 5, No. 2 (November 2017 ,Pp.113–134.

²-Henry Kissinger, World Order: Reflection On The Character Of Nations And The Course Of History, (London: Penguin Books, 4eme Edition, 2014), Pp.361-364.

³- Anglina, Guofan Shao, Limin Dai ,Roles Of Digital Technology In China's Sustainable Forestry Development, International Journal Of Sustainable Development & World Ecology ,Vol.16, No. 2(April 2019) .Pp.394-403.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

ساهم كل ذلك في تعميم الوعي العلمي والتكنولوجي ، ورواج التقانة على أوسع مدى ، وهو ما يجس في مختلف الميادين الزراعية والاقتصادية والعسكرية ، ففي الربع الثاني من سنة 2019 حصدت الصين المرتبة الأولى عالميا في تقديم وايداع براءات الاختراع لدى المنظمة العالمية للملكية الفكرية التابعة للأمم المتحدة متجاوزة مقعد الولايات المتحدة الأمريكية ، كأكبر مستخدم لنظام معاهدة البراءات ، كما استطاع المسبار الصيني " تشانغ أي 4 " الهبوط بعيد القمر في سابقة هي الأولى من نوعها تاريخيا ، كما دشنت التلسكوب الراديوي الأكبر في العالم " fast " ¹.

اثمرت جهود بكين الاستثمارية في قطاعي البحث العلمي والتكنولوجي على تحقيق هدفها المنشود في ان تكون قوة سيبرانية عظمى ، ففي فبراير من عام 2014 اعلن الرئيس الصين " شي جي بينغ " عن انشاء المجموعة القيادية المركزية بالحزب الشيوعي للأمن السبراني وتطوير الاقتصاد الرقمي ، ومنذ ذلك العهد اصبح الاطار المفهومي للقوة السبرانية في قلب الاستراتيجية الصينية لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات السلكية واللاسلكية ².

وفي مجال الذكاء الاصطناعي تحولت البلاد من بلد مقلد للتكنولوجيا ، الى بلد مبتكر ويبدع ، نتيجة للاستثمار العقلاني والرشيد في مجالات البحث العلمي والتطوير التكنولوجي ، وقد قفزت مؤشرات انفاقها العالمي في التكنولوجيا الرقمية والبرمجيات ، وسطع نجم الشركات الصينية كشرركات رائدة في مجال الذكاء الاصطناعي نذكر منها شركة DJK المهيمن على سوق الطائرات بدون طيار ، وشركة SENSE TIME التي أدرجت ضمن كبريات الشركات العالمية للذكاء الاصطناعي الأعلى قيمة ، ولا ننسى شركة HUAWEI ذائعة الصيت في مجال الاتصالات اللاسلكية والتي تعمل بتكنولوجيا الجيل الخامس ، والتي اكتسحت الأسواق العالمية بجودة منتجاتها واسعارها التنافسية ، وعملق التجارة الالكترونية Ali baba ، وشركة TEN CENT التي طورت تطبيق WE CHAT وتطبيق TICK TOK ³.

ويجدر التنويه، الى وجود ارتباط وتكامل متآخ بين القطاعين التكنولوجي والعسكري، حيث يعمل المقوم التكنولوجي على تطوير القدرات العسكرية للقوات الصينية ، بهدف تقليص الاعتمادية

¹ - Sunyifei, Yu Zhougeorge C. S. Lin, Y. H. Dennis Wei, Subcontracting And Supplier Innovativeness In A Developing Economy: Evidence From China's Information And Communication Technology Industry, Regional Studies, Vo.47, No. 10, (2013) ,Pp. 166-184.

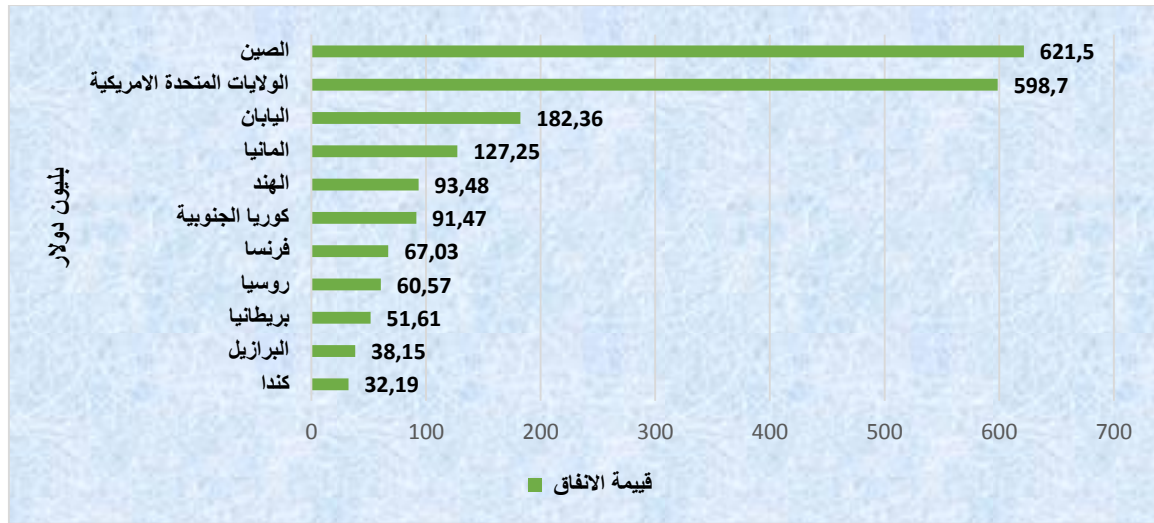
² -Ibid ,P.180.

³ - Khanal Shaleen, Hongzhou Zhang, Araz Taeihagh, Development Of New Generation Of Artificial Intelligence In China: When Beijing's Global Ambitions Meet Local Realities , **Journal Of Contemporary China**, Vol.10,No.1 (April 2024),Pp.1-24.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

الخارجية ،وقد تركزت التكنولوجيا العسكرية الصينية بالأساس على تقنيات التجسس والاستطلاع وحرب المعلومات ،بالإضافة الى الذكاء الاصطناعي ،و الحوسبة عالمية الأداء ،وتطوير الأقمار الصناعية وشبكات الحاسوب ،بالتوازي مع تطوير القدرات التقليدية .

الشكل رقم (10): تمثيل بياني يوضح اجمالي البلدان الرائدة في الانفاق العالمي على البحث والتطوير لسنة 2023



المصدر: من اعداد الطالب بالاعتماد على

<https://www.statista.com/statistics/732247/worldwide-research-and-development-gross-expenditure-top-countries>

يوضح الرسم البياني رقم (09) الانفاق العالمي على البحث والتطوير لسنة 2023 ،نلاحظ من خلاله الزيادة المستمرة في الإنفاق الحكومي الصيني على اصلاح قطاع العلوم والتكنولوجيا وتحديث البنية التحتية اللازمة ،لاستكمال عملية الإصلاح الداخلي واستدامة النمو الاقتصادي واحتكار فضاء الذكاء الاصطناعي، عبر تدشين عصر الروبوتات ونقل الحرب الى الفضاء المفتوح والاستثمار بتقنيات الجيلين السادس والسابع من الاتصالات اللاسلكية ،وقد قدرت الأظرف المالية المخصصة لهذا التوجه 621.5 تريليون دولار وهو رقم يعكس النية الحقيقية للصين في قيادة عصر الطفرة التكنولوجية .

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

يتضح مما سبق التعرّيج اليه أن الصين تمتلك مقومات بشرية، واقتصادية، وعسكرية، وتكنولوجية وإرثا ثقافيا وحضاريا يؤهلها لتكون قوة فاعلة إقليميا ودوليا، حيث تدرك بكين حجم امكانياتها ومقوماتها بشكل ينعكس على أدائها السياسي الداخلي والخارجي.

المطلب الثاني: التوجهات الناعمة في السياسة الخارجية الصينية

حفز الصعود الصيني السريع في العديد من هياكل القوة الدولية، خاصة مع تأذن القرن العشرين بالزوال وبداية القرن الحادي والعشرين، توقعات عديدة بتحول الصين الى قطب دولي فاعل خلال المدى القريب، ولربما الى قائد دولي في المدى البعيد، ما دفع بسياستها الخارجية للانخراط بدرجة أكبر في شبكة من التفاعلات اللاقطبية ذات الطابع السلمي، المائل لمكانيزمات توظيف القوة الناعمة تأسيسا لنزعة التعديل في البنية الهرمية للنظام الدولي

ضمن هذا الاطار، مرت السياسة الخارجية الصينية بمحطات تعاقبية بارزة أسهمت بشكل فعال في تحديد معالم توجهاتها وأطرت دوائر تفاعلها الجيوسياسي، حيث اتسمت المرحلة الأولى من التأسيس بالثورية قاد بطولتها الزعيم ماوتسي تونغ (1949م -1978) ، فيما احتضنت المرحلة الثانية (1979-2012) استراتيجية الإصلاح والانفتاح التي استهلها دنغ سياو بنغ وتابعتها خليفه " جيانغ " و " زيمو وهوجيناتو " ، بينما تبنت المرحلة الثالثة (من مارس 2013 الى غاية يومنا هذا) نهجا انفتاحيا بقيادة الرئيس " شي جين بينغ " على العولمة يرنوا لاحراز دور ريادي يوائم مقومات القوة والمكانة التي تحظى بها الصين¹ .

تحرص بكين على نهج سياسة خارجية سلمية وهو ما أكدت عليه استراتيجيتي "الصعود السلمي" و "عالم متألف" اللتان دشنتهما الرئيس الأسبق "هوجيناتو" ، وما صدقته الوثيقة البيضاء الصادرة في سنة 2011 ، والتي ورد فيها أن الصين تلتزم بالمبادئ الخمسة للتعایش السلمي ، وتحترم سيادة الدول ، وتنتهج سياسة حسن الجوار ، كما تتبع سياسة الانفتاح القائمة على المنفعة المتبادلة ، وحماية المصالح المشتركة ، ومنذ استلام الرئيس " شي جي بيغن " مقاليد الحكم ، لم تعد الصين تضرر رغبتها الفعلية في لعب دور نشط داخل هياكل المنظومة الدولية ، حيث أعلنت عن صدق نيتها في

¹ - Gill, Bates, China's Future Under Xi Jinping: Challenges Ahead, Political Science, Vol.69, No. 1 (Jun 2017, Pp.1-15.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

إقامة نظام عالمي جديد أكثر انصافاً وافر عدلاً ، ما ستوجب منها تطوير دبلوماسية نشطة تذر على السلم والأمن الدوليين بالرفاه ولازدهار¹.

في واقع الامر ، بدأ الاهتمام الصيني بمدلول القوة الناعمة كمجال للنقاش السياسي والفكري في تسعينيات القرن المنصرم ، وذلك مع حاجتها الماسة لدرء الأطروحات المروجة للخطر الصيني التي طفت الى السطح بدعاية غربية مشينة هدفها تشويه صورة الصين وتحجيم نفوذها ، واستناداً لذلك صك "وانغ هونغ" رؤيته للقوة الناعمة الصينية ملحا على ضرورة الاستثمار في العنصر الثقافي ، لانتقل توظيفية المفهوم الى البيت السياسي وتدخل ضمن تكتيكات السياسة الوطنية واستراتيجيات التطوير مع بداية الالفية الأولى ، طمعا في كسب الرضى الشعبي مع التطلع التواق الى ايجاد بيئة دولية تساهم في استمرار التنمية المحلية وتعزيز الصعود السلمي².

على المستوى النظري ، ينطوي خطاب القوة الناعمة في الصين على " انعطافات مفهومية " conceptual twist " ، فمع قبوله لمفهوم جوزيف ناي الأساسي للقوة الناعمة المستند إلى الجذب والإقناع والتعاون والاقتداء ، إلا أنه غالبا ما يجادل الصينيون بأن الثقافة والأيديولوجيا والقيم السياسية ليست بالمصدر الوحيد للقوة الناعمة ، في إشارة الى ان هذه المصادر العامة للقوة الناعمة غير منتجة دوما للجاذبية ، في حين يمكن للقوة الصلبة أن تكون مصدرا للجاذبية والإغراء والصدقة ضمن ظروف معينة اذا تم استخدامها بطريقة سلسلة من قبيل أنشطة حفظ السلام الدولية او الممارسات الإنسانية كالإغاثة ابان الكوارث³.

تتضح معالم التوجه الناعم الذي تطمح الدبلوماسية الصينية الى رواجه في إطار مبادرة "الحلم الصيني" التي ترتبط بذاكرة الأمة الصينية وماضيها التليد في جملة من التوجهات الرئيسية سنأتي على ذكرها:

¹ -Sixth Plenary Session Of The 19th Central Committee Of The Communist Party Of China , **Resolution Of The Central Committee Communist Party Of China On The Major Achievement And Historical Experience Of The Party Over The Century** ,November 11, 2021,Pp.1-12.

² - William A, Callahan, Elena Barabantseva, China Orders The World: Normative Soft Power And Foreign Policy Edited, **The China Journal**, Vol.70, No.70 (August 2021), Pp.277-279.

³ -Joseph S.Ney, Soft Power And Great Power Competition: Shifting Stands In The Balance Of Power Between The United State And China, (Cambradge: Springer International Publishing, 2022).Pp.89-91.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

أولاً : تصدير الثقافة الاستراتيجية الصينية الى العالم

الثقافة هي من القضايا التي يركز عليها دارسوا القوة الناعمة، وللصين ثقافة يضرب جذورها في عمر الزمن، لا تقوم على المنافع بل المبادئ، وهي تطاوع الحداثة دون خسران الهوية، وتصون الانسجام في المجتمع وتتناغم مع حضارات عالمية، ولا تهدف الى دحرها من معتقد العلوية والشرعية التطبيقية وحق الاستبدال، بل هي ثقافة سمحا، لا تخفي أي نية في غزو ثقافات الأمم الأخرى، بل تدعو برحابة صدر لبذل جهد مشترك لتحقيق ثراء ثقافي عالمي.

ومما لا شك فيه، أن انتهاج الصين لسياسة الانفتاح والليونة صنع منها لاعبا هاما في الساحة الدولية، ومنحها وسم الحيادية تجاه الشؤون الداخلية للدول، ما جعل العديد من الدول النامية تغرم بالنموذج الصيني، خاصة وأن هذا الأخير يهدف بمنطق الحل الدبلوماسي في المنازعات الإقليمية والدولية، وترسيخ ضوابط الشرعية الدولية، وتعمل بكيين على إرساء نظام دولي متعدد الأقطاب بالارتكاز على سياسة الاستقطاب الثقافي النابعة من مبادئ الفلسفة الكونفوشيوسية، وفي هذا الاطار خصصت بيكين ميزانية خاصة لبرامج تطوير ونشر الثقافة، واهتمت بزيادة عدد برامج التبادل الطلابي، وقدمت العديد من المنح الدراسية في مختلف المجالات للطلاب الأجانب، واستحدثت معاهد كونفوشيوس للثقافة واللغة¹، باعتبارها منظمات تعليمية غير ربحية تلبي الطلب المتزايد لتعليم اللغة الصينية، وتعزيز فهم الثقافة الصينية في الخارج. فتح اول معهد أبوابه في سيول (كوريا الجنوبية) عام 2004، ومنذ ذلك الحين ارتفع عدد المعاهد المنتشرة في ربوع العالم ليبلغ في سنة 2023 حوالي 500 معهدا موزعا على 87 دولة، تنتمي هذه المعاهد الى وزارة التعليم الصينية، وتعمل على تصميم سياسة للترويج الدولي للغة وبرامج التنمية الصينية، وتقديم الاستشارات التعليمية والمرافقة الأكاديمية لكل الاطوار².

وتعد معاهد كونفوشيوس أداة رائدة من أدوات القوة الناعمة، تعادل المجلس الثقافي البريطاني ومعهد جوته الألماني والتحالف الفرنسي، فهي وسيلة مهمة للتعريف بالصين المعاصرة وثقافتها التاريخية، وتحرص الحكومة الصينية على تزويد المعاهد بالمعلمين والاداريين المؤهلين لرعاية الفعاليات الثقافية، ويصرف لها ميزانيات طائلة، وتؤمن دورات المعاهد في افريقيا وامريكا اللاتينية وأجزاء من

¹ Lai Christina, Soft Power Is Not So Soft: Is A Reconciliation Between China's Core Interests And Foreign Policy Practices Possible?, **Political Science**, Vol. 72, No. 3 (Octobre 2020).Pp.167-185.

² -Ibid, Pp.172, 173.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

جنوب شرق اسيا للأفراد فرص عمل مع الشركات الصينية العاملة هناك، وتشكل هذه المعاهد أداة جذب لرجال الاعمال والمستثمرين¹.

وهذا إن دل شيء انما يدل ، على أن الغرض الأساسي من هذه السياسات كسر حاجز التواصل مع العالم الخارجي ، واذابة جليد الشك والتوجس من صعودها ، وتجاوز تاريخ طويل من العزلة ، بفعل البعد الجغرافي ، واختلاف اللغة ، كما طورت منظومة إعلامية متكاملة ناطقة باللغات المختلفة، تشمل الإذاعة ، التلفزيون ، الدراما الأفلام ، الكتب والروايات ، واطلقت مجموعة من القنوات الفضائية الناطقة باللغة العربية ، والإنجليزية ، والفرنسية ، والاسبانية ، والروسية ، كما تشجع عملية ترجمة الكتب التي تعكس الثقافة والقيم الصينية².

ثانيا : تعزيز ثقافة الجوار

لطالما كانت القارة الاسيوية ساحة للنزال والتوترات، اذ خاضت الجارتين الهندية والباكستانية حروب دامية زعزعت ثواب الاستقرار الإقليمي ولا زالت بوادر النزاع قائمة بين البلدين، ناهيك عن النزاع الحدودي الذي فتت وحدة التراب الكوري، ووسط هذه البيئة المضطربة خطت الصين خطوات واصبة في التنمية والتطور، مدركة تمام الادراك أهمية توفير بيئة محيطة سليمة كشرط مسبق للصعود.

والجدير بالملاحظة ، أن الصعود الاستراتيجي الذي سجلته الصين في القارة الاسيوية لم يكن منفردا ، اذ رافقه صعود العديد من القوى الإقليمية كاليابان ، اللتان يربطها بهما تاريخ مرير من الصراع والشقاق إلا أن الشعرة التي قسمت ظهر البعير وغيّرت من التوجهات العدائية الصينية لجوارها الإقليمي كانت في الزيارة التي قادت رئيس الوزراء "لي برينغ" الى تايلاند في عام 1988 ، معربا عن رغبة الصين في بناء أواصر الثقة مع جيرانها وحسن الجوار والتنمية المشتركة ، ومنذ ذلك الحين بدأت الصين في نسج علاقات إيجابية مع جيرانها متجاوزة النزاعات والخلافات التاريخية من خلال دبلوماسية مرنة تسعى الى كسب ودّ أكبر عدد من الأصدقاء في محيطها الإقليمي³.

¹ - Zhou Ying, Sabrina Luk, Establishing Confucius Institutes: A Tool For Promoting China's Soft Power? , **Journal Of Contemporary China**, Vol25, No. 100(March 2016).Pp.628-648.

² Peng Weiyang, Michael Keane, China's Soft Power Conundrum: Film Coproduction And Visions Of Shared Prosperity, **International Journal Of Cultural Policy**, Vol. 25, No. 7 (Jun 2019), Pp. 904-916.

³ - Cheng, Joseph Y.S, China's Asian Policy In The Early Twenty-First Century: Adjusting To Its Increasing Strength, **Journal Of Asian Public Policy**, Vol 1, No. 3 (2008), Pp. 237-266.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

ومع بداية تسعينيات القرن العشرين تم إعادة العلاقات مع اندونيسيا ، وإقامة علاقات دبلوماسية مع كل من سنغافورة وسلطنة بروناي ، وفي عام 1991 أعادت بكين مدّ علاقاتها الدبلوماسية مع كل من الفيتنام ، لاروس كما شجعت بكين التكامل الاقتصادي والتنموي في محيطها الإقليمي ، ففي عام 1992 م شاركت ممثلة بوزير خارجيتها في الاجتماع الـ 24 لوزراء خارجية الآسيان كبادرة نوعية لتحسين العلاقات مع جيرانها ، ومع انضمام بكين الى منظمة التجارة العالمية في عام 2001 زاد معدل تبادلها التجاري الحر مع رابطة الآسيان حيث بلغ 78.3 مليار دولار امريكي في عام 2003 م ، وبعد توقيع اتفاقية التجارة الحرة بين الصين ومجموعة الآسيان وصل حجم التجارة الثنائية 292.8 مليار دولار امريكي ، وفقا للتقرير الصادر عن البنك الدولي للتعمير والانشاء في سنة 2010 م .

وفي عام 2001 تم الإعلان عن تأسيس منظمة شنغهاي للتعاون بهدف ضمان الأمن والاستقرار الإقليميين ، وتعزيز التعاون متعدد الأوجه تدريجيا على المستويات الثلاثة : السياسة والأمن ، والتجارة والنشاط الاقتصادي ، تنمية العلاقات الثقافية والإنسانية ، في هذا السياق تعمل الصين على تطوير منظمة شنغهاي ، وزيادة عدد الدول المشاركة فيها وتكثيف جهود التكامل بينها ، بهدف تشكيل فضاء الأوراسي مشترك ، يعمل على تعميق التفاعل بين الدول الأعضاء ، ويساهم في تحقيق الهدف الصيني في بناء نظام عالمي متعدد المراكز ، بحيث يكون للإقليم ثقل على الساحة الدولية ، كذلك تعمل الصين على الانخراط في المنظمات والتحالفات الإقليمية من أجل كسب دور قيادي مركزي إقليمي ، حيث تعتبر المنظمات منابر لنشر الفكر والرؤية الصينية ، ومع ذلك تحوم شكوك متزايدة باستمرار حيال سياسة الصين تجاه جيرانها، سيما مع تزايد الانفاق الصيني على الجانب العسكري ، وإستراتيجيتها التوسعية في بحر الصين الجنوبي والشرقي¹ .

ثالثا : المساعدات والاستثمارات الخارجية

إنّ أهم ما يميز السياسة الخارجية الصينية هو قدرتها على الدمج بين القوة الاقتصادية الصلبة والقوة الناعمة ، والذي ترجمته على شكل مساعدات مالية غير مشروطة أو قروض مسيرة ومشاريع تنموية مستدامة ، فقد وظفت الصين فائضها المالي في سياج فضائها الإقليمي وخارجه عبر مجموعة

¹ - Smith, Stephen N ,Harmonizing The Periphery: China's Neighborhood Strategy Under Xi Jinping, **The Pacific Review**, Vol 34, No. 1 (2021),Pp 56–84.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

من المبادرات والبرامج الإنمائية ، ففي مطلع عام 2006م أفرجت عن برنامجها الإنمائي للمساعدات الخارجية والذي شمل 68 دولة حول العالم ، وقد حظيت القارة السمراء بأكبر قدر من المساعدات الرسمية الصينية، التي وفرها صندوق التنمية الصيني الافريقي وفقا لما تضمنته مخرجات منتدى التعاون الافريقي الصيني لسنة 2000 ، وقد أحيى النمو الاقتصادي السريع الذي عرفته الصين والحاجة للموارد الطاقوية الاهتمام بالقارة الافريقية ، ضمن شراكة موسعة تستهدف منها بكين تعزيز التنمية الاقتصادية المتبادلة من خلال القضاء على الفقر وتدعيم قدراتها التنافسية في النظام الدولي والعملية الاقتصادية¹ ، وكسب الود الافريقي للمساومة مع الشمال لإقامة نظام عالمي جديد، بل وأصبحت تنافس الاستثمارات اليابانية في بعض دول جنوب شرق آسيا كالفلبين وبورندي ولاروس ، وتدفع الصين بقوة اتجاه تعزيز علاقاتها التجارية من خلال عقد عدد من الصفقات التجارية مع بلدان الخليج العربي وشركائها في أمريكا اللاتينية وفي اعقاب الازمة الاقتصادية التي عصفت بمنطقة اليورو تمكنت الصين من تمتين روابطها مع دول الاتحاد الأوروبي ، من خلال شراء السندات اليونانية والبرتغالية والاسبانية ، مما ضاعف حجم الاستثمارات والمبادلات التجارية الثنائية .

وقد وسعت بكين من نشاطاتها في هذا الجانب، مطلقة في سنة 2018 م وكالة الصين الدولية للتعاون الإنمائي، تقدم من خلالها الوكالة المساعدات بأشكالها المختلفة، منها ما يترجم على شكل مشاريع تنمية، كالمشاريع التقنية والتعاون في مجال الموارد البشرية والبرامج التطوعية والتعليم والبنى التحتية، التي تتولى عقودها شركات الاستثمار الصينية مما يجعل الصين المستفيد الأكبر في كلتا الحالتين².

و على هذا الأساس تعد مبادرة "البناء المشترك للحزام الاقتصادي لطريق الحرير وطريق الحرير البحري للقرن الحادي والعشرين" التي أطلقها الرئيس " شي جي بينغ " في سنة 2013 م نقلة تاريخية للصين لأهميتها الجيواستراتيجية ولبعدها الكوني ، ويزيد امتدادها التاريخي عن الذي عام ، وهي عبارة عن مجموعة مشاريع تنمية عابرة للقارات ذات ابعاد اقتصادية ورؤى استراتيجية وأنها عولمة بلمسة

¹ - James Riedel, Jing Jin And Jian Gao, How China Grows: Investment Finance And Reform, (Oxford: Princeton University Press, 2017), Pp.208-214.

² - Dinkneh Gebre Borojo, Jiang Yushi, Tigist Abebe Desalegn, "The Impacts Of Chinese Fdi On Domestic Investment And Economic Growth For Africa, **Cogent Business & Management**, Vol. 8, No. 1 (2021).

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

صينية بحثة ،تحمل في طياتها رسالة إيجابية عن السلام والتنمية المستدامة وآليات التعاون المتبادل تكريسا لاستراتيجية الانفتاح الصينية الشاملة¹.

وتتوخى هذه المبادرة وفقا لما حملته ثانيا الورقة البيضاء الصادرة عن الحكومة الصينية في مارس 2015 تحقيق خمسة اهداف رئيسية ، وهي : تنسيق السياسات ، وتسهيل الاتصال عبر شبكات البنية التحتية ، وإزالة حواجز الاستثمار والتعاون وانشاء مناطق للتجارة الحرة والتعاون الاقتصادي ، وتوفير الدعم المالي من خلال اجندات مالية تساهم في تعزيز الدعم الاستثماري ، وأخيرا توطيد التبادل الثقافي والسياحي ، وتعكس بدورها النهج الجديد للسياسة الخارجية الصينية والرؤية الطموحة للتعاون الاقتصادي والتنمية المشتركة في القرن الحادي والعشرين².

وفي مؤلفه " مبادرة الحزام والطريق ماذا ستقدم الصين للعالم في صعودها " يبرز " وانغ ييواي " الابعاد الناعمة لهذه المبادرة العالمية في المحاور التالية :

- تشكّل الاعتبارات الاقتصادية أحد الركائز الدافعة للمشروع، حيث يمرّ في شبكة طرق تتواجد بها دول غنية بالموارد الأولية التي يفتقر اليها الاقتصاد الصيني، ما يجعل منه مخرجا لأي ركود اقتصادي موشك، كما يمثل مجموع هذه الدول البالغ عدد 138 دولة ما يربوا عن 80 % من الاقتصاد العالمي.
- تعزيز الاقتصاد العالمي المفتوح وزيادة مقومات تطبيق تكنولوجيا المعلومات لدعم نظم التجارة الحرة، وتشجيع تكامل الأسواق، ناهيك عن استنجاز مشاريع البنى التحتية الرابطة بين دول الحزام.
- رغبة الصين في توسيع دبلوماسيتها الاقتصادية لتشمل الفضاء: الأوراسي، والافريقي، والأوروبي، والعربي، والأمريكي، لزيادة معدل نموها الاقتصادي ما يتيح لها التأثير في هياكل الاقتصاد العالمي دفعا نحو تعددية قطبية يسموها العدل والمساواة³.

¹ -Zhang Xin ,Chinese Capitalism And The Maritime Silk Road: A World-Systems Perspective ,Geopolitics, Vol. 22, No. 2 (February 2017),Pp.310–331.

² -Chan, Man Hung Thomas, The Belt And Road Initiative -The New Silk Road: A Research Agenda, **Journal Of Contemporary East Asia Studies**, Vol.7, No. 2(February2019),Pp.104-123

³ - Shahriar, Saleh, The Belt And Road Initiative: What Will China Offer The World In Its Rise, **Asian Journal Of Political Science**, Vol.27, No.1 (March 2019), Pp. 152–156.

*رنميني (Rm): بالصينية تعني "人民币" عملة الشعب ووحدتها الأساسية اليوان ،وهي العملة الوطنية الرسمية لجمهورية الصين الشعبية باستثناء إقليم هونكونغ ومكاو اللذين يتمتعان بوضعية إدارية خاصة ،وتتفرع عن اليوان وحدتان هما الجياو والفن ،ويرمز

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

- تدويل العملة الصينية* "رئيميني"، فمن خلال سياسة الإصلاح والانفتاح التي سلكتها، تسعى الصين ليكون لها دور محوري في تحقيق التنمية على المستوى الدولي، حيث يكون لعملتها ما يؤهلها لتصبح عملة احتياطية عالمية، وقد انضمت بالفعل في سنة 2015 الى عضوية البنك الأوروبي للإنشاء والتعمير، وأنشأت البنك الآسيوي للاستثمار في البنية التحتية، ما أدى الى إضافة عملة الرئيميني الى سلة العملات العالمية.
- تمشين ترسيخ قيم السلام عبر مدخلات فلسفة القوة الناعمة الصينية، والتي تعد من مخرجات انشاء معاهد كونفوشيوس في الدول المشاركة في المبادرة، فضلا عن خطابات التودد التي تنفي فيها الصين عن أي مساعي سياسية تنتابها، والتي ترافقها دعوات المطالبة بإقامة "طريق الحرير الأخضر" تحقيقا لبيئة خضراء.
- حماية الصين لمشاريعها في المناطق المأهولة بالصراعات والاضطرابات الداخلية، حيث تتطلب المشاريع الكبيرة رصد قوات عسكرية وامنية لحمايتها، ففي البلدان الافريقية الهشة بدأت الشركات الأمنية الصينية العمل على حماية وتأمين سفنها التجارية وناقلات نفطها من القرصنة والتخريب، مثل قيام شركة (LTD GROUP SECURITY) بحماية شركاتها العاملة في كينيا، وتبنت الصين من سنة 2015 م قانونا خاصا لمكافحة الإرهاب الدولي سمح لوحدات جيش التحرير الشعبي الصيني المشاركة في مهام اجنبية، وكانت جيبوتي أول بلد إفريقي يستقبل قاعدة عسكرية صينية على أراضيه¹.

رابعا :بعثات السلام

منذ انضمامها رسميا الى عمليات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة في عام 1990م، انخرطت الصين بنشاط في صياغة قواعد الأمن العالمي، والمشاركة في عمليات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة، ليشترك جنود حفظ السلام الصينيون فيما يقارب 30 عملية حفظ سلام التابعة للأمم المتحدة، وأرسلت الصين ما مجموعه اكثر من 50 الف جندي الى اكثر من 20 دولة ومنطقة حول العالم، لتكون الصين الدولة التي أرسلت اكبر عدد من قوات حفظ السلام من بين الدول الأعضاء

لليوان بالرسم "¥" او بالرمز (Cny) المعتمد من لدن المنظمة الدولية للتوحيد القياسي وفي السداسي الأخير من سنة 2015 قررت إدارة صندوق النقد الدولي ضم اليوان الى سلة العملات التي يعتمد عليها الصندوق في تحديد قيمة حقوق السحب الخاصة، الى جانب اهم اربع عملات هي الدولار واليورو والجنيه الإسترليني والين الياباني.

¹ - Li Yuan, Hans Jorge Schmerer, Trade And The New Silk Road: Opportunities Challenges And Solutions, Journal Of Chinese Economic And Business Studies, Vol.15, No. 3 (Jun 2017), Pp. 205–213.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

الدائمين في مجلس الأمن، وثاني أكبر مساهم في تغطية نفقات عمليات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة ، وهو ما حدا بالأمين العام السابق للأمم المتحدة " بان كي مون " (BEN KIMOUN) للإشادة بدورها قائلاً " باعتبارها بانيا للسلام ، ومساهما في التنمية الاقتصادية ، ومدافعا عن النظام الدولي ، ومزودا للمنتجات العامة ، أسهمت الصين مساهمات كبيرة كعضو مسؤول في المنظمة التابعة للأمم المتحدة"¹.

خامسا : الدبلوماسية متعددة الأطراف

أزالت الحرب الباردة الحواجز السياسية التي كانت عائقا أمام التفاعلات بين الشرق والغرب، ما أدى الى تسريع وثيرة العولمة، وتطور القضايا العالمية – من حيث العدد والتعقيد – التي تتطلب تعاونا متعدد الأطراف، ما زاد الحاجة إلى حلول عالمية، جعل من المنظمات الدولية ودبلوماسية الأطراف المتعددة أكثر رواجاً من أي وقت مضى.

وبناء على ذلك اعتبرت الصين العولمة سلاحا هاما يمكن استثماره ، وسعت بدبلوماسيةيتها متعددة الأطراف لتحقيق إنجازات ملحوظة ، على سبيل المثال كانت الصين عضوا في 21 منظمة حكومية دولية ، و45 معاهدة دولية في عام 1977 أي قبل سنة من الانفتاح الصيني على الخارج والشروع في تنفيذ سياسة الإصلاح الكبرى ، وبحلول سنة 2015 م ، انضمت الصين الى أكثر من 130 منظمة حكومية دولية ، ووقعت على 400 معاهدة دولية متعددة الأطراف ، ومازالت تعمل على تعزيز حضورها الدولي ، وتشمل الدبلوماسية متعددة الأطراف التي حققتها الصين ، الانضمام الى منظمات عالمية مثل الأمم المتحدة ومنظمة التجارة العالمية ومنظمة الصحة العالمية ، ومنظمات إقليمية مثل منظمة شنغهاي ، والاسيان +03 ، والمنظمات عبر الإقليمية مثل القمة الآسيوية الأوروبية ، الأوبيك ، والبريكس ، في مقام آخر لا بد من التنويه ان الدبلوماسية الصينية تحولت من مشارك سلبي الى مشارك نشط ، حيث بادرت الصين باقتراح منتدى التعاون الصيني الافريقي لسنة 2000 – المشار اليه سابقا - ، أعقب ذلك منتدى التعاون الصيني الافريقي لسنة 2004 ، ومنتدى التعاون الصين ومجموعة دول أمريكا اللاتينية ومنطقة بحر الكاريبي لسنة 2011².

¹ - Kwon, Jung Jae, Red Under Blue: Chinese Humanitarian Action In United Nation Peacekeeping Missions, International Peacekeeping, Vol.27, No. 3 (April 2020), Pp. 417–44.

² - Liu Hongsong, Chinese Perception Of China's Engagement In Multilateralism And Global Governance, **The Pacific Review**, Vol.33, No. 3(Febuary2020), Pp.469 –496.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

عموما، تنطلق رؤية الصين للدبلوماسية المتعددة، من مبادئ المساواة بين جميع الدول، ورفض الانتهاكات والتدخلات في الشؤون الداخلية، انطلاقا من مبدأ احترام سيادة الدول المنصوص في ميثاق الأمم المتحدة، مع تركيزها على إضفاء الطابع الديمقراطي على العلاقات الدولية، عبر تفعيل خاصية المشاورات والمحاورات المكثفة بدلا النزعة الانفرادية في اتخاذ عصمة القرار الدولي، اذكاء لمبادئ التعايش السلمي. جذبت هذه التوجهات العديد من الدول النامية التي انبهرت بنموذجها وانساقَت نحو إقامة علاقات ثنائية أو جماعية مع الصين.

سادسا: الدبلوماسية العامة

تشكل "الدبلوماسية المضيفة" وسيلة من وسائل القوة الناعمة الصينية، فقد شكّلت المؤتمرات الحكومية منها وغير الحكومية منبرا لتعريف العالم بثقافة الصين وحضارتها، الأمر الذي جلب الملايين من السياح والمستثمرين، نذكر بعضا من هذه التجمعات على سبيل المثال لا الحصر (مثل منتدى يواو لآسيا " دافوس الصين "، ومنتدى التنمية الصيني، ومنتدى بكين، ومنتدى السلام العالمي في جامعة تسينغها، ومنتدى العالمي للدراسات الصينية)، ويمكننا الدلالة أيضا على دورة الألعاب الأولمبية لسنة 2008 م¹، ومعرض اكسبو شانغهاي العالمي في سنة 2010 م، واجتماع منتدى التعاون الاقتصادي لآسيا والمحيط الهادئ في عام 2014م، الى جانب هذا يعقد القسم الدولي للحزب الشيوعي الصيني مؤتمرا سنويا لما يسمى " الحزب والحوار العالمي " يحضره قادة سياسيون رفيعو المستوى، حيث تعد مثل هذه البرامج وسيلة ذكية للحزب الشيوعي الصيني لبناء علاقات نافذة مع مختلف دول العالم مدا لجسور التواصل

كما تؤدي العديد من مؤسسات الفكر والرأي للسياسة الخارجية للصين وظيفة مزدوجة قابلة للمقارنة، حيث تعد معاهد الصين للعلاقات الدولية المعاصرة، ومعهد الصين للدراسات، ومؤسسة شنغهاي للدراسات الدولية، والى حد اقل من هذه المؤسسات تؤدي الاكاديمية الصينية للعلاقات الدولية المعاصرة معهد تشارشار للمساعدات الاغاثية، دورا محوري في تحسين صورة الصين في الخارج، ويهدف هذا التكتل من المؤسسات والمبادرات الممولة الى تعزيز سمعة الصين وتلمييعها².

¹ - Falk Hartig, How China Understands Public Diplomacy: The Importance Of National Image For National Interests, International Studies Review, Vol.18, No 4(Decembre2018), Pp.655-680.

² Daniel C. Mattingly, James Sundquis, When Does Public Diplomacy Work? Evidence From China's "Wolf Warrior" Diplomats, **Political Research And Methods**, Vol.11, No.4 (October2023), Pp.921-929.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

سابعاً: الدبلوماسية الصحية

على صعيد الامن الصحي العالمي، أصبحت الدبلوماسية الصحية موضوعاً رئيسياً في التعاون الصيني متعدد الأطراف ، خاصة مع تفشي جائحة كوفيد-19 من خلال حملات الدعم الصينية الموجهة نحو دول العالم ، نظراً لتضرر صورتها في الخارج بعد غارة الاشاعات التي طالتها ، وانتشار موجة الكراهية والمعاداة للصين ، لذا سارعت الحكومة الصينية الى الاعراب عن كامل تضامنها مع الدول الموبوءة بتقديم قوافل من المساعدات الطبية وإرسال فرق طبية، وهو ما شهدناه مع الحالة الإيطالية أين وفرت لها الصين كل المستلزمات الطبية من كمادات وأجهزة انعاش وأدوية ... في الوقت الذي أدارت لها فيه دول الاتحاد الأوروبي ظهرها ، وأوصدت أبوابها كاشفة عن نزعتها الحمائية ، لجئت الصين الى دبلوماسية اللقاح حيث زودت العديد من البلدان الأفريقية باللقاحات المجانية ، وكان لدبلوماسيتها الصحية موطأ قدم في القارة الافريقية فقد شيدت العديد من المستشفيات والمراكز الطبية وأوفدت الالاف من الأطباء في هذه البلدان الهشة ضمناً لاحتياجاتها الطاقوية¹.

خلاصة القول؛ أن السياسة الناعمة الصينية تجاه التعددية لم تكن نتيجة لجهود صينية أحادية، بل كانت عملية ثنائية تفاعلية مع العالم ، فعندما رغبت الصين تغيير النظام العالمي من خلال الثورة ، لم تفشل في الوصول الى هدفها فحسب ، بل بقيت تتخبط في دوامة التخلف الاقتصادي والعزلة السياسية ، في المقابل من ذلك عندما غيرت الصين سياستها وسلوكها الخارجي ، خلقت بيئة مواتية للنمو الاقتصادي المستدام، من مشرب اخر كان مستقبل الصين مرتبطاً بمستقبل العالم لدرجة ان تأثيرها وتأثرها به وصل الى مستويات غير مسبوقة فقد صارت الصين عنصراً حيوياً في الاقتصاد العالمي وعضواً وازناً في النظام الدولي لا غنى عنه.

واسقاطاً لما جاءت به الدراسة في شقها النظري ، فإن صعود القوى وهبوطها يعتمد على عناصر قوتها ، ومدى قدرتها على المحافظة على تطورها واستثمارها في تحقيق مصالحها القومية ، وبناءاً على المعطيات السابقة يتضح أن الصين تمتلك من المقومات والقدرات ما يجعلها دولة قوية فاعلة دولياً ، قد تلعب دوراً في تغيير شكل النظام الدولي الأحادي فالصين تمتلك حضارة عريقة متصلة لما يزيد عن خمسة آلاف عام وهوية ثقافية خاصة ناتجة من مزج كونفوشيوسي، طاوي، وماركسي ساهم في صقل

¹ -Zhao Lei, Bing Wang ,China's Public Health Diplomacy In The Post Covid-19 Era ,**Journal Of Chinese Economic And Business Studies** ,Vol. 20, No. 3 (February 2022) ,Pp.235-244.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

شخصيتها الدولية، وقد تمكنت الصين في ظرفية وجيزة من حصد نجاحات اقتصادية كبيرة انعكست على البيئتين الداخلية والخارجية بالخصوص انتاجها مبدأ السلمية والاعتدال في تفاعلاتها الدولية، واستعانها بالقوة الناعمة التي شكلت خارطة الطريق للأداء الدبلوماسي الصيني كما استثمرت نجاحها الاقتصادي لتطوير قدراتها التكنولوجية والعسكرية وتحسين علاقاتها الدبلوماسية مع جيرانها ضمانا لانتشارها السلمي العالمي.

المطلب الثالث: الصعود الاستراتيجي للصين وأثره على التوازنات الإقليمية والدولية

تقع الصين في الصدارة وعلى رأس الأولويات الاستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية، ذلك أن هناك إدراكا أمريكيا وغريبا عموما بأنها القوة الصاعدة المؤهلة أكثر من أية قوة أخرى ومن أي وقت مضى لتحدي سلطة الغرب، وبدى ذلك جليا في مختلف التقارير والبيانات والخطابات السياسية والإستراتيجية، وفي الاسهامات النظرية والأكاديمية لكتاب ومفكرين أمريكيين بالخصوص محذرين من صعود عنيف وغير سلمي للصين ومنذر بتدمير التفوق الغربي والهيمنة الأمريكية في المجال الآسيوي ومن ثم العالمي تاليا.

ويمثل "جون ميرشايمر" التوجه الأكثر جرأة وصراحة في الإجابة عن سؤال كيف سيكون صعود الصين؟ ويجب بأنه لن يكون سلميا ويؤكد في كتابه "مأساة القوى الكبرى" TRAGEDY OF GREAT POWERS الصادر عام 2001، إن إحدى قضايا السياسة الخارجية الرئيسية التي تواجه الولايات المتحدة الأمريكية هي: كيف ستصرف الصين إذا استمر نموها الاقتصادي السريع؟ ويجب في ذات السياق: إذا أصبحت الصين قوة اقتصادية فإنها ستسعى إلى ترجمة قوتها الاقتصادية إلى قوة عسكرية محاولة الهيمنة على منطقة جنوب شرق آسيا الآن الهيمنة هي الطريقة المثلى لضمان بقاء الدولة¹، وبالطبع لن يقف جيران الصين مكتوفي الأيدي أمام محاولتها لزيادة قوتها بل سيسعون إلى احتواء الصين، ربما عن طريق تشكيل تحالف لفرض التوازن عليها وهو ما يستظهر اليوم في تحالف أوكوس AUKUS والتحالف الأمني الرباعي QUAD، وذلك من شأنه أن يؤدي إلى تنافس أمني حاد بين الصين وخصومها فضلا عن تزايد خطر نشوب حرب قوى عظمى ومختصر القول أن تنامي قوة الصين يحتم العداء بينها (كقوة صاعدة) وبين الولايات المتحدة الأمريكية (كقوة الوضع الراهن).

¹ - Mearchimer، Op.Cit، 'Trgedy Of Great Powers'، Pp.63-68.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

واتساقا مع منظور الواقعية الهجومية المعتد به نظريا في الدراسة فإن الهيمنة الدولية وفقا لطروحات "جون ميرشايمر" (JOHAN MEARCHIMER) هو ان تتمكن دولة كبرى من الهيمنة على اقليمها أولا ثم حرمان الدول القوية الأخرى من الهيمنة على اقليمها الخاصة ، والأسباب وجهت قضت الولايات المتحدة الامريكية القرن الأول من عمرها وهو القرن التاسع عشر في السعي لاحتكار السيطرة على محيطها الإقليمي وطرد القوى الأوروبية التقليدية (البريطانية والاسبانية والفرنسية) من القارة الامريكية فلما تحققت لها الهيمنة الإقليمية طبقا لما عرف بـ: "مبدأ أو عقيدة مورنو" قضت القرن الثاني من عمرها هو القرن العشرين في السعي الى حرمان أي دولة أخرى من الهيمنة في أي إقليم اخر من أقاليم العالم سواء الإمبراطورية اليابانية او المانيا النازية او روسيا السوفياتية¹. وقد نجحت في الحالتين خلال هذين القرنين حسب تحليل "ميرشايمر" الذي ذهب الى أن ما ستفعله الصين بعد تصاعد قوتها هو الاقتداء بنفس النهج الاستراتيجي الذي سبقتها اليه الولايات المتحدة الامريكية في القرن التاسع عشر "فالصين تسعى اليوم الى الهيمنة على اقليمها خصوصا سواحل المحيط الهادئ الاسيوية وزيادة فجوة القوة بينها وبين جيرانها الإقليميين الأقوياء، الهند واليابان وروسيا، ثم "رسم حدود السلوك المقبول من طرف جيرانها" ولكن تجسيد لمبدأ مورنو الصيني لن يكون إلا بوقوعها معا في "فخ ثيوسيدس" ودخولهما في الصراع المعتاد بين القوة الصاعدة والقوة السائدة².

وعلى ذكر فخ ثيوسيدس ، فقد شكلت مقولات "غراهام اليسون" (GRAHAM T.ALLISON) حول حتمية الحرب والصراع بين الولايات المتحدة الامريكية والصين احدى المرجعيات الرئيسية لتفسير مستقبل التفاعلات بين القوة الصينية الصاعدة والقوة الامريكية المهيمنة ، وكانت الإشارة الأولى في ذلك في مقال له عام 2012 طرح فيه اصطلاح "فخ ثيوسيدس" كمنطلق للبرهنة على توجه العلاقات بين الصين والولايات المتحدة الامريكية نحو التصادم وأصل التحليل يعود الى ما عرف في التاريخ اليوناني والعالمي بـ: "الحروب البيلوبونيسية" التي كانت موضوعا لكتاب بعنوان (HISTORY OF THE PELOPONNESIAN ، الذي أرخ فيه اليوناني "ثيوسيدس" لمسار تلك الحرب³ التي جرت اطوارها بين أثينا القوة اليونانية الصاعدة وإسبرطة التي كانت القوة اليونانية المهيمنة وخلص

¹ -Johan Mearchimere, An Offensive Realist: Between Geopolitics And Power, **Journal Of International Relation And Development**, Vol.8, No.4 (Dececember2005), Pp.381-408.

² - Johan Mearchimier, The Gathering Storm Chain's Challenge To Us Power In Asia, **The Chinese Journal Of International Politics**, Vol.3, No.4 (Winter2010), Pp.381-396.

³ - Peters Michael, Benjamin Green, Chunxiao Mou ,United State –China Rivalry And 'Thucydides' Trap': Why This Is A Misleading Account , **Educational Philosophy And Theory** ,Vol. 54, No. 10 (August 2022),Pp.1501–1512.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

"ثيوسيدس" في دراسته الى ان ما يجعل الحرب حتمية ومن غير الممكن تفاديها ، هو تنامي القوة الأثنية والمخاوف توسع "غراهام اليسون" في مقاله المنشور عام 2012 ليصدر في شكل كتاب ، عام 2017 ، تحت مسمى " الحرب الحتمية : هل تستطيع الصين والولايات المتحدة تفادي فخ ثيوسيدس" (Destined For War : Can America And China Escape Thucydides Trap ?)¹.

ويجادل "ميرشايمر" بأن عقودا من سياسة الهيمنة الليبرالية (Liberal Hegemony) التي اتبعتها الولايات المتحدة الامريكية فيما يسميه لحظة الأحادية القطبية بعد نهاية الحرب الباردة ، بهدف إعادة تشكيل صورة العالم وفق التصورات الامريكية، القائمة على نشر الديمقراطية الغربية ، ودمج القوى الكبرى مثل الصين وروسيا في النظام الاقتصادي العالمي ، وتسهيل انخراط مختلف القوى في المؤسسات الدولية مثل المنظمة العالمية للتجارة وصندوق النقد الدولي والبنك الدولي وحلف الناتو وغيرها ، لم تفلح في جعل الصين دولة ليبرالية تتجه نحو الديمقراطية ، رغم انها أصبحت اكثر ثراء واستفادة من ثمار عضويتها في المنظمة العالمية للتجارة² ، قائلا " بل كانت نتيجتها اننا ساعدنا في تعاظم دولة تعد منافسا وندا لنا تفوقنا اربع مرات من حيث عدد السكان ، واقتصادها ينمو بسرعة عالية التواتر ، ولم نفهم إلا في وقت متأخر أننا كنا نطعم الوحش " ، ويردف أنه بسبب تلك السياسة " لم نعد في عالم احادي القطبية ، بل اننا الان نتجه نحو عالم متعدد الأقطاب بصعود الصين وصحوة روسيا ، ورغم أنها لا تزال الأقوى إلا أن الولايات المتحدة عليها ان تدرك انها أصبحت في عالم مختلف ، وأنها تدخل خضم منافسة محتدمة مع الصين خلال العقود القادمة"³.

وكانت إدارة " دونالد ترامب " قد ادركت ان سياسات الإدارات السابقة قد فشلت في دمج " بكين " في النظام الدولي وتغييرها من الداخل ، وإلزامها بقواعد النظام الدولي الليبرالي التي وضعتها واشنطن ، وطرح هذه الفكرة بوضوح " اتش ماكماستر " (H.R McMaster) مستشار الامن القومي السابق للرئيس " ترامب " في مقاله " ماذا تريد الصين " (What China Wants) الذي نشره في مجلة " اتلانتيك

¹ -- Peters Michael, Benjamin Green, **op. cit**, P.1507.

² Andrew Scobell, Tocydides's Trap? Historical Interpretation, Logic Of Inquiry, And The Future Of Sino-American Relations, **Political Science Quarterly**, Vol.137, No.2,(Jun 2022), Pp405-419.

³ - Graham Allison, Destined For War: Can America And China Escape Thucydides Trap ? (Boston: Houghton Muffin Harcourt ,2017) Pp.111,112.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

"، وخلص فيه الى أن قدرة القوى الخارجية على التأثير في التطور الداخلي للصين محدودة للغاية وهي لن تلعب وفقا للقواعد الدولية بل ستحاول تقويضها واستبدالها بقواعد أكثر خدمة لمصالحها بها".¹

ويستشهد حاليا صناع القرار في البيت الأبيض القائلون بعدم سلمية الصعود الصيني، بالطفرة الكبرى التي شهدتها الصين بوصول "شي جي بينغ" للسلطة، عام 2012 فالمرقبون يعتبرون عهد "شي" نهاية عصر التردد واعتبار الصين لنفسها دولة نامية وبداية مجاهرتها بنفسها كقوة عالمية بشكل صريح تستحق مكانة أفضل في ظل نظام دولي أكثر توازنا وانفتاحا.

ويرون في السياسات التي تبنتها الصين بقيادة "شي جين بينغ" الأهداف القومية الأكثر طموحا منذ تأسيسها فالرئيس "شي" يعتقد ان الصين قد "حققت تحولات كبيرة، ونهضت، واغتنت، وأصبحت قوية"، بعبارة أدق: لم يعد النمو الاقتصادي هو الهدف الأساسي والوحيد بل ارتقت أهدافها لتتجه نحو تأكيد مكانتها كقوة عظمى وتوظيف تلك التراكمات الاقتصادية للنمو والثروة، لتعزيز نفوذها إقليميا وعالميا² وكانت قمة تصورات "شي" لواقع ومستقبل الصين والقارة الآسيوية ككل، في بلورته لما يمكن تسميته بـ "مبدأ مورنو الصيني"، فقد صرح في ماي من عام 2014 م "أنه من اختصاص شعوب اسيا إدارة شؤون اسيا، وحل مشاكل اسيا، وحفظ امن اسيا" والسبيل الى ذلك يكون بإزاحة الولايات المتحدة الأمريكية من الشؤون الأمنية الآسيوية وإرساء "هندسة أمنية" صينية في المنطقة، وفي الذكرى المئوية لتأسيس الحزب الشيوعي، صرح "شي جي بينغ" بأن: "الشعب الصيني لن يسمح لأي قوة اجنبية بالتنمر عليه او اضطهاده او قهره"، وهو ما تم اعتباره رسالة تحذير بيكين لخصومها³.

وتتصاعد المخاوف والشكوك بشأن الصين لدى القائلين بعدم سلمية صعودها، بأخذ التطورات الكبيرة في قواتها العسكرية وتحديثها بعين الاعتبار وفق ما أتت الدارسة عليه في المطالب السالفة، والتي يرون فيها انعكاسا لصين طامحة لمكانة عالمية مهيمنة، وهادفة الى تحقيق نهضة أمة عظيمة، وذلك اخذا بعبر التاريخ وما عانتها الصين في قرن الذل من هيمنة وإذلال من طرف بريطانيا وقوى استعمارية غربية أخرى في القرن التاسع عشر، لتعزز الملاحظات التجريبية الحجة الموضحة في تغير السياسة الأمريكية تجاه الصين في أوائل عام 2010 عندما تسارعت عملية انتقال السلطة بين الصين كقوة

¹ - H.R McMaster, How China Sees The World And How We Should See China, Atlantic, Vo.4, No .5(May 2020),Pp.32-47.

² - Barrass, Gordon, Nigel Inkster, Xi Jinping: The Strategist Behind The Dream, **Survival**, Vol. 60, No. 1, (January 2018), Pp.41-68.

³- Chang-Liao, Nien-Chung ,China's New Foreign Policy Under Xi Jinping, **Asian Security** ,Vol.12, No. 2 (Jun 2016), Pp.82-91.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

متحدية والولايات المتحدة الأمريكية كقوة ستاتيكو ، في أعقاب الازمة المالية العالمية لعام 2008م بعد ان تفوقت الصين على اليابان لتصبح ثاني اكبر اقتصاد في عالم¹ وكان اول مؤشر على هذا التحول النموذجي للسياسات الامريكية هو ما سمي "بإستراتيجية المحور نحو اسيا" (PIVOT ASIA STRATEGY) التي أعلنتها وزيرة الخارجية آنذاك هيلاري كلينتون (HELARY CLINTON) ، ما أرسى أسس التحول في أولويات ترتيب السياسة الخارجية من مكافحة الإرهاب في الشرق الأوسط واسيا الوسطى ، الى منافسة القوى العظمى في شرق اسيا ، وتهدف هذه الاستراتيجية ، التي عرفت لاحقاً باسم " إعادة التوازن الى اسيا" (REBLANCE TO ASIA) الى زيادة النفوذ العسكري والاقتصادي والسياسي للولايات المتحدة الأمريكية، مع اضعاف نفوذ الصين واحتواء صعودها في منطقة اسيا والمحيط الهادئ ، اذ عززت الولايات المتحدة الأمريكية انتشارها الامامي والتزاماتها تجاه الحلفاء الحاليين²، وبدأت عمليات حرية الملاحة ، وحاولت إقامة شراكات امنية جديدة مع دول مثل الهند والفيتنام ، مع مشاركة اكثر نشاطاً في المنظمات الإقليمية متعددة الأطراف ، مثل إقامة شراكة مع رابطة دول جنوب شرق اسيا "الآسيان" (ASIEN) ، فيما كان الهدف من البعد الاقتصادي للإستراتيجية هو دعم المشاركة السياسية والعسكرية المرغوبة للولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة ، وتجلى ذلك من خلال اقتراح تشكيل شراكة عبر المحيط الهادئ (TTP) للتجارة والاستثمار³.

في نفس الصدد ، تسارع التحول في النموذج الدبلوماسي للولايات المتحدة الأمريكية خلال إدارة الرئيس المنهية ولايته " دونالد ترامب" مؤكداً على "عودة منافسة القوى العظمى" كنغمة للسياسة الدولية في استراتيجيات الامن القومي والدفاع لعامي 2017 و 2018 على التوالي ، مصورة بكين كقوة تعديلية مهددة لمنطقة المحيطين الهندي والهادئ ، والنظام الدولي الليبرالي ، بحجة تطلعها لتصدير وتسويق نموذجها الشمولي الى جيرانها وتهديدها لسلامة امنهم ، مما أدى الى اضطراب عالمي جديد تمخضت عنه استراتيجية " المحيطين الهندي والهادئ الحر والمفتوح" FREE OPEN INDO (PACIFIQUE)، مع مباشرة حرب تجارية مقيتة تجاه الاقتصاد الصيني بستر حديدي يزيد من عزلة بكين ، ليأتي رد هذه الأخيرة على التحدي الأمريكي المستمر في وضع سياسات تهدف للحد من ضعفها

¹ - Goldstein, Avery, Power Transitions Institutions And China's Rise In East Asia: Theoretical Expectations And Evidence, **Journal Of Strategic Studies**, Vol. 30, No.5 (July 2017), Pp.639-682.

² -United State Department Of Defense, The National Military Strategy Of The United States Of America, Jun 2015, And Pp.7-24.

³ -Office Of The United States Trade Representative, Trans-Pacific Partnership In The Asia Pacific, May 2013, Pp.11-29.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

الاستراتيجي والاقتصادي امام واشنطن ،بتعزيز قدرتها على الاكتفاء الذاتي اقتصاديا وتكنولوجيا ،كما فعلت أدوات الجذب الناعم لكسب صوت المجتمع الدولي ،باندفاعها نحو شراكة إقليمية شاملة (RCEP)بين دول اسيا والمحيط الهادئ ،واتفاقية شاملة للاستثمار (CAI) مع الاتحاد الأوروبي¹ .

على خلاف ذلك تؤكد بكين على خط تفكيرها الرافض لما اسمته ب " ذهنية الحرب الباردة " ،حسب ما نزل على لسان زعيمها " شي جي بينغ " خلال خطابه في المنتدى الاقتصادي العالمي (WEF) في دافوس عامي 2017 و 2021 مترفعة بنفسها عن جل الاتهامات المنسوبة لها كقوة عظمى صاعدة ومهددة محذرة في الان ذاته من تحديها "لن نسمح لأي قوة أجنبية بأن ترهبنا أو تقمعنا أو تخضعنا وكل من يسعى للقيام بذلك سيصطدم ،بجدار فولاذي ،صنعه مليار وأربعمائة مليون صيني"² ، مع أن الخطاب الصيني باللجوء لخيار الحرب يربط ذلك بالدفاع عن مصالح الصين وأراضيها التي تتمسك بسيادتها ، رغم ما يثيره ذلك من جدل ونزاعات متصاعدة في تايوان وأجزاء كبيرة من بحر الصين الجنوبي وبعض جزر بحر الصين الشرقي وهذا ما تقدم في معرض حديث الرئيس "شي جي بينغ" التوحيد مهمة تاريخية والطريق الصحيح الى الامام استقلال تايوان طريق مسدود ونحن لا نستبعد استعمال القوة ونحتفظ بالحق في استخدام أي وسيلة ضرورية تبع ذلك مباشرة اجراء مناورات عسكرية قباله سواحل تايوان³ .

وعلاوة على ذلك ،مضى " شي جي بينغ " ابعد من ذلك حين اعلن عن طموحه لبناء "نهضة الامة الصينية العظيمة" التي تمثل أسس "الحلم الصيني" وتكتمل بحلول سنة 2049 وهي الذكرى المئوية لقيام جمهورية الصين الشعبية ،بتوحيد الصين من خلال ضم تايوان الى الوطن الام اسوة هونكونغ وباكو ووضع البلاد على قمة هرم الريادة العالمية اقتصاديا وعسكريا ،وهو ما يمنح " شي " مكانة الزعيم الأعظم في تاريخ الصين ، تتجاوز بذلك مناقبه وانجازاته كل من سبقوه ، في المقابل يسود حاليا اتفاق نادريين الحزبين الجمهور والديمقراطي الامريكاني حول ضرورة اتباع سياسات اكثر صرامة تجاه بيكين ،وهو ما عمل عليه جون بادين منذ انتخابه كرئيس للبلاد في النصف الثاني من سنة 2020 م ، إلا ان

¹ -Dalit Singh, Malcom Cook, The Trump Administration's Free And Open Indo-Pacific Approach, (London: Cambridge University, 2019), Pp.113-131.

² -Chinese President Xi Jinping, Delivers Keynote Speech At Wef Opening Ceremony Of The World Economic Forum 2017 In Davos, January 17,2017 ,48:52, At: <https://www.youtube.com/watch?v=Dorqoyapui4> ,Accessed On (08-05/2024)(17.36).

³ - Chinese President Xi Jinping ,Delivers Speech Titled "Let The Torch Of Multilateralism Light Up Humanity's Way Forward" At The Virtual ,Davos Agenda Event Held By The World Economic Forum (Wef),January25, 2021,Cgnt ,At: <https://youtu.be/Qg6acnr2p08> ,24:13s, Accessed On (08-05-2024)(18:11).

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

الحرب الأوكرانية الروسية وعودة الصراع الى الشرق الأوسط مع الحرب على غزة حدث نوعا ما من التصعيد بين القوتين¹.

بغض النظر عن الاتهامات الامريكية تدافع الصين عن حسن نواياها وتطلعها الان تكون قوة ايجابية ومسؤولة وضامنة للسلم والاستقرار العالميين في صعودها وانتهاج سياسات اكثر سلمية وفاعلية وتعاونية مقارنة بسياسات القوى الغربية، وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية خلال مسيرة تربعها على قمة القيادة العالمية وبرز ذلك في مختلف مبادراتها وسياساتها والمبادئ الحاكمة لسياستها الخارجية ورؤيتها للعالم ، ومساعدتها لتبني قضايا التنمية والسلام والتعايش السلمي، وهذا ما حاجج عنه السفير الأسترالي السابق لدى الولايات المتحدة الامريكية " كيفين رود " (KEVIN RUDD) في كتابه " الحرب التي يمكن تفاديها : اخطار الصراع بين الولايات المتحدة الامريكية وصين شي جين بينغ AVOIDABLE WAR : THE DANGERS) OF A CASTROPHIC CONFLICT BETEWEEN THE US " (AND XI JINPING'S CHINA)².

وكان الرئيس "شي جي بينغ " قد طرح مفهوم بناء " مصير مشترك للبشرية الأول مرة في عام 2013 ، و أكد في خطابه من أكتوبر عام 2022 " سنعمل مع جميع شعوب العالم . على تعزيز القيم الإنسانية المشتركة، مثل السلام والتنمية والانصاف والعدالة والديموقراطية والحرية ، يمكننا ان نعيش في تناغم ، وننخرط في تعاون متبادل المنفعة ، ونتكاتف لخلق مستقبل اكثر اشراقا للعالم بأسره " ³ وهو ما نم عن " نموذج دبلوماسية السلام " ، العاكسة لدور الصين كقوة كبرى حميدة مسؤولة في النظام الدولي ، بما يتماشى مع هدفها المراد للتحويل الى قوة عالمية أولى بحلول عام 2049م ، عن طريق الانخراط النشط في التعامل مع الصراعات ، وإرسال قوات حفظ السلام لبؤر التوتر ، والمشاركة في عمليات الوساطة ، وبناء السلام ، وإعادة الاعمار ، وذلك في اطار تأكيد مبادئها ضمن وثيقة مبادرة " الامن العالمي " الصادرة في فيفري 2023 ، والتي سبق وان روجت لها كإحدى سبل اصلاح النظام الدولي الحالي ، وهي المبادرة المبنية أساسا على احترام اهداف ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة في التعامل

¹ -Bob Davis, Ligling Wei, **Superpower Showdown: How Battle Between Trump And Xi Threatens A New Cold Wars**, (New York: Harpercollins Publisher, 2020), Pp.71-122.

² -Kevin Rudd, **Avoidable War: The Dangers of A Castrophic Conflict Between The Us And Jinping's China**, (Newyork: Public Affairs Publisher, 2022), Pp.387-393.

³ - American President, Joe Biden Shared What He Discussed With Chinese Leader Xi Jinping At Their G20 Summit Meeting In Bali, Indonesia, November 14, 2022, Cgnt , At: <https://youtu.be/Ybh7w1l0y3m> 15:14s, Accessed On (08-05-2024)(21:33)

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

الدولي¹، وأحد الانشغالات الأمنية لجميع الدول على محمل الجد، وحل جميع الخلافات سلمياً، إلا أن التحديات التي تواجه البشرية تستلزم التعاون الشامل والمستدام، عبر إنشاء هيكل أمني متوازن يقدم نهجاً جديداً للقضاء على مسببات وبواغث الصراعات الدولية، وتحقيق الاستقرار عبر تعددية قطبية تعاونية وليس توجهاً أحادي القطبية، فالثقافة الكونفوشية تشكل إحدى مصادر الهام مختلف السياسات الصينية، تقوم على مبادئ سلمية لا صراعية مستمدة من التراث الحضاري الصيني، خاصة مبدأ التناغم الدولي القائم على المبادئ الصينية الخمس للتعايش السالف ذكرها².

وجسدت الصين ذلك ميدانياً عبر مبادراتها ومساعدتها لإحلال السلام عالمياً بجهودها الحثيثة في عدة نزاعات وخلافات سياسية، مثلما جاء بيانه فيما يخص دورها في التقارب السعودي - الإيراني، ومبادراتها لحل الأزمة في سوريا، والقضية الفلسطينية، ومبادرة إحلال السلام والاستقرار في الشرق الأوسط، وكذلك مبادراتها لإيقاف الحرب الروسية - الأوكرانية، المقدمة في وثيقة المعنونة بـ "موقف الصين من التسوية السياسية للأزمة الأوكرانية" مكونة من 12 نقطة، تمت صياغتها كمبادئ عامة للتعامل مع الحرب، على غرار التزام الأطراف المختلفة بعدم اللجوء إلى السلاح النووي، واحترام سيادة الدول، وعدم استهداف المدنيين والمنشآت المدنية، والتخلي عن عقلية الحرب الباردة، ووقف العقوبات من جانب واحد، والحفاظ على استقرار عمل سلاسل التوريد³.

وانتهجت الصين أيضاً نهج "نموذج السلام التنموي" الذي يبنى على كون التنمية شرطاً مسبقاً لتحقيق السلام والاستقرار الاقتصادي والاجتماعي، وهي تتطلب توفير بيئة آمنة وسلمية ومستقرة مواتية للتنمية الاقتصادية، في ظل نظام دولي متعدد الأقطاب يضمن عدم التدخل في الشؤون الداخلية، والاتجاه نحو شراكات محايدة لا تفرض إملاءات سياسية (عدم المشروطة)، والسعي لتعاملات وفق صيغة رابح - رابح، وكل ذلك لمخالفة النموذج الليبرالي الغربي التدخل، والقائم على المشروطة السياسية والاقتصادية، والإملاءات السياسية والتعامل الفوقي، كما أثار النموذج التنموي الاقتصادي الصيني الذي مكنها من الارتقاء إلى مصاف ثاني أكبر اقتصاديات العالم في ظرف وجيز

¹-Mitter Rana, China: Revolutionary Or Revisionist? , *The Washington Quarterly*, Vol. 45, No. 3 (October 2022), Pp.7-21.

² -Ministry Of Foreign Affairs Of People's Republic Of China , The Global Security Initiative Concept Paper, February 21,2023,At : https://www.mfa.gov.cn/eng/wjbxw/202302/T20230221_11028348.htm , Accessed On (08-05-2024)(23:04).

³ - Yildirimcakar Emrah, Zhaoying Han, China's Soft Power Strategy In The Middle East, *Israel Affairs*, Vol28, No. 2 (February 2022), Pp. 199-207.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

،اعجابا كبيرا عبر العالم وخاصة لدى الدول النامية الطامحة الاقتفاء خطى الصين في هذا المجال ،وتغزو التكنولوجيا الصينية العالم وتلقى منتجاتها رواجاً كبيراً وتنافس نظيرتها الغربية¹.

إجمالاً؛ وعلى رغم انقسام المحللين والخبراء حول مستقبل العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية كفاعل مهيمن والصين كقوة صاعدة ومتحدية، بين القول بحتمية المواجهة وأخر يقول بإمكانية التعاون والتعايش، إلا أن هذا الطرح يفسح قدراً كبيراً من المرونة والمناورة في علاقات الطرفين، فالتعاون والتصارع يبقيان متلازمين حيث أن هناك قدراً كبيراً من التفاعل وحتى الاعتماد المتبادل بينهما، وهذا الأخير يدفع إلى احتواء المنافسة الشرسة بينهما، التي تشمل كذلك الجوانب الاستراتيجية والعسكرية في أقاليم استراتيجية حول العالم ، مع ما يستوجب ذلك من ضرورة تجنب سوء التقديرات والحسابات الخاطئة التي قد تقود إلى كارثة بين القوتين ، لا سيما وأن التاريخ حافل بحالات سوء الفهم حول موازين القوى المتغيرة في النظام الدولي².

¹ - Yang Hongxing, Dingxin Zhao, Performance Legitimacy State: Autonomy And China's Economic ,Miracle Journal Of Contemporary China, Vol.24, No. 91 (Jun2015), Pp. 64-82.

² - Chen David ,A Theory Of Dialectical Transnational Historical Materialism For China's State Capitalism And The China-Us Rivalry , Third World Quarterly, Vol. 43, No. 7 (May 2022),Pp.1744-1764.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

المبحث الثاني: الادراك الاستراتيجي الروسي للنظام الدولي " القيود والفرص"

صعود وهبوط الدول العظمى سنة من سنن الكون، وانهيال الامبراطوريات علامة من علامات حيوية التاريخ، فالأيام دول، والدولة على نحو ما ذهب ابن خلدون كالإنسان تتلقفه ايادي الشباب والنضج ثم الشيخوخة والموت، ولربما لم يعرف التاريخ دولة كروسيا فتنت بالتوسع الجغرافي، والتمدد الجيوسياسي، فهذه الدولة غيرت ثوبها الجغرافي وبذلت حدودها عدة مرات خلال الالف سنة الماضية، في كل مرة كانت روسيا تتقدم الى مناطق أكثر عمقا وتتماس مع شعوب وحضارات أكثر تنوعا، فنضم داخل اسوارها الحديدية مئات الملل والنحل.

روسيا وريثة الإمبراطورية السوفياتية بلد تم ازدهاره عزله وتدميره من قبل المنتصرين في الحرب الباردة في الأيام الأخيرة من القرن العشرين، قبل مجيء فلاديمير بوتين ضابط الكاجي الغامض وغير المعروف على الساحة الدولية الى قبة الكرملين، لقلب المعادلة ، فكان هوسه السري ان يضع روسيا مرة أخرى في قلب رقعة الشطرنج العالمية ، لتسجل هذه الأخيرة خطوة جيوسياسية ماثلة في قلب التفاعلات الدولية لاستعادة نفوذها المسلوب ودورها المحجوب في بنیان النظام الدولي، عقب عقد طاحن من الانهيار والانتكاسة الزمها التموقع والتحوط في جيدها القطري .

لتصنع براغماتية الاستثمار في مقومات القوة الروسية قاطرة التحدي للمعسكر الغربي المتهالك بعد ان خلعت قالبها الإيديولوجي الجامد وزكت مصالحها الاستراتيجية المبحوث عنها في دورة المكانة والفاعلية المرصودة في مراجعة الازمة النووية الإيرانية والكورية وفي متابعة سباق اللاعبين الرئيسيين في سوق السلاح ، وفي أزمات بحر الكاريبي وفي سوق الطاقة العالمي ، وفي مشاهد الحراك العربي وفي أزمات جوارها الأوراسي الذي جسد مكنم الاسقاطات الإقليمية والدولية لها لتتحدد علاقات القوة في البنية الدولية اتساقا مع مخرجات ديناميكيات المسارات الاستراتيجية للقوى الكبرى في واقع الجيوسياسية الأوراسية.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

المطلب الأول: مقومات وأبعاد القوة الاستراتيجية الروسية

لقد شكّلت التطورات المستمرة التي شهدتها روسيا الاتحادية منذ مطلع القرن الحادي والعشرين ، نقطة تحول دراماتيكية في معادل دورها الاستراتيجي على الصعيدين الإقليمي والدولي ، وبكورة سعي جاد لإعادة رسم التوازنات ، الامر الذي جعل منها قوة دولية صاعدة بالشكل الذي يقود في النهاية الى تحقيق هدفها الرئيس بتغيير موازين القوى في النظام الدولي الراهن، وتعد المقومات التي تتمتع بها الدولة الروسية سواء كانت جيوسراتيجية او اقتصادية او عسكرية – امنية ، عنصر رئيس وحيوي منح الدولة الروسية القوة والمرونة اللازمة لفرض هيبتها ومكانتها الإقليمية والدولية.

أولا : المقوم الجيواستراتيجي

يعد العامل الجغرافي من أكثر العوامل الطبيعية ديمومة في بناء القوة القومية، وفي اعتبارات السياسة الدولية، اذ يلعب دورا أساسيا باعتباره أحد مقومات الاستراتيجية القومية للدولة، في تحديد طبيعة سلوكها ونشاطها الخارجي، ومركزها بين وحدات النظام الدولي وهو ما صدقه قول نابليون بونابارت أن سياسة الدولة تكمن في جغرافيتها.

تتميز روسيا الاتحادية بموقع فريد من نوعه، اذ تمثل الجزء الشرقي من أوروبا ، وتمتد لمساحات شاسعة في عمق القارة الآسيوية ، ما اكسبها صفة الدولة الأورو – آسيوية ، وتبلغ مساحتها حوالي 17.075.200 مليون كم² كأكبر دولة في العالم من حيث المساحة أما مناخها فيتراوح بين رطب قاري في معظم روسيا الأوروبية ، وشبه قطبي شمالي في سيبيريا ، الى مناخ قارس في القطب الشمالي ، وتعتبر حالة التجمد السائدة في معظم أجزاء سيبيريا من العوائق الرئيسية امام التنمية ، فضلا عن النشاط البركاني والزلازل في شبه جزيرة كامشاتكا ، والفيضانات الربيعية وحرائق الغابات الصيفية في سيبيريا ، وتحوز روسيا الكثير من الثروات الطبيعية كالنفط والغاز الطبيعي والفحم والحديد والنيكل والنحاس والرصاص والمنغيز والماس والفسفات ، يضاف اليها الثروة الغابية التي تمتد على مساحات واسعة من البلاد¹.

تبين دراسة المقومات الجيوستراتيجية الروسية ثغرة الضعف الطبيعي في حدودها الواسعة، ممّا يشكّل تهديدا جديا لأمنها القومي، اذ يبلغ طول حدودها البرية (142.02) كم² وحدودها البحرية ()

¹ - Makarychev Andrey, And Alexandra Yatsyk , Illiberal Geographies: Popular Geopolitics And Russian Biopolitical Regionalism , Eurasian Geography And Economics , Vol.59, No. 1 (February 2018), Pp. 51–72.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

356.73 كم²، وهي حدود تتراخى فيها الأمننة العسكرية وتفتقر الى وجود شبكة مواصلات استراتيجية تربط هذه الحدود ، بحيث تستطيع روسيا من خلالها تعبئة ونقل قواتها العسكرية التقليدية ونشرها على مديات ونطاقات أوسع في حال تعرضها لهجوم مباغت¹.

اذ تعاني من ضغوط أوروبية دائمة نحو حدودها الشرقية تجعلها في خوف مستمر من توسع الاتحاد الأوروبي ومنظمة حلف الأطلسي لضم الدول الواقعة في جوارها الشرقي ، اما حدودها الجنوبية فهي مكهربة ، لاسيما فيما يتعلق بالحدود مع كازاخستان ، واسيا الوسطى وإيران وأفغانستان ، اما الضعف المحتمل لروسيا فهو طول حدودها الجنوبية الشرقية مع الصين ، لكنها تعتبر امنة نسبيا باعتبار الصين لا تبدي أي ميلا للمغامرة في السهوب المحاذية لروسيا ، ومن جهة النظر الروسية يسود الاعتقاد باستحالة التفكير في غزوها فالشواهد التاريخية اثبتت فشل كل الغزاة، بيد أن التطورات التي أفرزها القرن الحادي والعشرين على كافة المجالات والأصعدة دحضت هذه المسلمة خاصة مع تكالب الاطماع الأطلسية التي اوجدت للحلف قواعد عسكرية قارة في دول البلطيق الثلاثة ، ما أجبر روسيا على التراجع في الجناح الشمالي الغربي وأرغمها على اتخاذ زمام المبادرة لحماية جناحها الجنوبي من الافتراس ما اشعل فتيل الحرب الروسية الأوكرانية ، وتمت عامل اخري مثل تحديا جيواستراتيجيا للقوة الروسية إلا وهو عدم صلاحية سواحلها للملاحة لتجمدها طوال السنة ما يعيق حركتها التجارية واتصالها الخارجي².

¹- Loginova, R. S. Narskikh, The Ecology Of Russia On Maps, Mapping Sciences And Remote Sensing, Vol .31, No. 3 (May 1994), Pp.186–200.

² - Nefedova Tat'yana, Andrey I. Treyvish, Judith Pallot, The Crisis Geography Of Contemporary Russia, Eurasian Geography And Economics, Vol. 51, No. 2 (May 2010), Pp. 203–217.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

الخريطة رقم (01): توضح الموقع الجغرافي لروسيا الاتحادية



المصدر : https://paperchoice.org/blog/post/interesting_russia

تبين لنا الخريطة المستسقة من تقرير PAPERCHOICE الموقع الجغرافي لروسيا الاتحادية، وتعكس الحيوية الجيوستراتيجية التي تحوزها هذه الأخيرة ما جعل منها قلبا للعالم وفق التنظير الجيوبولتيكي كونها تربط بين كتل مكانية وحضارية ضاربة في جذور التاريخ اطلعتها بناصرية الهيمنة العالمية، إلا ان هذه الشاسعة والحظوة تقابلها مآسي جمة عرفتها الامة الروسية من توافي الاطماع والحروب الدامية التي ستزفها طوال القرون الغابرة وعليه لا يمكن بأي حال كان لروسيا ان تغيب او تحجب عن مسرح التفاعلات الدولية وعن الدور الذي يليق ويتكافأ مع مقومات قوتها.

هذه الميزات الجيوستراتيجية تمثل المقوم الحاسم في قوة الدولة الروسية ودعم توجهاتها الاستراتيجية ومن هذا المنطلق يعد خلق مناطق نفوذ تعيد روسيا الى حدودها السابقة امر ضروري للدفاع عن أمنها القومي فالشغل الشاغل للروس هو السيطرة على قلب العالم "أوكرانيا" كامتداد طبيعي للأمة الروسية، إلا أن تحقيق هذا الطموح محفوف بالمخاطر فأولى العقوبات هو الرفض الذي ستبديه البلدان المجاورة "الخارج القريب" والقوى الكبرى (داخل الحلف الأطلسي) التي تكد الإبقاء روسيا ضعيفة وغير حصينة فمشكلة روسيا الجوهريّة أنّها غير مستقرة من الناحية الجغرافية ما يوجّه بوصلتها لخوض صراع جيوستراتيجي مستمر لتأمين مجالها الحيوي وهو ما نشهده اليوم على سواح الميدان¹.

¹ - Lyutyy. A, The Earth's Nature And Resources: A Comprehensive Geographical Atlas Of The World, **Mapping Sciences And Remote Sensing**, Vol.36, No. 2 (May 2016), Pp.148-154.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

ثانيا: المقوم الديموغرافي

يعد المقوم الديموغرافي من أبرز المقومات المؤثرة في قوة الدولة في العلاقات الدولية، ويفهم من استعمال مصطلح (ديموغرافيا) انها دراسة متعلقة بالجانب السكاني او البشري وتدرس في ضوء عدد من الاعتبارات. منها العدد السكاني والتوزيع الداخلي لهم في حدود الدولة ونوعية التركيبة السكانية، مما جعل هذا المقوم يشكل مع مجموع المقومات الأخرى الثابتة مرتكزا للقوة الاستراتيجية في الدولة.

وبالنسبة للتكوين المجتمعي في روسيا الاتحادية: يبلغ عدد سكانها الحالي (144.244.000) مليون نسمة، بحسب احدث تقديرات الأمم المتحدة لعام (2023)، بما يعادل 1.59 بالمائة من مجموع سكان العالم، محتلة المرتبة التاسعة عالميا والأولى أوروبا من حيث عدد السكان . وقد واجهت روسيا تحديا ديموغرافيا في مرحلة ما بعد التفكك السوفياتي. تمخض عن انخفاض حاد في تعداد سكانها ، ففي عام 1999 بلغ عدد سكانها 841 مليون نسمة ، ومنذ ذلك الحين وهو يسجل انحدارا خطي بمعدل انخفاض قياسي بلغ ما يربو 3.2 بالمائة سنويا حتى دنى الى ادنى مستوياته في عام 2008 بحوالي 141 مليون نسمة فاقدة لسبع ملايين نسمة خلال عقد من الزمن ،وعجلت الحكومة الروسية بانتهاج مجموعة من السياسات الاجتماعية والصحية والأسرية ، تقوم على تحسين المستوى المعيشي والخدمات الصحية ،وتشجيع الصناعات المحلية للأدوية والمستلزمات الطبية والتأمين الصحي¹، ورفع حجم الانفاق الحكومي على القطاع الصحي والذي بلغ نسبة 15.8 بالمائة من الميزانية العامة للدولة وفقا لإحصائيات الأمم المتحدة المنشورة في السنة الفارطة ،وتعاني روسيا من خلل ديموغرافي اخر يتمثل في ارتفاع معدلات الهجرة من وإلى روسيا الاتحادية ما جعلها تكابد حسرة "هجرة العقول" بهجرة ما يقارب 5.1 مليون يهودي روسي غالبيتهم من ذوي الثقافة العالية من أطباء وعلماء وخبراء معلوماتية ،وبالمقابل تقاسي روسيا من وجود اكثر من سبعة مليون مهاجر على أراضيها ،حوالي أربعة مليون منهم دخلوا البلاد بصورة غير شرعية غالبيتهم من الصين ،ما جعل من هؤلاء منافسا وندا للسكان الروس في سوق العمل تزامنا مع ارتفاع معدلات البطالة وقلة فرص العمل².

¹ - Khalturina D. A, S. V Kobzeva, Russia's Geopolitical Prospects Under The Conditions Of The Socio Demographic Crisis, **Sociological Research**, Vol.49, No. 6 (December 2023),Pp.19-35.

² - Ybakovskii .L, Russian Population Dynamics And Its Components In 2001-2025, **Sociological Research**, Vol.52, No. 1 (December 2014), Pp. 3-15.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

الجدول رقم (03): يوضح المسار التاريخي لتطور عدد السكان الروس (1990-2023).

الترتيب العالمي لروسيا	سكان العالم	سكان الحضر	كثافة (ع/كم ²)	معدل الخصوبة	متوسط العمر	المهاجرين	التغير السنوي	السكان	السنة
9	8.118.835.999	74.7	9	1.54	39.6	-79.327	-0.34	144.444.359	2023
9	8.045.331.447	74.5	9	1.52	39.2	-136.414	-0.19	144.713.314	2022
9	7.975.105.156	73.8	9	1.51	39.0	-942445	-0.27	145.617.329	2020
9	7.840.952.880	73.7	9	1.49	38.6	-340.711	-0.9	144.668.389	2015
9	7.426.597.537	73.6	9	1.80	37.6	-384.490	-0.20	143.242.599	2010
9	6.985.603.105	73.4	9	1.60	36.9	253.479	-0.8	143.800.049	2005
7	6.148.898.119	73.1	9	1.34	36.4	244.437	-0.42	146.844.839	2000
7	5.743.219.454	73.2	9	1.36	33.9	404.928	-0.07	148.557.451	1995
6	5.316.175.862	73.2	9	1.90	32.2	257.950	-0.71	148.005.704	1990

المصدر: من اعداد الطالب بالاعتماد على احصائيات البنك الدولي للتعمير والانشاء world bank data

تظهر ارقام الجدول المرفوق أعلاه ، حجم التذبذب والتغير في مؤشرات الزيادة السكانية ، ما يوشي باختلال سكاني مع ارتفاع حاد في معدل الوفيات وانخفاض معدل الولادات ، وهو الامر الذي جعل من المعضلة السكانية على رأس أولويات القيادة الروسية ، لما تمثله من أهمية ذات تاثير متعدد الابعاد في جميع نواحي القدرات الروسية ، وإمكانية تأثيرها على عملية صعودها الاستراتيجي ، فالتراجع في عدد السكان يشكل تهديدا للامن القومي الروسي ، ففي حين بلغ تعداد السكان في سنة 1990 م (148.005.704) نسمة ، تراجع بما يربوا عن 4 أربع ملايين نسمة ليبلغ في سنة 2023 م (144.444.359) ومنه ستتعدي تلك المعضلة الأساسية في الدولة الروسية المديين المتوسط والطويل ، ما يشي بوجود آثار وخيمة على مستقبل المكانة الروسية .

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

ومن جهة نظر تاريخية ، يعد التنوع القومي والديني من خصائص المجتمع الروسي ، وهذا التنوع في حقيقته هو ظاهرة ملازمة للشكل السياسي والاجتماعي لروسيا الاتحادية ورثته عن الاتحاد السوفياتي ، فالشعب الروسي ينقسم اثنيا الى (581) قومية ، يشكلون الروس (السلاف) المجموعة الأكبر بما يقارب 80% من عدد السكان ، فضلا عن قوميات رئيسية مثل التتار بنسبة 9.3% والأوكرانيون بنسبة 4.1% ، والبشكير بنسبة 1.7% ، والجواش بنسبة واحد بالمائة وتعتبر اللغة الروسية اللغة الرسمية للبلاد اذ يتحدث بها اكثر من 18% من سكان روسيا ، اما اللغات الأخرى يبلغ عددها اكثر من 100 لغة واشهرها: التتارية ، والجوفاشية ، والبشكيرية ، والموردفينية ، والشيشانية¹ ، اما بالنسبة للجماعات الدينية فهناك العديد من الديانات لكن غالبية الشعب الروسي هم من : الأرثوذكس ، والمسلمين ، والأرمن ، واليهود ، والبوذيين ، وبالرغم من علمانية الدولة الروسية ، وفقا لما هو منصوص عليه دستوريا إلا ان روسيا في حقيقة الامر تعتبر نفسها دولة مسيحية أرثوذكسية ، وباتت هذه الأخيرة أداة مرنة توظف في السياسة الخارجية الروسية كمظهر من مظاهر الدبلوماسية الشعبية²

ثالثا: المقوم الاقتصادي

تكتسي المقومات الاقتصادية للدولة أهمية فائقة في أوقات السلم والحرب والأزمات ، باعتبارها المعيار الأساسي لقوة الدولة ، وركيزة مهمة لبناء استراتيجيتها القومية وحركتها السياسية في النظام الدولي ، ويمثل الناتج القومي الإجمالي والموارد الطبيعية والإنتاج الصناعي والتجارة الخارجية معيارا هاما لقياس القوة الاقتصادية للدولة ، وذلك لارتباطها بمستوى الدخل القومي وتقدير معدلات النمو والتقدم الاقتصادي.

وانتقالا الى تحليل ودراسة الواقع الاقتصادي الروسي منذ تفكك الاتحاد السوفياتي وإعلان الدولة الروسية حتى الوقت الحاضر يمكن بحث الاستراتيجية الاقتصادية الروسية على ضوء مرحلتين المرحلة الأولى: تتميز طورها بسلسلة من الازمات الاقتصادية التي عانت منها روسيا في ظل حكم الرئيس "بوريس يلتسن" (BORIS ELTSINE) ما بين (1991م-1999م) ، والتي افضت الى التحول من الفلسفة الاشتراكية الى الفلسفة الرأسمالية (العلاج بالصدمة) ، تداعى عنها ترتيبات خطيرة أوقعت روسيا في مستنقع من التدهور والتراجع وكبلت دورها في ساحات النشاط الدولي ، اما المرحلة الثانية: تمثلت في

¹ - Kozyreva.P, The Social Adaptation Of The Russian Population In The Post-Soviet Period, **Sociological Research**, Vol.51, No. 5 (December 2014, Pp.74-96.

² - Krawchuk Andrii, Narrating The War Theologically: Does Russian Orthodoxy Have A Future In Ukraine? , Canadian Slavonic Papers, Vol. 64, No. 2(September 2022).173-189.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

التغيير الذي شهدته روسيا بعد عام 2000 بوصول الرئيس (فلاديمير بوتين) الى سدة الحكم ،اذ شهدت البلاد تطورا اقتصاديا مرفقا بارتفاع أسعار مبيعات الطاقة ،فضلا عن عدد معتبر من الإصلاحات الاقتصادية التي مست عملية النشاط الاقتصادي¹.

وفي هذا المقام، عمل بوتين على وقف التدهور والتخبط الذي عانت منه روسيا في حقبة التسعينيات واستطاع تكوين إدارة قوية لحكم روسيا، وفرض الاستقرار وإعادة بعثها كقوة فاعلة على الساحة الدولية بعد تقويض رجال العصابات وفرض سلطة القانون، وانكب على إنعاش الاقتصاد وتحريره من القيود البيروقراطية، وكافح الفساد، كما دأب على تشجيع الاستثمار وتطوير الصناعات، لاسيما العسكرية منها، واشتغل على خفض الضرائب وإصلاح النظام المصرفي مع تكثيف حجم المساعدات الاجتماعية².

ومن منطلق اخر، تعتبر روسيا اليوم من الأسواق التي تشهدا نموا مضطربا في مجالات صناعات الفضاء، والهندسة النووية، اذ تزخر البلاد بموارد طبيعية هائلة، خاصة من النفط والغاز الطبيعي، النيكل، الألماس، الفوسفات ،وتعد البلاد احدى أكبر عشر اقتصادات في العالم من حيث الناتج المحلي الإجمالي، والسادسة من حيث القدرة الشرائية،وقد عزز ارتفاع الاستهلاك المحلي وزيادة الاستقرار السياسي النمو الاقتصادي في روسيا، لتنتهي البلاد في عامها التاسع (2008) الى معدل نمو بلغ 7 بالمائة ،فيما بلغ الناتج المحلي للفرد 19.840 دولار في عام 2020،مع تراجع في معدلات البطالة وانخفاض نسب الفقر³

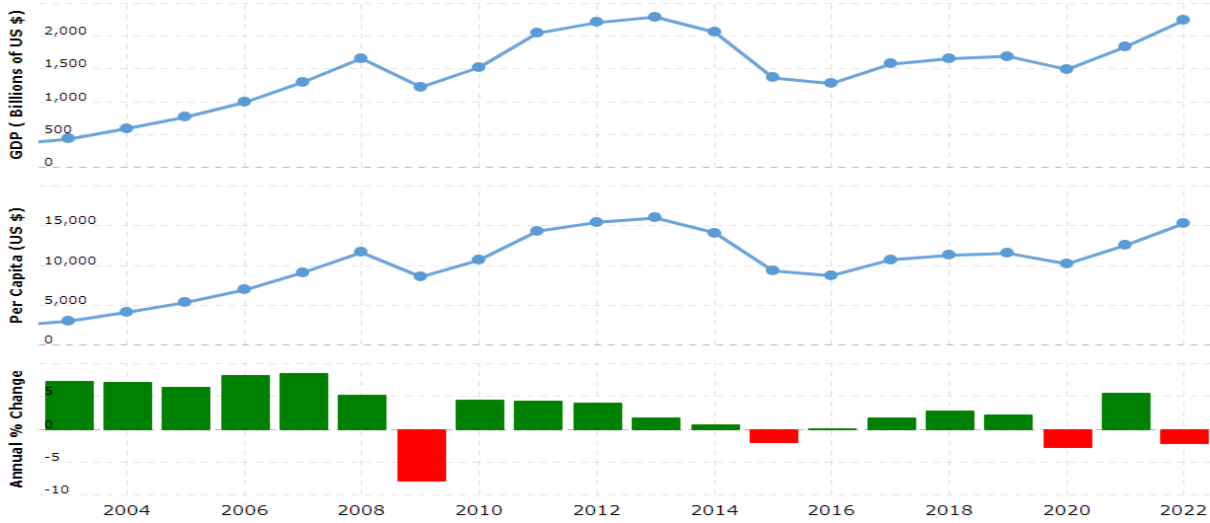
¹ -Hedlund Stefan, Will The Russian Economy Revive Under Putin?, **Problems Of Post-Communism**,Vol. 48, No. 2 (Janvier2016), Pp.54–62.

² - Kaitila Ville, Gdp Growth In Russia: Different Capital Stock Series And The Terms Of Trade, **Post-Communist Economies**, Vol .28, No. 2 (February 2016): 129–45. Doi:10.1080/14631377.2015.1124556.

³ -Voigt Peter, Russia Is Way From Planning Toward Market: A Success Story. A Review Of Economic Trajectories, Transition Progress And Putin's Merits, **Post-Communist Economies**, Vol. 18, No. 2 (March 2017), Pp.123–138.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

الشكل رقم (11): تمثيل يوضح صافي الناتج المحلي الإجمالي لروسيا الاتحادية من 2004-2022.



المصدر: <https://www.statista.com/statistics/263772/gross-domestic-product-gdp-in-russia>

من خلال الشكل رقم (10) الممثل لصافي الناتج المحلي الإجمالي لروسيا الاتحادية من 2004-2022 م ، نستشف القفزة النوعية التي حققها بعيد انهيار الاتحاد السوفياتي ، نتيجة للانتقال من الاقتصاد المركزي والمخطط الى الاقتصاد الحر ، ومن الملاحظ انه منذ بداية سنة 2004 م أخذت مؤشرات التحسن في الظهور حيث بلغ معدل النمو الاقتصادي 5.6 بالمائة ليقلبه ناتج محلي خام قدره 633.29 بليون دولار ، عقب حالة الانهيار الشامل التي رافقت المؤسسات الاقتصادية في ظل حكم يلتسن ، لتعاود دلالات الركود وقعها مع الاقتصاد الروسي في اعتاب الازمة الاقتصادية العالمية (2008) ، اذ انخفض الناتج المحلي الإجمالي بين عامي (2009-2008) الى اكثر من 8 بالمائة ، كما تدنى فائض الحساب الجاري الى خمسة مليارات دولار ، ولم تمضي سوى بضع سنوات على مآثر هذه العاصفة التي غللت النمو الاقتصادي للبلاد حتى شبت نكسة انهيار أسعار النفط عام 2014 م المتزامنة مع الازمة الأوكرانية وضم روسيا لشبه جزيرة القرم ، ما فتح باب العقوبات الاقتصادية الغربية عليها ، لتوجه بدورها ضربة قوية للموازنة العامة للدولة الروسية ليدنو إجمالي الناتج المحلي من 2.048.84 تريليون دولار ، فتقلصت تبعاً لذلك إيرادات الميزانية بنحو 51 بالمائة ، مع تسجيل ارتفاع مهول في معدلات التضخم والبطالة ، ومنه نستشف الاعتمادية الكبيرة على مدفوعات صناعات النفط والغاز الطبيعي ، أما في سنة 2020 فقد دخل الاقتصاد الروسي في حالة من الركود انخفض فيها معدل

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

النمو بنسبة 2.8 ، وكذا الحال بالنسبة الى باقي المؤشرات الاقتصادية ليسجل الناتج المحلي الإجمالي تراجعاً غير مسبوقاً بلغ فيه الحظيظ ب 1.488.12 ترليون دولار، وتعود أسباب هذا الانتكاسة الى الاضرار الاقتصادية الكبيرة التي خلفتها جائحة كوفيد-19 من تذبذب سلاسل التوريد وتراجع الطلب العالمي على الطاقة ، مع حالات الغلق وسياسات الحمائية التي باشرتتها حكومات الدول ، اما سنة 2022 فقد كانت الصفحة الموجعة للاقتصاد الروسي بعد غزو أوكرانيا اذ القى اقتصاد الحرب بظلاله على مؤشرات التنمية المحلية، ومع رنيم الة الحرب، صوب الغرب كل جهوده لكسر روسيا عسكرياً في ميدان المعركة، واقتصادياً بالعقوبات والاستنزاف المالي ، وسياسياً بالنبذ الدولي ، وفي ضوء غياب مؤشرات على نهاية قريبة للحرب ، يصبح التساؤل الأكثر إلحاحاً مبنياً على النحو التالي ما مدى تأثير الاقتصاد الروسي بعثرات حربه على أوكرانيا ، الا ان الوقت كفيل بالإجابة عن كل التساؤلات المطروحة ، فمجهر الخبرة يوحى باستفادة روسيا من تجاربها السابقة في مواجهة العقوبات بعد ضم شبه جزيرة القرم في سنة 2014 ، اذ نجحت في توفير البدائل وتحقيق الاكتفاء الذاتي وتأجيج المشاعر الوطنية . وكذلك عرقلة خروج المستثمرين الأجانب ، القراءة المثمرة للمؤشرات المرفقة في الشكل توحى بحالة التخبط والتأرجح التي يشكو منها الاقتصاد الروسي نتيجة الانفاق العسكري العالي ، بتصدر روسيا المرتبة الثانية عالمياً كأكبر ميزانية عسكرية ناهيك عن اعتماد الاقتصاد بشكل رئيس على قطاع النفط ، كسلعة تصديرية وعدم وجود تنوع في المصادر الأساسية في الدخل.

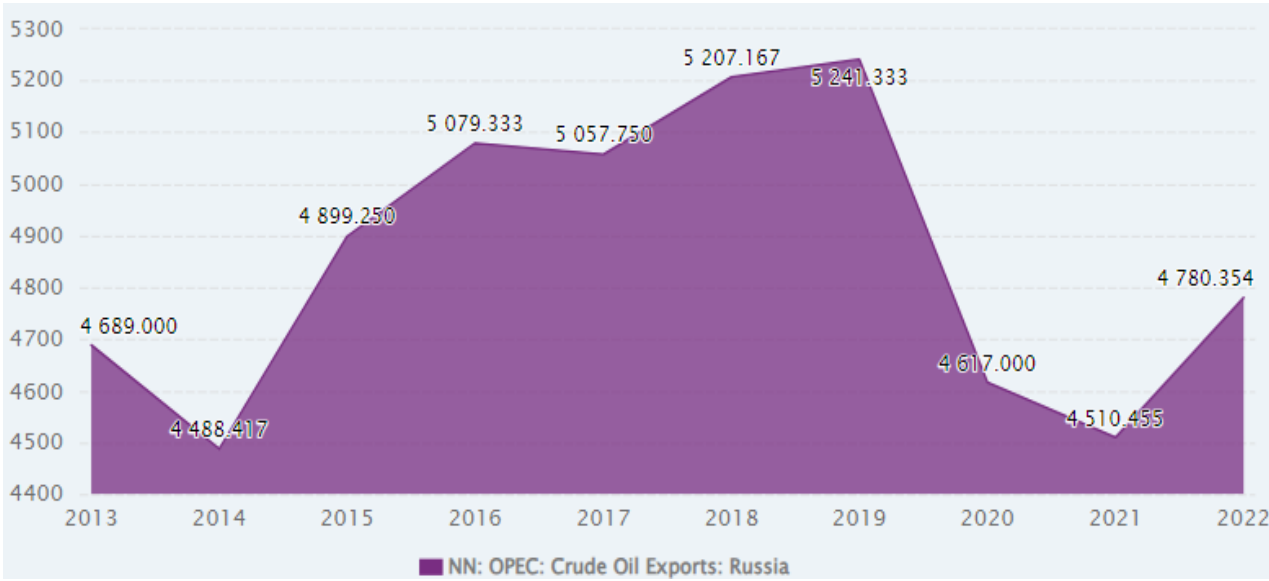
تعد روسيا من اهم اللاعبين الرئيسيين في أسواق الطاقة العالمية ، حيث تحتل موقع الصدارة في انتاج النفط الخام بامتلاكها سبع اكبر احتياطي عالمي بنصيب قدره 1.6 بالمائة ، وثاني اكبر منتج ومصدر للغاز الطبيعي باحتياطي عالمي قدر ب 6.23 بالمائة ، وباتت تمثل الطاقة الرافعة الاستراتيجية في السياسة الخارجية الروسية تجاه شركائها الاستراتيجيين ، وهو ما كشفت عنه الحرب الروسية الأوكرانية حيث وقع الامن الطاقو الأوروبي رهينة لمطربة وسنداس روسيا ، كما عمدت هذه الأخيرة الى احكام لجامها على طرق امداد الطاقة وتأمينها عبر عملاقها شركة غاز بروم (GAZPROM) وشركة روس (ROSNEFT) ، وشكل الاندماج الفعلي للاقتصاد الروسي في الأسواق العالمية بشرى لنمو حصتها التصديرية العالمية من النفط والغاز مع توسع مؤشرات انفتاحها التجاري،¹ فضلاً عن ذلك تقوم روسيا بمساع دؤوبة لانشاء منظمة دولية لمنتجي ومصدري الغاز على غرار الأوبك ، فاذا حدث

¹ -Casier Tom, Great Game Or Great Confusion: The Geopolitical Understanding Of Eu-Russia Energy Relations, *Geopolitics*, Vol. 21, No. 4 (Jun2016), 763-778.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

وأن تمكنت من اقناع الأطراف المعنية بذلك ، فيجدر توقع تأثير اكبر لروسيا على الصعيدين الاقتصادي والسياسي الا أن ثغرة العجز التي تعانيها روسيا في اعتماديتها المفرطة على المواد الخام والطاقة كمصدر للدخل ستحيد صعودها الاستراتيجي عن مساره الخطي¹ .

الشكل رقم (12): تمثيل بياني يوضح الصادرات النفطية الروسية 2013-2022.



المصدر: https://www.opec.org/opec_web/en/search.jsp

يتبين لنا من خلال التمثيل البياني الظاهر أعلاه، يتّضح حجم التذبذب الذي يشوب قطاع تصدير الطاقة في روسيا خلال العشرية الأخيرة من القرن الحادي والعشرين، اذ سجلت البلاد في الربع الأخير من سنة 2014 هبوطاً حاداً في معدلات تصدير النفط الخام بمتوسط 4.488.417 برميل يوميا تجاوبا مع الانخفاض العالمي لأسعار المحروقات ، ما دفع روسيا الى التحرك في نطاق منظمة الأوبك لإنعاش أسعار هذه السلعة الاستراتيجية بعد تضرر قطاعات حيوية في البلاد، نظرا لطابع الاقتصاد الربيعي، لتبلغ صادراتها السقف المعتاد بإحصاء 5.241.333 برميلا يوميا في مطلع سنة 2019 ، فيما تراجعت هذه النسبة عقب الغزو الروسي لأوكرانيا حيث تدهور معدل التصدير في البلاد بعد سياسة العصى التي باشرها الرئيس فلاديمير بوتين حيال دول الاتحاد الأوروبي، بقطع الامدادات الغازية عبر خطي نورد ستريم 01 (Nord Stream01) ونورد ستريم 02 (Nord Stream02) ، ما جعل روسيا توجه

¹ -Rutland Peter, Petronation? Oil, Gas, And National Identity In Russia, Post-Soviet, **Affairs**, Vol.31, No. 1 (July 2015), Pp. 66–89.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

بوصلة فائضها الاستراتيجي صوب قوى الشرق الصاعدة كالصين ، الهند ، اليابان ، وكوريا الجنوبية لتخلق الأسواق الآسيوية فرصا واعدة لتصدير الغاز الطبيعي الروسي ، بسبب قدرتها الهائلة على استيعاب كميات اكبر ، مما يثبت في الأخير صدقية الجدال الدائر حول استمرار الاحتكار الروسي لجيوبولتيكا الموارد الحرجة .

في ضوء ما تقدم ، فان نهضة الاقتصاد الروسي التي كانت متناسقة مع سياسة الرئيس فلاديمير بوتين في الإصلاحات الاقتصادية سواء على الصعيد الداخلي او الخارجي ، دفعت روسيا باتجاه دور عالمي بوصفها قطبا دوليا يحاول تغيير النظام الدولي من احادي القطبية الى نظام متعدد الأقطاب ، استنادا لمنحى التحالفات الاقتصادية التي شيدتها سواء في اطار تجمع البريكس (BRICS) ، او منظمة شنغهاي للتعاون (SHANGHAI COOPERATION ORGANISATION) ، او الاتحاد الاقتصادي الأوراسي (EURASIAN ECONOMIC UNION) ، وعبر فرض منطق تداولية عملتها كسرا للدولة ، ودرأ للتضييق الغربي ، مع ركونها الى استثمار عوائد مواردها الطاقوي في عملية البناء الاستراتيجي ، لذا سعت الى شق دبلوماسية اقتصادية مرنة هدفها تحقيق المصلحة الوطنية واستعادة مكانة القطب الروسي المحجوب¹ .

رابعا: المقوم العسكري والأمني الروسي

إن صلة القرابة الوثيقة بين امتلاك ترسانة عسكرية عاتية وعصرية من الأسلحة الاستراتيجية وبين تبوء منزلة " القوة العظمى " ، كانت ولا تزال مقوما أساسيا من مقومات الاستراتيجية القومية الروسية ، وشرطا لا بد منه لكسب النفوذ داخل منظومة العلاقات الدولية القائمة على القوة ، وأدائية توظيفها لمواجهة الضغوط والتهديدات الخارجية لذا فان زيادة الانفاق العسكري وتحسين أداء القوات المسلحة وتطوير الصناعات العسكرية ، يعد شكلا من اشكال التعبير عن اهداف روسيا الاستراتيجية ، وتعد القوات المسلحة الروسية من اقوى وأكبر جيوش العالم ، وتصنف كثاني اقوى جيش في العالم من حيث قدراته القتالية وترسانته النووية بعد الجيش الأمريكي ، والثالث من حيث عدة التجنيد بعد الصين والولايات المتحدة الامريكية ، اذ يبلغ تعدادة حوالي 1.4000.000 جندي ، بالإضافة الى قوة احتياط ضخمة تصل الى اكثر من مليوني مجند موزعين على مختلف الأصناف والتشكيلات العسكرية

¹ -Golovnin Mikhail, Daria Ushkalova, Russia In International Economic Institutions: Are There Contradictions In The Regional And Global Agendas? , **Post-Communist Economies**, Vol.33, No. 2-3 (Jun 2022), Pp.222-245.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

وترسانة ضخمة من الأسلحة المتنوعة¹، اذ لا تزال روسيا الغريم التقليدي الوحيد للولايات المتحدة الأمريكية من الناحية العسكرية التقليدية، وتمتلك روسيا 81 قاعدة عسكرية خارجة أراضيها تتوزع على تسع دول هي: أرمينيا (02)، بيلاروسيا (03)، جورجيا (02)، كازخستان (03)، قيرغيزستان (3)، سوريا (02)، مولدافيا (01)، طاجيكستان (01)، فيتنام (01)².

الجدول رقم (04): يوضح الانفاق الدفاعي الروسي 2015-2023

السنة	تريليون دولار	% من الناتج المحلي الإجمالي
2023	4.980	3.72
2022	4.680	3.13
2021	3.502	2.68
2020	3.573	2.87
2019	3.169	2.73
2018	2.997	2.73
2017	2.827	2.72
2016	2.666	3.48
2015	3.181	3.83

المصدر: من اعداد الطالب بالاعتماد على موقع

<https://www.sipri.org/commentary/topical-background/2023/russias-military-spending-frequently>

من خلال البيانات المرفقة في الجدول رقم (04)، يتبين لنا أن روسيا قد خطت خطوات متقدمة في مجال بناء منظومة دفاعية صلبة في سبيل التصدي للتهديدات والرهانات الجديدة للسياسة الدولية، ممّا حرك مساعيها الأمنية حول مضامين رفع ميزانيات التسليح التي باتت تتصدر سائر القطاعات الحيوية والاستراتيجية للبلاد، ويقوم الإدراك السياسي الروسي على أولوية تحديث العتاد والقوات الروسية، بهدف الدفع بثنائية القدرة والمقدرة على استعادة المجال الاستراتيجي المرتبط بمصالح أمنها القومي في المجالين الجغرافي القريب والبعيد المدى، وقد اتخذت روسيا من المتغير

¹ - Hunter Christie, Edward, Does Russia Have The Fiscal Capacity To Achieve Its Military Modernization Goals?, **The Rusi Journal**, Vol.162, No. 5 (Decembre2017), Pp.4-15.

² - Rand Corporation, The Future Of The Russian Military : Russia's Ground Combat Capabilites And Implications For Us-Russia Competition ,Jun18,2019,Pp,53,54.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

الاقتصادي ركيزة محورية لدعم القطاع العسكري تكريسا لمطامحها الجيوبولتيكية ، ففي سنة 2015م بلغت ميزانية الدفاع الروسية 3.181 تريليون أي ما يوازي 3.83 بالمائة من اجمالي الناتج المحلي ، لتشهد السنوات التالية ارتفاعا مطردا في موازنات الدفاع بالغة ذروتها في عز حربها على أوكرانيا ، حيث جندت الحكومة اظرف مالية خاصة لتطوير الصناعة الحربية ، وبات اقتصادها اقتصاد حرب محض ، حيث راوحت ميزانية الدفاع 4.680 تريليون هو ما ينبأ بإنهاك الاقتصاد الروسي الفتي .

من الملاحظ؛ ان لدى روسيا الاتحادية إمكانيات هائلة في مجال التصنيع العسكري، ويرجع ذلك الى اهتمام القيادة الروسية بتعزيز موقع روسيا في سوق السلاح العالمي، مستحوذة على المركز الثاني كأكبر مصدر للسلاح في العالم، ما قادها الى الشروع في برنامج مكثف لتحديث قواتها المسلحة، حيث أدخلت روسيا اجيالا جديدة من الدبابات والمدرعات صغيرة الحجم والسريعة، وتزودت بأسلحة متقدمة تقنيا لها القدرة على الوصول الى مناطق الازمات والتوترات ، مثل الدبابة نوع (T-90) و (T-92) ،والعجلات المدرعة (BMB-3) كما تم تجهيز سلاح الجو الروسي بطائرات مقاتلة من الجيل الخامس مثل طائرات الميك (mig-29) (mig-35) وطائرات السوخوي (SU-34) ، (SU-35) وطائرات الهيلوكوبتر المقاتلة متطورة الطراز، (MI-26) (MI-28) وتم تزويد الاسطول البحري بحاملة طائرات واحدة ، وغواصتين ، و (51) فرطاقة ¹ ، وتمتلك في مجال الانتشار البحري خمسة اساطيل : الاسطول الشمالي (في المنطقة القطبية الشمالية والاطلسية) ، اسطول البطيق (في منطقة كالينغراد) ، اسطول البحر الأسود (سينا ستفول) ، اسطول المحيط الهادئ (في منطقة فلاديفتوك) ، اسطول منطقة استرافان ، اسطول البحر المتوسط (سوريا - طرطوس) ، اما في مجال الصواريخ ، فقد تم تجهيز القوة الصاروخية الروسية بأجيال متطورة من الصواريخ الباليستية الهجومية بعيدة المدى من طراز توبول (SS-27) ويارس (RS-24) ، قادرة على حمل الرؤوس النووية ، والصاروخ التكتيكي طراز إسكندر-ss (26) ، والصاروخ البحري الباليستي النووي طراز بولافا (R-30) ، ومنظومات الدفاع الجوي (ss-400) ²

فضلا عن ذلك ، تشكل الترسانة النووية قوة رئيسية في معادلة ميزان القوى العالمي ، اذ يدخل هذا السلاح ضمن تشكيل ما يسمى ب (القوات الاستراتيجية النووية الروسية) ، التي تشمل على : القوات البرية للمهام الاستراتيجية ، والغواصات المزودة بالصواريخ حاملة للرؤوس النووية ، والقاذفات

¹ - Rassadin. V, The State Of The Military-Industrial Complex In Russia, **Problems Of Economic Transition**, Vol. 42, No. 10, (December 2014), Pp. 6–16.

² - Zysk Katarzyna ,Defence Innovation And The 4th Industrial Revolution In Russia, **Journal Of Strategic Studies** , Vol.44, No. 4 (Decembre 2021) Pp.543–71.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

الجوية الاستراتيجية المزودة هي أيضا بصواريخ حاملة للرؤوس النووية ،تشكل هذه القوات عنصرا رئيسا في تحديد ميزان القوى بين روسيا وغيرها من القوى النووية ،وقد خضعت الترسانة النووية الى عملية تخفيض وتحديث واستبدال الأنظمة القديمة بأخرى جديدة مع مراعات التوازن الاستراتيجي مع الولايات المتحدة الامريكية اختراقا الأنظمة دفاعاها الصاروخي ،كما تنصلت موسكو من معاهدة الحد من الأسلحة الاستراتيجية الهجومية ستارت 3 (START03) .

الجدول رقم (05): يوضح أكبر مستوردي السلاح الروسي لسنة 2023م

النسبة %	قيمة الاستيراد(بالدولار)	البلد	الفضاء الجيوسياسي
23.3	6.6	الهند	
18.2	5.1	الصين	اسيا
5.9	1.7	فيتنام	
2.1	1.4	تركيا	
0.4	1.3	إيران	الشرق الأوسط
0.3	1.2	سوريا	
14.9	4.2	Algeria	
11.8	3.3	مصر	افريقيا
0.8	1.6	نيجيريا	
1.7	0.5	انغولا	

المصدر : من اعداد الطالب بالاعتماد على Disarmament ،SIPRI Yearbook 2023: Armaments and International Security.pp. 385-391. <https://www.sipriyearbook.org>

استنادا الى مرجعية المؤشرات الإحصائية المبينة في الجدول رقم 05 يظهر حجم الإمكانيات التي تحتفظ بها روسيا الاتحادية في مجال التصنيع العسكري ،حيث تستحوذ على ثلثي صادرات الأسلحة العالمية ،وتعد المنطقة الاسيوية السوق الاستهلاكي الأولى لصادراتها ،اذ تسلمت كل من الصين والهند والفيتنام في الربع الأخير من 2023 م سنة ما يربو عن 47.4% من شحنات التسليح الروسية ،تليها منطقة الشرق الأوسط بنسبة 23.4 % وكانت سوريا العميل الرئيسي لها بالمنطقة ،اما الدائرة الافريقية تأتي ضمن ثالث اكبر الشركاء المستوردين للسلاح الروسي ، اذ تورد روسيا عدد معتبر من الدول الافريقية على رأسها الجزائر ومصر ونيجيريا لتشكل مجموع هذه الدول 17.5 % من مجموع

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

الصفقات الضخمة التي تعرضها روسيا بالفارة السمرء ،وقد عملت مؤخرا على مد نفوذها الجيوسياسي بالمنطقة عبر اذرع شركتها العسكرية الخاصة فاغتر في اطار تنافس القوى الكبرى على مناطق النفوذ وملئ الفراغ بعد تراجع الوجود الكولونيالي الفرنسي.

وتأسيسا؛ لما تم التفصيل فيه، فقد دعت التغيرات التي يشهدها النظام الدولي في ضوء الازمات الدولية، ومواجهة نظام القطب الواحد. صانع القرار في الكرملين الى بلورة عقيدة عسكرية تتوافق مع قيد المتغيرات المطروحة، في خضم معترك التوسع الأطلسي المتاحم لحدودها الجيوسياسية شرق القارة الأوروبية، ومسعى بعض دول الجوار القريب الى الاندماج مع الغرب ومحاصرة روسيا وهو ما جس نبضه في الازمة الأوكرانية وسابقتها الجورجية، لتعزز نظم الدفاع الصاروخي وتكثف جهود التطوير العسكري تأسيسا لهيكلية عصرية سريعة الاستجابة للتحديات الجيواستراتيجية وفقا لما جاء في الوثيقة البيضاء الروسية للعام الفارط (Russia White Paper 2023) ¹.

خامسا: المقوم السياسي

يشكل المقوم السياسي أحد اهم المقومات التي تركز عليها الاستراتيجية العليا للدولة، فنوع النظام السياسي وسلطته ومؤسّساته، يلعب دورا مهما في تحديد أولويات الدولة وأهدافها على مختلف المستويات الداخلية والإقليمية والدولية، وتمتلك القيادة السياسية المتمثلة في رئيس الدولة، القدرة على توظيف قدرات الدولة وإمكانياتها السياسية والاقتصادية والعسكرية والإعلامية والدبلوماسية على النحو الذي يخدم اهداف الدولة وتطلعاتها في النظام الدولي.

وبالتطرق لدور روسيا الاتحادية في السياسة الدولية وجيوبولتيك الصراعات العالمية مطلع الالفية، فانه يقترن بالدرجة الأساس بالمتغيرات التي نجمت عن وصول الرئيس فلاديمير بوتين الى السلطة وما اضفاه من تطور في هيكل الدولة الروسية على كافة الأصعدة، والإصلاحات التي ادخلها في الاقتصاد الروسي والمؤسسة العسكرية، التي انعكست بدورها فيما يلي على الأداء الروسي الإقليمي والدولي من خلال بحث استعادة المكانة والدور².

¹ -Romanova Tatiana 'Russia's Neorevisionist Challenge To The Liberal International Order' **The International Spectator**، Vo.53، No. 1 (March2023)، Pp.76–91.

² -Busygina Irina, Mikhail Filippov, Olga Shvetsova, Risks And Constraints Of Political Modernisation In Russia: The Federal Problem, **Perspectives On European Politics And Society**, Vol. 12, No. 1 (September2011), Pp.1–12.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

ففي سابق عهد كانت روسيا القيصرية احدى أهم القوى الفاعلة في نظام توازن القوى الدولي، ومن ثم انتقلت لتكون احد قطبي النظام السياسي الدولي بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ممثلة في شخص الاتحاد السوفياتي وحتى نهاية الحرب الباردة ، التي انتهت الى التفكك وطي صفحة الصراع العالمي الذي دام نصف قرن ، وقد أدى حجم المكانة التي حازتها في المرحلتين المذكورتين انفاء، الى ضرورة العمل على إعادة ترتيب الوضع الداخلي وإيجاد حلول للمشاكل والأزمات التي عانها روسيا بالتملص من الاعتبارات الأيديولوجية وتركعة الأعباء الثقيلة الموروثة عن الاتحاد السوفياتي.

ومما لا شك فيه ان المشروع البوتيني يرمي الى ترسيخ وتأكيد نهضة روسيا كقوة دولية موازنة في النظام السياسي الدولي ، تشارك بفاعلية في إدارة الصراعات الدولية مع القوة المهيمنة الأطلسية ، و تحوز صوتا نافذا في الهيئات والمؤسسات الدولية (على غرار مجلس الامن الدولي، ومنظمة التجارة العالمية) ، ناهيك عن عضويتها النشطة في عديد التكتلات والتحالفات الاقتصادية ، مع تطوير روسيا لروابط استخراجية مع الأقاليم الصديقة ، والعمل على استعادة نفوذها الجيوسياسي المهمش داخل جمهورياتها المستقلة وفي اقليمي اسيا الوسطى والشرق الأوسط¹.

وقد أخذت خطوط الصدع مع الغرب في التحور نحو العداء بعد رفض بوتين للغزو الأمريكي على العراق عام 2003 ومعارضة انشاء الدرع الصاروخي الأمريكي على الأراضي البولندية والتشيكية ، لتكون فرصة سحنة بعثت العلاقات الصينية الروسية في اطار منظمة شنغهاي للتعاون ، والتي اصطبغت ببعد امني خالص لتحجيم الوجود العسكري الأمريكي في اسيا الوسطى من خلال اغلاق القواعد العسكرية الامريكية في كل من اوزباكستان وغيوزستان ، وذهب بوتين ابعد من ذلك اذ شطب سياسة الحياد السلبي من قاموس السياسة الخارجية ، وأحل محله سياسة المبادرة عبر خطابات مراجعة النظام الدولي الملموسة في استمرار الموقف الروسي الداعم الايران وبرنامجه النووي ، كما ظهر التحدي للهيمنة الامريكية في اجلى صوره حيال الصراع في سوريا ، وضم جزيرة القرم ، وعربون البوتينية هو الحرب الحتمية في أوكرانيا².

إن خلاصة البحث والتحليل في مقومات روسيا السياسية توضح أهمية المقوم السياسي في استعادة القطب الروسي لدوره المسلوب والمهمش في ساحة التفاعلات الدولية، بفضل تبني

¹ -Simons Greg , Stability And Change In Putin's Political Image During The 2000 And 2012 Presidential Elections: Putin 1.0 And Putin 2.0? , **Journal Of Political Marketing**, Vol.15, No. 2-3 (August 2016), Pp.149-70.

² -Tatiana Kstoueva, **La Russie De Putin En 100 Questions**, (Paris : Tallandier ,2020), Pp.83-89.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

استراتيجيات واقعية مستجيبة لمصالح روسيا الاتحادية وأهدافها، من خلال استمرار تنشيط الاقتصاد الوطني، وتطوير القوة العسكرية، فضلا عن الاستفادة من المتغيرات الدولية الجديدة، كلها أسهمت وبشكل صريح في بروز وتطور روسيا في السياسة الدولية.

يخلص من كل ما تقدم الأثر الحاسم للمقومات المادية التي وظفتها روسيا الاتحادية لصالح المقومات القوة اللامادية ما انعكس إيجابا على صعودها الاستراتيجي في العلاقات الدولية تأسيسا لنظام عالمي جديد قائم على أسس هيكلية روسية مدعومة بدبلوماسية الفعالة وسياساتها الخارجية البراغمية والعقلانية، فضلا عن توظيف قوتها العسكرية في مناطق مجالها الحيوي، واستثمار هبتها الطاقوية في تحريك التوازنات الإقليمية والدولية تأسيسا لعوامل اقتصاد جديد يترفع عن كل قواعد المؤسسة الليبرالية والرأسمالية التجارية، إلا أن عقبات عديدة تقف أمام هذا الطموح وتحول دونه إذ لا تزال روسيا تترزح تحت عوامل الضعف.

المطلب الثاني: الصلحوة الاستراتيجية الروسية بين تصور العودة وإدراك التغيير في السياسة الدولية

منذ تفكك الاتحاد السوفياتي لم تتوقف مراكز البحوث الاستراتيجية الأمريكية عن السعي لإيجاد السبل الكفيلة لضمان هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على العالم كقطب أوحدها لكنها لم تستطع أن تغفل وتتجاهل احتمالات العودة الروسية للمنافسة على الزعامة العالمية، ولم يكن السؤال المطروح وقتئذ هو: هل ستعود روسيا كقوة عالمية بعد تصدع الاتحاد السوفياتي وتبدد قواه أم لا؟ بل كان السؤال الأكثر إلحاحا هو متى ستعود روسيا؟ وكيف يمكن عرقلة هذه العودة؟، يقول برجنسكي في هذا المقام "بالنسبة لأمريكا إن روسيا ضعيفة كثيرا الآن لتكون شريكة، إلا أنها لا تزال قوية لدرجة أنها مؤهلة لنديتنا"، وهو أمر ليس بالمستغرب نظرا إلى أن الصراع بين روسيا والغرب طبع ودمغ خيالات كبار استراتيجي الغرب على مدار قرون لا عقود وقد لا تبدو روسيا مهددة لمكانة واشنطن دوليا من الناحية الاقتصادية، إلا أن برجنسكي يتعامل مع روسيا "الساعية إلى استعمال القوة في مواجهة جيرانها" ما يفسح لروسيا مجالا للمناورة في جيوسياسية القرن الحادي والعشرين.

على المستوى العملي، بدأت الصلحوة الاستراتيجية الروسية مع وصول الرئيس "فلاديمير بوتين" للحكم عام 2000 بعد عقد من الاضطراب والفوضى، وشخص "بوتين" الازمة البنيوية التي كانت تتخبط فيها روسيا في خطاب له عام 2005 بأنها تتلخص في انحسار الجغرافيا السياسية وتراجع المكانة

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

الاستراتيجية وتضع القيم الاجتماعية، وتفاقم العضلات الاقتصادية، وبالتزامن مع التوسعة الخامسة لحلف الناتو عام 2004 قرر "بوتين" استعادة امجاد "روسيا" بأي ثمن وإعادة بناء القوة الروسية رغما عن الغرب معتمدا في ذلك على احياء المسيحية الأرثوذكسية، والاعتزاز بالتاريخ الروسي، وتدعيم النواة السلافية الصلبة، واستعادة ما امكن من الغلاف الاستراتيجي الذي تحتفي به روسيا، سواء كما يسميه "جيرالد تول" (Gerald Toole) في "الخارج الداخلي" مثل الشيشان ومناطق الحكم الذاتي في الداخل الروسي و" الخارج القريب " بالاتجاه شرقا وجنوبا نحو الشعوب التركية والصينية بتبني أفكار "الكسندر دوغان" (Alexander Dugain) و" بيوتر سافيتسكي" (Bywtr Sfytsky) الذي أشاد بالعلاقات التاريخية بين الروس والشعوب التركية في وسط اسيا التي أبعدت روسيا عن أوروبا، بدلا من الاتجاه غربا والتعلق بأذنان الغرب كما حلم " غورباتشوف و " بوريس يلتسن "1.

ومع استمرار صعود القوة الروسية في عهد " بوتين " تكررت الصدمات مع الغرب وحلفائه لذلك اضطرت العلاقات بين روسيا والغرب بشكل كبير، بفعل مسالة توسع حلف شمال الأطلسي، الذي يعد ذراع الغرب العسكري، واعتبار ذلك التوسع استراتيجية يمارسها اتجاه روسيا التي لم يتوقف يوما عن اعتبارها عدوه الأول، رغم تغير الظروف والسياسات التي نشأ فيها الحلف الذي ظل يتمدد شرقا نحو الحدود الروسية دون توقف او هودة بانضمام بولندا للحلف عام 1999م، لتكون قاعدة متقدمة له في شرق أوروبا، ثم جسرا لتسهيل تسليح أوكرانيا خلال حربها مع روسيا، ثم انضمت جمهوريات البلطيق الثلاث، ليتوانيا، ولا تفياء، واستونيا الى الحلف عام 2004م، اضافة الى اربع دول من أوروبا الشرقية (رومانيا، بلغاريا، سلوفاكيا، سلوفينيا)، مما وضع حلف الناتو مباشرة على مشارف حدود روسيا الغربية².

ولكن الخطأ الكارثي لقمة " بوخاريسست " كما وصفه " جون ميرشايمر " والذي ارتكبه الحلف والغرب عام 2008 م، كان كفيلا بنقل المواجهة بين روسيا والغرب الى الجانب العسكري، برفض موسكو لما جاء في القمة من ترحيب بعضوية جورجيا وأوكرانيا في الحلف، مما سيعني تطويقا تاما لروسيا من كل الجهات، وهو ما استفز موسكو ودفعها نحو شن الحرب على جورجيا في شهر اوت من نفس السنة، ثم الاستيلاء على شبه جزيرة القرم بعد ذلك عام 2014، الان تلك السياسة حشرت

¹ -Li, Olga ,Grievances And Political Action In Russia During Putin's Rise To Power , International **Journal Of Sociology**, Vol. 51, No. 4 (August 2021),Pp. 304–20.

² -Saradzhyan Simon, Nabi Abdullaev, Measuring National Power: Is Putin's Russia In Decline?, **Europe-Asia Studies**, Vol. 73, No. 2 (May 12, 20242021), Pp.291–317.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

روسيا في الزاوية وما كان منها إلا ان تدافع عن حدودها ومصالحها ، ما دامت انشغالاتها الأمنية لم تأخذ بعين الاعتبار ، وهو ما دفعها أيضا نحو غزو أوكرانيا ، فالغرب لم يفهم ان المساس بأمن الحدود الروسية يعد خطأ احمرًا يستوجب بها اللجوء للقوة فهو يشبه الى حد كبير موقف الولايات المتحدة في حال استشعارها بتهديد لنفوذها في القسم الغربي من العالم ¹.

وقد مضت الولايات المتحدة الامريكية وبدون اكتراث للاعتراضات الروسية ، بنشر نظام الصواريخ المضادة في كل من تركيا وبولونيا والتشيك ، والذي تقول واشنطن انه مخصص لحماية أوروبا من دول مارقة مثل ايران وكوريا الشمالية ، بينما ترى موسكو انه موجه ضد السلاح الروسي ، ويخل بتوازن القوى في أوروبا بصورة فادحة ، كما ذهبت موسكو الى اتهام الغرب بنكوصه عن عهوده المبرمة نهاية حقبة الاتحاد السوفياتي بعد توسيعات الحلف المتتالية في حديقته الخلفية ، اذ أصبحت موسكو اليوم سواء في البلطيق او البحر الأسود تواجه وضعًا استراتيجيًا اسوأ بكثير من وضع روسيا القيصرية في القرن التاسع عشر ، خاصة بعد تشجيع واشنطن للثورات الشعبية الملونة داخل عربات الاتحاد السوفياتي المستقلة ، وحاولت الكتلة الغربية فرض قيمها الليبرالية باعتبارها قيما عالمية للإطاحة بأنظمة حكم في القوقاز وأوروبا الشرقية ² ، وهو ما استشاط منه الرئيس " فلاديمير بوتين " خوفا من تجرأ القوى الغربية على العبث بالشؤون الداخلية الروسية ، كما استهدفت الدول الغربية وعلى رأسهم الولايات المتحدة الامريكية بقاء روسيا أسيرة لدخلها من مصادر الطاقة وجعلها مجرد سوق إضافية للمنتجات الصناعية الغربية ، وحتى بعد أن ساعدت مداخل النفط والغاز المرتفعة على انتعاش روسيا الاقتصادي ، تأمر الغرب من اجل تراجع أسعار مصادر الطاقة ، وفرض على روسيا عقوبات اقتصادية طائلة لا سيما بعد غزوها لأوكرانيا مطلع عام 2022 ³.

ورغم أن روسيا انتهجت سياسات صلبة تجاه الغرب منذ قدوم " بوتين " لقبة الكرملين عام 2000 ، الا انه يمكن إيجاد تفسير لذلك في استراتيجية الغرب نحوها وعلى رأسه الولايات المتحدة الامريكية وحلف الناتو ، فالولايات المتحدة الامريكية بحسب " جون ميرشايمر " كان عليها السعي لضم روسيا الى جانبها واستيعابها ، ولكنها بدلا من ذلك رمت بها كهديّة استراتيجية ثمينة في أحضان الصين

¹ -Charalambides Yiannos, A Russian Revisionist Strategy On The Rise?, **Strategic Analysis**, Vol. 46, No. 2 (Jun2022, Pp.141-56).

² -Grame.P.Herd , **Understanding Russian Strategic Behavior : Imperial Strategic Cultur And Putin's Opertional Code** ,(London :Routledge, Taylor Francis Group ,2022),Pp.181-195.

³ -Ibid, P.196.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارنة بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

هذه الأخيرة وجدت في سياسات الغرب تجاه موسكو، فرصة للتقرب أكثر من روسيا وتقديم نفسها شريكا وحليفا استراتيجيا موثوقا ولو دبلوماسيا وسياسيا واقتصاديا، وكان تجاهل المخاوف الأمنية لروسيا سببا لحرب أوكرانيا، وتزايد الهوة بينها وبين الغرب وخاصة واشنطن، لتكون الصين المستفيد الأول بحسب " ميرشايمر " من حرب أوكرانيا ومن سياسات الولايات المتحدة الأمريكية تجاه روسيا، حيث وجدت بكين في ذلك فرصة لتوثيق علاقاتها معها أكثر فأكثر، فيما تجد واشنطن نفسها عالقة في أوروبا، وتركز اهتمامها الاستراتيجي هناك، فيما كان الواجب نقله نحو آسيا حيث تمارس الصين هناك استراتيجيتها بأريحية أكبر في ظل الانشغال الأمريكي بروسيا وحربها ضد أوكرانيا¹.

ومهما يكن من أمر، فإن الصحو الروسية التي يقودها " فلاديمير بوتين "، والإصرار الأمريكي على اقضاء روسيا وتحجيمها وحصارها جعل الصدام بين القوة الروسية والقوة الأمريكية لا مناص منه، وهنا صدقت البوتينية الصاعدة والقوة الأمريكية الأطلسية السائدة أمر نظرية " جون ميرشايمر " داخل مبنى " الواقعية الهجومية "، فالوطنيون الروس الذين يمثلهم " بوتين " سياسيا ودوغين فكريا يحسّون اليوم بمرارة شديدة تجاه توسع الناتو في مجالهم الحيوي، ويعتبرون ذلك غدرا بروسيا، واستغلالا للحظة ضعفها اثناء تفكك الاتحاد السوفياتي مطلع التسعينيات أما الأمريكيون فلم يضيعوا الفرصة لاستنزاف روسيا وتطويقها وجاءت حرب أوكرانيا تتويجا لمسار التصادم بين الطرفين².

لا يخفى عن أحد أن روسيا تكد لتطوير استراتيجيات تعاملها مع الواقع الدولي بعيدا عن قوتها العسكرية لوحدها، من خلال العمل على نشر وتدعيم قوتها الناعمة وتحسين صورتها، بتوقيع الرئيس " فلاديمير بوتين " في الخامس من سبتمبر من سنة 2022 على مرسوم بالموافقة على مفهوم السياسة الإنسانية لروسيا الاتحادية في الخارج ليصبح قانونا، ويعمل المفهوم على تفعيل وترسيخ مبدأ " روسكي مير " * (Rousski Mir³) .

أو "العالم الروسي" الذي عمل "بوتين" على استحضاره بشكل مكثف منذ سنة 2014 وازداد التركيز عليه بعد الحرب مع أوكرانيا مطلع سنة 2022 مع ان جذوره تعود لإسهامات اكاديميين

¹ -F. G. Voitlovskii United State Strategy In A Changing World Order: Challenges For Russia, **Herald Of The Russian Academy Of Sciences**, Vol. 91, No. 4, (April2021), Pp. 393–402.

² - Anderi Piontkovsky ,Putin's Russia As A Revisionist Power ,**Journal On Baltic Security** ,Vol.1,No.1(March 2017),Pp.6-13

³ -Marie Jégo, « Rousski Mir », L'ideologie Nationaliste Du Kremlin A L'œuvre Dans L'est De L'ukraine : Analyse Vladimir Poutine Entretien La Ferveur Patriotique Apparue Avec L'annexion De La Crimée, **Le Monde**, Vol.25, No.3, 24 June 2014, Pp.9-12

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

واعلاميين روس ويقوم مبدأ أو مفهوم "العالم الروسي" على أنّ روسيا دولة ذات حضارة وتجذب حمايتها من القوى الخارجية (خاصة الغرب) ، وتعزيز الوحدة مع المواطنين الروس في دول متفرقة ، تحت مظلة المجال الحيوي للبلاد ، ليكون "العالم الروسي" بمنزلة منصة او قاعدة أيديولوجية تنطلق منها روسيا على الأصعدة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأمنية ، وتضمن المفهوم أيضا مبادئ سياسة الترويج للثقافة الوطنية واللغة الروسية في الخارج خصوصا امام الثقافة الغربية ، والمهمة القادمة هي تعزيز القيم التقليدية الروسية والدفاع عنها ، والإشهار لما يسمى "الهوية الدستورية" لروسيا بوصفها أمة قوية لا تعتمد فقط على قوتها العسكرية بل على هويتها المشبعة بالقيم الروحية والأخلاقية ، التي تعمل على تكريس مبادئ احترام الدول الأخرى وعدم التدخل في شؤونها الداخلية¹ .

وتأسيسا الى محدّدات المكانة الروسية في هرمية النظام الدولي، عززت إدارة بوتين من الانخراط المؤسسي لروسيا في المنظمات الحكومية وعلى رأسها وضعها كعضو دائم في مجلس الأمن، ووضعت موسكو ضمن أولويات سياستها الخارجية استعادة دور الأمم المتحدة كآلية تنسيق مركزية في التوفيق بين مصالح الدول الأعضاء وتعزيز قدرات ودور مجموعة البريكس ومنظمة شنغهاي للتعاون ، ورابطة الدول المستقلة ، والاتحاد الاقتصادي الاوراسي ، ومنظمة معاهدة الامن الجماعي ، والتجمع الروسي الهندي الصيني ، والآليات والمنظمات الدولية الأخرى ودعم التكامل الإقليمي ودون الإقليمي داخل مؤسسات متعددة الأطراف ، ومنصات الحوار والجمعيات الإقليمية في اسيا والمحيط الهادئ وأمريكا اللاتينية وإفريقيا والشرق الأوسط كما توجه الاستراتيجية بإطلاق وتعزيز قدرة الاتحادات الإقليمية متعددة الأطراف وهياكل التكامل بمشاركة روسيا².

والركون لقياس مؤشرات الرضى لدى روسيا بوصفها قوة تعديلية في النظام تسعى الى تحقيق التوازن الاستراتيجي مع القوة الامريكية المهيمنة تفضي الى كون روسيا قوى عظمى ناشئة في مجال

¹ -Michał Wawrzonek, Nelly Bekus Mirella, Korzeniewska-Wiszniewska, **Orthodoxy Versus Post-Communism?: Belarus, Serbia, Ukraine And The Russkiy Mir**,(London : Cambridge Scholars Publishing,2016),Pp.37-43

***(Rousski Mir):** L'expression Rousski «Le Monde Russe» «A Le Vent En Poupe» Elle Est Le Cri De Ralliement Du Haut Clergé Orthodoxe» La Raison D'être Des Ultranationalistes» Le Slogan Préfère Des Fonctionnaires Du Kremlin.

En Plus, Conçue Comme Un Projet Culturel Avec La Création De La Fondation Du Même Nom En 2007, La Marque Rousski Mir Est Devenue Le Concept Phare De La Nouvelle Idéologie De Vladimir Poutine, Censée Entretenir La Ferveur Patriotique Populaire Apparue Avec L'annexion De La Crimée En Mars 2014.

² -Götz Elias, Camille-Renaud Merlen ,Russia And The Question Of World Order , **European Politics And Society** ,Vol.20, No. 2 (November2019),Pp. 133-53.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

الطاقة كما انها تحتفظ بالعديد من مظاهر القوة الصلبة ، بما في ذلك الأسلحة النووية، وجيش تقليدي هائل ، كما استعاد الاقتصاد الروسي عافيته ، وارتفع الإنتاج النفطي الروسي مما أدى الى ارتفاع الميزانية الفيدرالية وحددت روسيا أولويات سياستها الخارجية في حماية المصالح الاقتصادية وتعزيز جاذبية روسيا للاستثمارات ، ومقاومة التمييز داخل الأسواق الأجنبية ، ما مكنها من التكامل مع الاقتصاديات الدولية ، هذه المقومات السالف ذكرها تعزز من العودة الروسية ، وقد يبدو من المبالغ فيه دخول روسيا في حرب باردة جديدة مع الغرب ، لا سيما وان أظهرت في مناسبات عديدة قدرا كبيرا من العقلانية ، باعتبار ان قدرتها على مراجعة النظام الدولي لا زالت ضعيفة ولا ترقى الى منافسة الولايات المتحدة الأمريكية وتهديد هيمنتها¹.

اجمالا لما خاضت فيه هذه الجزئية من البحث، فإن الصحوة الاستراتيجية التي شهدتها روسيا الاتحادية على مدار العقود الثلاثة الماضية، تؤكد مسعاها الرافض للوضع الدولي الراهن وتبرز نزعاتها التعديلية لمراجعة التوازنات الإقليمية والدولية، بحثا لها عن مكانة تتناسب مع مقومات قوتها الإستراتيجية إلا ان هذا المراد تعثره جملة من التحديات الاستراتيجية على مستوى البيئتين الداخلية والخارجية، ما يجعلها تسلك نهج القوى الامبريالية والثورية غير القانعة بنصيبها من توزيع القوى وتكد لإدراك التوازن الاستراتيجي.

¹ -Lane David ,Russia Against The Rest: The Post-Cold War Crisis Of World Order,(Cambridge: Cambridge University Press, 2017),Pp.107-113.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

المطلب الثالث: تداعيات التوجهات الاستراتيجية الروسية على بنية النظام الدولي .

يعد تفكك الاتحاد السوفياتي من أبرز التحولات التي شهدتها البيئة الاستراتيجية الدولية في العقد الأخير من القرن العشرين، فقد كان لضخامة الحدث وما ترتب عليها من تغيير جوهري في شكل ومضمون البيئة الاستراتيجية الدولية والنظام الدولي وآليات عمله ومعاملات توزيع القوة والقدرة في إطاره، ليس هذا فحسب بل في شكل العلاقات الدولية القائمة ومضمون إدارة تفاعلاتها سلما وحربا في آن واحد الأثر الواضح في ردة الفعل العالمية الرامية الى إعادة النظر في الكثير من المسلمات والثوابت ضمن أدبيات السياسة الدولية، وعليه ارتبط مستوى الإيغال في الشؤون الدولية بالأداء الاستراتيجي لروسيا كقطب تعديلي يبحث هويته في مراجعة التفاعلات الجيوسياسية العالمية .

وشهدت خبرة العقدان الأخيرين تحولات جذرية على صعيد المشهد الاستراتيجي الروسي، رصدت في شكل منعطفات حاسمة اثرت في بيئة روسيا الجيوبوليتيكية وفي مكانتها الإقليمية والدولية . ما أثر بدوره على عملية صياغتها الاستراتيجية التعديل والمراجعة في بنية النظام الدولي ، التي عمدت القيادة السياسية على تكريسها واقعا ، في البحث عن تقلد روسيا دور الشريك في جميع المناطق الاستراتيجية ، التي تخدم مصالحها الحيوية وفي إمكانية العودة الى عالم متعدد الأقطاب ، وقد مكّنت المصادر الضخمة و الكامنة التي تتمتع بها روسيا من تجاوز التحديات كافة ، ومن تبوء مكانة يعتد بها على الساحة الدولية كقوة كبرى حقيقية لا كقوة كبرى تاريخية فقط ، وفي هذا الصدد صرح وزير الخارجية الروسي السابق " ييفغني بريماكوف " (Yevgeny Primakov) " سرنا خطوات مهمة على طريق انتهاز سياسة مستقلة في مختلف المجالات ، ويمكن القول ان العالم يقتنع بأن روسيا القوية والواثقة من نفسها ليست ظاهرة مؤقتة بل تطور جذري عملت عليه الدبلوماسية الروسية ورسخته في شكل قوي وتحول هذا الامر الى عنصر مهم على بوصلة استعادة التوازن في العلاقات الدولية والسير نحو ضمان الاستقرار في السياسة العالمية "1 .

أولا : توجهات الاستراتيجية الروسية في إطار علاقاتها بالقوى الدولية

أدى الصعود الروسي الى تحول تدريجي في البنيان الدولي باتجاه التعددية القطبية ، بالاشتراك مع بعض الوحدات الدولية التي تشاطره مسعى تعديلية القوة في هيكليّة النظام الدولي ، وهو ما توجهت

¹ -Chebankova Elena, Russia's Idea Of The Multipolar World Order: Origins And Main Dimensions, Post-Soviet Affairs, Vol.33, No. 3 (February 2017), 217-234.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

السياسة الخارجية الجديدة لموسكو الى اقراره ، في صياغتها الأخيرة تأسيساً لأقلمة الاستراتيجية الروسية مع محيطها الإقليمي والدولي وإحداثاً لتغيرات راديكالية على عناصر التوازنات الدولية الأربع : الوحدات الدولية ، والبنیان الدولي ، والمؤسسات الدولية ، والعمليات الدولية .

1. الخارج القريب

يولي الاتحاد الروسي أهمية كبرى لدول الجوار والجمهوريات السوفياتية السابقة ، في ظل الروابط التاريخية ، السياسية والثقافية المشتركة ، وهي الدول التي تطلق عليها روسيا دول " الخارج القريب " وتعكس التوجهات الروسية تجاه تلك المنطقة القلق من التدخل الأجنبي في شؤون تلك الدول وعلاقتها بروسيا ، والقناعة بدور تاريخي روسي مستمر في حماية الأمن الإقليمي لتلك المنطقة ومواجهة محاولات نشر بنية تحتية عسكرية للدول غير الصديقة لروسيا في محيطها الإقليمي ، مع تطوير أشكال إضافية متعددة للتفاعل بين روسيا ودول منطقة آسيا الوسطى ، والسعي نحو تعميق التكامل وإقامة فضاء اقتصادي وسياسي متكامل في أوراسيا على المدى الطويل ، وتضع موسكو نصب أعينها في محيطها الإقليمي السعي لانضمام جمهوريتي أبخازيا وأوسيتيا الجنوبية الى الاتحاد الروسي ، وتحقيق درجة اعظم من الاندماج ، مع التأكيد على ان حل جميع القضايا المتعلقة ببحر قزوين يقع ضمن الاختصاص الحصري لدوله ¹ .

2. اسيا والمحيط الهادئ

مقابل الاهتمام الأمريكي المتزايد بتلك المنطقة ، تستهدف السياسة الروسية زيادة التعاون الاقتصادي والأمني والإنساني وغيره مع دول المنطقة والدول الأعضاء في رابطة أمم جنوب شرق اسيا ، وإنشاء هيكل شامل ومنفتح ومتعدد الأطراف وعادل للأمن والتعاون ، ومواجهة محاولات تقويض النظام الإقليمي ، وسعت روسيا الى ان تتحرك استراتيجيتها نحو اسيا ، التي احتلت أهمية كبرى في أولوياتها الاستراتيجية من النواحي السياسية والاقتصادية ، حيث قامت روسيا بتجسير علاقاتها الخارجية على أسس براغماتية بحثة ، مع مثلث القوى الكبرى الثلاث (الصين ، الهند ، اليابان) الواقعة في القارة الآسيوية ، وهو ما عبّرت عنه تصريحات كبار رجالات وزارة الدفاع الروسي الجنرال "إيفاشوف" (Leonid Ivachov) بخصوص اتجاهات السياسة الجديدة لموسكو نحو قوى

¹ -Mohapatra Nalin Kumar ,Geopolitics Of Imaginary Greater Eurasia And Russia's Dilemma Of Asia-Pacific Vs Indo-Pacific Strategy: An Analysis From India's Strategic Perspective ,Journal Of The Indian Ocean Region ,Vol. 18, No. 2(Novembre2022),Pp.173-199.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

الشرق " إن مصالح الأمن القومي الروسي لا تعتمد على العلاقة مع الولايات المتحدة الأمريكية بقدر ما تعتمد على علاقة روسيا بجيرانها ،الاسيويين في الشرق "¹

ووقعت عين موسكو على هاته القوى باعتبارها مراكز للقوة والتنمية العالمية التي تتشارك معها الرؤية المستقبلية للنظام الدولي ،مع التركيز بشكل خاص على تمتين التعاون الاستراتيجي مع الصين ،وتقديم المساعدات المتبادلة ،وتوحيد الصفوف على الساحة الدولية ،في ظل الموقف الصيني الإيجابي تجاه روسيا في ازمة الحرب الأوكرانية ،وموقفهما المتشابه من الهيمنة الأمريكية والسعي نحو عالم متعدد الأقطاب ،كما تسعى موسكو الى بناء شراكة استراتيجية متميزة مع الهند لمد جسور التعاون والتفاهم ،مع الاهتمام بزيادة حجم التجارة الثنائية ،وتعزيز الاستثمار والتكنولوجيا ،وضمان مقاومتها للتحالفات المعادية² .

3. القوى الأوروبية

تري القيادة السياسية في الكرملين ان معظم القوى الأوروبية تنتهج سياسات عدوانية تجاه روسيا تهدف الى تهديد الأمن والسيادة والاستقرار الداخلي بها ،ما دفعها الى سلك نهج دفاعي تجاه هذه الاستراتيجيات الهجومية ،مع تجديد دعواها بالانتقال الى سياسة حسن الجوار والتعايش السلمي ،اذ ترى موسكو أنّ لها فرصا كبيرة في الاندماج والتقارب مع أوروبا لعدة اعتبارات : فهي الأقرب لدعم التوجه الأمني الأوروبي المستقل بترتيباته الأمنية عن الولايات المتحدة الأمريكية ،اذا أصبحت جزءا من اطرافه الأمنية والاقتصادية من خلال الانضمام الى الاتحاد الأوروبي ،كما ان روسيا بإمكانها توفير المظلة النووية لأوروبا كبديل عن الغريم الأمريكي ،لاسيما ان رأس المال الأوروبي يشكل 80 بالمائة من مجموع الاستثمارات الأجنبية المباشرة في روسيا ،مما يجعله اكبر شريك تجاري لها ،فضلا عن الاعتماد الأوروبي الكبير على امدادات الطاقة من نفط وغاز الاتحاد الروسي والاقاليم المجاورة له في اسيا الوسطى والقوقاز وبحر القزوين³

¹ -Lukin Alexander ,Russia's Pivot To Asia: Myth Or Reality?, Strategic Analysis,Vol. 40, No. 6 (October 2016) ,Pp.573-589

² -Han Min, Polina Khvoynitskaya, Multiple Collective Identities Of Far Eastern Russians And Their Choice Of Asian Versus European Brands, **Journal Of International Consumer Marketing**, Vol. 27, No. 5 (July 2015), 403-413.

³ -Akchurina Viktoria, Vincent Della Sala, Russia Europe And The Ontological Security Dilemma: Narrating The Emerging Eurasian Space, **Europe-Asia Studies**, Vol. 70, No. 10 (August 2018), Pp. 1638-1655.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

4. القارة الافريقية

تعد القارة الافريقية احد ابرز مناطق العالم التي تلوح فيها فرص الانتشار الاستراتيجي الروسي مقابل الدول الغربية وهو ما تستغله روسيا من فراغ عسكري وسياسي واقتصادي ، وتلتقي روسيا مع بعض دول القارة فيما تعلق بالسعي نحو عالم متعدد المراكز اكثر انصافا ، ومناهضة للهيمنة الامبريالية الغربية ، وتعتمد روسيا تقديم مساعدات للدول الافريقية في قطاعات الغذاء والطاقة والأمن ، مع زيادة التجارة والاستثمار ، فضلا عن تطوير الروابط في المجال الإنساني ، والتعاون العلمي ، والدعم الطبي ، وتسعى روسيا الى ان تلعب دورا في حل النزاعات المسلحة داخل القارة عبر منتدى الشراكة الروسي-الافريقي ، وهو ما سجلته من حضور في موجة الانقلابات الأخيرة (مالي ، النيجر ، الغابون ، بوركينافاسو) مزاحمة للنفوذ الفرنسي والأمريكي عبر ، قوات " فاغنر " الخاصة¹ .

5. العالم الإسلامي

اتساقا مع اتخاذ المفهوم الجديد للسياسة الخارجية في بعده الثقافي والحضاري والروحي مرتكزا رئيسا في تفاعلات موسكو مع العالم ورؤيتها ، فان الاستراتيجية الروسية الجديدة تعاملت مع الدول الإسلامية ككتلة حضارية واحدة ووصفتها بـ "دول الحضارة الإسلامية الصديقة" حيث تسعى موسكو الى استغلال رغبة تلك الدول في ترسيخ نفسها كمركز مستقل للتنمية العالمية في عالم متعدد المراكز ، من خلال توطيد التعاون الشامل متبادل المنفعة مع الدول الأعضاء في منظمة التعاون الإسلامي والتأكيد على احترام أنظمتها الاجتماعية والسياسية والقيم او الأخلاقية² .

وهو ما يبدو ظاهريا في حدود التقارب بين موسكو وطهران باعتبارها الحليف الموثوق بمنطقة الشرق الأوسط ، والداعم الشامل للنظام السوري ، وتقوية الشراكات الاستراتيجية مع مصر والسعودية وتركيا ، والسعي نحو حل شامل ودائم للقضية الفلسطينية ، فضلا عن دعم بوادر إعادة بعث وتطبيع العلاقات العربية مع نظام الرئيس السوري بشار الأسد ناهيك الى مواقفها المؤيدة لحل منازعات الدول الإسلامية والعمل على حماية القيم الدينية والروحية ومكافحة الاسلاموفوبيا .

¹ -Kanet Roger, Dina Moulioukova, Russia's Return To Africa: A Renewed Challenge To The West?, **Post-Soviet Affairs** ,Vol.38, No. 5 (January 2022), Pp. 427–439.

² -Timuş Natalia, Religious Narratives And Russia's Soft Power In The Middle East, **Europe-Asia Studies**, Vol. 74, No. 6 (May 2022), Pp. 1006–1027.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

ثانيا: تداعيات التوجهات الاستراتيجية الروسية على أزمات النظام الدولي

في القرن 21 سقطت كل الأوراق التي كانت تستخدمها الولايات المتحدة الأمريكية في عزل موسكو دوليا وحصرها في حيزها الجغرافي، اذ تابعت جملة من التطورات التي اكّدت مكانة روسيا واستقلالية قرارها الخارجي، بداية بالخلافات المتعلقة بسياسة الطاقة الروسية تجاه دول الاتحاد الأوروبي، التناقض العارض بين الموقفين الروسي والأمريكي من الملف النووي الإيراني ومن التسوية في كوسوفو، وأزمة أوسيتيا الجنوبية، والأزمة السورية، وعملية ضم شبه جزيرة القرم وصولا الى الحرب الروسية على أوكرانيا .

1. الصراع الجورجي – الروسي

تميز منطقة القوقاز بأهمية استراتيجية لكل من الولايات المتحدة وروسيا الاتحادية، اذ تتسم بوصفها منطقة عازلة بين الطرفين، وبعد تفكك الاتحاد السوفياتي عام 1991 م، اصبح الصراع القومي والعرقي السمة البارزة في تحولات عالم ما بعد الحرب الباردة، خاصة منطقة دول الاتحاد السوفياتي المستقلة، اذ شهدت جمهورية جورجيا صراعا بين الأغلبية الجورجية وبعض الأقليات المطالبة بحق تقرير المصير والاستقلال، كما هو الحال في إقليم أوسيتيا الجنوبية وابخيزيا .

وترجع قضية أوسيتيا الجنوبية بجذورها الى عام 1988 عندما تكونت جبهتها الشعبية التي أعلنت استقلالها عن جورجيا في 28 نوفمبر 1990م، الامر الذي أدى الى نشوء صراع مسلح بين القوات النظامية الجورجية والانفصالية، وأدى في النهاية الى تمتع أوسيتيا الجنوبية بدرجة عالية من الاستقلال وفقا لما أكدته الاستفتاء الذي اجري عام 2006، ابن ايد فيه 99 بالمائة من سكان أوسيتيا الجنوبية الاستقلال عن جورجيا، إلا ان هذه الأخيرة رفضت الاستفتاء¹.

اندلع الصراع الجورجي – الروسي في 8 اوت 2008، عندما اجتاحت القوات الجورجية إقليم أوسيتيا الجنوبية المتنازع عليه لإعادة السيطرة الجورجية على هذا الإقليم، وبعد انتصار روسيا الاتحادية صعدت الحكومة من مواقفها المتشددة حيال قضايا القوقاز، بإعلانها الاعتراف باستقلال كل من أوسيتيا الجنوبية وابخازيا عن جورجيا، وقد أدى ذلك الى إعادة الاعتبار لدور روسيا المهم والمؤثر في محيطها الاستراتيجي، اذ أوضحت هذه الازمة ان روسيا استطاعت استعادة مكانها كقوة

¹ - Vendil Pallin, Carolina, Fredrik Westerlund, Russia's War In Georgia: Lessons And Consequences, **Small Wars & Insurgencies**, Vol, 20, No. 2 (July 2009), Pp. 400-424.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

مؤثرة في النظام الدولي ، والمستنتج ان الدور الروسي ابان الصراع مع جورجيا جاء ردا على مشروع الدرع الصاروخي ، وعلى اعتراف الولايات المتحدة والدول الغربية باستقلال كوسوفو عن صربيا الحليف التقليدي لروسيا ، وهناك من الطروحات التي روجت الى ان الازمة عكست رغبة القيادة الروسية في التأكيد على كون روسيا لاعبا دوليا لا يمكن تجاوزه او اختراق دائرة أمنه القومي¹ .

2. التدخل الروسي في الازمة السورية

أصبحت الازمة السورية التي انطلقت شراراتها عام 2011 ضمن سياق التحولات الجارية في منطقة الشرق الأوسط ، وما تشهده تلك المنطقة من تطورات ، تحدد مصير التحالفات الإقليمية والدولية لتتحول الاحداث في سوريا ، من حراك شعبي على المستوى الداخلي تزامنا مع مرحلة التحولات والتبادلات في النظام العربي ، الى مسرح للعمليات على المستويين الإقليمي والدولي بما يتضمنه من فاعلين مؤثرين وقوى دولية.

ولعل ابرز نجاح للدبلوماسية الروسية في الازمة السورية كانت في مبادرة نزع الأسلحة الكيماوية السورية، وكان من الواضح ان التهديد الأمريكي بتوجيه ضربة عسكرية الى سوريا اصطدم بعقبات كثيرة منها ما هو داخلي ومنها ما هو خارجي، ما دفع بروسيا لتتقدم بتوجيه ضربات جوية بتاريخ 30 سبتمبر عام 2015 بعد طلب الرئيس السوري بشار الأسد دعم موسكو ، ولربما من اهم الأسباب التي دفعت روسيا الى التدخل في الازمة السورية بجانب علاقاتها المتميزة مع دمشق ، هي الحرب ضد الإرهاب والخوف من تدفق المقاتلين من سوريا الى القوقاز لذلك تعتبر روسيا الجهة السورية خطها الدفاعي الأول² .

على العموم ، حددت الازمة السورية الراهنة ملامح النظام العالمي وشكله خاصة انها ازمة تحول بارزة في القوى الدولية الفاعلة ، من خلال صعود وحدات دولية جديدة هي روسيا والصين في مواجهة التصميم الأمريكي والغربي على الماضي قدما في تغير النظام في سوريا بالقوة ، وأكد ذلك الصعود التغير في المؤسسات الدولية ، اذ ساهمت روسيا ومعها الصين في إعادة الاعتبار لدور مجلس الامن الدولي من

¹ -Filippov Mikhail, Diversionary Role Of The Georgia–Russia Conflict: International Constraints And Domestic Appeal, **Europe-Asia Studies**, Vol. 61, No. 10 (August 2010), Pp.1825–1847.

² -Seven Ümit, Russia's Foreign Policy Actions And The Syrian Civil War In The United Nations Security Council, **Journal Of Balkan And Near Eastern Studies**, Vol. 24, No. 6 (February 2022), Pp. 896–911.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

خلال استخدام حق النقض "الفيتو" في موضوع الازمة السورية ،وأخيرا من خلال الدور الروسي سيتمحور شكل البنيان الذي تشكل روسيا احد اضلاعه الثلاث مع القوتين الامريكية والصينية¹.

3. الحرب الروسية على أوكرانيا

تعود الجذور التاريخية للالزمة الاوكرانية الى مرحلة متقدمة من التوترات والنزاعات التي سادت بين البلدين منذ تفكك الاتحاد السوفياتي، نتيجة الخلاف حول تركة الاتحاد اذ هددت روسيا عام 1992م بتعديل حدودها مع أوروبا وهو الامر الذي اعتبرته أوكرانيا بمثابة عودة الاطماع الروسية القديمة، وتصاعدت حدة الالزمة عقب موافقة برلمان شبه جزيرة القرم على الاستقلال عن أوكرانيا لتكثف القوات الروسية من حضورها بالمنطقة دعما لأهالي الجزيرة ، لينتهي المطاف بضم القرم رسميا الى الاتحاد الروسي في 16 من مارس عام 2014 .

اتساقا مع ما سبق ذكره، تمدد الصراع ليشهد العالم ازمة كبرى على خلفية اندلاع الحرب الروسية – الأوكرانية منذ 24 فبراير 2022، في ظل الانعكاسات الكبيرة لهذه الحرب والتي تجاوزت أطرافها لتشمل العالم بأقاليمه المختلفة، فضلا عن أنها أثارت جدلا حول ما إذا كان النظام الدولي يشهد مرحلة انتقالية في ظل الصراع بين القوة الامريكية المهيمنة حاليا والساعية لفرض نظام القطب الواحد، وروسيا القوة التعديلية الساعية لفرض نظام متعدد الأقطاب².

في هذا الاطار، تسعى الولايات المتحدة الامريكية وحلفائها الغربيون للوقوف مع أوكرانيا في مواجهة روسيا، لاسيما فيما يتعلق بتقديم الدعم العسكري لكيفيف، والدعوة لفرض مزيد من العقوبات الاقتصادية غير المسبوقة ضد موسكو على امل ان يؤدي ذلك الى كبح الأخيرة وجعلها تتراجع عن تدخلها العسكري وأهدافها في أوكرانيا، ولا يؤثر مسار الحرب الأوكرانية حتى التوقيت الحالي، على تهدئة محتملة تلوح في الأفق في ظل تصميم وتعنت أطرافها على مواصلة التصعيد العسكري مدفوعين في ذلك بالأهداف الاستراتيجية لكل منهم من وراء هذه الحرب ،اذ ترغب موسكو في تأمين امنها القومي ومصالحتها من ناحية جوارها المباشر في ضوء تهديدات حلف الناتو بالتوسع شرقا ، فيما تسعى أوكرانيا وبدعم من الولايات المتحدة الامريكية ودول الاتحاد الأوروبي الى التصدي لروسيا وإجبار قواتها على

¹ -Loc.Cit

² -Balintmadlovics, Balint Magyar, **Ukraine Patronal Democracy And The Russian Invasion: The Russia War**, (Budapest: Central European University Press, 2023), Pp.238-242.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

التراجع في المحصلة تكشف تفاعلات الازمة الأوكرانية وما صاحبها من تداعيات مضي روسيا في استعادة دورها من خلال صعودها الاستراتيجي في النظام الدولي¹.

إلما بما سبق الخوض فيه يتبين ان روسيا تتجه الى تبني سياسات تستهدف إعادة بعث دورها كفاعل إقليمي يسعى نحو الهيمنة غير أن السياق الاقتصادي والجيوستراتيجي العالمي الراهن يدفع بها – على نحو استثنائي – الى السعي لممارسة نمطين من أنماط الهيمنة هيمنة نسبية (على الصعيد الجيوستراتيجي) في علاقاتها مع اسيا الوسطى والقوقاز وعلى حدودها الغربية مع أوروبا الشرقية بفرض منطق مصالح الجيوستراتيجية وهو ما عكسه غزوها لأوكرانيا ، وهيمنة مطلقة (على الصعيد الجيواقتصادي) في علاقاتها مع الصين والهند كقوى صاعدة هي الأخرى والتي تتقاسم معها العديد من المصالح المشتركة بما في ذلك مراجعة النظام الدولي الراهن.

¹ -Nika Chitadze ,**The Russia War And Its Consequence On The Geopolitics Of The World** ,(Information Science Reference ,2023),Pp.78-87.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

المبحث الثالث: الأداء الاستراتيجي الأمريكي تجاه السلوك التوازني للصين وروسيا كقوى
تعديلية.

إن معطيات النظام السياسي الدولي القائم تبرز ملامح التغيير التي شهدتها البيئة الدولية في موازين القوى، بتنامي قدرات دول كبرى كروسيا الاتحادية وريثة الاتحاد السوفياتي وجمهورية الصين الشعبية، واللذان اضحتا تراحم الولايات المتحدة الأمريكية في مناطق نفوذها الاستراتيجي، مدعومة في نفس الوقت برفض كبير من طرفها لمنظور الهيمنة الغربي السائد، بعد ان حققت طفرات اقتصادية، وعسكرية وحتى تكنولوجية عززت من رؤاها وتصوراتها الاستراتيجية الجديدة لما ينبغي ان يكون عليه هيكل القوة العالمية.

ولعل أبرز ما تشي به التطورات الدولية هو اماطها اللثام عن عوار التراجع الأمريكي وتضاعف الممانعة الدولية لهيمنتها، تمهيدا لسحب البساط تدريجيا من تحت اقدامها افساحا لمداخل التداول والتنازع، لذا تستمر المساعي الأمريكية من اجل تجديد الريادة وتأييد الهيمنة بوسائل شتى ناعمة وصلبة، لتأخير افولها حيناً من الظهر، ولم تنته عن تطوير وتحسين اساليبها الاحتوائية لتتناسب مع البيئة الاستراتيجية الجديدة.

وتعاطيا مع استراتيجية الاحتواء الأمريكية طورت الصين وروسيا سلوكا مقاوما يجمع في الغالب بين بعدين أساسيين، الوقائي الذي يستهدف إزالة دوافع الاحتواء الأمريكي، والبعد العلاجي، الذي يمثل ردود فعل استراتيجية مقاومة، بمراجعة الإصلاحات وتقوية الساحة الداخلية كمنطلق أساسي لبناء قوة تمكنها من التصدي لنموذج الأداء الاستراتيجي الأمريكي، المحجم والمقوض لنفوذهما وأدوارهما الاستراتيجية في النسق الدولي.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

المطلب الأول: طموح العظمة الامريكية جدلية تجديد الهيمنة ومسلمة التراجع

ان استمرار صعود الصين وروسيا ينبئ بمتغيرات جديدة في شكل توزيع القوة حول العالم ، واستمرار الانتقال التدريجي للقوة من الغرب الى الشرق .قد ينشأ عنه تغيير في شكل النظام الدولي الأحادي ، ما يرجح كفة احتدام التنافس الجيوبوليتيكي بين القوى العظمى وزيادة الصراعات الأيديولوجية ، لتتأرق طروحات عدة حول اهتزاز المكانة الامريكية ، في ظل تنامي السخط الدولي على السياسات الامريكية ، وتآكل الشغف العالمي لتبني القيم الامريكية والانغماس في الحلم الأمريكي ، وهو التراجع الذي كلل بأزمات اقتصادية وجيوسياسية جعلت من مساعي تجديد الهيمنة بلا جدوى ، وهو ما ستناقش الدراسة حيثياته في هذا الشطر .

أولاً: عوامل تراجع الهيمنة الامريكية

تراجع وتضائل قوة الولايات المتحدة على المستويين الجيوسياسي ، والجيواقتصادي ، مقابل النفوذ المتزايد الذي تشهده قوى الشرق " (الصين وروسيا) ، إيدانا لعملية تاريخية في انتقال القوة والتي تعتمد محصلتها النهائية على عدة عوامل ترتبط بمسعى القوتين في تغيير هيكل النظام الدولي ، وما سيترتب عن ذلك من دوامة للفوضى تصطدم فيها مع القوة الامريكية المسيطرة التي جندت كل الاليات لتجديد هيمنتها من خلال حسابات الاحتواء .

1. تحدي النسق الدولي

يعيش العالم حالة اضطراب دولي معقد على مختلف والأصعدة من ناحية تفشل الدول في احتواء تحدياتها الداخلية ، ومن ناحية أخرى تتصاعد الصراعات العالمية ، وتتفاقم الازمات الاقتصادية ، اما المجاعات والتحديات المناخية فهي آخذة في التزايد ، والأحداث الممتدة من أوكرانيا الى ليبيا وسوريا وأفغانستان وفلسطين ... وغيرها ، لم تعد مجرد اخبار يشاهدها العالم على محطات التلفزة بل اصبح تأثيرها يطال الجميع هذه التحديات وأكثر تقع في مجملها على عاتق الولايات المتحدة الامريكية ، التي يتوقع منها العالم حل مشاكله وتحدياته .. بصفتها القوة العظمى في النظام الدولي ، نظرا لما تمتلكه من مقومات قوة سياسية ودبلوماسية ، واقتصادية ، وعسكرية¹ .

¹ - Stephen Brooks, William C. Wohlforth, The Myth Of Multipolarity: American Power's Staying Power, Foreign Affairs, Vol .102, No.3 (April-May 2024), Pp.21-28.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

كل ذلك يتطلب من الولايات المتحدة الأمريكية بذل قوة وجهد متواصل للحفاظ على مكانتها الدولية والسيطرة على مشاكل العالم وتقلباته المستمرة، في ظل وجود العديد من الدول التي تتبارى لزيادة قوتها، سعياً لتحقيق مصالحها، وتعتظيم حصتها من القوة العالم، يعكس ذلك حالة من عدم الاستقرار التي يعيشها النظام الدولي الأحادي، فتركيز القوة الكبير لدى الولايات المتحدة الأمريكية أصبح يهدّد باقي القوى الكبرى، ويدفعها لاتخاذ خطوات جادة بهدف استعادة التوازن¹.

وبرز التعصب -الديني والعنصري-، كفاعل مهم في العلاقات الدولية، لكن تأثيره كان أكثر سطوة من غيره حيث انتج واقعا جديدا أصبح فيه الهاجس الأمني هو المسيطر على العلاقات الدولية وقد ساهم الاضطراب العالمي والخوف المتزايد من خطر التعصب في بروز التيارات الشعبوية* حول العالم بما في ذلك أوروبا وأمريكا فقد نشأ جدل غربي حول تعريف الخطر ومصدره وظهر قلق مجتمعي حول السلامة الشخصية للأفراد وبرزت تيارات بنزعة قومية تدعو للحماية والانكفاء نحو الذات لتتلاشى مضامين العولمة بتصاعد العداء حول العرب والمسلمين وكل ما هو ليس غربي².

وصل العديد من هذه التيارات الى سدة الحكم في أماكن عديدة حول العالم من بينها أمريكا وأوروبا فالسياسة الشعبوية* التي مارسها إدارة الرئيس الأمريكي السابق "دونالد ترامب" تحت شعار "أمريكا أولا" (America First) عملت على الحد من الهجرة ، من خلال منع عدد من الجنسيات من السفر الى الولايات المتحدة الأمريكية وترحيل المهاجرين غير الشرعيين وبناء جدار على طول الحدود مع الجارة المكسيكية ، كما فرضت ادارة "ترامب" عقوبات على حلفائها السياسيين وشركائها التجاريين ووصفتهم بالراكب المجاني أضف لذلك انسحاب الولايات المتحدة الأمريكية من عدد من المعاهدات

¹ - Loc.Cit.

² - Palava Docekalva , Radical Right – Wing Parties In Central Europe : Mutual Contacts And Cooperation , **Politics In Central Europe** , Vol.2, No.2 (May 2016), Pp.13,14.

*الشعبوية: هي مفهوم إيجابي وتعني إعطاء الحكم للشعب، إلا أنه تم تحريفها لتصبح مصطلح سلبى حيث تستغل بعض الأحزاب مرحلة الازمة لتطوير خطاب شعبي يعتمد على تقييد المشاعر، من أجل إثارة عواطف العامة ضد عدو خارجي أو عنصر داخلي ذو أصول اجنبية يحمل انحطاط الأمة، سياسيا، واقتصاديا، وحضاريا، وحتى إنسانيا.

الشعبوية: ذات مفهوم سلبى فعندما تنحرف الشعبوية تتحول الى شعوبية، تعبر عن إرادة فئوية تحمل أفكار أيديولوجية عنصرية تهدف الى تحقيقها عبر مجموعة من الآليات الحزبية والمؤسسية وحتى العسكرية، من أجل تحقيق أهداف المجموعة والتي تسعى بالأساس الى إقامة دولة على أساس عرقي، أو ديني، أو لغوي، وغيرها من الانتماءات.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

الدولية كاتفاقية باريس للمناخ والاتفاق النووي الإيراني دون الاكتراث لتبعات ومالأت أداؤها المتهور على السياسة الدولية¹.

وفي أوروبا، برزت العديد من الأحزاب التي استطاعت، كسب دعم الأوروبيين من خلال خطاب شعبي ذو بعد امني قائم على الخوف والقلق من التطرف والإرهاب العالمي، رفضا للتغيرات المحيطة بالاتحاد الأوروبي، ولسياسته وقوانينه، فالتوجه الشعبي لهذه الأحزاب ركز على ضرورة الحفاظ على الهوية الوطنية للدول، وعدم الاندماج الكامل في جسم الاتحاد. إن ازدياد النجاحات الانتخابية لأحزاب اليمين المتطرف والحركات الشعبوية في أوروبا، فاقم من أزمات السياسة الدولية، فأوروبا التي عرفها العالم الحديث ملاذا امنا للمهاجرين والمستضعفين في بلدانهم، اوصدت أبوابها في وجه المهاجرين، وفي الداخل تنزلق دولها الى صراعات الهوية الوطنية. في تناقض جذري مع أوروبا التي تحمل رؤية ليبرالية قائمة على احترام التعدد والتنوع وتقبل الآخر عرقيا، وثقافيا، ودينيا².

هذه الاضطرابات العالمية، استدعت من الولايات المتحدة الجهد المالي والعسكري الكبير، فالصراعات والأزمات العالمية في ازدياد وهو ما يجعل العالم اقل امنا، ويجعل من السيطرة عليه مهمة شاقة، ومنهكة، تستنزف مصادر القوة وتضعفها، وهو ما قد يؤدي الى تراجع قوة الولايات المتحدة الامريكية.

2. تحدي التمدد المفرط للقوة

ظهرت العديد من التساؤلات حول مستقبل الهيمنة الأمريكية واحتمالات سقوطها كالعديد من الامبراطوريات والقوى التاريخية التي تربعت على قمة سلم النفوذ الدولي، وسرعان ما تراجعت بفعل الالتزامات الدولية التي اثقلت كاهلها، واندفاعها الخارجي المكلف والمجهود على حساب التزاماتها الداخلية.

واستنادا لذلك عملت الولايات المتحدة الامريكية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية على نشر قواتها في عدة مناطق حول العالم، مع التركيز على فضاء أوروبا وشرق اسيا، في محاولة لمحاصرة

¹ Seyed Nader Nourbakhsh And Others , Rise Of The Far Right Parties In Europe : From Nationalism To Euroscepticism, **Geopolitics Quarterly** , Vol.18,No4,(April2021),Pp.70-74.

² -Cas Muddle , **On Extremism And Democracy In Europe** ,(New York : Rutledge Studies In Extremism And Democracy ,2016),P.71.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

التمدد السوفيياتي ومع انهيار الكتلة الشرقية ازدادت المسؤوليات والأعباء الدولية على الولايات المتحدة الأمريكية فقد توجب عليها تحمل مسؤولياتها كقطب وحيد في النظام الدولي فالانهيار المفاجئ للاتحاد السوفيياتي لم يعطي الولايات المتحدة وقتاً لترتيب أولوياتها واجنداتها العالمية ، مع انفجار الصراعات حول العالم ، ما استدعى اقتطاع مخصصات من الناتج القومي الإجمالي لتغطية تكاليف انتشارها العسكري حول العالم¹

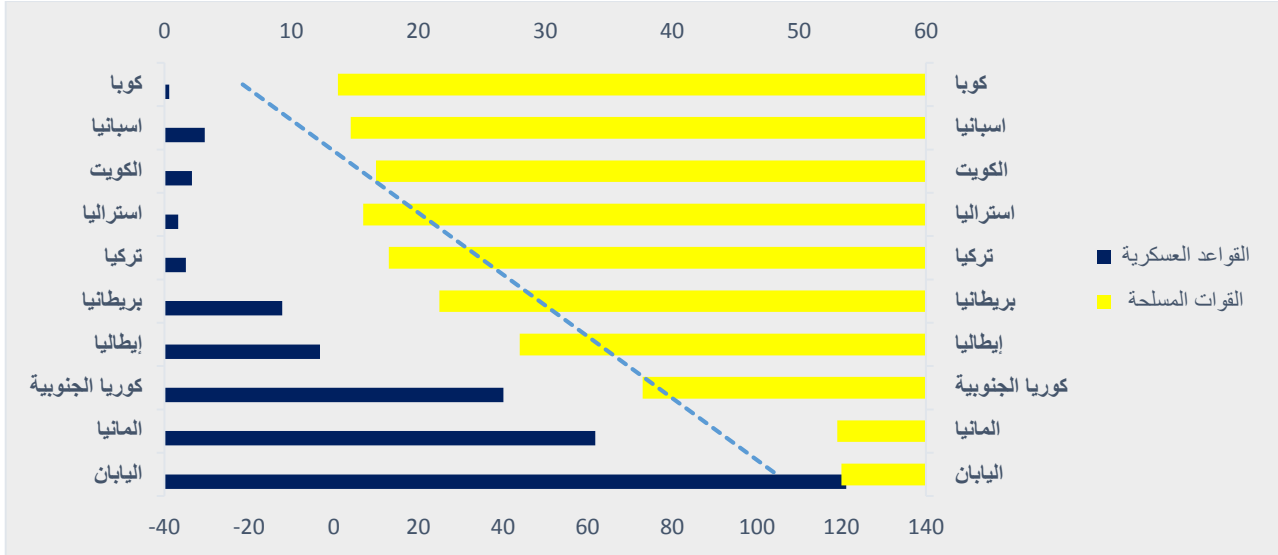
ويشير تقرير مركز بيانات القوى الدفاعية التابع لوزارة الدفاع الأمريكية الى أن عدد القوات الأمريكية في الخارج بلغ حتى مارس 2023 م ، 172.438 ألف جندي ، ويقسم هؤلاء الجنود على 800 منشأة عسكرية أمريكية منها 60 قاعدة عسكرية دائمة موزعة في 140 دولة حول العالم ، وهو ما يحتاج لميزانية تمويلية ضخمة ناهيك عن تورط الجيش في العديد من الحروب ، تحت شعار نشر الحرية والديمقراطية كما هو الحال في الحرب الدولية على الإرهاب التي اطلقتها إدارة بوش الابن سنة 2001م ، الحرب على العراق وأفغانستان ، اذ استنزفت هذه الأخيرة من الولايات المتحدة الأمريكية ما قيمته 6.4 تريليون دولار ، فيما قدرت فاتورة الحرب على العراق نحو 1.29 تريليون دولار أمريكي ، مما شكل ضغطاً على الميزانية الحكومية الأمريكية باستمرار واثرة الانفاق العسكري المبهلة التي بلغت ما يقارب 801 مليار دولار² .

¹ - Cypher James, Hegemony military Power Projection And United State Structural Economic Interests In The Periphery, **Third World Quarterly**, Vol.37, No. 5 (January 2016), Pp.800-817.

² - Berkowitz Marc, Dominance Or Deterrence? The Role Of Military Power In Addressing Challenges To U.S. National Security Interests , **Comparative Strategy**, Vol. 41, No. 6 (October 2022), Pp. 513–525.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

الشكل رقم (13): تمثيل بياني يوضح انتشار القواعد العسكرية والقوات الامريكية في بعض دول العالم لسنة 2023



المصدر: من اعداد الطالب بالاعتماد على:

Allen Michael ،Michael .E، And Carla Martinez ، Global U.S. Military Deployment Datat : 1950-2023، American University Digital Research Archive ، 2023، P.117.

يبرز الرسم البياني (12) انتشار القواعد العسكرية والقوات المسلحة الامريكية في بعض دول عام لسنة 2023م ، ما يوحي باحتفاظ الولايات المتحدة الأمريكية بأكبر نفوذ عسكري في الخارج خاصة مع المستجدات المرحلية التي تفرضها الحرب الروسية الأوكرانية والحرب في غزة ، اذ تغطي المضلة العسكرية الامريكية العديد من البقاع في القارات الثلاث منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، حرصا من دائرة صنع القرار في البيت الأبيض على ادراك مناطق النفوذ الاستراتيجية التي تمكنها من ريادة العالم والتحكم في مسار الملاحة الدولية ، وطرق امداد الطاقة ، وإدارة التجارة العالمية ، اذ تحصي اليابان اكبر عدد من القواعد العسكرية الامريكية ب 120 قاعدة تليها ألمانيا وبعض دول الأوروبية باعتبارها الحليف الموثوق والشريك الاستراتيجي للولايات المتحدة الامريكية في حلف الناتو كما تولي واشنطن أهمية لحديثتها الخلفية اذ تمتلك 10 قواعد عسكرية في كوبا تأمينا للعمق الاستراتيجي الأمريكي .

والجدير بالإشارة أن اعتماد الولايات المتحدة الامريكية على قوتها العسكرية الصلبة في تحقيق أهدافها العالمية ، أدى الى استنزاف مواردها المحدودة وإرهاق قدرات جيشها المتورط بالعديد من

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

الحروب حول العالم ، ويشير " ليزلي جيليب " (LESLEY GILL) الى ان التمدد المفرط للقوة ، قد انعكس بشكل سلبي على الاقتصاد الأمريكي ، وزاد من العجز الحكومي ، وأدى الى انخفاض المستوى التعليمي ، وارتفاع تكلفة الرعاية الاجتماعية ، وهو ما جاء مطابقا لما طرحه بول كينيدي (PAUL KENNEDY) ، فكلما ازدادت التحديات التي تواجهها الدولة خارجيا ، زادت من انفاقها العسكري ، وقللت اهتماماتها الداخلية¹ ، ويناقش زينغو بريجنسكي (ZBIGNIEW BRZEZINSKI) في كتابه " رؤية استراتيجية : أمريكا وأزمة السلطة العالمية " (STRATEGIC VISION : AMERICA AND THE CRISIS OF GLOBAL POWER) ، ان على الولايات المتحدة الأمريكية الحذر والتيقظ واخذ العبرة من التجربة السوفياتية ، فقد انزلت الاتحاد السوفياتي الى الهاوية بعدما انساق في مباراة التسليح وحرب النجوم ، وسرعان ما تورط في حرب طويلة في أفغانستان ، كل ذلك كان سببا في تعثر الاقتصاد ، وتراجع القطاعات التكنولوجية وتدهور نوعية الحياة الاجتماعية.. لذلك دعا بريجنسكي الى تبني استراتيجية جيواستراتيجية ، تدرك خطر التمدد الأمريكي حول العالم ، وتعالج تحديات البيئة الداخلية ، كذلك هو الامر بالنسبة لريتشارد هاس (RICHARD HASS) الذي طالب الولايات المتحدة الأمريكية بمعالجة التصدع الداخلي ، وإعادة ترميم ، جبهتها الداخلية ، بما يشمل نظام الصحة والتعليم والبنية التحتية ، والديون المتراكمة.²

يجدر التنويه ، أنه على خلاف أغلب الامبراطوريات التي انهارت بفعل تمددها المفرط ، تمتلك الولايات المتحدة فرصة التعديل الذاتي ، والانبعاث من جديد مع كل عملية انتخابية ، يعود السبب في ذلك الى مرونة النظام الأمريكي ، وقدرته على امتصاص الصدمات ، بفعل وجود نظام ديموقراطي يحكم البلاد من اصغر الهيئات التنفيذية وحتى رأس الهرم ، ما يتيح للولايات المتحدة الأمريكية إعادة تقييم الذات والتعديل المستمر ، وهو ما سيضمن لها البقاء كقوة عظمى ، ولكن قد لا تبقى الوحيدة على قمة الهرم ، بفعل صعود عدد من المنافسين الدوليين .

3. تحدي البيئة المجتمعية

يجادل " جوزيف ناي " (JOSEPH NEY) في كتابه " هل انتهى القرن الأمريكي " (THE AMERICAN CENTURY OVER) انه يجب التفريق عن الحديث عن التراجع الأمريكي بين النسبي

¹ - KNORR KLAUS. , THE UNITED STATES: SOCIAL CHANGE AND MILITARY POWER, THE ADELPHI PAPERS, VOL.10, NO. 71 (NOVEMBER 2003), PP. 1-12.

² - EIKENBERRY KARL, THE MILITARIZATION OF U.S. FOREIGN POLICY, AMERICAN FOREIGN POLICY INTERESTS, VOL. 35, NO. 1 (JANUARY 2013), PP. 1-8.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارنة بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

والمطلق ، فعلى الرغم من ان الولايات المتحدة الامريكية تواجه العديد من التحديات ، لكنها ليست في انحدار مطلق ، ويعتبر " ناي " ان صعود منافسين دوليين ، قد يساهم في التراجع النسبي لمكانة الولايات المتحدة على الساحة الدولية ، وهو احتمال وارد ولكنه ليس مرجح ، فحسب " ناي " هناك عدد من المشكلات الداخلية كالتعليم ، وعدم تساوي الأجور ، والاستقطاب السياسي ، جميعها مشكلات داخلية ، والاختلاف في التعامل معها سيضعف قدرة واشنطن على التعامل مع التعقيدات الدولية ، يتفق فرانسيس فوكوياما (FRANCIS FUKUYAMA) في كتابه " الليبرالية وسخطها " LIBERALISM AND IT'S DISCONTENTS) مع ما ذهب اليه " ناي " حيث اعتبر التحدي الأكبر لمكانة الولايات المتحدة الامريكية على الساحة الدولية ، ينبع من الداخل المليء بالتناقضات والاختلافات¹ .

اذ تتعرض قيم المجتمع الأمريكي التي شكلت أساسا لقوته الناعمة لحملة من التشكيك ، وانتقادات غير مسبوقة ، فالبناء الاجتماعي الأمريكي اثبت هشاشته ، بتغيب قيم الاسرة ، مع تبني المثلية الجنسية ، وهدم أسس الاسرة التقليدية ، وتنامي خطاب العنصرية وبروز عقدة تفوق العرق الأبيض وما انجر عنها من تمييز وعنف (الإرهاب الأبيض) ، كما برز تيار قوي ينادي بكبح جماح الرغبة الامريكية في الهيمنة والسيطرة على العالم ، والتراجع عن التدخل في شؤون الدول او شن الحروب ، ضدها إن سعيها لدمقرطتها او توخيا لتحقيق مصالح استراتيجية أمريكية عليا ، وهو الاتجاه الذي تطور الى المطالبة بالانعزال عن العالم الخارجي ، فيما عرف باتجاه الانعزاليين أو ISOLATIST² .

4. التحدي الاقتصادي

يرى " فريد زكريا " في كتابه "عالم ما بعد أمريكا" (THE POST – AMERICAN WORLD) أنّ الولايات المتحدة الامريكية ستشهد انحدارا نسبيا في الجانب الاقتصادي ، مقابل صعود عدد من المنافسين الآسيويين وبالتالي اتجاه بوصلة القوة الاقتصادية من الأطلسية الى الباسفيكية والهندوباسفيكية ، وهو ما سيقصص حصتها من المنافع والمواد الدولية ، وقد ازداد الحديث عن التراجع الأمريكي مع ازمة الرهن العقاري في عام 2008م ، والتي تطورت لتصبح ازمة مالية عالمية ، شكلت تهديدا

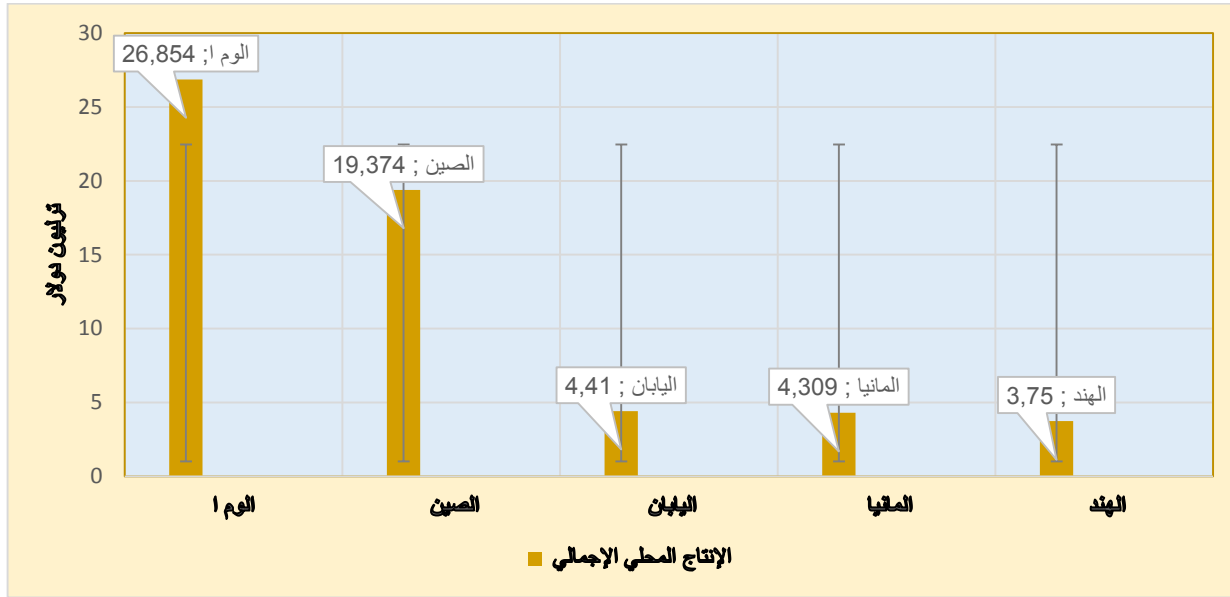
¹ -Fracis Fukuyama, **Liberalism And Its Discontents**, (New York: Farrar, Straus And Giroux Publisher, 2022).Pp.83-86.

² - Esposito Annamarie And Angela Besana, U.S. Community Foundations: Building A Generous Society In Challenging Times, **Journal Of Nonprofit & Public Sector Marketing**, Vol. 30, No. 2 (December 2018), Pp. 200-227.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

على استقرار النظام الاقتصادي العالمي ، فقد طالت الازمة معظم دول عالم وان كانت بنسب متفاوتة ، في ظل تشابكية الاقتصاد الليبرالي المعلوم ¹.

الشكل رقم (14): تمثيل بياني يوضح اقوى خمسة اقتصاديات عالمية لسنة 2023 (بحسب الناتج المحلي الإجمالي)



المصدر: من اعداد الطالب بالاعتماد على Top05 Economies In The World By Gdp: Where

2023 : ، July 7، Times Now، India Stands In 2023?

<https://www.timesnownews.com/business-economy/economy/top-5-economies-in-the-world-by-gdp-where-india-stands-in-2023-article-101569361>

باستقراء معطيات الشكل البياني (13) تتضح استمرارية تصدر الولايات المتحدة الامريكية اكبر ناتج محلي عالمي ضمن كبريات الاقتصاديات العالمية ، اذ قدر اجمالي ناتجها المحلي في السداسي الأخير من السنة الفارطة 26.854 تريليون ، الا ان مثلث قوى الشرق الثلاث (الصين ، الهند ، اليابان) يشكل المزاحم الأول لها اذ يبلغ مجموع الناتج المحلي لهاته الكتلة ما يربو عن 28.01 تريليون دولار، وخصوصا الصين التي تشير دلالات نموها الاقتصادي المتسارع على انها تصبو الى إزاحة الولايات المتحدة الامريكية

¹ -Jacoby Neil. H, Reviving The Growth Of United States Economy, **Financial Analysts Journal**, Vol. 14, No. 3 (December 2018), Pp.11-24.

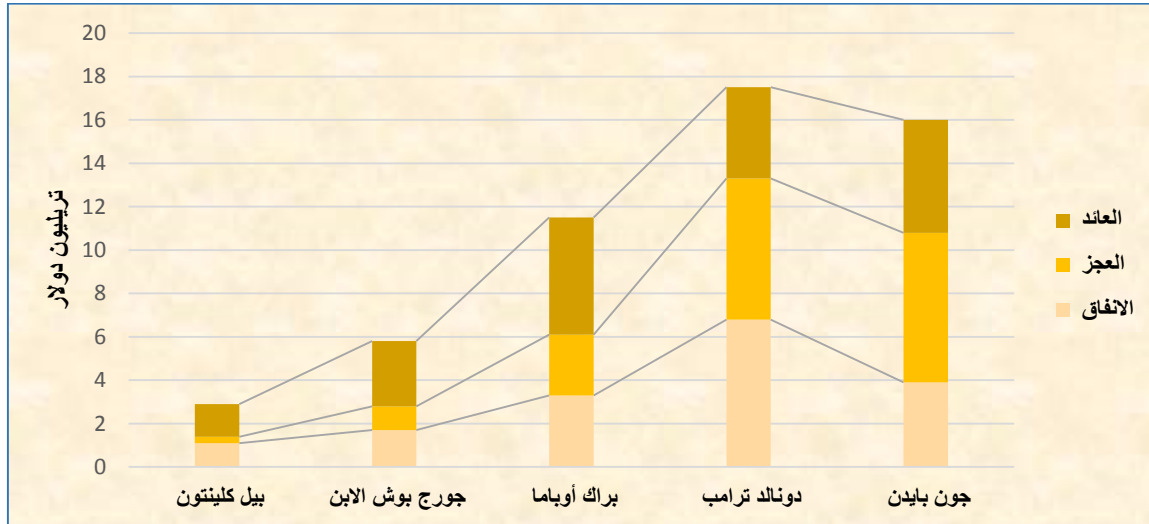
الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

عن هرم الاقتصاد العالمي ، ما دفع إدارة الرئيس دونالد ترامب الى اعلان حرب تجارية ضد بكين لما باتت تشكله من تهديد لواشنطن على الساحة الجيواقتصادية.

• العجز في الميزانية العامة والميزان التجاري

إنّ عجز الميزانية الفيدرالية الكبير والمستمر يضر بالصحة المالية للولايات المتحدة الأمريكية، لذلك فإن صانعي السياسة يكافحون من اجل السيطرة على العجز المتواصل ، حتى خلال سنوات النمو الاقتصادي التي سبقت انتشار ، covid-19 واجهت واشنطن عجزا كبيرا ومتزايدا في الميزانية ، بلغ ذروته مع الجائحة .وبالعودة الى الأرقام ، يشير تقرير وزارة الخزانة الامريكية (THE U.S DEPARTMENT OF TREASURY) الى ان عجز الميزانية الحكومية قد بلغ 971 دولار في أفريل من عام 2023م ، اذ ينبأ خبراء الاقتصاد بنمو العجز بشكل كبير خلال العقود القادمة ، وهو اتجاه يندرج بالسوء من شأنه ان يصنع ضغطا متزايدا على الاقتصاد الأمريكي¹.

الشكل (15): تمثيل بياني يوضح عجز الميزانية الامريكية بمقارنة العهودات الرئاسية (1993-2023)



المصدر : من اعداد الطالب بالاعتماد على

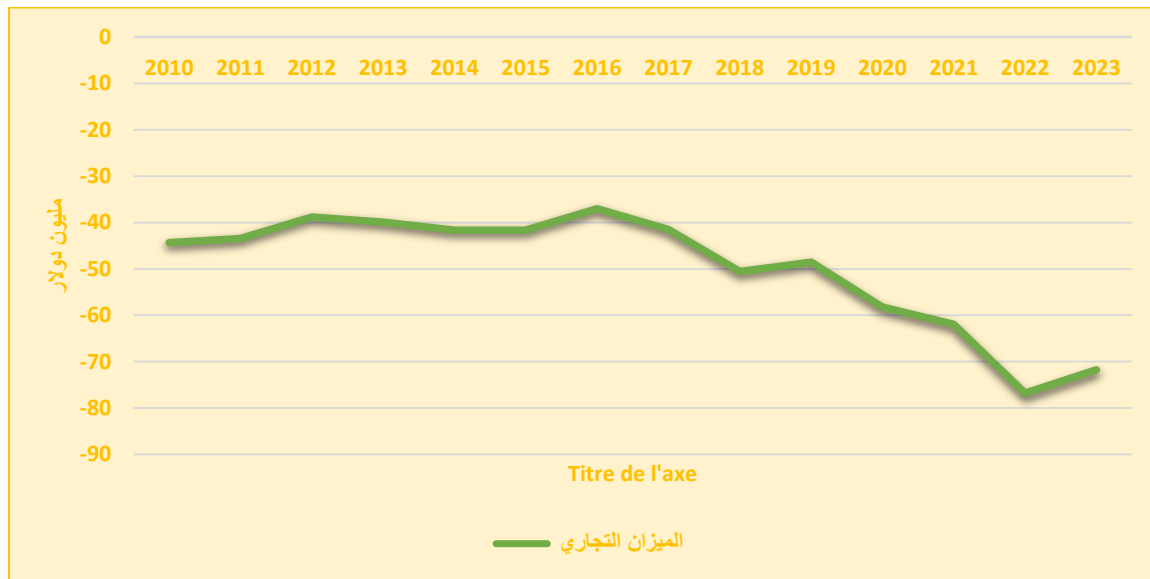
<https://fiscaldata.treasury.gov/americas-finance-guide/national-deficit/>

¹ Kim Myeong, Hwan, The U.S.–China Trade Deficit, *The International Trade Journal*, Vol, 28, No. 1 (January 2014), Pp.65–83.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

يوضح الرسم التوضيحي رقم (14) تراكمية عجز الميزانية الحكومية لواشنطن على مدار 20 سنة الأخيرة بالمقارنة بين مختلف الإدارة التي حكمت البيت الأبيض ، فمع كل زيادة في الانفاق يزداد العجز مع تراجع العوائد ، مما يتسبب في زيادة الدين العام ، ومن الملاحظ ان فترتي الرئيسين دونالد ترامب والرئيس الحالي " جو بايدن " شهدتا عجزا حادا في الميزانية العامة بلغت في مطلع سنة 2020 ، 15 بالمائة من اجمالي الناتج المحلي الإجمالي نتيجة زيادة ايرادات الدولة وارتفاع معدل الانفاق الحكومي على الضمان الاجتماعي والرعاية الصحية ابان جائحة covid-19 ، لتستمر تبعاتها اذ يشهد الاقتصاد الأمريكي كساد مهولا لم يسبق له مثيل منذ الحرب العالمية الثانية بأعلى معدل عجز قدر بـ 15.8 بالمائة هو ما ينذر بانحدار الصلابة الاقتصادية الأمريكية ، وبالتالي انتكاس المقوم الناعم في سياستها الخارجية .

الشكل (16): تمثيل بياني يوضح ميزان المدفوعات التجاري للولايات المتحدة الأمريكية (2010-2023)



المصدر: من اعداد الطالب بالاعتماد على معطيات البنك الدولي للانشاء والتعمير

<https://donnees.banquemondiale.org/indicateur/NE.RSB.GNFS.CD?locations=us>

تشير بيانات البنك الدولي للتعمير والانشاء الممثلة في الشكل (15) أعلاه ، الى ان العجز في الميزان التجاري للولايات المتحدة الأمريكية بلغ في عام 2010م ، ما يقارب 503 مليار دولار ، وواصل العجز ارتفاعه حتى بلغ في عام 2017 ما قيمته 512 مليار دولار ، ليتجاوز سقف 676 مليار دولار في عام 2020

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

م، اما في الربع الاخير من عام 2023م بلغ 837 مليار دولار، ببساطة ،يعكس هذا العجز ان البلاد تستهلك اكثر مما تنتج ،وتستورد اكثر مما تصدر ،فقد تحول الاقتصاد الأمريكي من اكبر منتج عالمي الى اكبر سوق استهلاكي بنسبة 71 بالمائة من حجم الاقتصاد الأمريكي ،ما احدث خللا في الميزان التجاري الأمريكي لصالح الواردات التي بلغت في سنة 2023م ما يقارب 3.4 تريليون دولار مقابل 2.9 تريليون صادرات.

• الدين العام

يعاني الاقتصاد الأمريكي من ارتفاع حجم المديونية الحكومية حيث تعتبر الولايات المتحدة من اعلى الدول مديونية مقارنة بالناتج المحلي الإجمالي وقد زادت هذه المديونية مع جائحة كورونا لتصل الى 31.46 في سنة 2023 ويحذر مكتب الميزانية (USA TREASURY) في الكونغرس الأمريكي من ان نسبة الدين من الناتج المحلي الإجمالي قد تتضخم الى 190 بالمائة بحلول عام 2035م ،وعلى الرغم من حجم المديونية المرتفعة الا ان الولايات المتحدة ليس لها سجل يذكر في التخلف عن سداد الديون ،ساعدها في ذلك ارتفاع الطلب على الدولار منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ،كما ان انخفاض أسعار الفائدة منذ الازمة المالية العالمية في عام 2008 شجعها على الاقتراض¹.

وقد يظهر للمراقب من بعيد ان الاقتصاد الأمريكي يستفيد من القروض الحكومية، التي تصرف في تنفيذ مشاريع مختلفة ،حيث تساهم في توفير فرص العمل وبالتالي تدور عجلة الاقتصاد إلا ان ذلك قد يكون خطيرا للغاية على المدى البعيد ،حيث ان جزءا لا بأس به من الناتج المحلي الإجمالي الأمريكي سيذهب لسداد فوائد الدين ،هذا الامر قد ينعكس سلبا على الاستثمار في المجالات الحيوية مثل البنية التحتية والتعليم والصحة ،كما ان نسبة الدين الحكومي يزيد من مخاطر الإقراض ،ويؤدي الى انخفاض الطلب على سندات الخزنة الامريكية وهذا ما سيؤثر على قيمة الدولار ودوره كعملة احتياطية ،وهذا ما سيقودنا للنقطة التالية².

¹ -Department Of The Treasury, Message From The Secretary Of The Treasury, Fiscal Year Of The United State Government, February 16, 2023, Pp.32-35.

² - Brahim Islam, Heidi Falkenbach, Diversification And Cost Of Public Debt For Reits: Evidence From The Us, Journal Of Real Estate Portfolio Management, Vo.18, No.2 (July 2023), Pp. 1-18.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

• تراجع سطوة الدولار

تشير احصائيات صندوق النقد الدولي، الى تراجع فعلي لدور الدولار الأمريكي في الاقتصاد العالمي في مواجهة العملات الأخرى، حيث تراجع نصيب احتياطات الدولار لدى البنوك المركزية للدول مع نهاية الربع الرابع من عام 2020م الى 59 بالمائة، وهو ما يعتبر أدنى مستوى له على مدار ربع قرن، ويتوقع صندوق النقد الدولي ان يستمر انخفاض نصيب الدولار الأمريكي من الاحتياطات العالمية، مع اقبال البنوك المركزية في اقتصاديات الأسواق الصاعدة والاقتصاديات النامية، خاصة الصين وروسيا الى تنوع احتياطي العملات لديها.

في المقابل تصاعدت حصة العملة الصينية لتصل الى خامس أكثر عملة احتياطية في العالم، وقد اطلقت بكين بورصة عالمية في شنغهاي لتداول عقود النفط بالعملة الصينية ابتداء من عام 2019م¹، كما وقعت اتفاقيات مع روسيا، وتركيا، وايران، والهند لتعزيز تبادلاتها التجارية بالعملات الوطنية بدلا من الدولار، وقررت روسيا منذ بداية الحرب على أوكرانيا ان يتم بيع النفط والغاز الروسي بالروبل، فيما تدرس السعودية الموافقة على الطلب الصيني اعتماد اليوان، بدلا من الدولار في مبيعات النفط للصين هذه الخطوة من شأنها أن تقلل من هيمنة الدولار على أسواق الطاقة العالمية.

وتأسيسا لذلك، فإن نجاح التجربة الروسية الصينية في الاعتماد على العملات المحلية في التبادلات التجارية البينية، وان كان لا يزال في بداياته، يشير الى إمكانية الاستغناء عن الدولار في التبادلات الاقتصادية العالمية، وبذلك قد تفتقد الولايات المتحدة الامريكية احد اهم أدوات قوتها، فلطالما استغلت واشنطن هيمنتها الاقتصادية وسيطرة الدولار على أسواق المال العالمية في الضغط على الحكومات، وفرض العقوبات التجارية وكبح جماح الاقتصاديات الناشئة².

خلاصة لما تقدم، يبدو ان النظام الدولي في صبغته الأحادية لن يصمد كثيرا امام هذه العلات الجيوبولتيكية والاقتصادية والعسكرية المثبطة لهيمنته، امام صعود منافسين جدد يتطلعون لمراجعة ومكاشفة الوضع الأمريكي، لتعديل هيكل النظام الدولي البائد، وقياسا لمقومات انتقال القوة ومؤشرات

¹ - Minda Alexandre, Full Dollarization: A Last Resort Solution To Financial Instability In Emerging Countries?, **The European Journal Of Development Research**, Vol.17, No. 2 (January 2017), Pp. 289–316.

² - Jianmin Li, Contemporary Russia's Economic Transition And Development And China-Russia Economic And Trade Cooperation, **Social Sciences In China**, Vol. 42, No. 4 (December 2021), Pp.158–178.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

موازنتها يختل ميزان القوى الأمريكي لصالح الوافدين الجدد، ما ينبأ بمأزق استراتيجي تتعقد دراماتيكية سيناريوهاته المستقبلية.

المطلب الثاني: صراعات اضلاع المثلث الاستراتيجي العالمي بين نزعة التفرد والتعديل

كانت التحركات الميدانية الصينية والروسية لتجسيد خطابات تغيير الوضع القائم دوليا، إنذارا مدويا للولايات المتحدة الأمريكية والغرب عموما حول جدلية نهجها المعارض وغير الراضي عن نظام متحكم فيه أمريكا وغربا، وصيرورة التحولات في التوازنات في ظل صعود هاتين القوتين لا تزال اخذة في التبلور والتشكل وتثير الجدل والتساؤلات بشأن المنحى الذي سيأخذه هذا الصعود باتجاه السلمية والتوافق او عدم السلمية والصراع.

أولا: معالم التوازنات الدولية في ظل الصعود الروسي والصيني .

تهيمن على سياسات الإدارات الأمريكية المتعاقبة منذ " بارك أوباما " وصولا الى " جو بايدن " مروراً بـ "دونالد ترامب "، أولوية الاهتمام بالتنافس بين القوى العظمى الذي يأخذ حتى الطابع العسكري ،لاسيما مع صعود الصين وروسيا وتهديدهما لتفرد الولايات المتحدة الأمريكية العالمي ،فهما تتعطشان للقوة والافضلية الدولية ،وتحدي القيادة الأمريكية الأحادية النظام الدولي الراهن ،في وقت تشهد فيه مصادر القوة الأمريكية المختلفة تراجعاً نسبياً ،وقد عبرت مديرة الاستخبارات الوطنية الأمريكية " افレル هاينز (AVREL HINES) ،في جلسة استماع حول " تقييم مجتمع الاستخبارات الأمريكية الأبرز التهديدات " بمجلس الشيوخ يوم 8 مارس 2023م. عن مخاوفها من ان القوة الصينية مقتنعة بشكل متزايد بانها لا تستطيع ان تجعل نفسها القوة الأبرز في اسيا . وقوة كبرى على مستوى العالم الا من خلال تقليص القوة والنفوذ الأميركيين، ما يدفع بكين نحو تعميق شراكتها بروسيا أكثر.

وعليه افردت مختلف التقارير والوثائق الاستراتيجية الأمريكية قسماً مهماً، من مضمونها، للتأكيد على وضع الصين وروسيا على رأس القوى والتحديات التي تهدد القيادة الأمريكية، للعالم باعتبارها اهم القوى المراجعة او التعديلية (REVISIONIST POWER) في العلاقات الدولية، وان كانت الصين تحظى باهتمام وتخوف أمريكيين أكبر من روسيا¹.

¹ -s.Mahmud Ali , The Us-China –Russia Triangle :An Evolving Historiography ,(New York: Springer International Publishing ,2023),Pp.301-311.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

ففي وثيقة استراتيجية البنتاغون الجديدة تجاه منطقة الهندوباسفيك المعلن عنها في الفاتح جوان من سنة 2019م، تم تصنيف الصين كقوة مراجعة أول واكبر التحديات على الاطلاق ، التي تواجه الولايات المتحدة الامريكية في المنطقة والعالم ، وتمثل التحدي الثاني في روسيا التي تسعى لتثبيت وجودها في المنطقة ومباشرة أعمال النفوذ هناك ، للمساس بالقيادة الامريكية وبالقواعد التي يقوم عليها النظام الدولي ، وتحالفها مع الصين عبر الأمم المتحدة ومجلس الامن الدولي ، الاضعاف السيطرة العالمية الامريكية ، وعكس تقرير استراتيجية الدفاع الوطني الامريكية في 27 أكتوبر من سنة 2022م ، حالة من عدم الثقة بين واشنطن وكل من موسكو وبكين ، وحظيت هذه الأخيرة بالمكانة الأكبر في التقرير ، فقد جاء فيه " ان الصين هي المنافس الوحيد الذي له رغبة ونوايا في إعادة تشكيل النظام الدولي ، والقدرة على القيام بذلك بشكل متزايد " ، واعتبر التقرير انه " على عكس الصين لا تستطيع روسيا تحدي الولايات المتحدة الامريكية ، بشكل منهجي على المدى الطويل ، لكن العدوان الروسي على أوكرانيا ، يشكل تهديدا فوريا وجادا ، وجاء في الوثيقة أيضا ان بكين تسعى لإعادة تشكيل منطقة المحيطين الهندي ، والهادي والنظام الدولي ، بما يناسب مصالحها وخياراتها التسلطية¹ .

وعلى عكس نهج المواجهة الذي يغلب على علاقات الصين بالولايات المتحدة الامريكية ، فضلت روسيا القبول بالصين قوة كبرى وبناء شراكة مستقرة معها ، تخدم مصالحهما معا وتدعم مقتضيات امنهما والامن العالمي ، والمشاركة معا في بناء نظام دولي جديد ، وخلف الموقف الروسي هناك اعتبارات براغماتية ، فموسكو تدرك جيدا ان المواجهة مع بكين تستنزف قواهما معا ، ولا رابع من ذلك سوى واشنطن ، في حين ان تقاربهما وشراكتهما معا تزيدهما قوة وتجعل كلا منهما سندا للأخرى ولا سيما في فترات الازمات الدولية² .

وعليه يعطي تخندق الصين وروسيا في نفس الجانب وزنا استراتيجيا مؤثرا ، فالملامح القيادية للطرفين واضحة بشكل كبير ، ولا سيما في ظل التأكيد على دورهما في الانقسام الجديد للعالم الى فضاءين جيوسراتيجيين ، مع مناطق صدع جيوسراتيجية واسعة في شرق وغرب أوراسيا ، تشكل مصدر ومركز التفاعلات السياسية العالمية ، وتتصارع ضمن هذه البنية الاستراتيجية القارية والبحرية معا

¹ -Ambrosio Thomas, Carson Schram, Preston Heopfner, The American Securitization Of China And Russia: U.S. Geopolitical Culture And Declining Unipolarity, Eurasian Geography And Economics, Vol.61, No. 2 (December2020), Pp. 162-94.

² -Acobsen Carl, Russia-China: The New Strategic Partnership, European Security, Vol. 7, No. 4 (October2018),Pp.1-11

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

، على الجانب الأول ، تتركز روسيا والصين وحلفائهما شرقا مثل كوريا الشمالية ، و من جانب ثان ، تتركز الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا وحلفاؤهما في فضاء الأطلسي والباسيفيك غربا ، وهذا الانقسام هو نتاج للتطورات المسجلة خلال العقود الثلاثة الماضية ، وصعود قوى دولية اقتصادية وعسكرية وتكنولوجيا وتحولهما الى منافس حقيقي للغرب وقواه التقليدية¹ .

وبحسب فرضية تشكل الأقطاب او الدوائر الثلاث (روسية ، وصينية ، واورو - اطلسية) ، فالمتوقع ان تكون لكل قوة مناطق نفوذ خاصة بها ، اذ تواصل الولايات المتحدة الأمريكية استئثارها بالقسم الغربي من العالم (THE WESTERN HEMISPHERE) الذي يضم الأمريكيتين من شمالها الى جنوبها ، وانخراط أوروبا ضمن هذا المجال بحكم طبيعة علاقاتها التقليدية مع الولايات المتحدة عبر الأطلسي ، بينما تركز الصين سيطرتها على شرق اسيا ، المجال الحيوي والجوار الجيوبولتيكي المباشر لها ، مع تموقع روسيا في أوراسيا حيث كانت تهيمن تقليديا منذ عصر القياصرة ، ولكن العلاقات بين الدائرتين الصينية والروسية ، ستكون اقوى من علاقاتهما بالدائرة الأورو- اطلسية ، واحتمالات تحالفهما معا مستقبلا ستكون اكبر ، في حين تقع بقية مناطق العالم ، وخاصة الشرق الأوسط ، وقارة افريقيا محل تنافس وصراع على التغلغل ، وكسب دولها والاستفادة من خيراتها وميزاتها الاستراتيجية² .

ففي افريقيا لا يمكن فصل التنافس القائم هناك بين الصين وروسيا والولايات المتحدة الأمريكية ، عن الصراع الأكبر الذي يدور بين هذه القوى حول شكل النظام الدولي القائم ومستقبله ، فبكين وموسكو تتفقان ان التواجد في القارة الافريقية وكسب النفوذ السياسي والأمني والاقتصادي فيها ، ضمن الأوراق المهمة التي يمكن الاستفادة منها في الصراع مع واشنطن بشأن إعادة صياغة النظام الدولي ، فيما تسعى الولايات المتحدة الأمريكية للتصدي لنفوذ القوتين الصاعدتين في القارة ، وترسيخ نفوذها هناك بما يخدم أهدافها في تعزيز هيمنتها على النظام الدولي ، ورغم انه لا يمكن الجزم بوجود تكامل وتنسيق في سياسات الصين وروسيا تجاه إفريقيا ، الا انه يمكن القول ان كليهما لا تسعى الى مواجهة الأخرى او التقليل من نفوذها او تقليصه³ .

¹ -Orabi Ghasem, Russia-China Relations In The Post-Crisis International Order, Europe-Asia Studies, Vol. 68, No. 2 (March 2016), Pp.353-371.

² -Johan Mearshamer : Is China The Real Winner To Ukraine ?,Gita Irjawan ,April28,2023,At: <https://youtu.be/Yl7goprweE> ,1:12:41s,Accessed On (09-05-2024)(8:41).

³ -Has China Won ?Interview With Kishore Mahbubani And Johan Mearshimer ,Center For Independent Studies ,Australia ,May 11,2020,At : <https://youtu.be/Znkc7gxmdo> ,58:34s,Accessed On (09-052024)(11:24).

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

في هذا الإطار ، عززت روسيا علاقاتها مع افريقيا في ظل التوافق مع عدد كبير من دول القارة بشأن الوجود الأوروبي هناك باعتباره شكلا من اشكال الاستعمار وامتدادا له بأشكال أخرى ، وتنامي النفوذ العسكري هناك من خلال ابرام الصفقات العسكرية المتعددة ، وتوظيف استراتيجية التعاون العسكري لاكتساب مكانة ونفوذ في الدول الافريقية وتحل محل النفوذ الغربي ، وتوزع مجموعة فاغنر المحسوبة عليها عبر انحاء القارة (افريقيا الوسطى ، المالي ، ليبيا ، السودان ، غينيا بيساو ، الكونغو الديمقراطية) ، وليس هناك ادل على نجاحات الاستراتيجية الروسية هناك من تزايد نفوذها وشعبيتها لدى الأفارقة ، وإخراج القوات الفرنسية¹ ، فيما تغلغت الصين هي الأخرى في القارة ، مستهدفة الحفاظ على وصول امن ومستمر الى الموارد (الطاقوية والمعدنية) والأسواق في افريقيا ، فهي الشريك التجاري الأول للقارة بحجم تبادل تجاري بلغ 254 مليار دولار سنة 2023م ، متجاوزة حجم التبادل الأمريكي مع القارة بأربعة اضعاف كاملة ، وتعزيز الاستثمارات الافريقية التي تتفوق على نظيرتها الامريكية ، وتحقيق حزمة من الأهداف السياسية والاستراتيجية ، مثل كسب تأييد دول القارة في قضايا بكين الحيوية مثل قضية تايوان ومبدأ الصين الواحدة ، كما تسعى الى زيادة جودها العسكري ، فبالإضافة الى قاعدتها العسكرية في جيبوتي ، تتحدث تقارير عن سعيها لبناء قواعد أخرى² .

اما في الشرق الأوسط الذي كان الحلبة المفضلة للولايات المتحدة الامريكية قبل تغيير أولوياتها الاستراتيجية فقد ادمجته الصين بقوة في مشروع الحزام والطريق ، للاستفادة من الميزات الاستراتيجية لموقع المنطقة ، وربط مواردها الطاقوية اكثر بالاقتصاد الصيني ، وضمان الامن البحري عبر التجارة في المحيط الهندي ، ومضائق المنطقة مثل هرمز وباب المندب ، وخطوط المواصلات البحرية الحيوية في مضيق ملقا ومدخل المحيط الهادي ، وحققت الصين إنجازا دبلوماسيا كبيرا في الشرق الأوسط من خلال اشرافها على تحقيق التقارب السعودي الإيراني في 10 مارس 2023م ، وتطبيع العلاقات المنقطعة بين البلدين لما يقارب العقد من الزمن ، ويعتبر اكبر انجاز استراتيجي بعدما تركزت تفاعلاتها سابقا على الشق الاقتصادي أساسا ، وعبرت الصين عن اهتمامها بالوضع الاستراتيجي في المنطقة ، عن طريق دعوتها لايجاد حلول سلمية لصراعات الشرق الأوسط ، فطرح مبادرة النقاط الخمس لتحقيق الامن والاستقرار في المنطقة في سنة 2021 ، وقدمت من خلالها رؤية لحل الازمة في سوريا واليمن

¹ - Antwi Boasiako, Isaac, The Quest For Influence: Examining Russia's Public Diplomacy Mechanisms In Africa, **South African Journal Of International Affairs**, Vol. 29, No. 4 (November 2022), Pp.463-482.

² - Campbell Horace, China In Africa: Challenging Us Global Hegemony, **Third World Quarterly**, Vol. 29, No. 1 (December 2008), Pp. 89-105.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

،ودعت الى احترام مبدأ السيادة والاستقلال ،وتخفيف الازمة الإنسانية ،كما طرحت رؤية لحل الدولتين في الصراع العربي الإسرائيلي¹ .

من جانب اخر، سعت روسيا من جهتها الى تعميق بصمتها في الشرق الأوسط ، وذلك منذ التدخل العسكري في سوريا منتصف العقد الماضي ،بعمل الرئيس " فلاديمير بوتين " ،على نسج شراكات متعددة الأوجه مع مختلف الجهات الإقليمية الفاعلة ،ففي الوقت الذي تعاون فيه مع ايران لدعم نظام " بشار الأسد " ،كان يمنح إسرائيل هامشا من الحركة الاستهداف الوجود الإيراني على الأراضي السورية ، وعمل على تعميق شراكة أخرى مع تركيا التي كانت تدعم بقوة المعارضة السورية ،كما وسع طموحه في الشرق الأوسط اوسطي عبر الدخول في تحالف نفطي مع المملكة العربية السعودية ،وساعدت هذه البراعة في توظيف هذه التناقضات لخدمة الأهداف الروسية في المنطقة (تمكنت روسيا على اثرها من فتح قاعدة بحرية على البحر الأبيض المتوسط خدمة لهدفها الجيولتي الأول الرامي للوصول الى المياه الدافئة) بطريقة لا تؤدي الى الاخلال بتوازن القوى الإقليمية ولا تهدد شراكات روسيا داخل المنطقة² .

ثانيا: الاستراتيجية الروسية والصينية لتحدي الوضع القائم وتعديل النظام الدولي.

يشكل عامل الرضى متغيرا هاما في انتقالات القوة في النظام الدولي ، فإيمان المتحدي الصاعد في ان بنى النظام القائم لا يمنحها المنافع المتكافئة وتوقعاتها ،وكذا مصالحها طويلة الأمد ،على اعتباره نظاما فاسدا وغير منصف ومسيطر عليه من قوى عدوانية ،وبالنتيجة فهذا النوع من الأمم غير الراضي عن القيادة الدولية القائمة ،وكذا القواعد والقيم المترسخة في النظام ،يجعلها ترى في الوضع العالمي الراهن اللاتلاؤم محبذة تغييره ،في حين تبقى الانتقالات السلمية للقوة ممكنة فقط مادامت القوى الصاعدة راضية عن الوضع الحالي ،فمزيج الفرص والحوافز ووضعيات التكافؤ وعدم الرضا هي ما يشكل خطرا على استقرار النظام الدولي³ .

¹ - Yao Kuangyi. , Development Of Sino-Arab Relations And The Evolution Of China's Middle East Policy In The New Era, **Journal Of Middle Eastern And Islamic Studies In Asia**, Vol. 1, No. 1 (July 2018),Pp. 1–17.

² - Emil Avdaliani, Moscow's Diplomatic Efforts In The Middle East Reflect The Rise Of Middle Powers, Juggling For Leverage Among The Bigger Geopolitical Players, At : <https://www.stimson.org/2023/russia-plays-the-middle-east-card/> ,Accessed On (09-05-2024)(17:07).

³ - Armazin Aleš, Nik Hynek, Russian, Chinese Revisionism And Us: Bridging Domestic And Great Power Politics, **Europe-Asia Studies**, Vol.72, No. 6 (July 2020): 955–975.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

ضمن هذا السياق ، يمثل العالم المعاصر نظاما هرميا بوجود الولايات المتحدة الأمريكية في قمته ،مسيطرة بذلك على اكبر قدر من موارد القوة ضمنه ،مع وجود احتمال كبير في ان يتم تجاوزها من قبل الصين وروسيا كمنافسين محتملين في العقود المقبلة ،اقله في مجالي القوة الاقتصادية والعسكرية ،كما ان دعوات بكين وموسكو لتغيير الوضع الراهن ،وكذا بعض قواعد ومؤسسات النظام المالي العالمي ،يشير الى استيائهما وعدم رضاهما عن القيادة الحالية للولايات المتحدة ،ضمن هذه الرؤية ،هناك احتمال جدي الانخراط كل من الولايات المتحدة الأمريكية والصين في نزاع عنيف ، خصوصا اذا كانت الولايات المتحدة وغيرها من أعضاء النظام المسيطر لا تستوعب الأدوار الاستراتيجية للصين وروسيا ضمن النظام الدولي القائم¹ .

يطرح سؤال جوهري نفسه بإلحاح شديد في خضم هذه المطارحات الجيوسياسية، هل الصين وروسيا دولتان راضيتان عن هيكل النظام الدولي؟ ام انهما تعديليتان تسعيان لتغييره؟ وهو ما يمكن البرهنة عنه بقياس انخراطهما في أنشطة صراعية لها ابعاد إقليمية ونزعاتهما الإيديولوجية ومقدار الرضا عن قواعد النظام الدولي ومؤسسته.

1. الانخراط في أنشطة صراعية ذات ابعاد إقليمية

كانت الازمة الجورجية بداية لتخلي روسيا عن الصمت إزاء التدخل الأمريكي في المجال الحيوي لها ،والتشديد على كون روسيا لاعبا دوليا لا يمكن تجاوزه او اختراق دائرة امته القومي ،والعمل على انهاء الانفراد الأمريكي بإدارة الشأن الدولي ،وقد اكدت تفاعلات الازمة الأوكرانية الأخيرة ان روسيا ماضية في استعادة دورها ونفوذها في النظام الدولي كدولة كبرى لها مصالحها الخاصة التي لا يمكن باي حال تجاوزها او تجاهلها من جانب الدول الأخرى ،ومن بين تلك المصالح تعامل روسيا دول الاتحاد السوفياتي السابق على انها امتداد طبيعي لها لا يمكن السماح الاي اطراف أخرى بالوجود فيه ،والمؤكد ان بوتين عازم على استرداد نفوذ الاتحاد ومن المحتمل ان تكون جمهوريات البلطيق وبولندا هي بؤر التوتر المحتملة في النزاع المستمر مع الجبهة الأطلسية ،كما تجاوز الدور الروسي المحيط الإقليمي الى

¹ -GRIFFITHS RYAN, STATES NATIONS AND TERRITORIAL STABILITY: WHY CHINESE HEGEMONY WOULD BE BETTER FOR INTERNATIONAL ORDER, SECURITY STUDIES, VOL.25, NO. 3 (JULY 2016), PP.519–545.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

مناطق أخرى لروسيا مصالح فيها تنافس بها الولايات المتحدة الأمريكية مثل الشرق الأوسط كما سبقت الإشارة¹.

اما فيما يتعلق بالصين، فاذا نظرنا الى النزاعات الحدودية وتأثيراتها في الرضا وعدم الرضا، فنجد ان الولايات المتحدة الأمريكية والصين دخلتا في أنشطة صراعية لها ابعاد إقليمية في ثلاث حالات: كوريا وفيتنام وتايوان، في الحالة الكورية كان هناك تدخل مباشر في المعارك، في الحالة الفيتنامية كان هناك حرب بأسلوب غير مباشر، من خلال وكلاء، اما تايوان فلا تزال الصين تنظر اليها كجزء من اقليمها، وهو المثال الأكثر نذيرا بالسوء لصراع حدودي، وذلك بالأخذ في الاعتبار التوترات التي تحدث حول تايبيه، والقوة المتنامية للجيش الصيني، والتصريحات الواضحة من جانب القادة الصينيين، وبعض الدلائل التي تشير الى النزعة القومية الصينية المتزايدة².

وتسعى الصين الى السيطرة على منطقة بحر الصين الجنوبي، ولا نية لديها للتفاوض حول المطالب الإقليمية لجيرانها، ويرجع ذلك الى المصالح النفطية وضغوط شركات النفط ورغبة الصين في الصعود كقوة عظمى. وهو ما يعتمد على توافر امدادات كافية من الطاقة، وقد اشارت وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة " هيلاري كلينتون " الى ان العلاقات الصينية – الأمريكية مليئة بالتحديات، فركزت على التوترات الخاصة ببحر الصين الجنوبي ورات فيها فرصة سانحة تستطيع الولايات المتحدة الأمريكية من خلالها الوقوف في وجه الصين بالنيابة عن حلفائها الاسيويين، وهو ما اثار غضب بيكين³.

وتذهب بعض التحليلات الى ان المشهد الأكثر احتمالا من مشهد " التصادم التدريجي " سيدور بين المحور الأمريكي – الياباني – الهندي من ناحية والصين من ناحية أخرى، الان الولايات المتحدة الأمريكية ترغب في عدم إعطاء الصين الفسحة الزمنية التي تحتاج اليها لتحقيق رحلة الصعود، وهي تقوم تدريجا ببناء حلقة من مناطق التمرکز حول الصين تتمثل بوجودها العسكري في اسيا الوسطى على مقربة من حدود الصين الغربية، وهي مجودة بالفعل في اليابان والمحيط الهندي على حدود الصين الشرقية وعلى حدودها الغربية في قيرغيزستان⁴.

¹ -Sakwa Richard, Russian Neo-Revisionism, **Russian Politics**, Vol.4, No.1 (Jun2019), Pp.1-21.

² -Simona A.Garno, David Wei Feng Huang, **China –Us Competition: Impact On Small And Middle Power's Strategic Choices**, (New York: Palgrave Macmillan, 2023), Pp.53-59.

³ -Loc.Cit .

⁴ -Ciwan M. Can, Anson Chan, Preventive Or Revisionist Challenge During Power Transition? The Case Of China–Usa Strategic Competition, **Journal Of Asian Security And International Affairs**, Vol.9, No.1 (July 2022), Pp.7-25.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

2. تطوير ظهير القوة الصلبة

أما الأمر الثاني ، الذي يمكن من خلاله التنبؤ بعدم الرضا ، فيتمثل بقيام كل طرف ببناء ترسانة أسلحة موجهة للطرف الآخر لقاء للتهديدات ، وفي ما يتعلق بالحالة الروسية ، نجد ان روسيا تتجه على مستوى السياسة الدفاعية الى الحفاظ على قدرتها المتكافئة مع الولايات المتحدة الأمريكية ، خاصة في اطار تطوير برامج التسليح النووية ، كما تعمل موسكو على تحديث كل منظومات التسليح التقليدية وغير التقليدية من حيث المدى والفاعلية ، وكانت قد أعلنت عن نشر صواريخ إسكندر ذات القدرات النووية ، ردعا لنظم الدفاعية المضادة للصواريخ التي أقامها الغرب في أوروبا¹ .

أما بالنسبة للحالة الصينية ، فنجد ان الصين تزيد نفقاتها الدفاعية ، وهي في الوقت الحالي تأتي في المرتبة الثالثة بعد الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا ، وتوحي تقديرات بأن الصين ستصبح ثاني اكبر منتج للأسلحة في العالم خلال العقد القادم ، ويعني ذلك ان الفجوة العسكرية بين البلدين تتضاءل بمعدلات سريعة ، فقد كشفت الصين الضوء عن امتلاكها أولى حاملات الطائرات وقاذفة شبح جديدة ، وصواريخ بالستية مضادة للسفن لها القدرة على تهديد اقوى القطع البحرية الأمريكية ، يضاف الى ذلك قدرة الصين في مجالات الفضاء والحروب الالكترونية ، كما أعلنت الصين عن انشاء منطقة جديدة للدفاع الجوي في بحر الصين الشرقي ، تغطي الجز المتنازع عليها مع اليابان ، محاولة فرض واقع جديد للقوية الدولية² .

3. رفض القواعد الدولية

فيما يتعلق بروسيا ومدى رضائها عن القواعد الدولية ، نجد ان روسيا نجحت في التعامل مع الكثير من الازمات الدولية ، بالتزامن مع تراجع الدور الأمريكي على الساحة الدولية ، ولا سيما بعد الازمات العديدة التي تسببت فيها السياسات اليمينية المتشددة التي تبنتها إدارة جورج بوش الابن ، فقد بدا الحديث من جديد عن عودة روسيا كفاعل رئيسي على الساحة الدولية لم يعد يقبل بالقواعد التي تفرضها معطيات تلك الساحة ، ويسعى في مقابل ذلك الى تأسيس قواعد جديدة تتعاطى مع المكانة الدولية التي بات يحتلها ، كما ان فترة أوباما شهدت وفقا للمحللين الأمريكيين ، عودة التيار

¹ -Konyshv Valery, Alexander Sergunin, Is Russia A Revisionist Military Power In The Arctic?, Defense Security Analysis ,Vol.30, No. 4 (September 2014), Pp. 323–335.

² -Tu, Chang-Ching, Han-Ping Tien, Ji-Jen Hwang ,Untangling Threat Perception In International Relations: An Empirical Analysis Of Threats Posed By China And Their Implications For Security Discourse, **Cogent Arts Humanities** ,Vol. 11, No. 1 (March 2024),Pp.233-257.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

الانعزالي الذي يدعو الى تقليل الانخراط الأمريكي في الشؤون الدولية ، وهو ما أدى الى وجود فرصة سانحة لمنافسي الولايات المتحدة الامريكية لمليء الفراغ¹.

وقد واصلت روسيا جهودها للحصول على عضوية المنظمة العالمية للتجارة ، في مواجهة استخدام الولايات المتحدة وحلفائها هذه الورقة كوسيلة ضغط على روسيا بغرض الحصول على تنازلات منها في ملفات أخرى ، وبالرغم من ان روسيا انضمت لمجموعة الدول السبع الصناعية المتقدمة ، والتي اصبح اسمها فيما ما بعد مجموعة الثماني G8 ، فإنها بقيت بعيدة من اجتماعات وزراء المالية ومحافظي البنوك المركزية للدول السبع ، ما يحمل رسالة مبطنة من الغرب لروسيا على انها ليست محل ثقة ، لكن في مقابل ذلك تتمتع روسيا بعضوية مجموعة العشرين التي اكتسبت منذ الازمة المالية العالمية في سنة 2008 م وزنا متزايدا ، وبخاصة في القضايا الاقتصادية الدولية ، وسط محاولات موسكو المشاركة بقوة في قضايا السياسة الدولية².

كما انضمت روسيا الى منظمة شنغهاي التي تضم الى جانبها كلا من الصين ، أوزبكستان ، كازاخستان ، قيرغيزستان ، طاجكستان ، الهند ، باكستان ، وقد أدت المنظمة منذ نشأتها دورا مهما في المنطقة الاوراسية ، عن طريق حل المشاكل الحدودية بين دول المنظمة ، محاربة الإرهاب والجريمة العابرة للحدود ، مع خلق مناخ إيجابي بين أعضائها للتعاون في شتى المجالات ، دون الغفل عن كون روسيا احدى الدول المؤسسة لتجمع " البريكس " مع الصين والهند والبرازيل والذي انضمت اليه لاحقا جنوب افريقيا ، ويعد التعاون بين دول البريكس احد اهم المسارات المحورية في مساعي السياسة الخارجية لدوله ، وبخاصة روسيا والصين ، لكسر الهيمنة الغربية على المشهد الدولي ، وإيجاد توازن في النظام الدولي ، والتأثير المباشر في المنظومة الاقتصادية³.

وبالنسبة للصين ومدى رضائها عن القواعد الدولية ، فنجد انه بالأخذ في الاعتبار النفوذ المتنامي للصين إقليميا وعالميا ، فان قادة الصين يعتبرون ان الصعود الصيني سلمي ، بإتباعها استراتيجية

¹ -Nitoiu Cristian, Florin Pasatoiu, And Hybrid Geopolitics In Eu-Russia Relations: Understanding The Persistence Of Conflict And Cooperation, **East European Politics**, Vol.36, No. 4 (August 2020).

² -Golovnin Mikhail, Daria Ushkalova, Russia In International Economic Institutions: Are There Contradictions In The Regional And Global Agendas?, **Post-Communist Economies**, Vol. 33, No. 2-3 (July 2021), Pp.222-245.

³ -The World Bank, Amidst Strong Economyrecovery Risks Sterming From Covid-19 And Inflation Build Special Focus On Russia Economy Transition, December1, 2021, Pp.29-33.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

تصفير المشكلات مع جيرانها، ما مكن لها العضوية في العديد من المنظمات الاقتصادية والأمنية عبر القارة الآسيوية، أهمها رابطة الآسيان 3+ ومنظمة شنغهاي والبريكس كما سبقت الإشارة.

وفي نفس المنحى وقعت خمسون دولة، من بينها فرنسا، وألمانيا، وبريطانيا، في بكين على الاتفاق الذي يرسى القانون الأساسي لـ "المصرف الآسيوي للاستثمار"، وذلك بناء على مبادرة صينية، ويبلغ رأسمال المصرف مئة مليار دولار، والذي أسهم بشكل فعال في تمويل اشغال تتعلق بالبنى التحتية في اسيا التي تعاني نقصا حادا في التمويل، وقد تحول المصرف الى أداة ناعمة في خدمة دبلوماسية الصين الاقتصادية، خصوصا انها المساهم الأكبر فيه، وهذا ما يمنحها المزيد من الأصوات المؤيدة داخل الهيئات الدولية كالأمم المتحدة، وعلى المستوى العالمي تختار الصين انتماءاتها المؤسسية بعناية، فقد انضمت الى منظمة التجارة العالمية عام 2001م، لكنها امتنعت عن الانضمام الى المعاهدات الدولية الخاصة بانتشار أسلحة الدمار الشامل والمنظمات الدولية التي تهتم بهذه القضية، وتشير هذه الأنشطة الى درجة من عدم الرضا عن الأنماط الدولية السائدة التي تخضع لقيادة أمريكية¹.

استخلاصا لما سلف، تتضح حالة عدم الرضا عن الوضع القائم دوليا، لدى كل من الصين وروسيا، والتي تصدق عليها منطلقات ومسلمات التحول في مراكز القوى التي تبنى عليها نظرية انتقال القوة التي كانت منطلقنا النظري التحليلي في هذه الدراسة، لاسيما ان التفاعلات الدولية المتعلقة بتغيير هيكل القوة عالميا لم تعد محصورة في خطابات الرد فحسب، بل اخذت الطابع العملي والتجسدي على ارض الواقع، وما سياسات روسيا والصين تجاه قضاياها وأهدافها ومصالحها الاستراتيجية سوى دليل على ما خاضت فيه حيثيات البحث.

¹ -An Enze, China's Peaceful Rise: Perceptions Policy And Misperceptions, Cambridge Review Of International Affairs, Vol.30, No. 5-6 (February 2017), Pp. 583-595.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

المطلب الثالث: استراتيجية الصين وروسيا كقوى تعديلية في مواجهة سياسة الاحتواء الأمريكية

دخلت الولايات المتحدة الأمريكية القرن الحادي والعشرين وهي تتوافر على جميع ركائز القوة الشاملة (العسكرية والاقتصادية والتكنولوجية) التي تجعلها قوة مهيمنة عالميا دون منافس حقيقي ، لكن هذا الأمل لم يدم طويلا في ظل التحول السريع والكبير في مفردات القوة التي تميزت بالتغيير السريع والتشتت الواسع ، مع بروز الصين وروسيا اللتان باتتا تشكلان عقدة استراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية ، ولزعتها الانفرادية ، الشيء الذي جعلها تولي اهتماما اكبر للتطورات الحاصلة داخل هاتين الدولتين وعلاقاتهما الإقليمية والعالمية ، لحصرهما وتحجيمهما ، الا ان بكين وموسكو لم تقفا مكتوفتا الأيدي انما عجلت بتحركات ميدانية لمواجهة السياسات الاحتوائية الأمريكية ، وعليه فان مضمون هذا المطلب سيكون إجابة عن التساؤل الجوهرى كيف تتصرف كل من روسيا والصين استراتيجيا في سبيل التخلص من الاحتواء الأمريكي ؟ او التقليل من اثاره السلبية على مساراتها التنموية وتزايد قوتها على الصعيد العالمي.

أولا : السياسات الاحتوائية الأمريكية

لم تنته المحاولات الأمريكية لاحتواء الصين وروسيا بنهاية الحرب الباردة، وإنما استمرت مع تحسين وتطوير اسلوبها ليتناسب مع البيئة الاستراتيجية الجديدة، ورغم ان معظم تلك السياسات تستهدف كل من الصين وروسيا معا، إلا ان لكل حالة خصوصيات تستدعي التركيز عليها منفردة.

1. احتواء روسيا

دواعي الاحتواء لا زالت محكومة باعتبارات تاريخية لفترة الحرب الباردة، واستغلت الولايات المتحدة الأمريكية الضعف الروسي لاحتوائها بدل مساعدتها على تجاوز ازماتها، وتباشر سياساتها الاحتوائية ضد روسيا على مستويات عديدة وبطرق مختلفة.

1.1 الاختراق من الداخل

من اجل احتواء روسيا، وتغيير مواقفها وسياساتها المتعارضة مع الولايات المتحدة الأمريكية في العديد من المجالات والقضايا، ونظرا للنتائج المتواضعة التي حققتها محاولتها الأخرى، عمدت الولايات

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

المتحدة الأمريكية ومن يشاركها هذه الغاية في أوروبا ، الى العمل على تغيير روسيا من الداخل عبر وسائل وأدوات مختلفة¹ .

أ - بث القيم الغربية في المجتمع الروسي

وجدت الولايات المتحدة الامريكية في روسيا ما بعد الاتحاد السوفياتي ، التي فقدت ثقلها الأيديولوجي ، ساحة خصبة لنشر القيم الغربية ، التي من شأنها ان تجعل الساحة الداخلية الروسية فضاء شفافا ومفتوحا امام الدول الغربية ، لإعادة تشكيله من جميع النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وفق النمط الذي يخدم مصالحها .

وينظر الامريكيون الى نشر الديمقراطية وتقوية مؤسساتها في روسيا كإحدى الخطوات الضرورية لاختراقها ومن ثم احتوائها ولتسهيل لهم استراتيجية الارتباط (ENGAGEMENT) ، ففي عهد كلينتون ويلتسن قامت علاقات خاصة بين البلدين ، دعمت من خلالها إدارة البيت الأبيض في واشنطن الرئيس يلتسن في " وجه الشيوعيين " ، حيث تم رفع مستوى المساعدات التقنية لمؤسسات الحكم الديمقراطية ومكونات المجتمع المدني في روسيا ، قصد الوصول الى الرأي العام الروسي وتوجيهه بشكل غير مباشر² .

ب - توظيف اللوبي الصهيوني - الأمريكي

من خلال سيطرة اللوبي ، وبعض جماعات المصالح على القرار في روسيا ، استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية ان تفرض على روسيا تبني القيم الديمقراطية الغربية - شكليا على الأقل - وإدخال البلاد في حلقة أزمات لا نهاية لها بإتباع سياسة المعالجة بالصددمات ، للانتقال السريع بروسيا من الاقتصاد الاشتراكي الى اقتصاد السوق ، وكذلك قبول روسيا وتغاضيها على توسع الناتو في أوروبا الشرقية ومقارعة حدودها ، وكل هذه الأمور تصب في النهاية في اطار السياسات الاحتوائية الأمريكية لروسيا³ .

¹ - Blank Stephen, Beyond The Reset Policy: Current Dilemmas Of U.S.-Russia Relations, Comparative Strategy, Vol.29, No. 4 (October 2010), Pp. 333-367.

² - Deyermund Ruth, You Think Our Country's So Innocent?' The Trump Administration Is Policy On Democratic Practices In Russia And The Challenge To Us Identity, **Global Affairs**, Vol. 6, No. 1 (September 2020), Pp. 105-120.

³ - Ompon William Was Gaidar Really Necessary?: Russian Shock Therapy Reconsidered, **Problems Of Post-Communism**, Vol. 49, No. 4 (January 2016), Pp. 12-21

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

ج-التفكيك المنظم لروسيا

في كلمة امام الكونغرس بتاريخ 15 سبتمبر 1998، أشار "توماس غراهام" (THOMAS GRAHAM) الى ان الفوضى التي عمت الحكومة المركزية في موسكو أدت الى انتقال السلطة لصالح مجموعتين في المجتمع الروسي : الاولغارشية الاقتصادية الجديدة ،والنخب السياسية الجمهورية ،ومظاهر التفكك تبدت في ممارسات شديدة الخطورة على الفيدرالية ،تمثلت في صك بعض المقاطعات لعملة نقدية خاصة بها ،وأخرى فرضت ضرائب على استيراد السلع من خارج حدودها ،وأخرى قامت بتأميم بعض الصناعات ،ومواصلة لنفس السياسة ،ركزت الولايات المتحدة الامريكية بالتنسيق مع الاتحاد الأوروبي والمؤسسات المالية الدولية في تقديم المساعدات المالية والتقنية الموجهة لروسيا على المقاطعات ،بشكل خاص من اجل مساندة سياساتها المستقلة¹.

3.1 تقييد السياسات الخارجية والأمنية الروسية

أ-ادراج روسيا في المنظومة عبر الأطلسية

تعمل الولايات المتحدة على ربط روسيا بالشبكة الأوروبية ،والعبر الأطلسية مستعينة بالاتحاد الأوروبي والناطو ، ووطورت في سبيل ذلك مشاريع عديدة ،وتهدف هذه المحاولة الى ضبط وتقييد السياسات الأمنية الروسية ،وتوجيهها نحو "التعاون" مع الغرب ،والخضوع لسياساته ،ومنع بروز سياسات روسية لا تخدم مصالح الولايات المتحدة الامريكية او مناهضتها ،فهي ترى ان ادخال روسيا في مشاريع التكامل الأوروبية ،ولو بشكل تدريجي يكون شبيها بالمسار الذي اتخذته تركيا ما بعد العثمانية بالتخلي عن طموحاتها الإمبراطورية ..وعليه فأمریکا تبحث عن "اتاتورك روسي" يتمكن من تحويل روسيا الى دولة أوروبية ديمقراطية ،وهو ما تفسر في اطاره سياسات الدعم الامريكية لدول مثل أذربيجان واوزبكستان وأوكرانيا ،لحمل روسيا على اتخاذ قرارها القاطع إزاء الاتجاه الأوروبي وهو ما حمل مدلوله قول "بريجنسكي" : "من المهم أيضا للغرب ..وخصوصا أمريكا ،اتباع السياسات التي من شأنها ان تديم معضلة الحل الوحيد بالنسبة لروسيا"².

¹ -Andrea Kenall,Taylor, Michael Kofman ,Russia's Dangerousdecline :The Kremlin Won't Go Down Without A Fight , **Foreing Affairs** , Vol.124,No.3(November-December 2022),Pp.45-63.

² - Andrew E. Kramer, Russia Breaks Diplomatic Ties With Nato,**The New York Times** , No.1,October19,2022.P.05.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

ب- تقزيم روسيا وتهميشها

عملت الولايات المتحدة الأمريكية على استبعاد روسيا من العديد من القضايا المهمة، والتي تمس مكانة وهيبة روسيا، واهمها التعاون الاقتصادي الآسيوي الباسيفيكي APEC، كما تم استبعادها من المشاركة في المراقبة الدولية للبرنامج النووي لكوريا الشمالية، رغم العلاقة والحسابات الاستراتيجية التي تربط هذه الأخيرة بروسيا، كما أن السياسة الأمريكية في آسيا الوسطى تقوم على عدة أسس تستهدف في أغلبها تحجيم النفوذ الروسي في تلك المنطقة إلى أقصى درجة ممكنة، باستخدام الأغراء الاقتصادية لدول المنطقة، واقتراح الحماية الأمريكية كبديل عن الحماية الروسية من خلال اتفاقيات أمنية ثنائية مع دول المنطقة وإلحاقها بقواعد عسكرية فيما بعد¹.

3.1 الاحتواء عن طريق المؤسسات والمنظمات الدولية

يساعد ربط روسيا، بشبكة المنظمات الدولية المختارة، أو التي يتم انشاؤها لهذا الغرض الولايات المتحدة الأمريكية وبعض الدول الغربية الأخرى التي يهملها أن تبقى روسيا ضعيفة في احتواء هذه الأخيرة من خلال:

- ✓ نشر وتكريس عدد من المبادئ مثل: الديمقراطية، احترام سيادة الدول، منع الانتشار النووي، الرقابة على التسليح، والتزام روسيا بهذه المبادئ يعني تقليص سلطتها وتدخلها في شؤون الجمهوريات المستقلة، ويحد من قدراتها التسليحية، ويضيق قائمة مبيعاتها في هذا المجال.
- ✓ عضوية روسيا في بعض المنظمات ذات الأهمية بالنسبة لقوة كبرى، يجعلها عرضة للابتزاز والضغط عليها لتغيير سياساتها وتوجهاتها المستقبلية، وهو ما يحدث مع روسيا بعد ادماجها في مجموعة السبعة لتصبح مجموعة الثمانية، إذ هددت الولايات المتحدة الأمريكية بسحب عضويتها ما لم تغير روسيا بعض سلوكياتها².
- ✓ التسريع من توسيع الاتحاد الأوروبي ومنظمة حلف شمال الأطلسي واستخدامهما للضغط السياسي والجيوبوليتيكي على روسيا، فالدور الواضح للولايات المتحدة الأمريكية في تحديد وقت

¹ - Suslov Dmitry, Us–Russia Confrontation And A New Global Balance , **Strategic Analysis**, Vol. 40, No. 6 (October 2016), Pp.547–560.

² -Chebankov, Elena. , Russia's Idea Of The Multipolar World Order: Origins And Main Dimensions, Post-Soviet Affairs, Vol.33, No. 3 (February 2017), Pp. 217–234.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

ومضمون عمليات التوسيع التي مر بها الاتحاد والحلف، ما يعطي فكرة واضحة عن توظيفهما في استراتيجيات محاصرة روسيا وعزلها.

وبشكل مقتضب، يمكن القول ان السياسات الامريكية منذ سقوط الاتحاد السوفياتي كرست سياسة تقزيم النفوذ السياسي الروسي إقليمي وعالميا، وتجاهل مصالحها قصد ابقائها ضعيفة وهنة لا تحرك ساكنا في دواليب السياسة الدولية¹.

2. احتواء الصين

العرض السابق لمكانة الصين الدولية، وقدراتها المختلفة، يعطينا أرضية ذهني لفهم الجدل الحاصل داخل أمريكا، على مستوى الاستراتيجيين وصناع القرار في الإدارات الامريكية المختلفة، حول كيفية التعامل مع صعود الصين الذي يتسم بنوع من الغموض والقابلية للتأويل بكيفيات مختلفة.

1.2 استراتيجية الارتباط

على خلاف وسائل احتواء الاتحاد السوفياتي سابقا التي اعتمدت على التكنولوجيا وسباق التسلح والمخابرات والدعاية، تبنت الولايات المتحدة، استراتيجية الارتباط والاختراق الاقتصادي، بربطها عن طريق التجارة والاستثمارات ومن ثم خلق شبكة مصالح من الداخل ثم احتوائها.

وبالتأمل في العلاقات التجارية بين الولايات المتحدة الامريكية والصين، نجد ان واردات أمريكا من الصين أكبر بكثير من صادراتها إليها ومع هذا العجز التجاري الكبير لصالحها، قد تجد الصين نفسها مضطرة الى تقديم تنازلات سياسية في بعض المناطق كالشرق الأوسط للحفاظ على هذه السوق الإستراتيجية ويسير الامريكيون نحو تعميم الارتباط ليشمل مختلف المجالات والمؤسسات حيث تشكل سياسة الارتباط هذه أساسا تبنى عليه بقية السياسات الاحتوائية².

2.1 اختراق المجتمع الصيني

تخشى الولايات المتحدة الامريكية من ان التركيبة السكانية للصين بمختلف ابعادها ، قد تكون لها اثار سلبية كبيرة على اقتصاد الولايات المتحدة الامريكية ، واستقرار اسيا والعالم ، لذا وجب

¹ -Alexander J.Motyl, Its Hight Time To Prepare For Russia 'S Collapse, **Foreing Policy**, Vol.7, No.4 (Janaury 2023), Pp.13-39.

² -Xin Liu, Can Liberalism Take Root In China?, **Contemporary Chinese Thought** ,Vol.34, No. 3 (Decembre 2014), Pp.68-97.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

التدخل للتحكم في هذه القوة البشرية الهائلة ، ووجدت إدارة البيت الأبيض في الثغرة الحقوقية للإنسان مدخلا لاختراق المجتمع الصيني ، ما سيعني التأثير على القدرة الإنتاجية للاقتصاد الصيني الذي يعتمد معايير عمل تختلف عما هي عليه الحال في الغرب ، الذي يعتبر ان شروط العمل في الصين تنتهك حقوق الانسان ، الامر الذي سيضع النظام السياسي في الصين والحزب الشيوعي الحاكم امام ضرورة التغيير و " الإصلاح السياسي " ¹ .

3.2. اثارة المخاوف من قوة الصين

لا تفوت الولايات المتحدة فرصة لاتهمم الصين بعسكرة سياساتها الخارجية والتحذير المتكرر من زيادة نفقاتها وتطور قدراتها العسكرية ، وكانت التقارير السنوية الامريكية الأخيرة لسنتي 2022 و2023 حول القدرات العسكرية الصينية اشد من ناحية التحذير والاستفسار حول جدوى تزايد النفقات العسكرية ، كما استغلت الولايات المتحدة الامريكية مناسبة نجاح تجربة الصاروخ الفضائي الصيني ، وتوسيع نفوذها في بحر الصين الجنوبي بإقامة جزر اصطناعية ، لتثير المخاوف من نوايا الصين الكامنة ، وراء تطوير قدراتها العسكرية ، ومن ذلك ما قاله الجنرال المتقاعد " tom Erhard " رغم التصريحات الرسمية حول صعودها السلمي ، الصين لا تتوانى عن اختراق حرمة وحيادية الفضاءات المشاعة والمشاركة كالمياه الدولية والفضاء ... " ² .

4.2 كبح النمو الاقتصادي الصيني

تركز الولايات المتحدة الامريكية في محاولاتها الاحتواء الصين على الجانب الاقتصادي الذي يمثل عصب التنمية فيها ، والأكثر تهديدا للاقتصاد الولايات المتحدة وتفوقها الاقتصادي العالمي وذلك بالانكفاء على عديد السياسات منها:

-تشويه المحيط الاستثماري في الصين

في هذا السياق ، روجت الولايات المتحدة الامريكية عدة أفكار من قبيل " خلق الصين للأخطار والاهوال " التي تقول انه في حالة ما اتخذ الاقتصاد العالمي من الصين شريانا لإنتاجه الصناعي ، فانه

¹ -Lai Hongyi, Uneven Opening Of China's Society, Economy, And Politics: Pro-Growth Authoritarian Governance And Protests In China, **Journal Of Contemporary China**, Vol. 19, No. 67 (October 2010) ,Pp.819-835.

² -Wang. Q Edward, Rise Of The Great Powe's: Rise Of China? Challenges Of The Advancement Of Global History In The People's Republic Of China, **Journal Of Contemporary China**,Vol. 19, No. 64 (March 2010),Pp.273-89.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

لن يصمد امام انقطاعات الامدادات نتيجة الحروب والإرهاب و الاضطرابات الاجتماعية ،وحتى الكوارث الطبيعية ،والهدف هو عدم السماح برفع القدرة الإنتاجية للصين ،بحجة ان تحويل الصين الى مصنع عالمي يشكل خطرا¹.

ب - مراقبة الحاجات الطاقوية للصين

على غرار عديد من الدول الاسيوية التي تشهد نموا اقتصاديا سريعا ،تفتقر الصين الى مصادر كافية للطاقة . ولذلك تلجأ الى الاستيراد ،والبحت المستمر عن مصادر جديدة للطاقة ،وقد أصبحت الصين من اكبر الدول المستوردة للبتروول وتحصل على نسبة كبيرة جدا منه من الشرق الأوسط الذي يمثل " المضخة الطاقوية " للنمور الاسيوي ،والصيني على وجه الخصوص ،وتحكم في هذه المضخة يمثل بالنسبة للأمريكيين وسيلة للتحكم في وثيرة وقوة الاقتصاد الصيني ،الا ان الصين عملت على تنوع مصادر الطاقة الاستراتيجية باتجاهها نحو عديد من الدول الافريقية وباتت المستثمر الطاقوي الأول في القارة ،ومع تحرك الحرب في أوكرانيا باتت الصين اكبر مستهلك للنفط الصيني وتسعى واشنطن جاهدة من اجل ابطال ،او تحويل مسار مشروع خط النفط الذي يمتد من سبيريا شرقا الى الأراضي الصينية².

5.2 قضية تايوان

تعتبر قضية تايوان اكبر مؤشر على انتهاج الولايات المتحدة الامريكية لسياسة الاحتواء إزاء الصين ، وذلك نظرا للأهمية الكبيرة التي تمثلها تايوان بالنسبة للصين في جميع النواحي السياسية والاقتصادية والإستراتيجية ،ويمكن ايجاز اهم التحركات الامريكية للحيلولة دون حصول الصين على إقليم تايوان في العناصر التالية :

- الحيلولة دون توحيد راس المال والتكنولوجيا التايوانية مع الأرض الام ،عبر تسليح تايبيه وتدعيم تواجد قواتها العسكرية في المنطقة لتكون رادعا للنوايا الصينية بضم الجزيرة

¹ -Chu Yun-Han, Liu Kang, Min-Hua Huang ,How East Asians View The Rise Of China,Journal Of Contemporary China ,Vol.24, No. 93 (October 2015), Pp. 398–420.

² -Lai Hongyi, Malcolm Warner, Transformation Of China's Energy Sector: Trends And Challenges, **Asia Pacific Business Review**, Vol. 21, No. 1 (July 2015), Pp. 147–153.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

■ ظلت الولايات المتحدة الأمريكية تدعم بشكل صريح مشاركة تايوان في العديد من المنظمات الدولية، كالمنظمة العالمية للصحة، وتساند جهودها للالتحاق بمنظمة التجارة العالمية والتي لا ترى فيها مساساً بمبدأ الصين الواحدة، ولكنها لم تدعم صراحة عضوية تايوان في الأمم المتحدة، حتى لا تثير ردة فعل عنيفة من قبل الصين، وتعمل واشنطن على تدويل هذه القضية بشكل تدريجي وهادئ، من أجل إجبار الصين على التخلي عنها بشكل سلمي خضوعاً للضغوط الدولية التي تزداد مع تدويل القضية.¹

6.2 تقوية خصوم الصين الإقليميين

تعتمد الولايات المتحدة الأمريكية الأمريكية بشكل كبير على سياسات توازن القوى الإقليمية في احتوائها للقوى الصاعدة في آسيا، فإضافة إلى التواجد العيني لقواعدها وفرقها العسكرية في منطقة آسيا الباسيفيك، تولي الولايات المتحدة الأمريكية أهمية لتقوية حلفائها الآسيويين، وإدراجهم ضمن مخططاتها الاحتواء القوة الصينية الصاعدة.

أ- إعادة تسليح وعسكرة اليابان

بدأت التوجهات الأمريكية الحالية تتجه نحو إكمال عناصر قوة اليابان، بما يخدم مصالح مصالحها، وهذا بإعادة عسكرتها وتسليحها، لتصبح قوة عسكرية رادعة لعمليات التحديث العسكرية الصينية، فسمحت الولايات المتحدة الأمريكية لليابان برفع ميزانيتها ونفقاتها العسكرية التي تفوق نظيرتها الصينية بقدر كبير في الوقت الحالي، وسمحت لليابان بالمشاركة في عمليات حفظ السلم الدولية خارج أراضيها وجعلها جزءاً أساسياً من مشروع الدرع الصاروخي.²

ب- تقوية الهند

بعد تحول الاستراتيجية الأمريكية إلى جنوب شرق آسيا، من الطبيعي، أن تصبح الهند شريكاً للولايات المتحدة في ممارسة "سياسة اللجم" في آسيا ضد ما يسمى بالعدو الكامن في إشارة إلى الصين

¹ -Bernkopf Tucker. N, China-Taiwan: Us Debates And Policy Choices, **Survival**, Vol. 40, No. 4 (December 2019), Pp.150-67.

² -Hughes Christopher. W, Forging A Strengthened Us-Japan Alliance, **The Adelphi Papers**, Vol. 44, No. 368-369 (September 2017), Pp.97-115.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

، فالهند دولة كبيرة الحجم في جنوب اسيا ، وتنافس الصين على ان تصبح قوة كبرى ، وتتجسد السياسة الامريكية الداعمة للهند على حساب الصين في التحركات التالية :

➤ يعمل الامريكيون بشكل مستمر على اذكاء التنافس بين الصين والهند ومنع إمكانية قيام تقارب بينهما، ودعم هذه الأخيرة على حساب الأولى

➤ هناك محاولات حثيثة من قبل واشنطن لإنهاء الازمات التي تحصل بين الهند وباكستان في جنوب أسيا والتي تهدف من ورائها الى تحويل الهند الى قوة كبرى قادرة على الموازنة الصين في جوب شرق اسيا¹.

ثانيا: استراتيجيات مقاومة الاحتواء

تزودا بالإطار النظري العام الذي تضع ضمنه القوى الكبرى والصاعدة استراتيجيتهما المتعلقة ببناء وتحديد كل ما يحول دون ذلك، يمكن استقراء التحركات العملية لكل من القوتين الروسية والصينية ، وربطها بالتجارب التاريخية ، وبثقافتها الاستراتيجية وتأويلاتها على المدى المتوسط والبعيد من اجل اكسابها البعد الاستراتيجي الذي ينأى بها عن ان تكون مجرد ردود فعل انية ، ويتم تدقيق تلك الاستراتيجيات ، وانتقاء الموجهة منها ضد السياسات الاحتوائية الامريكية .

1. الاستراتيجية الروسية المقاومة.

مقاومة التدخل الأجنبي والتصدي لمحاولات احتواء روسيا، تمثل ثقافة متأصلة في السياسة الروسية الى درجة انها أصبحت جزءا من ثقافتها الاستراتيجية، وقد توزعت الاستراتيجيات المقاومة الروسية على جبهتين رئيسيتين، تعكسان مستويات التحركات الروسية، وتجمع بين البعدين الوقائي والعلاجي، فمعظم التحركات الروسية في عهد بوتين موجهة لتحسين أوضاع روسيا وزيادة قدراتها وثقتها بنفسها الداخلية، والخارجية التي تجمع بين المستويين الإقليمي والعالمي².

¹ -Konwer Shubhrajeeet, Us-India Relations: The Shadowboxing Era, **Strategic Analysis**, Vol.44, No. 1 (December 2020), Pp.15-30.

² -Pisciotta, Barbara. Regional And Global Revisionism: Russia And China In A Comparative Perspective, The International Spectator, Vol.58, No. 3 (April 2023), Pp. 96–112.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

2.1 على الصعيد الداخلي

كان لطبيعة السياسات الإصلاحية التي انتهجتها روسيا عقب انهيار الاتحاد السوفياتي أثر كبير على تماسك الجبهة الداخلية الروسية، وقدرتها على مجابهة الضغوط الغربية، لمحاولة احتوائها عبر تغييرها من الداخل، وهو ما أدركته القيادة الروسية مع مجيء فلاديمير بوتين الى السلطة، وتتمثل استراتيجيات المقاومة الفعالة لسياسات الهيمنة فيما يلي:

- مراجعة مسار الإصلاح الاقتصادي وهو ما عزم عليه الرئيس فلاديمير بوتين ، من خلال إعادة النظر في طريقة الإصلاح الاقتصادي ، والانتقال الى اقتصاد السوق ، والعمل على جعلها مبنية على أسس الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي الذي عده من المبادئ الموجهة لسياسته خلال عهده الرابع .
- تحديث القدرات العسكرية، اذ أسهمت الخبرة الروسية في تعاملها مع عمليات توسيع الناتو، في جعل روسيا تقتنع بان القوة العسكرية، وإدارة استخدامها، ضرورية للتصدي لمحاولات إزلالها والانخراط في الديناميكيات الأوروبية على قدم المساواة مع الغرب، وهو ما برهنت عليه مراجعات " المذهب العسكري الروسي " ¹.
- التصدي للاختراقات الأجنبية، فقد تسبب ضعف الدولة الروسية، وانتشار مظاهر وأدوات العولمة السياسية والثقافية والإعلامية الى تعرض الدولة والمجتمع الروسي الى اختراقات خطيرة من طرف الولايات المتحدة الأمريكية لاسيما رواج القيم والأفكار الغربية التي اثرت على الحركية المجتمعية والسياسية لروسيا، لذا باشرت القيادة السياسية في الكرملين استراتيجيات مضادة تمثلت في تكييف القيم الغربية، وضبط حركة المجتمع تلافيا لأي انقسام داخلي ².

3.1 على الصعيد الإقليمي والعالمي

المشكل ذو الأولوية بالنسبة لروسيا ليس صورتها في الخارج ،بقدرما هو استرجاع الفضاء الاستراتيجي الخاص بها ،وهذا لن يتم مالم تتحرك روسيا بسرعة للتصدي للمشاريع الامريكية

¹ -Zagorski Andrei, Russian Approaches To Global Governance In The 21st Century, **The International Spectator**, Vol.45, And No. 4 (December 2010), Pp.27-42.

² -Rutland Peter, Andrei Kazantsev, The Limits Of Russia's Soft Power, **Journal Of Political Power**, Vol.9, No. 3 (October 2016), Pp. 395-413.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

العالمية التي تمتد أهدافها الى العمق الروسي، ويمكن التطرق الى اهم الجهود الروسية المقاومة للهيمنة والسياسات الاحتوائية الامريكية التي تستهدفها في العناصر التالية:

■ **التقارب مع القوى العظمى:** بالنظر الى الفارق الكبير في القوة بين روسيا والولايات المتحدة، فان اول ما قد تفكر فيه قوة كبرة تدرك ضعفها الشديد امام القوة العظمى هو محاولة التقرب منها، وطمأنتها حول نواياها وتوجهاتها السياسية والاستراتيجية، من اجل كسب هامش المناورة وزيادة قوتها، الا ان هذه الاستراتيجية لم تحقق لروسيا شيئا معتبرا حتى الان، فمازالت صورتها سلبية جدا لدى الدول الغربية وعلى رأسهم الولايات المتحدة الامريكية، لاسيما بعد تورطها بالحرب في أوكرانيا.

■ **كبح التغلغل الأمريكي في جوارها:** لا تزال روسيا تستخدم عدة وسائل للحفاظ على نفوذها وقوتها، في اسيا الوسطى على وجه التحديد وبعض دول أوروبا الشرقية ومن ضمنها الاعتماد على الروس القاطنين في دول اسيا الوسطى * "كطابور خامس"، وتكريس الوجود العسكري بحجة حماية الاقليات الروسية المنتشرة هناك.¹

■ **التعامل مع توسيع الناتو:** تسعى روسيا حاليا الى إعادة التفاوض حول "اتفاقية القوى التقليدية في أوروبا (CFE) من اجل ضبط كبح التواجد الأمريكي، وحلف الناتو في أوروبا والبلقان، فقد دعت روسيا في المؤتمر الخاص حول اتفاقية تواجد القوى التقليدية في أوروبا، المنعقد من 12 الى 15 جوان 2007، الى إعادة مناقشة ما جاء في الاتفاقية، التي تعتبر روسيا ان الولايات المتحدة الامريكية ودول الناتو تكون قد اخترقها من خلال نشر الدرع الصاروخي، وإنشاء قواعد عسكرية عديدة في أوروبا الشرقية.

■ **وقف الزحف الأوروبي:** توسيع الاتحاد الأوروبي نحو الشرق، يخلق توازنات جديدة تحمل إيجابيات كما تحمل سلبيات بالنسبة لروسيا، والمسؤولون الروس لم يبدوا، حتى الان عدوانية كبيرة تجاه هذه العملية، غير ان الثورات التي حدثت في جورجيا وأوكرانيا، قوت المخاوف الروسية الجديدة وشكوكها إزاء مسار توزيع الاتحاد الأوروبي.

¹ -Kuhrt Natasha, The Russian Far East In Russia's Asia Policy: Dual Integration Or Double Periphery?, **Europe-Asia Studies**, Vol.64, No. 3 (April 2012), Pp. 471-493.

*الطابور الخامس: مصطلح مشتق من الاسبانية القشتالية (Quinta Columa)، نسبة الى اللواء إميليو مولا ترسخ ابان فترة الحرب الباردة، ويشير في معناه الى مجموعة من الافراد التي تعمل على كد الدسائس وامتهان التجسس توطنا مع العدو الأجنبي، ويمكن الأنشطة الطابور الخامس ان تنطوي على اعمال التخريب والتضليل والدعاية المغرضة.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

■ مواجهة مشروع الدرع الصاروخي: بالنسبة لموسكو، هذا الدرع في الحقيقة يضعف أمنها القومي، وفي آخر التحركات الاستخراجية الروسية لمقاومة الدرع، أعلن الرئيس فلاديمير بوتين استئناف "الدوريات الاستراتيجية الروسية التي توقفت منذ أكثر من عقد، من أجل التأثير على المشروع الأمريكي، وجعل تأثيره شبه معدوم على روسيا وقدراتها الصاروخية الردعية¹.

■ تقوية مواقفها في إطار المنظمات والمؤسسات الدولية: وحتى في ظل الشبكة الكبيرة من المنظمات والمؤسسات الدولية، مازالت روسيا-مثلما هي حال الصين - تفضل العلاقات الثنائية المباشرة، أو العمل في إطار منظمة الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي الذي تتمتع فيه بمقعد دائم، يسمح لها بالمشاركة في كافة القضايا التي تعرض على المجلس، كما يضمن لها مكانة القوة الكبرى وحقوق الفيتو الذي يمكنها من معارضة المشاريع الأمريكية الهادفة إلى تقزيمها واحتوائها أو الإضرار بمصالحها².

2. الاستراتيجية الصينية المقاومة

تتموضع السياسات الأمريكية في الكفة السالبة من المقاربة الصينية للسياسات العالمية، فأمريكا تبدو كعقبة رئيسية أمام مسعى الصين ليس لحيازة المكانة العالمية البارزة فحسب، بل حتى لحيازة المكانة الإقليمية، ويمكن تأويل بعض السياسات التي تتبعها الصين داخليا وخارجيا بالرجوع إلى عدة عناصر من بينها المبادئ الخمس التي وضعها "دينغ هياو بنغ" "راقب الوضع بهدوء، حصن موقعنا، تعامل مع ظروف بروية، اخفي قدراتنا وانتظر فرصتنا، كن بارعا في التواري عن الأنظار، ولا تطالب بالقيادة مطلقا"، واسترشادا بهذه المبادئ تدور الاستراتيجيات الصينية لمقاومة حول محورين أساسيين:

¹ -Russia And Nato: Theses Of The Council On Foreign And Defense Policy: Political Context And Interests Of The West Central And Eastern Europe And Russia ,**Comparative Strategy**, 15, No. 1 (September 2017),Pp.91-102.

² - Natasha ,Op .Cit ,P.474.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

1.2 على الصعيد الداخلي

ترجمة الأهمية البالغة للتماسك الداخلي في الفكر الاستراتيجي الصيني في تركيز الصين على فكرة السيادة، لذلك سعت الصين الى بناء دولة قوية اقتصاديا، و متماسكة اجتماعيا، وقادرة على الصمود أمام الضغوط الامريكية لكبح جماحها .

■ سياسات الإصلاح: التي اعتمدتها الصين منذ شروعا في مسار التحديث والتطور، تعتبر في حد ذاتها استراتيجية لتحسين الصين من محاولات الاختراق والتدخلات الامريكية، لا سيما " استراتيجية " السير على ساقين "، ومنها جاءت فكرة " الاشتراكية ذات الخصائص الصينية " التي لا تدخل في عداء تام مع الرأسمالية الغربية، وانما تأخذ منها وتنتفع بها .

■ إزالة الفوارق الداخلية: تكملة للاستراتيجية السابقة، ومن اجل سد الفجوات بين الأقاليم الساحلية الغنية والدخيلة المتخلفة، هذه الفجوات التي تنبؤ بعدم الاستقرار، وتهدد مسار التنمية الاقتصادية، وتفتح المجال امام الانتقادات الغربية والتشكيك في مصداقية الاقتصاد الصيني¹. اعدت الصين استراتيجيات مهمة للتعامل مع هذا الوضع الذي مازال يضعف قدرتها التفاوضية مع القوى الكبرى في المنظمات الدولية، ومن اهم تلك الاستراتيجيات ما يسمى " عصر الجسور البرية، التي من شأنها ان تحقق التنمية المتوازنة للبلاد.

2.2 على الصعيد الإقليمي

تاريخيا، السياسة الدفاعية للصين، كانت تعتمد على انتشار واسع للنفوذ الصيني ومراقبتها لحيز كبير من محيطها المباشر وغير المباشر، وهذا ما سيكون أساسا لاستقرار التحركات الصينية في اقليمها.

■ إدارة قضية تايوان: اذ ترى الصين انه لا يمكنها ممارسة اعمالها الدبلوماسية " كدولة طبيعية " في ظل الوضع الحالي لتايوان التي تمثل ورقة ضغط أمريكية على الصين، ولا تغيب النزعة التصعيدية للصين عندما يتعلق الامر بتايوان مؤكدة حقها الشرعي في ممارسة سلطتها على الجزيرة اقرارا بمبدأ " الصين الواحدة "

■ صد الزحف الأمريكي: على اسيا فإدراك الصين للنوايا الامريكية في المنطقة، يحتم عليها القيام بترتيبات فعالة تمثلت في زيادة استثماراتها في المنطقة، ودخول الصين في المنتديات

¹ - Dunford Michael, Weidong Liu, China's Evolving International Economic Engagement: China Threat Or A New Pole In An Equitable Multipolar World Order? , Area Development And Policy, Vol.9, No. 2 (Jun 2024), 131-168.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

متعددة الأطراف مثل "الآسيان"، تحسينا لصورتها إقليمية وعالميا، وإزالة المخاوف المتزايدة من قوتها منطقة اسيا الوسطى والقوقاز.

■ **تحديد الخصوم الاقليميين:** اهتمت الصين بالتفوق العالمي الأمريكي وقدرتها على تحريك حلفائها الأقوياء لبلوغ أهدافها الأمنية، المرتبطة باحتواء الصين وكبح نموها، لذلك وضعت استراتيجيات خاصة بهذه الإشكالية، مركزة على اهم حلفاء أمريكا وأقدرهم على تحقيق تلك الغايات، خاصة جيرانها الآسيويين مثل الهند واليابان، لذا عملت بكين على كسر التحالف الأمريكي – الهندي وكذا الأمريكي – الياباني¹.

3.2 على الصعيد العالمي

لتفادي محاولات عزلها، وتوفير فضاء أوسع لنموها الاقتصادي، والسياسي عملت الصين على توسيع حضورها الدولي، ومد شبكة علاقاتها الدولية، مع الدول الصغيرة والكبرى، وأقامت الشراكات الاستراتيجية معها، الامر الذي يساهم في ارباك السياسات الاحتوائية الامريكية الموجهة نحو عزل الصين وتطويقها.

■ **التحرك في مختلف الدوائر الجيوسياسية:** صارت السياسة الصينية تتحرك في دوائر متتابعة، مستخدمة وسائل وأساليب متعددة بالشكل الذي يؤمن لها اختراق وضع الاحتواء الأمريكي الحالي او المحتمل، حتى أصبح لها حضور عالمي في القارات الخمس، وأصبحت تقيم علاقات عديدة وكثيفة مع مناطق ودول العالم المختلفة، وشراكات استراتيجية مع القوى الرئيسية فيه².

■ **التعاطي مع المنظمات والمؤسسات الدولية :** ترى الصين في النظام الدولي بمؤسساته ومنظوماته، صنيعة غربية، غير ان هذا التصور لا يعني ان الصين سوف تتخذ موقف المجابهة وعدم التعاون مع المجتمع الدولي، ولا يعني أيضا ان الصين لن تشارك في النظام الدولي القائم انتظارا الان يصبح عادلا ومعقولا، ولا يعني أيضا ان هذا النظام يتنافى بالضرورة مع المصالح الوطنية الصينية وقيمها، وفي اطار منظمة الأمم المتحدة ومجلس الامن الدولي، تصدى الصين

¹ -Kishore Mahbubani, Has China Won?: The Chinese Challenge To America Primacy ,(New York : Public Affairs Publisher ,2020), Pp.113-119.

² - Khoo Nicholas ,Great Power Rivalry And Southeast Asian Agency: Southeast Asia In An Era Of US-China Strategic Competition, **Political Science** ,vol.74, No. 2-3 (October 2022),pp.141-54.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

للمشاريع والسياسات الأمريكية والغربية الهادفة الى احتوائها بطريقة هادئة لا تثير حفيظة تلك الدول ،ولا تجعل من الصين تبدو كمعارض دائم للمشاريع الدولية وإرادة الأغلبية .

■ التعامل مع التهديدات الأمنية الصلبة: وهذا يعني ان الصين قد بدأت تغيير استراتيجياتها العسكرية والنووية من الطابع الدفاعي، حيث كانت قائمة على عدم اللجوء الى الضربة الأولى، والاكتفاء على الردع القائم بالقدرة على الضربة الثانية الدفاعية، الى الطابع الهجومي بتطويرها لصواريخ هجومية مصممة لاختراق النظام الأمريكي، أكثر من تركيزها على تطوير الصواريخ الدفاعية.

■ تجنب الحصار الطاقوي: من اجل تجنب الوقوع ضحية الحصار الاقتصادي الذي قد تفرضه عليها الولايات المتحدة الأمريكية، إذا أكملت استيلائها على المصادر الطاقوية الرئيسية في الشرق الأوسط، وAsia الوسطى، اتبعت الصين استراتيجية طاقوية تقوم على الاستقلالية المستندة الى، تعديد وتنوع مصادر الطاقة، اعتماد نظام المخزون الاستراتيجي¹.

صفوة القول، ان كل من الصين وروسيا تحاول بناء استراتيجيات للتعامل مع السياسات الأمريكية كل واحدة بحسب مكانتها في النظام الدولي ونصيبها من القوة، فروسيا الضعيفة اقتصاديا تبني استراتيجيات تركز على الجوانب السياسية والأمنية والتي أصبحت ضعيفة المردود في الوقت الحالي، في حين تبني معظم الاستراتيجيات الصينية على قوتها الاقتصادية، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تلعب طبيعة السياسات الاحتوائية الأمريكية تجاه السلوك التعديلي للصين وروسيا دورا هاما في تحديد طبيعة رد فعل القوتين.

¹ -Trautsch Jasper.M, Who's Afraid of China? Neo-Conservative, Realist And Liberal-Internationalist Assessments Of American Power: The Future Of 'The West' And the Coming New World Order, **Global Affairs** 1, No. 3 (July 2015), pp.235-245.

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

خلاصة الفصل الثاني

بناء على ما تم التطرق اليه أنفا تشير المؤشرات التي وضعت في مبحث هذه الدراسة لتحديد ما إذا كانت كل من روسيا والصين دولتين راضيتين، أم انهما تعديليتان تسعيان الى تغيير الهيكل الحالي للنظام الدولي الى ما يلي:

- ❖ فيما يتعلق بروسيا نجد انها تخلت عن الحذر الذي اتسمت به في السنوات الأولى لبوتين في السلطة حيث أوضحت أزمات اوسيتيا الجنوبية، وسوريا، وأوكرانيا على التوالي رغبة روسيا في تأكيد دورها كفاعل رئيس على الساحة الدولية، والحفاظ على قدرتها المتكافئة مع الولايات المتحدة الامريكية، وبخاصة فيما يتعلق بالأسلحة النووية، إضافة الى تحديث كل منظومات التسلح التقليدية وغير التقليدية، ما يوضح عدم الرضى الروسي عن استمرار التفوق الأمريكي.
- ❖ كما تسعى روسيا الى تعزيز وجودها في المنظمات الدولية والاحتفاظ بامتيازاتها فيها، وبالعلاقات قوية مع حلفائها، إضافة الى العمل على تأسيس قواعد جديدة تواكب المكانة الدولية التي باتت روسيا تحتلها، وهو ما يتّضح في النشاط الدؤوب الذي تبديه في منظمتي البريكس وشانغهاي وغيرهما، وتعرف روسيا نفسها الان باعتبار ان لها هوية متميزة وتقدم نموذجا حضاريا واجتماعيا بديلا عن المهيمنة الامريكية، مما يجعل روسيا قوة رجعية تسعى الى تغيير الأنظمة ومن ثم زعزعة استقرار العالم لترسي ميزان القوة على ضفتها.
- ❖ أما بخصوص الصين، فنجد انها دخلت مع الولايات المتحدة الامريكية في أنشطة صراعية لها ابعاد إقليمية في حالات ثلاثة هي كوريا وفيتنام وتايوان وذلك في إطار سعي الصين الى السيطرة على بحر الصين الجنوبي، وعلى الرغم من زيادة الانفاق العسكري لكل من الولايات المتحدة الامريكية والصين، إلا ان ذلك لم يحدث نتيجة سباق التسلح فيما بين البلدين، وتشير الانتماءات المؤسسية للصين وانضمامها الى المعاهدات الدولية الى عدم رضا عن الأنماط الدولية السائدة التي تخضع للولايات المتحدة الامريكية.
- ❖ وتدل المؤشرات على انه لو استمر تنامي قوة الدولة الصينية كما كان عليه الحال في العقود الأخيرة، فسوف تفوق الصين الولايات المتحدة الامريكية كقوة مهيمنة على العالم، ربما قبل منتصف هذا القرن، ولكن اذا تفوقت الصين على الولايات المتحدة، ولم تبدي أي نية لتغيير القواعد التي يقوم عليها النظام الدولي، فإن نظرية تحول القوة تقول بأنّه يمكن تجنب وقوع

الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية "منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي"

حرب كارثية ،وفي هذه الحالة ،ستظهر الصين باعتبارها قوة راضية كما كان عليه حال الولايات المتحدة الامريكية عندما انتقلت اليها الزعامة الدولية من بريطانيا، تشير الثقافة السياسية للمجتمع والنخبة الحاكمة في الصين الى ان الصين لا تميل الى ان تصبح قوة كونية في المدى الزمني المنظور بمقدار ما تسعى الى ان تحقق لنفسها احتراماً دولياً والاكتفاء باستعادة الدور التاريخي للصين في اقليمها المباشر.

الفصل الثالث:

الاتجاهات العظمى للتوازنات

الاستراتيجية العالمية

"بوادرنظام عالمي جديد"

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بوادر نظام عالمي جديد"

تمهيد:

حال القوة في العلاقات الدولية متأرجح بين صعود وهبوط من طرف لآخر، والهيمنة الأمريكية أصبحت محل مساءلة اليوم، ولم يعد حتى الكثير من المفكرين والخبراء الأمريكيين يؤمنون بإمكانية تجسد حلم القرن الأمريكي، بالنظر لما تشهده الساحة الدولية من صعود لعدد من القوى التي تمتلك مقومات تؤهلها لأن تشكل تصورها الخاص لما يجب أن يكون عليه النظام الدولي مدعومة في نفس الوقت برفض كبير من طرفها لمنظور الهيمنة الغربية السائدة حيث تقع مجموعة من القوى التي حققت طفرات هائلة اقتصادية وتكنولوجية وحتى عسكرية، تعززها رؤاها وتصوراتها الاستراتيجية الجديدة لما ينبغي أن يكون عليه هيكل القوة عالميا .

ولعل أكثر ما تخشاه واشنطن اليوم هو تنامي التنسيق والتعاون الصيني – الروسي بشكل أكبر إلى حدود التحالف الاستراتيجي الوثيق، وتزايد نقاط الوفاق والتفاهم بينهما إلى اقصى حدودها خاصة فيما تعلق بالعمل على تغيير هيكل النظام الدولي ومعارضة الوضع القائم ، لأن القوتين الصاعدتين والطامحتين إلى استعادة مكانتهما العالمية تمتلكان مقومات قوة متكاملة، فبينما توجد رؤوس الأموال والتكنولوجيا والخبرة وكبريات الشركات والأيدي العاملة المؤهلة وحتى عالية التقنية في الصين، تتركز الموارد الطاقوية والمعدنية والأسلحة في روسيا، مع تمتعهما بعضوية دائمة في مجلس الأمن، وبقدر من النفوذ ولو كان نسبيا ومتفاوتا في المؤسسات الدولية، مع عملهما معا على خلق وتأسيس هياكل مؤسسية خاصة بهما وبالقوى القريبة منهما، لتتسع لطموحاتها ولتجسيد رؤيتهما لنظام دولي مستقبلي أكثر توازنا وخدمة لمصالحهما.

واستكمالا لما سبق عرضه، تستدعي الضرورة التحليلية البحث في مضامين التحالف الاستراتيجي الصين-روسي استقراء بواعث ومبادرات التعايش بين القوتين، مع الوقوف على حواجز وعوائق البيئتين الداخلية والخارجية المعطلة لترابيتهما في هرمية القطبية الدولية، وصولا إلى مقايضة التحولات الجيوبولتكية في المسرح الجيوسياسي العالمي الجديد.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بوادر نظام عالمي جديد"

المبحث الاول: مقومات التحالف وميكانيزمات الاستقطاب الصين - الروسي وأثره على النسق التفاعلي في البيئة الدولية " المضامين والتوجهات " .

أدت التحولات الدولية التي أعقبت اسدال الستار عن مشهد الثنائية القطبية، إلى بروز الولايات المتحدة الامريكية كقوة مهيمنة على مفاصل النظام الدولي، وما كان لهذا الوضع إن يستمر من دون ممانعة وتعارض من قبل القوى الدولية، إذ سلكت الصين وروسيا اتجاها براغماتيا يولي وافر الاهتمام بمصالحهما الاستراتيجية في مضمار الجيوسياسية العالمية، لتثمر جهود التعاون والتنسيق بين البلدين في نسج علاقات وطيدة توجت بصياغة فكر استراتيجي جديد لمطارحات النظام الدولي، ما مكّنهما من المضي قدما في خلق توازنات إقليمية ودولية تنم عن مكانتهما الوازنة في الهرمية الدولية .

ما جعل الحاجة إلى محاولة رسم معالم مستقبل الشراكة الاستراتيجية بين الصين وروسيا ورهانات تحولها إلى تحالف استراتيجي يساهم في إعادة تشكيل النظام الدولي على نحو مختلف مما هو عليه اليوم، تتراجع بموجبه حدود الهيمنة الأمريكية دون تنازلها عن موقعها الريادي كقوة عظمى حتى في ظل المكاسب التي ستحققها القوى الكبرى المنافسة منفردة كانت أم متحالفة، إلا أن الانزعاج الأمريكي - الغربي من طبيعة وحجم التقارب الصيني - الروسي يزداد بالموازاة مع التطورات الجارية على الأراضي الأوكرانية، ما أسى بها إلى اطلاق تحذيرات صارخة تجاه مخرجات ارتفاع نسق التعاون الروسي الصيني .

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بوادر نظام عالمي جديد"

المطلب الأول: الديناميات الجيوستراتيجية لمسار حركية العلاقات الصينية الروسية (2010-

2023)

تتقاطع الرؤى الصينية الروسية حيال تحقيق تحالف استراتيجي يتجاوز إرهاصات تاريخ العلاقات التنافسية بينهما، التي كانت ومازالت تلجم رهانات الطرفين نحو بناء علاقات استراتيجية تصبوا في أحد أهم أبعادها لصناعة أسس التحالف الاستراتيجي بينهما، لتجاوز المكاسب الثنائية والإقليمية نحو نظيرتها العالمية المرتبطة بالدفع نحو ولادة نظام دولي متعدد الأقطاب، تفتقد فيه القوة العظمى الأمريكية زمام الهيمنة على مسالك النظام.

وشهدت علاقات الطرفين تقلبات عديدة ضمن معادلة التنافس الإقليمي من جهة ومطالب التعاون الحتمي بينهما من جهة ثانية، محركة بذلك دورة التفاعلات بين راديكالية بكين وبرغماتية موسكو في قالب الأيدولوجية الماركسية، لتدشن اتفاقية التعاون وحسن الجوار الخط الافتتاحي الرسمي لمشروع الشراكة الاستراتيجية، المنبئة بنقلة نوعية في التقارب بين الصين وروسيا رغبة في تحقيق أقصى استفادة ممكنة من علاقات الشراكة الاستراتيجية الشاملة في العصر الجديد، في ظل التحدي المتواصل الذي يمثله الغرب بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية للمصالح الجوهرية للدولتين وحلفائهما، وهو ما يطرح معه العديد من السيناريوهات لهذا التقارب تتراوح ما بين تزايد تقارب الدولتين في الولاية الخامسة للرئيس الروسي فلاديمير بوتين و الثالثة لنظيره الصيني شي جي بينغ، توسيعا لخارطة تحالفاتها الإقليمية والدولية وما بين وقوعهم في مصيدة ثيوسيدس¹.

أولاً: المرتكزات السياسية للعلاقات الروسية الصينية

سعت ولا زالت، الصين وروسيا إلى تشكيل تحالف إقليمي ليكون سدا بوجه الاختراق الأمريكي للمنطقة خاصة في المجالات التي كانت تحت سيطرة الاتحاد السوفياتي، وقد دأبت الدولتان إلى تأسيس بعض المنظمات الإقليمية، وتفعيل بعض التحالفات المرنة استنادا إلى المعايير الجيوسياسية التي تحوزانها في رقعة الشطرنج العالمية.

¹ -Otspeich Richard ,Perspectives On The Economic Relations Between China And Russia , **Journal Of Contemporary Asia** ,Vol.36 ,No.1(May 2017),Pp.48-74.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بواذر نظام عالمي جديد"

بدأت أولى حيثيات التقارب الحيوي بين الصين وروسيا في قمة موسكو عام 1997، التي وجه من خلالها الزعيمين "بوريس يلتسن" و"جيانغ زيمين" نداء تاريخيا داعيا فيه إلى إنشاء "عالم متعدد الأقطاب" لمواجهة الهيمنة الأمريكية المتزايدة في النظام الدولي، تمخض عنه إعلان قيام الشراكة الاستراتيجية الروسية الصينية، وإزاء ذلك وضعت أسس مجموعة شنغهاي التي جمعت البلدين بثلاث جمهوريات من آسيا الوسطى هي: طاجكستان، وكازخستان، وقيرغيزستان، وتهدف هذه المنظمة إلى تعزيز التعاون بين الدول الأعضاء وإنهاء صدع المشكلات الحدودية التي خلفتها تركبات الاتحاد السوفياتي، وتقوية الصف الدفاعي لدرء التهديدات والتحديات المشتركة، فضلا عن التعاون الاقتصادي¹.

وفيما تحتاج روسيا إلى مساندة من الصين في موقفها ضد توسع حلف الناتو، فإن الصين هي الأخرى تحتاج إلى تأييد روسيا لموقفها تجاه تايوان التي تشكل عقبة لاكتمال قوتها، وفي سبيل ذلك جنحتا لتفعيل معاهدة التعاون وحسن الجوار والصداقة بين البلدين بصورة نشطة في 22 مارس عام 2002، تاليا ترأست الزيارات الرسمية لقيادات البلدين ونخيم وكانت الزيارة الأخيرة التي قادت الرئيس الروسي فلاديمير بوتين في 17 ماي 2024 عقب تجديد ولايته الانتخابية منعرجا حاسما في علاقات البلدين، إذ تم توقيع مذكرات تفاهم استراتيجية لتوطيد العلاقات العسكرية ومد جسور تبادل الخبرات التكنولوجية في خضم ضبابية المشهد العالمي، باستمرار الحرب الأوكرانية وعودة منافسات القوى الكبرى إلى الفضاء الشرق الاوسط مع رحى الحرب الدائرة في غزة.²

على الصعيد ذاته، كان لصدور البيان المشترك عن الجانبين الروسي والصيني في الفاتح من جوان عام 2005 الأثر الأبرز في توحيد صفهما تجاه عدد من القضايا الدولية، من بينها إصلاح الأمم المتحدة وتكليف العولمة الاقتصادية وتعزيز التعاون شمال جنوب في رحاب المؤسسات الاقتصادية العالمية، وفي تصريح أدلى به الرئيس الروسي فلاديمير بوتين إلى وكالة "شينخوا" في 13 أفريل من عام 2008، أكد "إن إقامة صرح روسي - صيني سيسهم بشكل فعال في تدعيم الشراكة الاستراتيجية بين

¹-Hsu Jing-Yun , Jenn-Jaw Soong ,Development Of China-Russia Relations (1949-2011): Limits, Opportunities, And Economic Ties,**The Chinese Economy**,Vol. 47 ,No.3(December 2014),Pp.70-87.

² -Li Chenghong , Limited Defensive Strategic Partnership: Sino-Russian Rapprochement And The Driving Forces ,**Journal Of Contemporary China** ,Vol.16 ,No52(July 2013) ,Pp.477-497

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بوادر نظام عالمي جديد"

الدولتين بما يحقق المصالح الجوهرية الاقتصادية والتجارية المتبادلة، دفعا لأي تهديد مشترك قد يطل الأمن الإقليمي والدولي¹.

وفي مقايضات البيئة الدولية تتباين المدركات الاستراتيجية للفواعل الكبرى تجاه المتغيرات الطارئة ما نما ديناميكيات التقارب والتلاحم الصيني - الروسي في أجل صوره، لا سيما في مجالات تعميق السياسة المشتركة للدولتين، تعزيزا للشراكة الميدانية في المجالات الاقتصادية والطاقوية، وتوسيع التبادلات الثنائية في القضايا الإنسانية مع تعميق الفهم والصداقة، ودعم الجهود بخصوص السلام ومشاريع التنمية المستدامة، في 15 من جانفي عام 2009، عقدت "لجنة الصداقة والسلام والتنمية الصينية الروسية" احتفالية بمضي اثني عشر سنة في دفع تنمية "الشراكة الاستراتيجية" السلسلة بين القطبين، وفي رسالة مؤرخة في 29 أوت عام 2010 موجهة إلى الأمين العام للأمم المتحدة أنداك "إيفانوفيتش فورونكوف"، والممثلين الدائمين للاتحاد الروسي وجمهورية الصين الشعبية بشأن تعميق جذور الشراكة والتعاون الاستراتيجي وشملت كل ما من شأنه تعزيز السلام والأمن الدوليين ومناصرة القضايا المشتركة².

ومن جانب آخر، تلتقي مصلحة الصين مع روسيا في مواجهة السياسة الأمريكية الرامية إلى نشر الديمقراطية وتعزيز حقوق الآن سان في جوارهما الإقليمي، وقلب الأنظمة المعارضة لسياساتها، وتقف الصين وروسيا اليوم وقفة رجل واحد للجم سياسات واشنطن الإمبريالية - وفق زعمهم - وخير مثال على ذلك استعمال حق النقض المزدوج لكل من موسكو وبكين 12 مرة عام 2011، ومرتين متتاليتين عام 2012، منعا لأي قرار تشجعي للجوء إلى الحل العسكري في سوريا، مؤيدتان التزامهما باحترام الشأن الداخلي للدول، كما استعمل فيتو صيني روسي في 4 فيفري من عام 2014 م، لمنع إحالة الملف السوري إلى المحكمة الجنائية الدولية، فضلا عن توحيد رؤيتهما في العديد من الملفات

¹ - Peter Dickinson, The 2008 Russo-Georgian War: Putin's Green Light, At: <https://www.atlanticcouncil.org/blogs/ukrainealert/the-2008-russo-georgian-war-putins-green-light/> , Accessed On (12-05-2024) (14:20).

² -Acobsen Carl, Russia-China: The New Strategic Partnership, **European Security** (October2017), Vol.7, No.4, Pp.1-11.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بوادر نظام عالمي جديد"

الدولية من بينها الملف النووي الإيراني والكوري، ما جعل من جهودهم المستميتة بقبة الأمم المتحدة عاملا مهما لتحقيق عدالة دولية لقوى الشرق¹.

وفي 7 جوان من عام 2015 صرح الرئيس الصين شي جي بينغ " أن العلاقات الروسية الصينية على مستوى عال غير مسبوق من التعاون والتآزر لتكريس الاستقرار العالمي "، مضيفا " أن روسيا دعمت جهود الصين بقوة لدعم مصالحها الجوهرية، في إطار مبادرة الحزام والطريق الاقتصادي "، ومن جهته أعرب الرئيس الروسي فلاديمير بوتين عن تعزيز وتوثيق الجهود المتضافرة مع الصين في تفاعلات البيئة الدولية تصديا للنواقض والنواكص التي تواجه تطور البلدين وتعطل مسار السلام العالمي، وفي 25 جويلية من عام 2017 اتفق رئيسا البلدين على تمتين شريان الشراكة الاستراتيجية الشاملة، بتوطيد الثقة السياسية المتبادلة نظرا لحجم النفوذ الاقتصادي الذي منيتا به، ما عزى بهما توسيع أفق مصالحها المشتركة المقتضية لرسم جغرافية دبلوماسية صلبة².

من زاوية النظر نفسها، تؤكد التحالف الروسي - الصيني من خلال زيارة ثانية قادة بوتين إلى ديار الصين في 21 من مارس عام 2018، حيث أكد زعيما البلدين على ارادتهما في الحفاظ على قدرتهما التأثيرية في الساحة الدولية، ضمن مختلف الدوائر الجيوسياسية، لوضع حد سيطرة القطب الواحد، وإمعانا لرغبتهما في تشكيل توليفة جديدة من التحالفات الاستراتيجية، وتدلي شواهد القرن الحادي والعشرين بدلوها في إقرار شبكية العلاقات السلمية والمستقرة التي صاغها الطرفان، إذ توجهت روسيا إلى الاعتراف بالصين الواحدة، بالمقابل امتنعت الصين عن إدانة روسيا في حربها على أوكرانيا، وجسدت ظهيرها الشرقي الأقوى، وعززت روسيا من انفتاحها على الصين باعتبارها الفاعل الأساسي في الإقليم الآسيوي، ما سيمكن روسيا من إدراك حلمها الجيوبولتيكي بالتربع على الفضاء الأوراس، استذكاراً لأمجاد الإمبراطورية الروسية القيصرية، واتكأت الصين على حليفها الروسية في عصرنة منظومتها الدفاعية، للانخراط في منافسة ضارية مع الولايات الأمريكية وحلفائها في بحر الصين الجنوبي والشرقي³.

¹ -Wilkins Thomas,Russo-Chinese Strategic Partnership: A New Form Of Security Cooperation?, **Contemporary Security Policy**,Vol. 29 ,No.2(Septembre 2018),Pp.358-383.

² Gilbert Rozman, Sino-Russian Relations: Will The Strategic Partnership Endure?' Demokratizatsiya, Vol. 6, No. 2 (Spring 1998), P. 396.

³ -Menon Rajan,The Limits Of Chinese-Russian Partnership,**Survival** ,Vol.51,No.3(March2021),Pp.99-130.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بؤادر نظام عالمي جديد"

يتضح مما سبق، المسعى التعديلي الذي تخوضه الصين وروسيا لإعادة بعث أدوارها الاستراتيجية في أروقة الهيئات والمؤسسات الإقليمية والدولية، ما استدعى تحوطهما الاستراتيجي في كتلة مناوئة للجهة الأطلسية، عاقدتين العزم على استرجاع مكانتهما المحجوبة في مجرى العلاقات الدولية.

ثانيا: المرتكزات الاقتصادية

إن الأهداف والمصالح المشتركة المتبادلة بين روسيا والصين دفعت كل منها إلى تطوير وتعزيز علاقتها مع الأخرى، لا سيما أن اقتصاد كل منهما يتسم بالتكامل مع اقتصاد الآخر، هذا ما يتطلب توافر الجهود لتكريس تعاون اقتصادي شامل، وتعد روسيا شريكا تجاريا قويا للصين. حيث ازداد ارتباط الصين بموارد الطاقة الروسية، كما نما الارتباط الروسي بالاستثمارات والتكنولوجيا الصينية.

وأسهم انضمام الصين لمنظمة التجارة العالمية أواخر عام 2001 في تنشيط حركة التبادل التجاري بين روسيا والصين، وتضاعف حجم التبادل التجاري بشكل مطرد في الأعوام الأخيرة ليبلغ 60 مليار دولار في الربع الأخير من سنة 2023، وعملت روسيا على جذب الاستثمارات الصينية إليها عبر خلق مناخ استثماري ملائم في القطب المتجمد الشمالي، وشكلت الطاقة العماد الرصين في مد أسس الشراكة الاقتصادية بين الطرفين، إذ تزود روسيا الصين بنحو 45 بالمائة من احتياجاتها الطاقوية عبر خط أنابيب (power of siberia) وهذا يعوض جزئيا عن حجم مبيعات روسيا من النفط والغاز إلى دول الاتحاد الأوروبي التي خسرتها منذ سنة 2022 م، ما يجعل العجلة الصناعية في بكين عالقة بسنداس موسكو¹.

وتجدر الإشارة إلى أن التعاون الصيني الروسي في شقه الاقتصادي يحمل دلالات عدة في ثناياه، لا سيما أن اجتماعهم في مجموعة البريكس، يتوخى جملة من الأهداف المشتركة على رأسها:

✓ رفض القطبية الأحادية في طورها الليبرالي المقنّع بالإمبريالية.

✓ إزاحة القوى الغربية عن أجهزة النظام الاقتصادي العالمي، وتكثيف دعوتها مع قوى الجنوب لإنشاء حكومة اقتصادية عالمية، تفودان فيها قاطرة الإدارة.

¹ -Ianmin Li, Contemporary Russia's Economic Transition And Development And China-Russia Economic And Trade Cooperation, **Social Sciences In China**, Vol. 42, No.4 (December 2021), Pp.158-178.

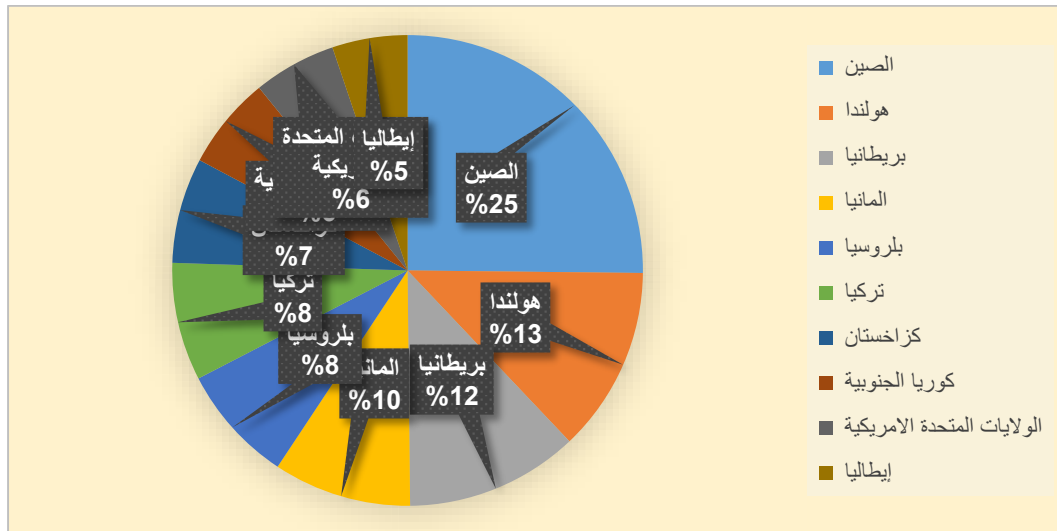
الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بوادر نظام عالمي جديد"

✓ الاستثمار في التكنولوجيا العسكرية للحفاظ على مصالحهما الاستراتيجية في السياق القطري والإقليمي والدولي.

✓ العمل الدؤوب على تأسيس قاعدة استثمارية وتجارية مشتركة¹.

تعمل كل من الصين وروسيا على تطوير منظمة البريكس من خلال الاهتمام بكافة القضايا من الأمن والطاقة والغذاء والتغير المناخي، ومشكلات التنمية فضلا عن معضلة الإرهاب العابر، وقد أضحت الصين اليوم واحدة من أقوى الاقتصادات العالمية، حيث أشارت توقعات صندوق النقد الدولي استمرار النمو الاقتصادي الصيني بخطى ثابتة بزيادة سنوية قدرها 6.2% أي ما يقارب 7 تريليون دولار، وأحسنّت موسكو هي الأخرى في تأسيس قاعدة اقتصادية متينة تعتمد في أصلها على قطاعي تصدير الطاقة والأسلحة، وما يربك صانع القرار في الكونغرس الأمريكي هو تحول القوة الاقتصادية من الأطلسية إلى الباسفكية في ظل المساعي التي تبديها قوى الشرق في سبيل كسر الدولة²

الشكل رقم (17): دائرة نسبية توضح أكبر عشر شركاء تجاريين لروسيا لعام 2023



المصدر: من اعداد الطالب بالاعتماد على

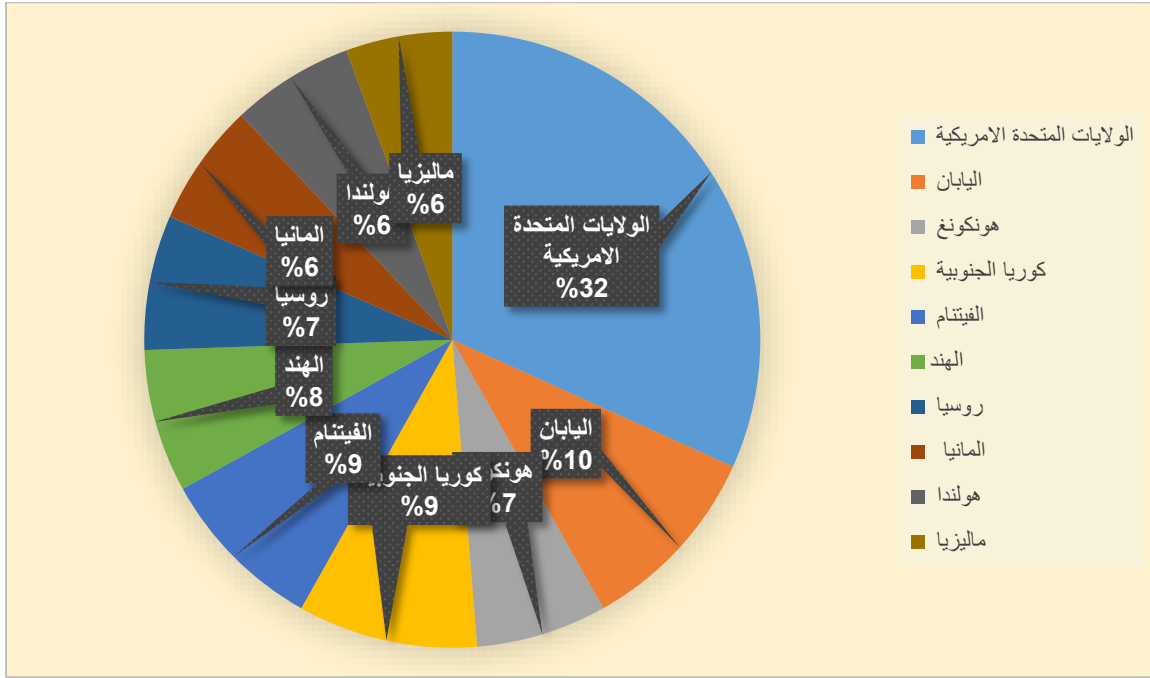
<https://www.worldstopexports.com/russias-top-10-imports>

¹ -ibid, p.172.

² - Philip Wang, China Sees Biggest Trade Increase With Russia In 2023, Chinese Customs Data Shows, At: [China sees biggest trade increase with Russia in 2023, Chinese customs data shows | CNN Business](https://www.cnn.com/2024/05/05/05-2024/10:24), Accessed On (13-05-2024) (10:24).

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بوادر نظام عالمي جديد"

الشكل رقم (18): دائرة نسبية توضح أكبر عشر شركاء تجارين للصين لسنة 2023 م



المصدر: من اعداد الطالب بالاعتماد على

[/https://www.worldstopexports.com/chinas-top-import-partners](https://www.worldstopexports.com/chinas-top-import-partners)

بناء على الشكليين رقم (16) و (17)، تعبر النسب والأرقام عن الاعتمادية المتبادلة بين الصين وروسيا، إذ تحضر الصين على رأس أكبر الشركاء التجاريين لروسيا بنسبة بلغت 25 % من حجم صادراتها الخارجية، لا سيما بعد حربها على أوكرانيا حيث يعد قطاعي المحروقات والسلاح من أهم مجالات التبادل التجاري بين البلدين، وتعتلي موسكو مركز سابع شريك اقتصادي لبكين، لاسيما في إطار تعاونهما الثنائي في منظمتي البريكس وشنغهاي، للدفع بعملية بلورة صرح اقتصادي أوراسي يمكن لهم الدور والمكانة في هرمية النظام الدولي.

ومن الجدير بالذكر، أن من أهم دوافع التقارب الصيني – الروسي في الشق الاقتصادي، يعود للضغوطات الأمريكية على عجلة البناء والتقدم الصيني، التي بدأت أولى ملامحها مع الحرب التجارية التي أعلنها الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب للحد من العجز التجاري الأمريكي، ما أثر بشكل سلبي على موازنات التجارة الدولية ومعدلات التصنيع وتدفقات رؤوس الأموال والاستثمار الأجنبي المباشر، كما إن روسيا هي الأخرى لم تسلم من العقوبات الاقتصادية الدولية التي فرضت عليها من قبل 35

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بواذر نظام عالمي جديد"

دولة من حول العالم، بعد إقدامها على غزو أوكرانيا، وتنوعت القصاصات ما بين حظر الصادرات النفطية وتكبير القطاع المصرفي، وحضر الطيران، ومنع شركات الدول الكبرى من التعامل مع السوق الروسية، وصولاً إلى مصادرة أملاك الأوليغارشية الروسية، وفرض عقوبات مباشرة على المليارديرات والنواب والدائرة المحيطة بالكرملين، وكان السبيل الأنجع في ضوضاء هذه التطورات هو التكتل الاقتصادي والدعم الثنائي المتبادل بين موسكو وبكين لكسر العقوبات الجائرة بحقهما¹.

شكّل التخلي التدريجي عن التعامل بالدولار بروز معالم التعاون الاقتصادي والتجاري بين روسيا والصين خلال العام المنصرم، وحقق البلدان خطوات ملموسة باتجاه تقريب توجهاتهما صوب ما يمكن نعته بـ "التحالف المالي"، ووفقاً لرئيس الوزراء الروسي "ميخائيل ميشوستن" حولت روسيا والصين خلال 2023 أكثر من 90 % من التجارة إلى اليوان والروبل، ورغم إن الاتجاه نحو تقليل روسيا الاعتماد على "ملك العملات" بدأ بعد أزمة 2008، عندما أظهر النظام المالي الأحادي القطب نقاط ضعف وألحق الضرر بالتجارة والإنتاج وتشغيل العمالة²، ومع اشتداد خناق العقوبات الغربية ضد موسكو، شرعت الأخيرة عملية الغاء "الدولرة" في سياق ربط الدولة بين القوة المالية والقوة الجيوسياسية، وعلى قاعدة أن محاولات التنمية وتقوية الجيش وتطور التقنية، والحفاظ على قوة عاملة منتجة يتطلب وجود قاعدة اقتصادية متينة، وأمام هذا الواقع جرت نقاشات جادة بين الصين وروسيا بالفعل لدمج أنظمتها المالية، حيث أكدت موسكو لبكين أنها مستعدة لاستخدام اليوان في احتياطاتها من النقد الأجنبي لتسريع العملية، وتكشف البيانات الرسمية الروسية عن نقلة نوعية في التبادل التجاري بين البلدين المرفق بتبادل عملاتهما الوطنية، مع ارتفاع حجم التجارة الثنائية بين البلدين ليلبلغ 218 مليار دولار أواخر العام المنصرم³.

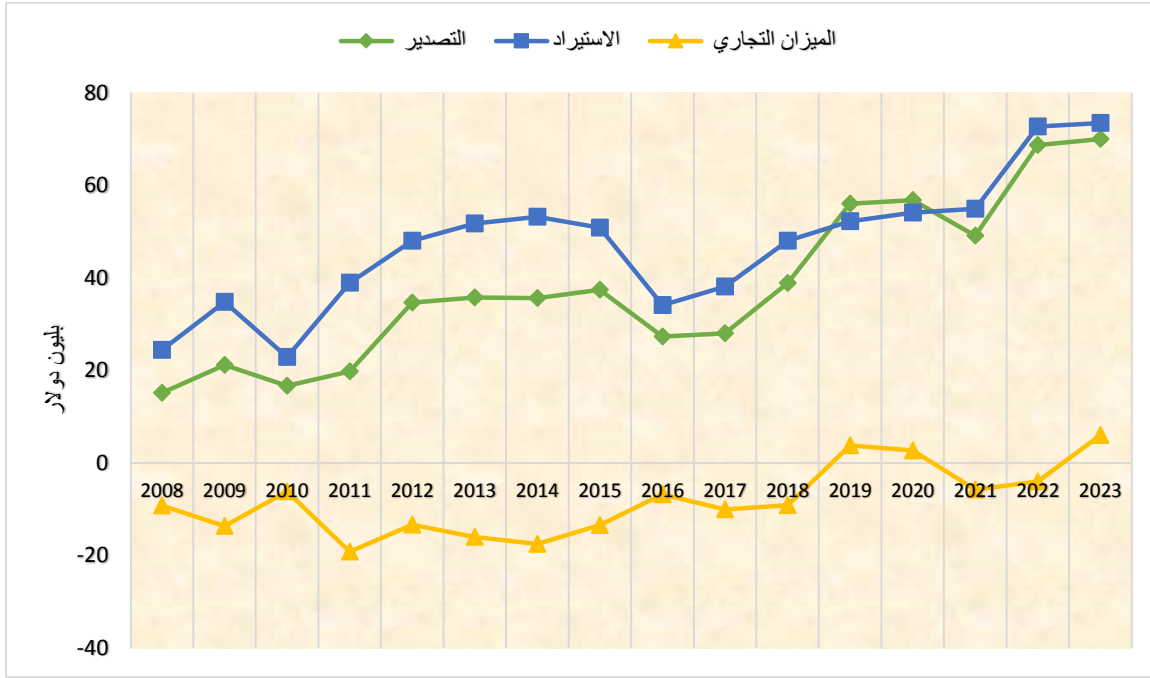
¹ -Rochlitz Michael, Vera Kulpina, Thomas Remington, Performance Incentives And Economic Growth: Regional Officials In Russia And China, **Eurasian Geography And Economics**, Vol. 56 ,No.4(October2023),Pp.421–445.

² -Åslund Anders, Penelope B. Prime, Economic Transformation In Russia And China: Two Comments On A Comparison, **Eurasian Geography And Economics**, Vol. 49,No 4(May 2023),Pp.445–456

³ -ibid, p.451.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بواذر نظام عالمي جديد"

الشكل رقم (19): تمثيل بياني يوضح قيمة المبادلات التجارية الروسية (التصدير-الاستيراد – الميزان التجاري) مع الصين من 2008 م إلى 2023 .



المصدر: من إعداد الطالب بالاعتماد على

<https://www.statista.com/statistics/1003171/russia-value-of-trade-in-goods-/with-china>

تظهر أرقام المخطط المائل أعلاه، حجم المبادلات التجارية بين روسيا والصين في العقد الأخير والتي شهدت نموًا طرديًا، بعد أن خطت زعامة البلدين خطوات متقدمة في دعم المشاريع الاستثمارية، وخفض الحواجز البيروقراطية، ما ضاعف حجم التجارة الثنائية بينهما، لا سيما في ظل العقوبات الغربية على موسكو التي دفعت بها إلى التعاون الوثيق مع بكين، لتحويل معظم المدفوعات المتبادلة إلى الروبل و اليوان وبذلك تعافى الميزان التجاري للتبادل السلعي بين البلدين، بعد أن شهد لسنوات مؤشرات سلبية مسجلة قفزة نوعية بلغ بها معدله 7.2 بليون دولار، كما سجلت عمليتي الاستيراد والتصدير انتعاشًا ملحوظًا في السنة الفارطة .

ولا تزال العلاقات الاقتصادية الصينية – الروسية، تشكل بوابة واعدة لتقوية العلاقات والاستثمارات المشتركة لاسيما في القطاع النفطي وقطاع الطاقة بشكل عام، باعتبار هذا الأخير عامل

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بوادر نظام عالمي جديد"

مؤثر في رسم الاستراتيجيات العالمية للدول الكبرى، ولم يكن هناك سلاح أقوى من سلاح النفط منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية في اشعال لهيب الصراعات والمنازعات الدولية، ومع توالي الحروب في منطقة الشرق الأوسط، اتجهت الأبصار صوب نفط بحر الشمال، الأمر الذي أتاح لروسيا الغنية بمواردها النفطية، فرصة ممارسة دبلوماسية النفط داخل دائرة يتسع نطاقها لتشمل اليابان، كوريا الجنوبية شرقا، والصين جنوبا، والاتحاد الأوروبي غربا، وهي في هذا كله تسعى لتحقيق أقصى حد ممكن من مصالحها الذاتية، هذا التوجه لا يمكن لأحد أن ينكره على روسيا فيما يبقى على الصين أن تعييه جيدا لاستحالة تغييره وتعامل معه بما لا يناقض مصالحها¹.

ثالثا: المرتكزات العسكرية

يعد التعاون في المجال العسكري بين الصين وروسيا ذا أهمية كبرى، إذ تستورد الصين كميات كبيرة من الاعتدة والمساعدات التقنية والمهارات من المصانع العسكرية في روسيا، وتوج هذا المسار التعاوني بصفقات استراتيجية وعقود طويلة الأمد.

في المستهل، وحتى فترة الثمانينات كانت المبيعات الروسية العسكرية للصين تكاد لا تذكر لصغر حجمها، أما اليوم، فتعد الصين المستورد الأول لصادرات الأسلحة الروسية والتي تستأثر لوحدها بحوالي 45 % من صادرات السلاح الروسي إلى الخارج، ومنذ انهيار الاتحاد السوفياتي، قامت الصين بصرف مليارات الدولارات لشراء الطائرات نفثة، صواريخ، غواصات، وكاسحات الغام من روسيا، ففي عهد بوريس يلتسن، اعتمد الكرملين تصدير الأسلحة الروسية إلى الصين كأساس ثابت في سياسة تصدير السلاح، ووفقا للتقديرات المتوافرة كانت مشتريات الصين من السلاح الروسي تتراوح بين مليار والمليارين دولار سنويا من عام 1992 وحتى عام 1999، لترتفع أرقام المبيعات الروسية من السلاح إلى الصين بعد وصول الرئيس فلاديمير بوتين إلى سدة الرئاسة عام 2000 م، بتوقيعه اتفاق استراتيجي حول التعاون التكنولوجي المتعلق بالقضايا العسكرية كجزء من الخطة المشتركة لتعميق العلاقات الاستراتيجية الصينية – الروسية والشراكة والتعاون وتنميتها².

¹ -Lei Yu, Sophia Sui, China–Russia Strategic Partnership And The Oil And Gas Collaboration, **Innovation: The European Journal Of Social Science Research**, Vol.2, No.1 (December2023), Pp. 1–20.

² -Béraud-Sudreau, Lucie, Meia Nouwens ,Weighing Giants: Taking Stock Of The Expansion Of China's Defence Industry, **Defense And Peace Economics**, Vol. 32, No.2 (Jun 2019), Pp.151–177.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بوادر نظام عالمي جديد"

بطبيعة الحال، تستفيد روسيا كثيرا من الطلب الصيني على الأسلحة والتكنولوجيا الروسية، ولكن الصين مستفيدة وبشكل أكبر أيضا، وذلك من خلال حصولها على التقنيات العسكرية الروسية المتطورة والتي تفتقد إليها، خاصة فيما تعلق بالغواصات والمدمرات والأسلحة الدقيقة، فعملت الصين خلال السنوات الأخيرة على تنمية طائراتها ومطاراتها وبحريتها وقدراتها الحربية والعسكرية وتطويرها بشكل كبير، ما جعل من موسكو القاعدة اللوجستية لحاجيات الصين العسكرية، وهو ما سيخل بميزان القوى في شرق آسيا¹.

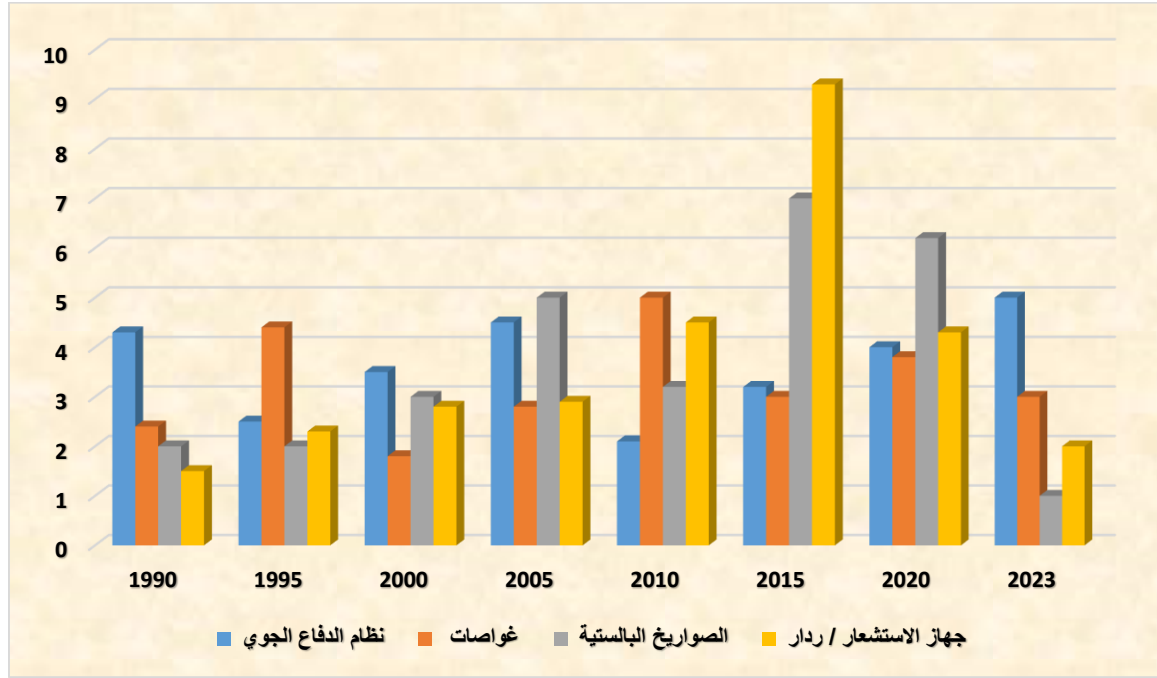
وفيما يخص التنسيق في المجالات الأمنية يسعى التحالف الاستراتيجي بين روسيا والصين، إلى إنشاء منظومة دولية جديدة قائمة على أساس التعايش السلمي، واحترام مصالح الدول كافة، والحيلولة دون استمرار نظام دولي تهيمن عليه الولايات المتحدة الأمريكية، وبالتنوع والعمل المتبادل في الإطار الأمني والتعاون بين الطرفين، إذ أوجدت رغبة شديدة في إقامة توازن استراتيجي يوازي سياسة حلف الشمال الأطلسي التي تهدف إلى التمدد شرق أوروبا من ناحية روسيا، وتوسيع نشاط الحلف إلى خارج القارة الأوروبية خاصة في منطقة حوض المحيط الهادئ، ومن هنا جاء التفاهم الروسي - الصيني ليشمل القضايا الاستراتيجية ذات الاهتمام المشترك، وإحترام كل منهما مصالح الشريك الآخر ومناطق نفوذه، فالرؤية الصينية للتقارب مع روسيا ستحقق أهدافها المتمثلة في خلق بيئة أمنية آمنة عبر تأمين الحدود وحل المشاكل الحدودية في إطار إقليمي عبر آليتي التفاوض والحوار².

¹ -Korolev Alexander, On The Verge Of An Alliance: Contemporary China-Russia Military Cooperation , **Asian Security** ,Vol. 15,No.3(April 2018) ,Pp.233-252.

² -Watts John, Sofia Lekberg, Kjell Engelbrekt , Brothers In Arms, Yet Again? Twenty-First Century Sino-Russian Strategic Collaboration In The Realm Of Defence And Security, *Defence Studies*, Vol.16, No.4 (September 2020),Pp.427-49.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بواذر نظام عالمي جديد"

الشكل رقم (20): تمثيل بياني يوضح الطلب الصيني على المعدات العسكرية الروسية من 1990 إلى 2023



المصدر من إعداد الطالب بالاعتماد على:

<https://www.csis.org/analysis/changing-nature-and-implications-russian-military-transfers-china>

تنم المعطيات الإحصائية للشكل البياني رقم (19)، الموضح لحجم الطلب الصيني على سوق السلاح الروسي خلال العقود الثلاث الأخيرة، درجة الاعتمادية الصينية على الصناعات العسكرية الروسية في تحديث منظومتها الدفاعية فأنت معظم اقتناءها على نظم الدفاع الجوي والغواصات والصواريخ الباليستية متوسطة وبعيدة المدى، كما كان لها الاستفادة الحية من برامج الاستشعار والرادار الروسية عالية الجودة، وبعد أن نجحت بكين على مدار السنوات التالية، في الحصول على أهم هذه المنتجات العسكرية وهندستها عسكرياً وتصنيع نسخ منها، لم تعد في مرحلة الاستغناء عن واردات السلاح الروسية، لكنها باتت اليوم تنافس روسيا في أسواق السلاح الدولية، بل أضحت مورداً للجيش الروسي نفسه في ظل احتياجاته المتزايدة التي فرضتها الحرب في أوكرانيا.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بواذر نظام عالمي جديد"

ويشير التعاون العسكري بين روسيا والصين قلق وزارة الدفاع الامريكية وحلفاء واشنطن، فعلى مدار عامي الحرب الروسية الأوكرانية لم يتوقف الدعم الصيني لآلة الحرب الروسية، وتطورت العلاقات العسكرية بين البلدين لتشمل تدريبات مشتركة أوثق والتعاون في مجال الدفاع الصاروخي، كما تشارك القوات في التدريبات الاستراتيجية الوطنية لكل منهما وتجريان تدريبات بحرية منتظمة ودوريات قاذفات استراتيجية مشتركة، ويشير المحللون أنه في حال إذا ما قامت موسكو وبكين بدمج أنظمة الدفاع الصاروخي الخاصة بهما، فإن أجهزة الاستشعار الموجودة في الأراضي الشمالية الروسية يمكن أن تعطي الصين تحذيرا مبكرا من الصواريخ الباليستية الأمريكية العابرة للقارات، وهذا ما من شأنه أن يمثل تحولا عن استراتيجيتهما المتمثلة في استخدام السلاح النووي فقط للانتقام من الضربة الأولى¹.

تبعاً لما سلف ذكره، تنطلق مساعي الدولتين الهادفة لبناء استراتيجية جديدة تنسجم مع تطلعاتها الإقليمية والدولية، لدق آخر مسمار في نعش واشنطن، وكان الهدف الأساسي من دبلوماسية الشراكة بين الصين وروسيا هو التقليل من الشكوك وبناء الثقة المتبادلة، وتتجه أنظار العالم اليوم إلى الفضاء الباسفيكي أين تدك معاقل تنافس استراتيجي بين قوى الشرق الممثلة في موسكو وبكين في صدى الولايات المتحدة الأمريكية، لحسم منافسات القوى العظمى التي توشي بتأرجح كفة القوة إلى الشرق في خضم توان الغرب وتقايسه.

¹ -He Qisong "China-Russia Technology Cooperation In Space: Mutually Needed Or Mutually Exclusive? ,The Pacific Review, Vol. 36 ,No.4(March 2022),Pp.897-926

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بواذر نظام عالمي جديد"

المطلب الثاني: دوافع ومرتكزات التحولات الاستراتيجية الصين – الروسي لإعادة تشكيل بنية النظام الدولي

توجّ التحسن المستمر في العلاقات بين الفدرالية الروسية وجمهورية الصين الشعبية، بعدة اتفاقيات ووثائق للتعاون الثنائي، ولكن إعلان الدولتين عن إنشاء " شراكة استراتيجية مؤسسة على المساواة والثقة للقرن الحادي والعشرين، بينهما على هامش المفاوضات التي كانت سارية في سنة 1996 لحل الخلافات الحدودية بينهما، كنن الأكثر أهمية من حيث مضامينه الاستراتيجية على الدولتين وعلى القوة العظمى والنظام العالمي ككل.

وأصبحت هذه الشراكة موضوعا مركزيا لتحليلات وتصريحات المسؤولين في المثلث الاستراتيجي (الولايات المتحدة الأمريكية، الصين وروسيا)، وكل المهتمين بعلاقات القوى الكبرى ومسارات تطورها وتأثيرها على بنية النظام العالمي، ومعظم تلك التحليلات ربطت أهمية هذه الشراكة بسياقها الدولي، وحاولت تحديد طبيعتها وأهدافها من خلال الربط بين الخلفيات النظرية ومحتوى تلك الشراكة¹.

من ناحية السياق، فإن توقيت الإعلان عن هذه الشراكة له دلالات متعددة وواضحة حول طبيعة الشراكة وهدفها، فالدولتين كانتا متحفظتين من توطيد الهيمنة الأمريكية وتفوقها العالمي، كما أن علاقتهما بالدول الغربية كانت مطبوعة بخلافات متعددة، فالصين كانت خاضعة للعقوبات التي فرضتها عليها الدول الغربية إثر إحداث " الميدان السماوي " 1989، وروسيا كانت على وشك التراجع عن برنامج الشراكة الاستراتيجية مع الدول الغربية، مدعية أن هذه الأخيرة تتعمد تأخير عملية إدماجها في المجموعة الدولية، وعدم معاملتها على أساس المساواة، والتقليل من احترام مصالحها عند التعاطي مع الشؤون الدولية².

فإذا ما استندنا فقط على السياق المذكور، سنفهم مباشرة إن الشراكة الصينية – الروسية تستهدف الحفاظ على مصالح الدولتين، ومقاومة السياسات الغربية والأمريكية التي تستهدف إضعاف الدولتين، ولكن السياق وحده لا يكفي لإعطاء تحليل دقيق لطبيعة الشراكة ومبادئها وأهدافها

¹ -Bossuyt Fabienne, Marcin Kaczmarek, Russia And China Between Cooperation And Competition At The Regional And Global Level :Introduction, **Eurasian Geography And Economics**, Vol. 62,No5-6(January 2022),Pp.539–556.

² -Ferguson Chaka, The Strategic Use Of Soft Balancing: The Normative Dimensions Of The Chinese–Russian Strategic Partnership ,**Journal Of Strategic Studies** ,Vol.35,No.2 (January 2012),Pp.197–222.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بوادر نظام عالمي جديد"

الحقيقية، إذ لا تخلو مثل هذه المواقف من الصدف، ولذلك يكون العرض المفصل لعناصر الشراكة وتحليلها خطوة أساسية لتحديد مدى عمق وجدية التقدم في مسار تحسن العلاقات الصينية – الروسية، وما إذا كانت موجهة نحو مقاومة السياسات الاحتوائية في الفضاءين الآسيوي والاوروبي وفي العالم بأسره¹.

حدد رئيسا الدولتين تسعة مبادئ تحكم الشراكة الاستراتيجية، هذه المبادئ سيتم تحليلها لمعرفة طبيعة الشراكة وأهدافها الحقيقية التي قد تختلف عن الأهداف المصرح بها، حيث أن التصريحات الرسمية غالبا ما تكون مظللة وموجهة لأغراض دبلوماسية ودعائية.

- مسار جعل العلاقات الدولية متعددة الأقطاب يعتمد على تكوين نظام جديد للتوازن، والاستقرار والديموقراطية وغياب المواجهة.
- القرن الحادي والعشرين ينبغي أن يصبح عصرا تتطور فيه الحضارات وتقاليد كل الدول التي تتضمن عناصر من طبيعة متنوعة جنبا إلى جنب.
- العولمة الاقتصادية والإقليمية من عوامل المحددة للوضعية الاقتصادية العالمية.
- الأمم المتحدة تلعب دورا مركزيا في النظام الدولي، دعمها وتقويتها يمثل جانبا مهما في الاستراتيجية الصينية – الروسية للسياسة الخارجية².
- إنه من الضروري خلق ظروف تضمن مستقبلا ألا تقوم القوى الرئيسية بمد تحالفاتها العسكرية والاقتصادية، ولا إنشاء أخرى جديدة، ولا تتورط في مواجهات أو انسداد في علاقاتها، وأن تتخلى عن نواياها في توسيع مناطق نفوذها.
- من أجل مواصلة مسار نزع التسليح النووي، الاتفاقية التي تحضر الأنظمة الدفاعية المضادة للصواريخ تبقى المفتاح للحفاظ على التوازن الاستراتيجي.

¹ -Bernerd Orr,Guy Faulconbridge ,Andrew Osborn, Putin And Xi Pledge A New Era And Condemn The United States,At: <https://www.reuters.com/world/putin-visit-chinas-xi-deepen-strategic-partnership-2024-05-15/>,accessed on (15-05-2024)(9:11).

² -Kevin Modlin , Zenel Garcia, How Committed Are China And Russia To Their Strategic Partnership?,At: <https://thediplomat.com/2022/11/how-committed-are-china-and-russia-to-their-strategic-partnership/> ,Accessed On (15-05-2024)(12:16)

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بواذر نظام عالمي جديد"

- الرعاية التامة لاقتصاد الدول السائرة في طريق النمو، ودعم دورها في الساحة الدولية مهم للغاية بغية ترقية أمن ورفاهية الإنسانية.
 - على الطريق المتعرج لإنشاء نظام دولي عادل وجدير بالثقة، من الضروري اجتياز سلسلة التحديات التي تعيق هذا المسار.
 - من الضروري تحسين آليات الحوار الموجودة على كل المستويات، وخصوصا على مستوى القمة، لتطوير الشراكة التعاونية الاستراتيجية الصينية – الروسية¹.
- ويبدو جليا، من خلال تحليل سطحي للمبادئ السابقة أن الدولتين غير راضيتين على الوضع الدولي الحالي، لا من ناحية القواعد الدولية، ولا من ناحية الممارسات خصوصا تلك العائدة إلى القوة العظمى، التي تتجاهل مصالح الدولتين وتحاول فرض قيمها وثقافتها الخاصة على ربوع العالم، ولا تحترم المرجعيات والأطر الدولية المتفق عليها وفي مقدمتها الأمم المتحدة، ما يجعل التعاون والتنسيق بين موسكو وبكين مدعوما بعوامل عديدة تبعا لما تبتغيانه².

أولا: عوامل التقارب الصيني – الروسي

كإن وراء التقارب الروسي – الصيني في السنوات الأخيرة والذي توج بعقد شراكة استراتيجية بينهما، دوافع عديدة بعضها تشترك فيه الدولتين والبعض الآخر يختلف من دولة إلى أخرى.

1. نشوء قيم مشتركة

بعد إنهيار جدار برلين وزوال الاتحاد السوفياتي أصبح بإمكان روسيا والصين أن تعملتا على تدفئة علاقتهما، وقد تحررتا من العقبات العسكرية والأيدولوجية التي غص عليهما منذ تصدع العلاقات الروسية الصينية في أواخر الخمسينيات.

وبإنفراد الولايات المتحدة الأمريكية كقوة عظمى وحيدة وممارستها الأحادية، أخذت بعض القيم والقواعد الدولية في التراجع مقابل ظهور أخرى تركز هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على الساحة

¹ -Kurylo Benjamin, The Limits Of The 'No Limits' Russian-Chinese Partnership: The Case Of Africa, **South African Journal Of International Affairs**, Vol.1, No.29 (May 2024), Pp.39-58.16

² -Ambrosio Thomas, Carson Schram, Preston Heopfner, The American Securitization Of China And Russia: U.S Geopolitical Culture And Declining Unipolarity, **Eurasian Geography And Economics**, Vol. 61, No.2 (December 2019), Pp.162-194.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بوادر نظام عالمي جديد"

الدولية، وهذه الأخيرة لا تخدم مصالح كل من الصين وروسيا، فأخذت الدولتان على عاتقهما الدفاع عن بعض تلك القيم الأخذة في التراجع، وخلق أخرى أكثر تناسبا مع مصالحها الخاصة¹.

فقد بدأت كل من الصين وروسيا تعطيان أهمية كبيرة لبعض القيم مثل السيادة القومية، الاستقلال، مقاومة التدخل الخارجي (مبدأ عدم التدخل في الشؤون الخارجية)، فالتقارب السياسي الصيني - الروسي ليس فقط بسبب الانسجام المتزايد في المصالح الأمنية والاقتصادية بين الدولتين، ولكن أيضا لأن كل منهما تواجه ضغوطا من الغرب حول قضايا الديمقراطية، تحرير الاقتصاد، حرية وسائل الاعلام والحريات الدينية².

وقد أصبحت روسيا أكثر تحديا للانتقادات الغربية، كما أن الصين تتجه أكثر فأكثر نحو السوق الحرة، ولكن ليس بالضرورة نحو الديمقراطية، وهذا ما يعني وجود قدر من التشبه في طريقة التعامل مع القيم الغربية وبناء القدرة الذاتية نتيجة تأثير بعض الروس بالنجاح الذي حققه التجربة الصينية حتى الآن على الأقل.

ورغم عدم وجود تشابه تام بين النظامين السياسيين في الدولتين، إلا أن هناك اتجاه نحو تبني خطاب مشترك متعلق بالحفاظ على شكل وطبيعة الحكم المحلي، وتوجهات السياسة الخارجية، وحق كل شعب في اختيار النظام السياسي الذي يتلاءم مع قيمه وثقافته الخاصة، وحتى ولو كان هناك نوع من الاتفاق على بعض القيم الغربية من حيث المبدأ، إلا إن تجسيدها يجب أن يخضع لواقع كل دولة وظروفها الخاصة³.

وجاءت أحداث 11 من سبتمبر 2001، لتخلق بيئة دولية جديدة تزيد من مجالات الاتفاق القيمي بين كل من الصين وروسيا، فرغم توجه روسيا بسياساتها الخارجية نحو الولايات المتحدة الأمريكية

¹ -Mastanduno Michael ,Partner Politics: Russia, China, And The Challenge Of Extending Us Hegemony After The Cold War ,**Security Studies**, Vol. 28,No.3(Jun 2019) ,Pp.479-504

² - Megha Bahree, Russia Needs China More?: Are Putin And Xi In A Marriage Of Convenience?,At: <https://www.aljazeera.com/economy/2024/5/28/china-russia-new-era-relationship> ,Accessed On (15-05-2024)(16:03).

³ -Alexander Lukin, **China And Russia: The New Rapprochement** (Cambridge: Polity Press, 2018), Pp.132, 133.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بوادر نظام عالمي جديد"

والتعاون معها بعد تلك الاحداث، إلا أن تحول القضايا الأمنية من جديد إلى أولوية في الشؤون الخارجية زاد من تدعيم الشراكة الاستراتيجية الروسية مع الصين.

فالتركيز على الإرهاب كأكبر تهديد يواجه الحضارة، ساعد على إعطاء شرعية للمقاربة الروسية الصينية تجاه التوجهات الانفصالية والراдикаلية والتطرف، وبالتالي وجدت كل من موسكو وبكين أنه من السهل الاتفاق على أولوية الحقوق الجماعية على الفردية، وأولوية النظام على الحرية، وضمان الأمن بدل السعي وراء الممارسات الديمقراطية¹.

2. التشابه في المواقف السياسية

إضافة إلى التوافق الصيني - الروسي حول مجموعة من القيم السياسية والاقتصادية وغيرها، هناك تشابه في المواقف السياسية للبلدين حول عدد من القضايا الإقليمية والعالمية.

على الصعيد الإقليمي، ورغم التنافس بين الدولتين في القارة الآسيوية والمحيط الهادي، إلا أن هناك اشتراك في المواقف إزاء عديد القضايا الإقليمية الملف النووي الإيراني، الملف الكوري الشمالي، وتشترك كل من موسكو وبكين في الموقف المتعلق بحق الاستخدام السلي للتكنولوجيا النووية وخاصة لأغراض البحث والطب والطاقة والداعي إلى ضرورة التعامل مع هذا الملف بالطرق الحوارية السلمية، أما عن قضيتي تايوان وأوكرانيا فإن كل دولة تؤيد موقف الأخرى وتسانده، وتعتبرها قضايا داخلية يحق لكل دولة التعامل معها بالطريقة التي تراها مناسبة².

على الصعيد العالمي، الدولتان تتشابهان في معارضتهما للعديد من الملفات المدارة أمريكياً، كالحرب على العراق والأزمة السورية وغيرها من القضايا الجيوسياسية، كما تتقاسمان الموقف المعارض لنظام أحادي القطبية الذي تتخلله النزعة الانفرادية الأمريكية، وكليهما تدعمان فكرة إصلاح الهياكل والمؤسسات الدولية وعلى رأسها هيئة الأمم المتحدة.

¹ - Guy Faulconbridge, Lidia Kelly , Andrew Hayley, Russia China To Talk About Deeper Security Co-Operation In Eurasia Lavrov Says ,At : <https://www.reuters.com/world/russia-china-cooperate-fight-against-terrorism-russian-agencies-cite-lavrov-2024-04-09/> ,Accessed On (16-05-2024)(7:35)

² -Zuenko Ivan ,Russia–China Cooperation: A View From The Region, **Russian Politics & Law** ,Vol.57,No 1–2(December2020),Pp. 1–17

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بواذر نظام عالمي جديد"

وكل المسائل السابقة تقريبا ذات طابع استراتيجي وفي غاية الأهمية بالنسبة للدولتين، الأمر الذي يجعل تشابه المواقف بينهما حولها عاملا حاسما في إحداث تقارب استراتيجي بين كل من الصين وروسيا¹.

3. المصالح المشتركة

حتى لو بقي العداء قائما بين الدولتين، فإن هنالك عديد من المصالح المادية المتوافقة التي يمكن أن تساهم في تجاوز الخلافات والتخفيف من حدة المخاوف والشكوك المتبادلة، فكل من الدولتين ترتبط بالآخرى عبر مصالح تجارية واقتصادية بالغة الأهمية، فروسيا بحاجة إلى السلع الاستهلاكية التي تتيحها الصين بأسعار منخفضة، كما أن هذه الأخيرة تشكل سوقا مهمة للصناعة العسكرية الروسية التي تمثل بالنسبة لروسيا مع البترول والغاز والمواد الأولية، المصدر الأساسي لمدخلات التجارة الخارجية².

فالصين تحتل مرتبة الزبون الأول لروسيا في ميدان مبيعات أنظمة التسليح، ما يجعل منها تابعة لروسيا في هذا المجال، بالأخص إذا أخذنا في الاعتبار ما يترتب عن هذه التجارة من التزامات وخدمات ما بعد البيع، وهذا بدوره ما يشكل عامل حاسم في تحسين العلاقات والإبقاء على طابعها التعاوني المستمر، ويفرض النمو الاقتصادي السريع والهائل على الصين أن تحافظ على العلاقات الاستراتيجية ومتينة مع أهم محطة تزويد بالطاقة بالنسبة لها، خاصة أنها تخشى أن تتعرض لضغوط طاغوية أمريكية بعد مباشرة هذه الأخيرة الاستيلاء على نفط الخليج هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية، من مصلحة روسيا الإبقاء على مثل هذه العلاقة من أجل تحويلها إلى ورقة ضغط على زبائنها الآخرين كالاتحاد الأوروبي، بعدما بدأت روسيا تعتمد على دبلوماسية الطاقة في سياستها الخارجية³.

وقد ساهمت بعض المشاريع الآسيوية الكبرى في خلق مصالح مشتركة عديدة، ومن أهم تلك المشاريع نجد مشروع الجسر البري الأوراسي الذي يعرف باسم " طريق الحرير"، فهذا الجسر الضخم

¹ -Wishnick Elizabeth ,In Search Of The 'Other' In Asia: Russia–China Relations Revisited,The Pacific Review ,Vol.30,No.1 (July 2016),Pp.114–132.

² -Runkos Judit, Comparing Russian, Chinese And American Soft Power Use: A New Approach, **Global Society**, Vol.35, No.3 (December2020), Pp.395–418.

³ -Jianmin Li ,Contemporary Russia's Economic Transition And Development And China-Russia Economic And Trade Cooperation, **Social Sciences In China**, Vol. 42,No.4 (December 2021),Pp.158–178.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بؤادر نظام عالمي جديد"

يجتاز أراضي الدولتين ويعود بالفائدة على الطرفين، ولا يمكن أن يتم تجسيده بشكل كامل مالم يحدث تقارب واتفاق بينهما، الأمر الذي دفع بالدولتين نحو تحقيق مزيد من التفاهم وتسوية عديد الخلافات¹.

4. الهيمنة والسياسات الاحتوائية الأمريكية

تعتبر محاولات الهيمنة الأمريكية، وسياساتها الاحتوائية الموجهة ضد كل من الصين وروسيا، من بين العوامل التي أدت إلى التقارب بينهما، وخلق إرادة في التعاون والتصدي المشترك للأهداف الأمريكية ومشاريعها الإقليمية والعالمية.

فالتوجه الأحادي الأمريكي، وما نتج عنه من تجاهل لمصالح الدولتين، وشعورهما بالاستهداف من المشاريع الأمريكية والغربية، أدى إلى ظهور خطاب مشترك حول أهمية السعي لتكوين نظام عالمي متعدد الأقطاب، وهو ما لا يمكن تحقيقه إلا بتنسيق جهود الدولتين، وتكوين جدار صلب في وجه الأهداف الأمريكية.

فلا يمكن لقوة واحدة من القوى الكبرى أو الصاعدة حاليا أن تتصدى للهيمنة الأمريكية على الشؤون الدولية، ولا يمكنها حتى الدفاع عن مصالحها، والاستمرار في بناء قوتها الذاتية في وجه السياسات الاحتوائية الأمريكية التي تتخذ من الحيلولة دون بروز أي قوة منافسة لها هدفا رئيسا، لذلك تجد الصين وروسيا أنهما ملزمتين على التقارب وتنسيق المواقف من أجل التقليل من الآثار السلبية للسياسات الأمريكية².

5. المؤسسة المتزايدة للعلاقات الثنائية

ساهمت عملية إقامة مؤسسات مشتركة، أو الانضمام إلى أخرى إقليمية وعالمية في تقوية العلاقات الصينية – الروسية وتوطيدها، وخلق أساس صلب لتطورها المستقبلي بعيدا عن العلاقات الشخصية التي طبعت العلاقات الثنائية لفترة من الزمن.

¹ -Gürçan, Efe Can ,The Construction Of Post-Hegemonic Multipolarity In Eurasia: A Comparative Perspective ,**The Japanese Political Economy** ,Vol.46,No.2-3(October 2020),Pp.127–151.

² -Cox Michael, Whatever Happened To American Decline. International Relations And The New United States Hegemony, **New Political Economy**, Vol. 6, No. 3(August 2020), Pp, 311-340.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بواذر نظام عالمي جديد"

فمشاركة الدولتين في عدد كبير من نشاطات المؤسسات والمنظمات مثل منتدى التعاون الاقتصادي لآسيا - الباسيفيك (APEC)، ومنظمة التعاون شنغهاي (SCO) ساهم في توثيق الروابط وزيادة التفاهم والتشاور بينهما، خصوصا إن هذه المؤسسات تهتم بنفس القضايا الجوهرية في الشراكة الاستراتيجية بين الدولتين، وخاصة منظمة التعاون لشنغهاي التي تركز على إجراءات بناء الثقة والامن الإقليمي، والتي ساهمت بشكل رئيسي في حل الخلافات الحدودية بين الصين وروسيا بشكل نهائي¹.

6. حل الخلافات الحدودية

على طول تاريخ العلاقات بين الدولتين، شكلت مسألة الحدود العامل الرئيسي، والسبب الأول الكامن وراء التوتر المستمر بينهما، والحائل الرئيس أمام تحسين علاقاتهم، إذ كلما حدث تطور على المستوى العلاقات الثنائية تبرز مسألة الحدود من جديد لتعيدها إلى نقطة البداية.

ولهذا ينظر إلى توصل الدولتين في السنوات الأخيرة إلى حل نهائي لمسألة الحدود المشتركة، بمثابة نقطة تحول جوهرية قد تفتح آفاقا واسعة أمام التقارب الصيني - الروسي، وتزيل المخاوف المتراكمة لدى قيادتي وشعبي البلدين حول هذه المعضلة التاريخية².

7. دور الأحزاب الشيوعية

لطبيعة الأنظمة السياسية للدول، والعلاقات التي قد تقوم بين مكونات تلك الأنظمة، دور مهم في التأثير على طبيعة علاقات تلك الدول فيما بينها، ومن بين أهم تلك المكونات التي غالبا ما ترتبط بعلاقات وثيقة مع نظيراتها أو شبيهاتها في الدول الأخرى نجد الأحزاب السياسية، وضمن هذه الأخيرة نجد الأحزاب الشيوعية، التي تتبنى فكرا عالميا وتنسق فيما بينها للمحافظة عليه ونشره.

وللحزبين الشيوعيين في كل من الصين وروسيا دور مهم في إحداث التقارب بينهما، خاصة في ظل الضغوط الكبيرة التي يتعرض لها النظامين السياسيين من طرف الدول الغربية التي تريد تعميم القيم

¹ -Cox, Michael, In the Shadow of the Russian Revolution: Putin, Xi and the Long War in Ukraine, Critique, vol. 50, no.2-3(novembre 2022), pp.287-305.

² -Clara Fong ,Lindsay Maizland , China and Russia: Exploring Ties Between Two Authoritarian Powers,at: <https://www.cfr.org/backgrounder/china-russia-relationship-xi-putin-taiwan-ukraine> , accessed on (16-05-2024)(11:24).

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بواذر نظام عالمي جديد"

الديمقراطية، وتحارب الأحزاب الشيوعية، التي فيها أحزابا تسلطية استبدادية، على أن الدور الذي تلعبه تلك الأحزاب تعترضه عديد العوامل من بينها بعض الاختلافات الايديولوجية بين تلك الأحزاب في الدولتين¹.

8. دوافع التقارب وفق مدركات كل طرف

ليس بالضرورة دائما أن يكون التقارب الحاصل بين الدولتين نتيجة لوجود دوافع مشتركة، بل قد يحدث هذا التقارب نتيجة دوافع مختلفة من طرف لآخر، وهذا حال التقارب الصيني الروسي حيث لكل طرف دوافعه الخاصة وراء بناء شراكة مع الطرف لآخر.

أ/دوافع الصين:

- بالنسبة للصين يعتبر الوقت ملائما لتحسين تكتيكي، على الأقل، في علاقاتها مع روسيا، خصوصا وأن هذه الأخيرة تشاركها نزعة مراجعة النظام الدولي، وخلق توازن استراتيجي في الهيكلية الدولية.
- التفاهم مع روسيا مهم جدا بالنسبة للصين، من أجل استخدامها كورقة ضغط على دول آسيا الوسطى وتمير مشاريعها هناك، ناهيك عن تأليبها في وجه القوة الامريكية ما يفسح لها مجال لاستئثار بجيوسياسية النفوذ والزعامة في الإقليم الآن دوبا سفيكي².

ب / دوافع روسيا:

- بعد فشل الخيارات التي كانت مطروحة أمام روسيا، التي لم تنجح في التحول إلى دولة ديمقراطية، ولم تحقق هدفها في الاندماج في المنظومة الغربية التي كانت مسيطرة في عهد يلتسن، فلم يبق سوى الخيار المفتوح وهو تكوين تحالف مضاد للهيمنة الامريكية، فرغم كل التنازلات التي قدمتها روسيا للغرب والولايات المتحدة الامريكية على وجه التحديد، لم غير

¹ -George W. Breslauer , **The Rise And Demise Of World Communism** ,(New York : Harpercollins, 2009),Pp63-74.

² -Kireev, Anton ,China In Russia, Russia In China: Ethnic Aspect Of Migration Between The Two Countries In The Past And Present , **Asian Ethnicity** ,Vol.17,No. 1(October 2015),pp.67-89.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بوادر نظام عالمي جديد"

ذلك من مواقف الدول الغربية إزاء روسيا، فما زلوا يعتبرونها دولة شمولية وذات طموحات توسعية وامبراطورية، ويسعون لاحتوائها او تفكيكها من الداخل، وهذا ما جعلها تبحث عن ثقل موازن للغرب، ووجدت في الصين ذلك الحليف المناسب¹.

● وصول مسؤولون روس ذوو توجه اسيوي مثلما حدث مع وزير الخارجية " يفغيني بريماكوف"، الذي ركز اهتمامه على الصين والهند وإيران، فضلا عن الطروحات الجيوبولتكية التي أصل لها " ألكسندر دوغين " الداعية إلى الاتحاد الأعظم بين قوتي الشرق في إطار الاوراسية الجديدة لكسر جموح الأطلسية الغربية.

● فشل سياسات الإصلاح في روسيا، كان من شأنه أن يقوي جبهة التيار الداعي إلى تحول روسيا إلى الانخراط في العالم الجنوبي والشرقي لآسيا بحكم الموقع والجوار الجغرافي، وبدأ هذا الاتجاه ينعكس في الاستراتيجية الروسية ليغلب عليها الاتجاه شرقا في القارة الاسيوية، مدفوعة بالرغبة في الحفاظ على مصالحها التقليدية في المنطقة، بالإضافة إلى محاولة اقتناص الفرصة الاقتصادية المتاحة لها².

إن ما يمكن استخلاصه، هو أن عالم متعدد الأقطاب مرتبط بعدة قضايا عالمية وإقليمية وفي مقدمة هذه القضايا حسم طبيعة العلاقة بين الصين وروسيا، وتحقيق التعاون الجدي بين الدولتين، فما على الصين وروسيا إن أرادتتا كسر الهيمنة عالميا إلا تقوية وضعها الداخلي وجعله في مستوى طموح البلدين، حتى يصبح حصينا من الاختراقات الخارجية، وكذلك جعل التوجهات التشاركية بين البلدين ذات بعد شعبي لإعطائها الديناميكية الكاملة التي تتطلبها شركات من هذا النوع، بالإضافة لخلق مؤسسات للعمل المشترك وتطوير القائمة منها لتصل لمستوى هذه العلاقة المميزة، وذلك لتحقيق الثقة المتبادلة والتي تعتبر الشرط الأساسي للسير قدما بالشراكة.

¹ -Sosnovskikh Sergey,A New Form Of Parallel Trading Within Economics Relations Between Russia And China ,**Post-Communist Economies** ,Vol. 33 ,No.1 (May 2020),Pp.94–118.

² -Dikarev Andrey, Alexander Lukin , Russia's Approach To South China Sea Territorial Dispute: It's Only Business Nothing Personal, **The Pacific Review** ,Vol. 35,No.4(January 2021),Pp.617–646.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بوادر نظام عالمي جديد"

المطلب الثالث: الشراكة الاستراتيجية الصينية – الروسية وأفاق مأسسة توازن دولي جديد.

لم تبقى حالة عدم الرضا عن هيكل النظام الدولي لما بعد الحرب الباردة، والرفض للهيمنة الغربية بقيادة أمريكية مجرد خطابات تنديد بالسلبيات التي جرتها القواعد التي وضعتها القوة الامريكية المنتصرة، ومحاولة فرضها لتصورها لعالم خاضع للسلام الأمريكي المستमित (PAX AMERICANA)، ولا مجرد دعوات لإحداث التغيير بما يتناسب مع صعود قوى جديدة، وصياغة منظومة دولية أكثر عدلا ودمقرطة وتعددية، بل انتقلت القوى المتبينة لطروحات التغيير (خصوصا الصين في المقام الأول وروسيا في مقام ثان)، إلى مرحلة التنفيذ وتبني مبادرات ومسامح لإنشاء مؤسسات وهياكل منافسة للمؤسسات الغرب السائدة، سواء كان ذلك في الشق السياسي او الاقتصادي، مع السمعة السيئة للمؤسسات مثل صندوق النقد الدولي والبنك الدولي لدى شعوب الدول الفقيرة في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، التي كانت ضحايا لسياسات الخصخصة، وتقليص الإنفاق الحكومي على قطاعات حساسة، وسياسات الإقراض القاسية .

ولم يكن من الصعب إن تدرك القوى الصاعدة إنها لا يمكنها تحقيق أهدافها ضمن هياكل مؤسسية مهيمن عليها من القوى الغربية، التي تستخدمها لخدمة مصالحها وترهيب أو معاقبة خصومها، وبخاصة المنظمات القوية مثل مجلس الأمن الدولي التابع للأمم المتحدة وصندوق النقد الدولي، وكلاهما لديه قدرات فائقة على معاقبة الدول ذات السيادة، ولعله من أكبر مشاكل تلك المؤسسات، التي لا تزال جامدة ورافضة للتطور، رغم تغير العالم اليوم مقارنة بالعالم الذي ظهرت فيه مباشرة عقب الحرب العالمية الثانية، فمجلس الأمن فشلت كل الجهود لإصلاحه لحد الآن ، إلا أنها تتعارض مع مصالح الغرب، وفي أقوى مؤسستين اقتصاديتين دوليتين، وهما صندوق النقد الدولي والبنك الدولي، لا يزال نظام التصويت يسمح بسيطرة الغرب على الرغم من نمو الحصة الآسيوية في إجمالي الناتج القومي العالمي، وعلى صعيد آخر لا تزال الهيمنة على رئاسة تلك المؤسسات غربية، حيث جرت العادة أن يتولى أوروبي رئاسة صندوق النقد الدولي، وأمريكي رئاسة البنك الدولي¹ .

وانعكست تلك الجهود المبذولة من طرف الصين وروسيا بوصفها كقوى غير الراضية عن الأداء المؤسسي العالمي ولا عن النظام الدولي ككل، في تبني مجموعة من المبادرات وتأسيس عدد من الهياكل

¹ -Angela Stent, Russia And China: Axis Of Revisionists?, *Global China* ,Vol.3,No2(February2020),Pp.1-14.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بواذر نظام عالمي جديد"

السياسية والاقتصادية لتوفر لها فضاءات بديلة للتفاعل ومناقشة مشكلاتها وخدمة مصالحها، وطرح بدائل للوضع الدولي القائم الذي لم يعد يتماشى مع تنامي طموحاتها وأهدافها.

أولاً: التكتل في إطار البريكس

نتيجة لتنامي وعي عدد من القوى الصاعدة وعلى رأسها الصين وروسيا، بضرورة التصدي لبنية النظام الدولي القائمة على الأحادية ولانتقال بها إلى التعددية، اتفقت الدولتان المذكورتين بالإضافة إلى الهند والبرازيل على هامش قمة الثماني الكبار في جزيرة هوكايو اليابانية، في جويلية من عام 2008، على تأسيس إطار عمل عرف باختصار بـ BRICS للتنسيق في القضايا العالمية، وعلى رأسها رسم معالم نظام دولي بعيد عن الأحادية القطبية وعقدت القمة الأولى المستقلة لدول " البريك " في روسيا عام 2009¹.

وقبل ولادة هذه المبادرة العملية، كان كبير الاقتصاديين في بنك " غولدمان ساكس " (GOLDMAN SACHS)، البريطاني جيم أونيل (JIM O'NEIL)، قد كتب، في 31 نوفمبر 2001، ورقة تحليلية شهيرة تحت عنوان (BUILDING BETTER GLOBAL ECONOMIC BRICS)، توقع فيها أن تشهد السنوات العشر التالية لتاريخ نشر الدراسة، صعود أربعة دول وهي الصين وروسيا والهند والبرازيل، ليزيد وزنها في الاقتصاد العالمي وحصلتها من الناتج المحلي الإجمالي العالمي، وخاصة بالنسبة للصين، و سيرتفع الوزن الاقتصادي الإجمالي للدول الأربع إلى 12 بالمائة، ورمز " أونيل " إلى تلك الدول بـ BRICS لتكون أول مرة يتم فيها استحداث هذا التعبير وتوظيفه²، وفي ورقة تحليلية أخرى لذات البنك، صدرت في عام 2003، ولكن هذه المرة لكل من " دومينيك ويلسون " (DOMINIC WILSON) و " روبا بوروشوتمان " (ROOPA PURUSHOTAMANA)، ساد توقع بأن تساوي اقتصادات دول البريك نصف اقتصادات دول مجموعة G7 بحلول عام 2025، وأن يشهد عام 2039 تفوق دول البريك على هذه المجموعة³.

¹ -Lissovolik Yaroslav, Evgeny Vinokurov ,Extending BRICS To BRICS+: The Potential For Development Finance Connectivity And Financial Stability , **Area Development And Policy**, Vol. 4, No.2(January 2019), Pp. 117-133.

² - Jim O'Neill, Building Better Global Economic Bries, **Global Economics**, Vol.7, No.66 (November 2001), Pp.1-16.

³ -Dominic Wilson, R. Purushothaman, Dreaming With Brics: The Path To 2050, **Political Science Economics Business**, Vol.2, No.99(November 2006), Pp.1-24.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بواذر نظام عالمي جديد"

وكانت هذه التوقعات المتفائلة بشأن اقتصادات البريك، دافعا آخر لدولها الأربع للتكتل معا في اطار عمل رسمي، لتعزيز موقعها على الساحة الدولية، وفي عام 2009، تقدمت جنوب إفريقيا بطلب لعضوية التكتل، وبعد الموافقة على ذلك تحولت التسمية إلى BRICS، بإضافة الحرف الأول من الاسم الإنجليزي لجنوب إفريقيا، وأصبحت المجموعة بمرور السنوات قوة اقتصادية وسياسية لا يمكن الاستهانة بها، و التعاون بين أعضائها يزيد كل سنة، لتضم دول التكتل مجتمعة 42 بالمائة من سكان العالم، و 4 بالمائة من المساحة، وتسيطر على 18 بالمائة من تجارة السلع والخدمات في العالم، و 25 بالمائة من الاستثمار الأجنبي¹.

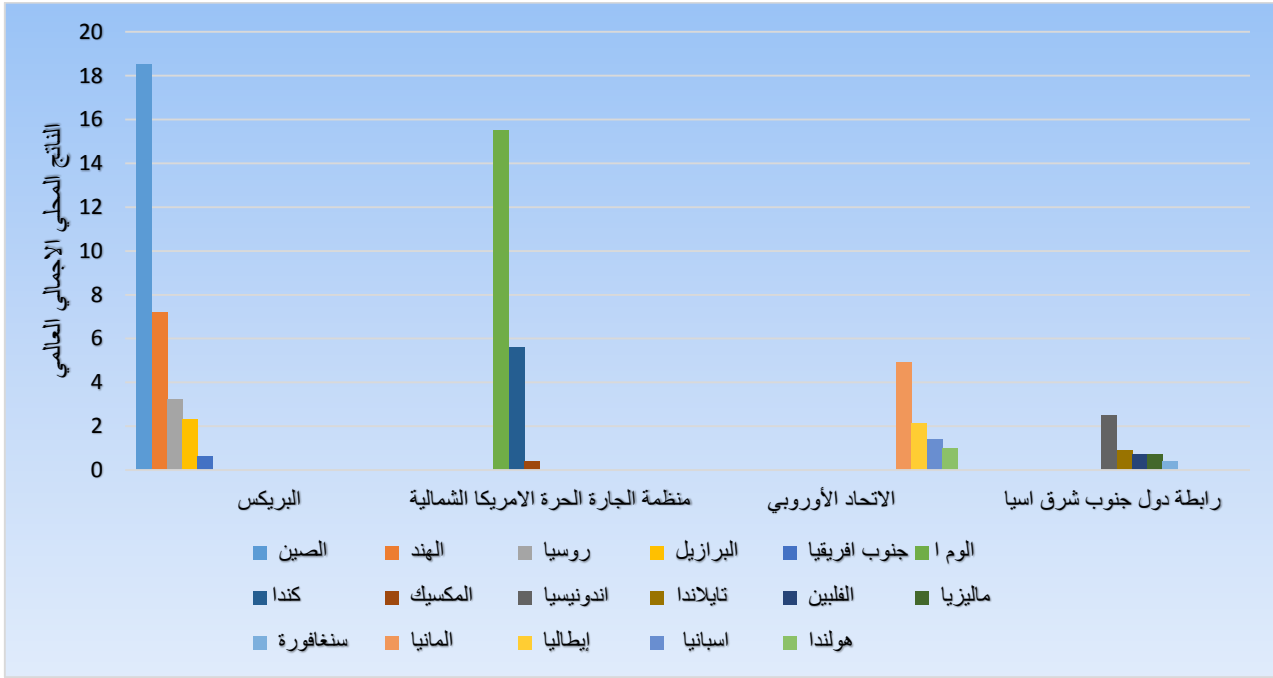
وتأتي زيادة قوة التكتل في ظل تعالي الأصوات المطالبة بعالم متعدد الأقطاب وبشكل رئيس من روسيا والصين، ومنذ حرب أوكرانيا بدأ تجمع البريكس يأخذ وأبعاد جيوسياسية ويثير مخاوف الغرب، لا سيما أن هناك العديد من الدول من مختلف القارات أبدت استعدادها للانضمام إلى التجمع، ومن أهمها قوى إفريقية مثل الجزائر ونيجيريا ومصر والسنگال، وقوى شرق أوسطية مثل تركيا وإيران والامارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية، والأرجنتين والمكسيك من القارة الامريكية، كما طرحت المجموعة بقوة مسألة الاستقلالية المالية والتمويلية، والانعقاد من هيمنة الدولار، وعلى رأسها تأسيس بنك التنمية الجديد².

¹ -Marco Longari , Quel Rôle Pour Les BRICS Dans L'économie Mondiale ?,At : <https://theconversation.com/quel-role-pour-les-brics-dans-leconomie-mondiale-214122> ,Accessed On (17-05-2024)(9:43).

² -Samantha Granville, Sommet Des Brics : Un Nouveau Bloc Est-Il En Train D'émerger Pour Rivaliser Avec Le Leadership Américain ?,At : <https://www.bbc.com/afrique/articles/czv7nd5lx09o> ,Accessed On (17-05-2024)(13:09)

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بؤادر نظام عالمي جديد"

الشكل رقم (21): تمثيل بياني يوضح حصة اجمالي النشاط الاقتصادي العالمي للتكتلات الاقتصادية لسنة 2023 .



المصدر: من إعداد الطالب بالاعتماد على:

<https://www.statista.com/statistics/1403678/share-of-world-gdp-by-country/>

أهم ما يمكن استقراؤه من خلال الرسم البياني الموضح لحصة اجمالي النشاط الاقتصادي العالمي للتكتلات الاقتصادية، هو تفوق دول البريكس على باقي التجمعات من حيث مساهمتها في الاقتصاد العالمي، والتي بلغت 31.5%، لصالح المجموعة مقابل 23.8 % لمنظمة التجارة الحرة لأمريكا الشمالية، و14.8 % لصالح الاتحاد الأوروبي، وتتذلل رابطة دول جنوب شرق آسيا الترتيب ب 7.9 %، وتحصد كل من الصين وروسيا حصة الأسد في إجمالي الناتج المحلي ومجموع احتياطات النقد الأجنبي للدول الأعضاء .

من جانب آخر، وضعت المجموعة قضايا الطاقة والأمن الطاقوي ضمن أولوياتها لا سيما أنها تضم أحد أهم منتجي الطاقة في العالم، أي روسيا، وإلى جانبها الدولتين الأكثر مساهمة في ارتفاع الطلب العالمي على الطاقة في الأسواق العالمية وهما الصين والهند، لضمان أمن إمدادات الطاقة ضروري لجميع دول المجموعة تحقيق أهدافها التنموية، وبناء على مخرجات قمة فورتاليز عام 2014،

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بؤادر نظام عالمي جديد"

تشكلت "جمعية البريكس للطاقة" (BRICS ENERGY ASSOCIATION) ، التي تعمل على بناء بنك احتياطي للوقود ومعهد لسياسات الطاقة لفائدة الدول الأعضاء، وجعل موارد بنك التنمية الجديد التابع لها في خدمة أهداف الطاقة والتنمية، ما مكن الصين وروسيا من التنسيق الجيد في ملف توريد النفط والغاز¹.

وجعلت " استراتيجية الشراكة الاقتصادية للبريكس " (BRICS ECONOMIC PARTNERSHIP STRATEGY)، تعزيز التعاون بين دول المجموعة في مجال الاستثمار ضمن أولوياتها الرئيسية، والتي تعمل على تنمية علاقات السوق بين دولها، وتوسيع فرص الدخول إلى الأسواق، وخلق بيئة ملائمة ومشجعة للمستثمرين، ورجال الأعمال في جميع دول المجموعة، كل ذلك من أجل تقوية توازن اقتصادات دولها، ودعم نموها الاقتصادي، وتعزيز تنافسيتها على المستوى الدولي².

وعلى الصعيد السياسي، تقدم مجموعة البريكس نفسها على أنها نموذج للدبلوماسية متعددة الأطراف وتحمل أجندتها شقين، اقتصاديا وسياسيا، لكونها جاءت في ظل التحولات على الصعيد الدولي بفعل إرهابات التعددية في النظام الدولي، وتنامي المساعي لإنهاء الهيمنة الغربية على مقاليد الأمور، وتقديم البريكس لفضاء تفاعلي مهم لفائدة ما يعرف بالقوى المتوسطة من دول الجنوب التي تتزايد أدوارها ومكانتها خاصة بعد الحرب الروسية - الأوكرانية، واستفادتها من حالة الاستقطاب والتنافس بين القوى العالمية الكبرى والتحديات التي يواجهها الدور الأمريكي، فقد سمح هذا السياق بمنح تلك القوى هامش مناورة أكبر، وحفز عملها على لعب دور الوساطة في نزاعات القوى الكبرى، والدفاع عن مصالحها باستقلالية ودون انسياق بشكل مطلق لأي سرديّة من جانب القوى الكبرى، وتجد تلك القوى المتوسطة في تجمع البريكس فرصة لتحقيق تطلعاتها بشأن إعادة رسم التوازنات القوى بالنظام الدولي، في ظل تراجع أواصر الثقة والتحالف بينها وبين الغرب بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، التي يشهد دورها العالمي المزيد من التحديات، وتوظف دول البريكس وعلى رأسها الصين وروسيا هذه اللحظة الاستراتيجية لدحض السرديات الغربية بشأن مخاوف صعودها وتنامي دورها الإقليمي

¹ -Liu Ming. , Development: A Long Way To A Powerful Economic Club And New International Organization, **The Pacific Review**, Vol.29, No.3 (March2016), 443-453.

² -Iqbal Badar Aalm, Eliane Cristina, Emergence Of Brics As An Economic Bloc, **Transnational Corporations Review**, Vol.7, No.1 (December 2017), Pp.110-120.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بواذر نظام عالمي جديد"

والدولي، وذلك عبر تأكيد القيم والتوجهات التي تستند إليها، مع العمل على توطيد علاقاتها مع مختلف القوى من الجنوب على وجه الخصوص¹.

وعلى ضرب فرض الصين وروسيا لنفسيهما كقوتين ذات وزن وتأثير في مسار ومستقبل النظام الدولي، داخل تكتل البريكس، واجهتا عراقيل وتحديات بعضها داخلية تتعلق بكل دولة على حدة، وبعضها نتاج لتأثيرات البيئة الدولية التي تتفاعل ضمنها، فقد كانت الفترة الممتدة ما بين 2019 و 2023 مسرحا لتحديات صعبة واجهتها، تصدرتها تداعيات جائحة كوفيد-19 وما جنته على العالم من عواقب وخيمة اقتصادية وصحية واجتماعيا وحتى سياسيا، وانشغال الصين بالحرب التجارية التي شنتها الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة " دونالد ترامب "، ووقوع روسيا في دوامة الحرب مع أوكرانيا وحلفائها الغربيين، ومعاناتها من أضرار ومخلفات العقوبات الغربية والحظر الطاقوي على مواردها².

ولإعادة ترتيب البيت البريكسي ووضع تصورات لرسم معالم المرحلة المقبلة والحاسمة في مستقبل المجموعة ومكانتها، تم التعويل بشكل كبير على قمة المجموعة الأخيرة المجرات في الفترة ما بين 22 و 24 أوت 2023 بجنوب افريقيا، والتي سبقها اجتماع تحضيرى لوزراء خارجية دول المجموعة شهر جوان من نفس السنة، ودعا المجتمعون في القمة إلى إعادة التوازن للنظام الدولي في ظل التوجه نحو التعددية وإنهاء عهد الأحادية القطبية، والاهتمام بتداعيات الحرب الروسية - الأوكرانية، خاصة على الدول الأفقر التي تأثرت بفعل تعثر التعاون الدولي وتوجيه الموارد نحو الحرب وليس لمصلحتها، وتأكيد التمسك بقيم القانون الدولي ومقاصد ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة، ودعم إصلاح قيم الحوكمة بالمؤسسات الدولية والأجهزة الأممية وخاصة مجلس الأمن، ودعم التحول نحو نظام تجاري متعدد الأطراف، وتدشين شبكة أمان مالي عامية بالتعاون مع صندوق النقد الدولي وتأكيد أهمية حوكمته وإصلاحه، وتشجيع استعمال العملات المحلية في التجارة الدولية وفي المعاملات المالية بين دول البريكس

¹ -Roberts, Cynthia, The BRICS In The Era Of Renewed Great Power Competition, **Strategic Analysis**, Vo. 43, No.6 (October 2018), Pp.469-86.

² -Bratersky Maxim, Georgy Kutyrev, BRICS And The Evolving Russia-India-China Security Agenda, **Strategic Analysis**, Vol.43, No.6 (October 2019), Pp.597-619.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بوادر نظام عالمي جديد"

وشركائها التجاريين، وقضايا أخرى مثل المناخ، الأمن الغذائي في ظل الحرب في أوكرانيا، وحل الخلافات المنتشرة حاليا عبر العالم بالطرق السلمية والدبلوماسية¹.

وكان أهم ما خرجت به قمة المجموعة بجوهانسبورغ، إعلان الرئيس الجنوب افريقي " سيريل رامافوزا " (syril ramaphosa) عن دعوة البريكس لكل من الأرجنتين، ومصر، وإثيوبيا، وإيران والمملكة العربية السعودية، والإمارات العربية المتحدة، في خطوة تهدف إلى مواجهة النفوذ الأمريكي وتخفيف الضغوط على الصين وروسيا، مؤكداً أن العضوية ستكون سارية بداية من عام 2024، باعتبارها المرحلة الأولى من عملية التوسع للمجموعة، التي تسعى إلى بناء نظام مواز للنظام العالمي الحالي الذي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها الغربيون منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، وكانت الصين وروسيا من أكبر الداعمين لتوسيع عضوية المجموعة، لما يحمله في طياته من فرص وأعدة للصعود بالمجموعة أكثر نحو الريادة العالمية².

ثانياً: منظمة شنغهاي للتعاون:

في منتصف تسعينيات القرن الماضي قامت روسيا والصين وعدد من دول آسيا الوسطى بحل خلافاتها الحدودية، وهو ما قاد إلى تشكيل منظمة أمنية متعددة الأطراف في 26 افريل 1996 عرفت باسم " مجموعة شنغهاي الخماسية " (THE SHANGHAI FIVE) والتي تضم في عضويتها كل من الصين وروسيا، وكازاخستان وقرغيزستان، وطاجيكستان، وأوزبكستان، وبدأ حينها أن موسكو وبكين تفودان مبادرة جديدة كإضافة لحراك تأسيس تجمعات متعددة الأطراف عبر العالم³.

وبانضمام الهند وباكستان رسمياً إلى عضوية المنظمة عام 2014، توسع عدد أعضائها الرسميين إلى ثمانية أعضاء وازدادت مصادقوتها الاجمالية، بضمها لما يقارب نصف سكان العالم ، وأربع دول نووية، ومورد عالمي ضخم للطاقة، أي روسيا، وبعض جمهوريات آسيا الوسطى، ومساهمتها في أكثر

¹ -Nicolas Falez, Quels enjeux pour le 15e sommet des Brics qui s'ouvre à Johannesburg?,at : <https://www.rfi.fr/fr/afrique/20230822-quels-enjeux-pour-le-15e-sommet-des-brics-qui-s-ouvre-%C3%A0-johannesburg>, accessed on (18-05-2024)(10:24).

² -Ines Canto , À l'issue du sommet de Johannesburg, les Brics accueillent six nouveaux membres,at : <https://www.la-croix.com/Monde/Brics-six-nouveaux-pays-integrent-bloc-pays-emergents-dont-lIran-lEthiopie-2023-08-24-1201279926>, accessed on (18-05-2024)(12:17).

³ - Carla Freeman,What Does Further Expansion Mean Shanghai Cooperation Organization ,At: <https://www.usip.org/publications/2024/05/what-does-further-expansion-mean-shanghai-cooperation-organization>, accessed on (18-05-2024)(17:07).

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بواذر نظام عالمي جديد"

من ربع الناتج المحلي الإجمالي العالمي، واحتلالها لمساحة شاسعة تناهز 35 مليون كم مربع، وخلال القمة الافتراضية للمنظمة في نيودلهي، انضمت إيران رسمياً عضو تاسعاً للمنظمة، وبهذا الآن ضمام الجديد لإيران تأخذ المنظمة دفعة أخرى قوية لمساعي فرض نفسها على ساحتين الإقليميتين والدولية، فطهران معروفة من جهة بمواقفها الرافضة والمناهضة للوضع القائم في النظام الدولي والهيمنة الأمريكية¹.

وتعكس المنظمة تعاظم دور القوى الصاعدة عالمياً بوتيرة سريعة، وخصوصاً أنها تضم الصين وروسيا، في حين أن المؤسسات الغربية الدولية المختلفة السائدة حالياً تعاني عجزاً، ولذلك تتنامي الحاجة إلى تعاون دولي بديل، وتدفع تلك الحاجة الدول الصاعدة إلى إنشاء مؤسسات موازية للمؤسسات التقليدية التي تسمح لهم بالتعامل بشكل كاف مع المجال الجيوسياسي المحيط بهم، وفي هذا السياق جاءت منظمة شنغهاي التي تهدف إلى تمتين التعاون بين أعضائها في القضايا الاستراتيجية النابعة من مصالحها المشتركة، ويمكن النظر إلى ذلك على أنه وقوف ضد الغرب، وبشكل أكثر تحديداً فإن المنظمة تهدف إلى صياغة مجالها الإقليمي فيما يتعلق بالتعاون الأمني والاقتصادي والسياسي، وتعدد دوافع الفاعلين من أعضاء المنظمة، ولكنهم جميعاً مرتبطون بمنطقة آسيا الوسطى وأور آسيا عموماً، والتي تعد منطقة عازلة كما أنها قاعدة للموارد، وممر تجاري ومجال لمصالح استراتيجية محورية².

وعن طريق تعزيز التعاون الذي يحقق المنفعة للأطراف بالتساوي، ومنع المواجهة والنزاع، والحفاظ على الأمن كحق متساو ومتكامل، فإن منظمة شنغهاي للتعاون بحسب بياناتها تهدف إلى بناء نظام عالمي متعدد الأقطاب، يتسق بشكل تام مع قواعد القانون الدولي، ومبادئ الاحترام المتبادل التي تلبي مصالح كل دولة، مع وضع احتياجاتها وطموحاتها المتبادلة في الاعتبار، وعن طريق توحيد أربع قوى نووية، هي نصف عدد الدول النووية في العالم في منظمة إقليمية واحدة، فإن منظمة شنغهاي تشكل

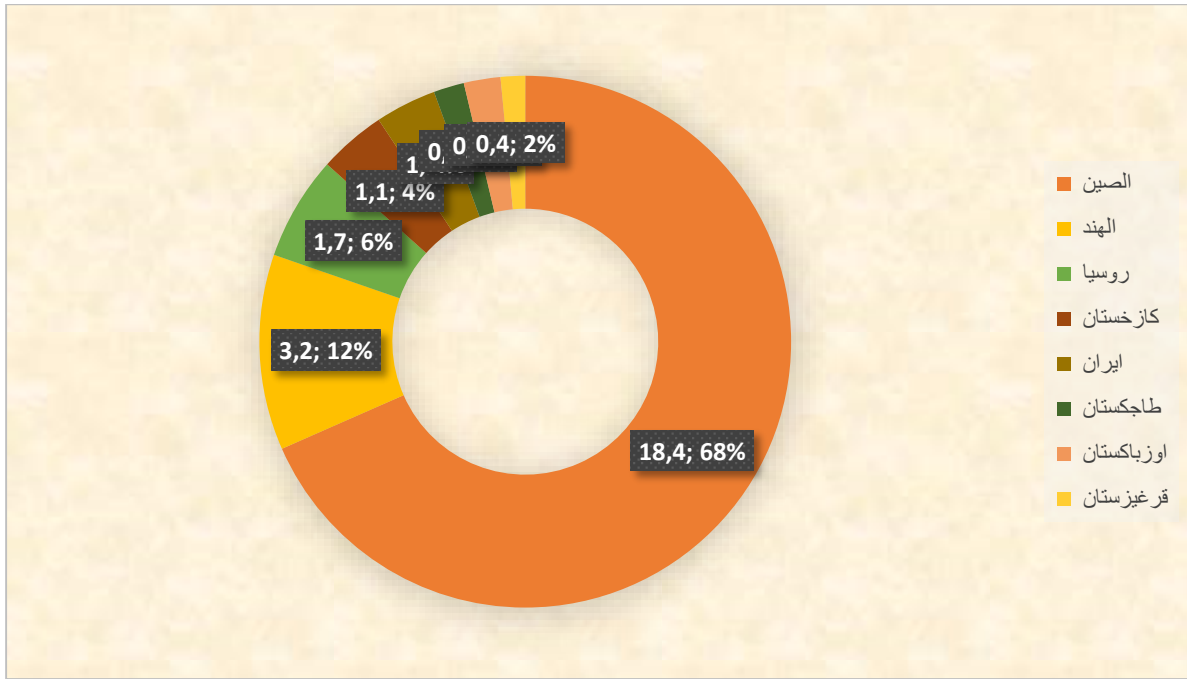
¹ -Dadabaev, Timur ,Shanghai Cooperation Organization (Sco) Regional Identity Formation From The Perspective Of The Central Asia States, **Journal Of Contemporary China** ,Vol .23,No. 85(Jun 2023),Pp.102-118.

² -Akbarzadeh Shahram. The Evolution Of The Shanghai Cooperation Organization, **Strategic Comments**, Vol. 24, No.5 (July 2017), Pp.88-113.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بواذر نظام عالمي جديد"

رادعا إضافيا في إطار النظام الذي تم إنشاؤه، للحفاظ على التوازن الاستراتيجي للقوة والاستقرار السياسي في العالم¹.

الشكل رقم (22): دائرة نسبية توضح صافي الناتج المحلي الإجمالي لمجموع دول منظمة شنغهاي في سنة 2023



المصدر: من اعداد الطالب بالاعتماد

<https://www.statista.com/statistics/802375/china-per-capita-gdp-shanghai/>

تظهر لنا الأرقام الواردة في الشكل أعلاه صافي الناتج المحلي الإجمالي لمنظمة شنغهاي لسنة 2023 م ويوضح المسح الأولي الحضور القوي للصين بوصفها القوة الاقتصادية والإقليمية الأعظم والمحرك الأساسي لمنظمة شنغهاي للتعاون، بتسجيلها أكبر إسهام في الناتج المحلي للمنظمة المقدر بـ 18.4 بليون دولار لتقابلة 68 بالمائة من مجموع حصص الدول الأعضاء المشاركة، إلى الجانب الوضع المثالي لروسيا التي استفادة من عضويتها داخل المجموعة في تعزيز مساعيها الأمنية والاقتصادية، فضلا

¹ -Aris Stephen, The Shanghai Cooperation Organization: Tackling The Three Evil A Regional Response To Non-Traditional Security Challenges Or An Anti-Western Bloc? , Europe-Asia Studies , Vol.61, No3(April 2019), Pp.457-482.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بؤادر نظام عالمي جديد"

عن استمرار نفوذها على دول آسيا الوسطى المنضوية تحت جناحها منعا لأي توغل أمريكي في مجالها الحيوي، كما تعزز المنظمة من قدرتي موسكو وبكين على تجاوز العقوبات الغربية وتلافيمها.

وفي الوقت الذي تتراجع فيه سيطرة الدول الغربية عبر العالم، وتفشل في الحفاظ على مكانتها كرائد اقتصادي وسياسي، تهض منظمة شنغهاي بقدراتها لتوحيد القوى الرئيسية في المجال الأوراسي، ويتسق موقف المشاركين فيها عموما فيما يتعلق بالقضايا الاقتصادية والاستراتيجية، فكلهم يسعى لبناء وسائل سياسية وتمويلية بديلة على المستوى الإقليمي والدولي، كما أنهم يدركون بحكم الطبيعة، متطلبات الأمن الإقليمي وتداعيات الآن سحاب الأمريكي من أفغانستان¹.

وهناك مخوفات غربية بخصوص هذه المنظمة ومستقبلها، التي ترى أن المنظمة أداة في يد الصين وروسيا اللتين تهدفان إلى جعل المنظمة فضاء لتوحيد جمهوريات آسيا الوسطى معا ضمن منظمة أمنية إقليمية مناهضة لواشنطن، بل وذهبت إلى أبعد من ذلك حين أكدت أن الصين وروسيا تطوران تجمعا عسكريا أور آسيا عبر جعل المنظمة ثقلا موازنا لحلف الناتو، لا سيما أن المنظمة تنشط في النطاق الأوراسي الذي يعتبره العديد من الخبراء الجيوبوليتيكيين قلب الأرض، والسيطرة عليه هي مفتاح السيطرة على أور آسيا².

ثالثا: تطوير صرح مالي عالمي

ربما لم يكن تمكين القوى الغربية على النظام الدولي مرتبطا بالقوة العسكرية، بقدر ما كانت الجوانب الاقتصادية والمالية على وجه الخصوص السبب الرئيسي في ذلك، حيث تهيمن القواعد الرأسمالية الغربية على الاقتصاد العالمي، كما تهيمن المؤسسات المالية الغربية مثل صندوق النقد الدولي والبنك الدولي على عمليات التمويل عبر العالم ومنظمة التجارة العالمية في الشق التجاري، ناهيك عن هيمنة الدولار كعملة تداول وتعاملات رئيسية، بالإضافة إلى عملة اليورو بدرجة أقل، وهو ما تدركه جيدا الصين وروسيا المعارضة للهيمنة الغربية في شقها المالي، والتي لا يمكنها المضي قدما

¹ -Ibid, p466-467.

² -Aris Stephen, Aglaya Snetkov, Global Alternatives Regional Stability And Common Causes The International Politics Of The Shanghai Cooperation Organization And Its Relationship To The West , Eurasian Geography And Economics ,Vol. 54 ,No.2(July 2023),Pp.202-226.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بواذر نظام عالمي جديد"

بطموحاتها المتعلقة بتغيير هيكل النظام الدولي، دون أن تؤسس لنفسها هيكلها المالية والتمويلية الخاصة بها وإيجاد عملة موحدة، وإعادة النظر في الوضع المهيمن للدولار في التعاملات العالمية¹.

وقد حملت مجموعة البريكس على عاتقها تحقيق الأهداف المذكورة أعلاه، فبادرت الهند خلال قمة نيودلهي، عام 2012، إلى إطلاق حوار بين الدول الأعضاء في المجموعة حول إمكانية تأسيس بنك تنموي خاص بها، يتمحور دوره حول تجنيد الموارد لتمويل مشاريع البنية التحتية والتنمية المستدامة في دول البريكس واقتصادات أخرى صاعدة ودول نامية، وأكدوا أن مثل هذا البنك سيكون دوره مكملًا لدور بقية المؤسسات المالية الإقليمية والدولية، لتعزيز النمو العالمي والتنمية، لتتوج تلك الجهود بالإعلان الرسمي في قمة دول المجموعة في فورتاليزا البرازيلية عن تأسيس بنك التنمية الجديد (NEW DEVELOPMENT BANK)، وقدر رأس المال الأولي للبنك بـ 50 مليار دولار، بالإضافة إلى صندوق احتياطات الطوارئ برأسمال مبدئي قيمته 100 مليار دولار وتوسع عضويته لتشمل القارات الثلاث، ما زاد من التعاون والتنسيق بين الدول المعنية لخلق ثقل مواز للمؤسسات الخاضعة للسيطرة الغربية².

وبعيدا عن الأهداف الرسمية المعلنة في نص الاتفاقية التأسيسية للبنك، فإن المراقبين من داخل المجموعة ومن خارجها يرون في البنك مظهرًا من مظاهر التعبير عن الرفض للهيمنة الغربية المالية والاقتصادية، لأن بادرت استحداث بنك يهتم بتمويل المشاريع في دول المجموعة وعبر العالم ككل، هو محاولة للإفلات من قيود عدم كفاية التمويل طويل الأجل والاستثمار الأجنبي المباشر، ليكون هذا البنك مستقبلًا بديلاً عن المؤسسات المالية الدولية التقليدية المهيمن عليها غربياً، وما تتبعه من مبادئ المشروطة والتدخل في شؤون الدول الراغبة في الاستدانة منها، ومثل هذا الإنجاز يعد نقلة نوعية في عمل المجموعة، إلا إنه يمنح دولها قوة تمويلية ذاتية، تمكنها من تجسيد قراراتها ميدانياً في هياكل المنظومة الدولية³.

¹ -Charlotte Langridge, Liberalism: Another Tool of Western Hegemony,at: <https://www.e-ir.info/2013/10/30/liberalism-another-tool-of-western-hegemony/>, accessed on (18-05-2024)(19:32).

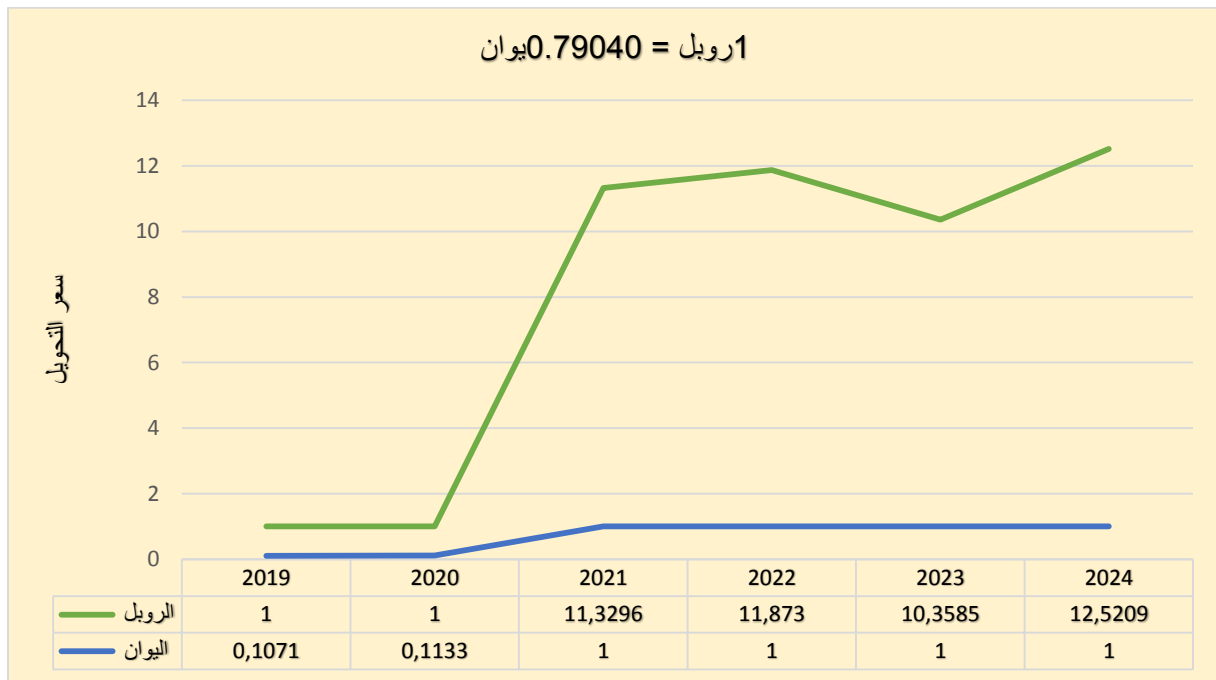
² - Qobo Mzukisi, Mills Soko, The Rise Of Emerging Powers In The Global Development Finance Architecture: The Case Of The Brics And The New Development Bank , **South African Journal Of International Affairs**, Vol. 22 ,No.3(October 2015),277-88.

³ - Lingxiao Tang, Ouyang Yao, Huang Zexian, The Foundation For The Establishment Of The Brics New Development Bank: Immediate Impetus And Theoretical Rationale, **Social Sciences In China** ,Vol. 36,No.4 (November 2015),Pp.40-56

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بواذر نظام عالمي جديد"

وسمحت هذه المؤسسات ذات البعد العالمي، باستخدام أكبر للعملة الصينية الروسية لتسوية المعاملات الدولية وهو ما يهدد الدولار الأمريكي خاصة في منطقة الشرق الأوسط، ولذلك تعمل الولايات الأمريكية على مواجهة ذلك من خلال تعزيز المشاركة الاقتصادية الأمريكية في آسيا، وإدخال تغييرات في المؤسسات المالية الدولية، لحماية دورها في الإدارة الاقتصادية العالمية، وتشجيع الحلفاء على عدم المشاركة في تنفيذ مشاريع الحزام والطريق، وممارسة نفوذها في المنظمات الدولية لحقوق الإنسان والعمل والبيئة، لانتقاد المشاريع المسطرة تحت شعار حماية حقوق الإنسان¹.

الشكل رقم (2): تمثيل بياني يوضح سعر الصرف للتبادل بين عمليتي اليوان والروبل 2019-2024



المصدر من اعداد الطالب بالاعتماد على

<https://www.exchangerates.org.uk/RUB-CNY-exchange-rate-history.html>

وفقا لما تقدم في الشكل رقم (22)، فقد ازداد حجم التبادل المصرفي بين موسكو وبكين عقب العقوبات الاقتصادية الغربية المفروضة على روسيا جراء حربها في أوكرانيا، التي تضمنت تجميد

¹ - Mishina Viktoriia, Liubov Khomiakova, The Integrated Foreign Exchange Market In The Eurasian Economic Space And Settlements In National Currencies: Myth Or Reality?, **Problems Of Economic Transition**, Vol. 58, No.4(October 2016), Pp.306–327.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بواذر نظام عالمي جديد"

احتياطات البنوك الروسية في الأسواق المالية الدولية القائمة على الدولار، بالإضافة إلى الضغوطات المفروضة عليها في ظل انسحاب المؤسسات المالية والبنوك الغربية، ما جعل منفذها الوحيد في تطوير حجم علاقاتها الاقتصادية مع الصين، التي تدخلت بكبرى بنوكها لتقديم القروض والتمويل اللازم للبنوك والمؤسسات الائتمانية الروسية، مع توسيع استخدامهما لأنظمة الدفع المحلية باليوان والروبل.

وقد ساعدت تطورات الحرب الروسية الأوكرانية، على المضى الصين بتحالف مع روسيا في مسعى طويل يهدف إلى تعزيز قيمة عملتها أمام الدولار الأمريكي، حيث أبرم الجانبان يوم 6 سبتمبر 2022، اتفاقية لتسليم مدفوعات امدادات الغاز الروسية إلى الصين باليوان الصيني والروبل الروسي بدلا من الدولار، مما يخفف أيضا من هيمنة العملة الأمريكية بوصفها عملة احتياطي نقدي عالمية، ومن ثم يقلل من هيمنة أمريكا الاقتصادية، ويقلل من جدوى العقوبات الاقتصادية التي تفرضها، إذن تلاقت المصالح الروسية - الصينية بوصفهما حليفين استراتيجيين، ليس فقط لتأمين امداداتهما الطاقوية، بل أيضا لتطوير نظام مالي جديد بعيدا عن الدولار، ليدعم عملتيهما الوطنيتين، ويعزز تنافسية صادراتهما، ويحد من سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية على النظام العالمي، واتفق ذلك مع المساعي الروسية للحد من قدرة واشنطن على فرض عقوبات على الدول، خاصة بعد العقوبات الغربية التي فرضتها عليها الحرب على أوكرانيا، ورغبتها في توفير أنظمة مالية عالمية بديلة لنظام سويفت، ومن ثم تعد روسيا أكبر حليف استراتيجي للصين لإضعاف القوة الاقتصادية لأمريكا من خلال التخلي التدريجي عن الدولار¹.

وتؤكد المعطيات العملية هذا التوجه، إذ لم تعد هيمنة الدولار أمرا مسلما به منذ الهزات العنيفة لازمة عام 2008، وتراجع القدرة التصديرية للولايات المتحدة الأمريكية، واستمرار الأزمة البنوية الحادة التي تسببت في الازمات المالية والاقتصادية الأخيرة المتعاقبة، والارتفاع الكبير للدين العام، واستمرار طباعة البنك المركزي الأمريكي للنقود، هذه المؤشرات وغيرها تنذر بإنهيار وشيك للنظام النقدي العالمي، ولذلك تستعد مجموعة من القوى لمواجهة ذلك وتشكيل نظام بديل لم تتضح معالمه بشكل واضح بعد، لكن من بين ملامحه إقبال اقتصاديات قوية وناشئة على تقليص احتياطياتها من

¹ - RANA FOROOHAR, China, Russia And The Race To A Post-Dollar World, At: <https://www.ft.com/content/e5735375-75df-4859-bbf0-ae22e4fe2ff6>, accessed on (19-05-2024)(11:03).

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بواذر نظام عالمي جديد"

الدولار، والاتجاه أكثر نحو شراء الذهب والتحوط به وعلى رأسها الصين وروسيا¹، ونية دول مجموعة البريكس مثلاً لتبني عملة خاصة بها وحتى رقمنتها، وزيادة تبادلاتها البيئية مع قوى أخرى بالعملات المحلية، وبناء مؤسسات مالية تنافس نظيرتها الغربية، واستفاد الجميع من درس العقوبات الغربية على روسيا وتجميد احتياطياتها بالعملات الغربية مثل الدولار واليورو والجنيه الإسترليني، وهو ما كانت له نتائج عكسية أثرت سلباً على تلك العملات وعلى النظام المالي الغربي عموماً، ورغم عدم اتضاح معالم نظام نقدي متكامل وبديل بعد، إلا أن الاتجاه نحو هذا المسعى يمر عبر ثلاث مراحل، الأولى بدأت بالفعل تتمثل في العودة لاستعمال العملات الوطنية وتقليص حجم الدولار وبقية العملات الغربية في الاحتياطيات النقدية، والثانية إيجاد آليات تسعير جديدة لا تعتمد على دولار، والثالثة إنشاء عملة دفع رقمية جديدة تؤسس من خلال اتفاقية دولية تستند إلى الشفافية وإنصاف والكفاءة².

صفوة القول، أن العلاقات بين روسيا والصين لا تعتبر عاملاً من عوامل الاستقرار الجغرافي والسياسي لمنطقة أوراسيا فحسب، بل تقدم نموذجاً للشراكة الدولية المفتوحة الموجهة ضد الأحادية القطبية التي طبعت العلاقات الدولية منذ إنهيار الاتحاد السوفياتي، من خلال العمل على تطوير نظام عالمي أكثر عدلاً يراعي مصالح جميع الأطراف، وبات التنسيق الاستراتيجي الذي تشهده علاقات البلدين في مجالات مهمة من قبيل التسليح، والتبادل التجاري، والتعاون الطاقوي، والتكتل في إطار المؤسسات الاقتصادية والأمنية الإقليمية الوازنة، وغزو الفضاء، يكرس حقيقة تتجسد يوماً بعد يوم وهو زيادة الميل في كفة التوازن الدولي بشكل واضح لصالحهما.

¹ - MARIKO KODAKI, Nikkei Staff, China And Russia Step Up Bid To Challenge U.S. Dollar's Dominance, At: <https://asia.nikkei.com/Business/Markets/Currencies/China-and-Russia-step-up-bid-to-challenge-U.S.-dollar-s-dominance>, accessed on (19-05-2024)(12:43).

² - Sumayya Ismail, Can BRICS Dethrone The US Dollar? It'll Be An Uphill Climb, Experts Say, At: <https://www.aljazeera.com/features/2023/8/24/can-brics-dethrone-the-us-dollar-itll-be-an-uphill-climb-experts-say>, accessed on (19-05-2024)(13:27).

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بوادر نظام عالمي جديد"

المبحث الثاني: التحديات الجيوستراتيجية أمام المحور الصيني - الروسي في ضوء كسمبولتانية السياسة العالمية "العقلانية والمسؤولية في إدارة التحول البنيوي".

التوجه نحو تحدي المنظومة القائمة المهيمن عليها غربيا وأمريكا، لن يكون دون عقبات وتكاليف باهظة قد تصل إلى حد التصادم العنيف في أسوء السيناريوهات وأكثرها رعبا، إذ لا يوجد عبر التاريخ مهيمن مستعد للتخلي عن امتيازات وشهوة السلطة والنفوذ دون مقاومة، كما أن هناك عوائق بنيوية داخل الكتلة الهادفة إلى تغيير الوضع القائم في حد ذاتها، قد تكون حائلا أمام تجسد حلم كسر الريادة الغربية والأمريكية، وقد تعطل على الأقل الزحف المتسارع نحو خلق عالم ذي بنية هيكلية مختلفة للقوة والنفوذ في المعطيات والمصوغات، مالم يتم التعامل معها بالشكل اللازم.

ورغم قوة ومتانة الروابط بين الصين وروسيا، إلا أن عوامل الخلاف يمكن تلمسها بشكل واضح في علاقات البلدين، بشأن بعض القضايا الحدودية التي سممت علاقاتهما في وقت مضى، والتخوف الروسي من الصعود المتنامي للصين اقتصاديا وعسكريا، وتهديد ذلك لموقع روسيا التي أصبح ينظر إليها حسب الكثير من المحللين الغربيين، على أنها مجرد شريك صغير تابع للصين خاصة بعد الحرب الروسية - الأوكرانية، التي جعلت الصين تبدو كأنها تتجه لتكون الفاعل الأكثر تأثيرا وقيادة في علاقات الطرفين، ناهيك عن مخاوف بشأن هجرة أعداد كبيرة من الصينيين لمناطق أقصى الشرق الروسي، وتهديد ذلك بتغيير التركيبة السكانية في مناطق تقع على حافة الأراضي الروسية مترامية الأطراف وبعيدا عن المركز في موسكو، ما قد يسهل أي عملية انفصال مستقبلا، يضاف إليها صراع الزعامة المبطن ما بين موسكو وبكين في مختلف التنظيمات التي ينتميان إليها ويقودانها مثل البريكس ومنظمة شنغهاي، فكل منهما تطمح لأن تكون الأكثر هيمنة وقيادة داخل تلك التجمعات.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بؤادر نظام عالمي جديد"

المطلب الأول: قضايا البيئتين الداخلية والخارجية المؤثرة على الأداء الاستراتيجي للصين في النظام الدولي

على اختلاف توصيف الحالة الصينية وتسميتها، قوة صاعدة أو ظاهرة اقتصادية تشهد نمواً أو تطوراً سريعاً، إلا أن جميعها يعكس بروز قوة عالمية جديدة حققت نمواً اقتصادياً كبيراً، تمتلك الصين الإمكانيات والمقومات ما يجعلها تبحث عن مكانة لها كقوة عظمى في المنظومة الدولية، تتلاءم مع قوتها الاقتصادية ومقدراتها الوطنية، على الرغم من ذلك، لا تزال هناك العديد من التحديات الداخلية والخارجية التي تواجه البلاد وتهدد وثيرة صعودها، وتحد من قدرتها على القيام بدور دولي أكثر فاعلية، فقد صاحب النمو الاقتصادي والصعود الاستراتيجي، مجموعة من التحديات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، التي تؤثر على مكانتها المستقبلية.

أولاً: قضايا البيئة الداخلية المؤثرة على الصعود الصيني

على مدار عقود، اشتهرت الصين بعدد سكانها الهائل، وقوتها العاملة الكبيرة، التي شكلت رافعة نموها الاقتصادي والتنموي، ولكن البلاد اليوم تواجه مشكلة تراجع معدل الخصوبة، وشيخوخة السكان، ونقص محتمل في قوتها العاملة، ومعدلات تنمية متفاوتة بين الريف والمدن، يضاف إلى ذلك تزايد أعداد الطبقة الوسطى بشكل هائل، وهو ما يعتبر مؤشراً إيجابياً على تطور المجتمع ونموه، ولكن من جانب آخر فإن الحكومة الصينية لم تكشف بعد كيف يمكنها استيعاب تطلعات هذه الأغلبية الحضرية الطامحة لمشاركة أكبر في صنع القرار السياسي، وهناك أيضاً قضية وحدة الأراضي وخاصة خاصة في تايوان والتبت وإقليم شينجيانغ، وهناك دوماً مشكلة التنمية المستدامة وتأمين مصادر الطاقة، والتي قد تترجم على شكل تباطؤ في النمو الاقتصادي، ناهيك عن التلوث البيئي، ما حدا بالقيادة الصينية إلى ابتكار استراتيجيات وآليات جديدة أكثر تطوراً لمعالجة قضاياها الشائكة¹.

1- استقرار نظام الحكم

دفع انهيار الاتحاد السوفياتي عام 1989، الحزب الشيوعي إلى دراسة أسباب انهيار النظام وإدخال إصلاحات داخل الحزب لتجنب مصير مماثل، وخلصت النتائج إلى أن الدولة الحزبية ذات

¹ - Mol Arthur P. J, Neil T. Carter, China's Environmental Governance In Transition, *Environnemental Politis*, Vol.15, No.2 (August 2016), Pp.149-170

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بواذر نظام عالمي جديد"

الأيدولوجية العقائدية، والمؤسسات الوطنية غير الفاعلة، والاقتصاد الراكد ستفشل في نهاية المطاف، وسرعان ما انخرط الحزب الشيوعي مع متطلبات العصر، وأظهر قدرة على الاستجابة للضغوط التنموية الناجمة عن الصعود الاقتصادي المذهل، وتكيف واضح مع أدوات العولمة والتنمية الاقتصادية، وهو ما انتشل الملايين من أبنائه من براثن الفقر، وبذلك أعاد الحزب الشيوعي الصيني تصوير نفسه كمحرك للتغيير، يقود البلاد إلى النمو ويغذي الشعور بالفخر الوطني¹.

وبرزت مخاوف القيادة السياسية الصينية من الاضطرابات الاجتماعية، نتيجة التباطؤ الاقتصادي في السنوات الأخيرة، والغضب العام من قضايا الفساد، والتهديدات البيئية، والتفاوت في المستويات الإنمائية، نجم عن كل ذلك حالة من الامتعاض والسخط، ترجمت على شكل احتجاجات ووقفات جماهيرية، وقوبلت التحركات الشعبية بقمع حكومي شديد، اثار ذلك الرأي العام الدولي، تجاه قضايا حقوق الإنسان والحريات في الصين، واعادها إلى السطح من جديد، وجعل بعض الباحثين يندرون بإهتار النظام السياسي الصيني بسبب فقدان قنوات الاتصال بين قمة الهرم السياسي والقاعدة الجماهيرية، وذلك نتيجة لغياب الحريات وقمع الاعلام، والتراخي في اجراء الانتخابات المحلية، وحظر عمل مؤسسات المجتمع المدني الحقوقية².

وبالتزامن مع الغضب الشعبي، بدأت تطفو إلى السطح مظاهر المعارضة داخل أروقة الحزب لسياسات الرئيس شي جي بينغ، خاصة مركزية سلطته، وخروجه عن العرف السياسي المتعارف عليه في عملية انتقال السلطة، فمنذ توليه للرئاسة عام 2012، عمل الرئيس على زيادة محورية دوره، وتوجت هذه الخطوات في عام 2018، فقد أعلن أن الألقاب الثلاثة الأمين العام للحزب الشيوعي، ورئيس اللجنة العسكرية المركزية، ورئيس جمهورية الصين الشعبية، يجب أن تظل موحدة يشغلها الرئيس شي جي بينغ، من أجل المصلحة العليا للبلاد، ولتحقيق ذلك عهد " شي جي بينغ " إلى إضافة حدود زمنية على مناصبه الحزبية والعسكرية بجعلها تتماشى مع فترة رئاسته، وبدلاً من ذلك عمل على إزالة حد الولايتين لمنصب الرئاسة، وهو ما مهد الطريق له للبقاء في السلطة مدى الحياة، وخلق ذلك

¹ - Muldavin Joshua, From Rural Transformation To Global Integration: Comparative Analyses Of The Environmental Dimensions Of China's Rise, Eurasian Geography And Economics , Vol.54, No.3 (October 2017), Pp.259-279.

² - Bu, Danlu, Chenyu Zhang, Philip T. Lin, Political Uncertainty Institutions And Accounting Conservatism: Evidence From The Provincial Leader Turnover In China, **Spanish Journal Of Finance And Accounting**, Vol.49, No.4 (August 2016), Pp. 395-426.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بوادر نظام عالمي جديد"

لاستياء لدى مجموعة من أعضاء وكوادر الحزب على اعتبار أن هذه الخطوة قد تدخل الصين في أزمة خلاقة تزعزع الاستقرار السياسي للبلاد¹.

2- أمن الطاقة

يعتبر أمن الطاقة أحد أهم القضايا الداخلية المؤثرة على الصعود الصيني، فهو احتياج استراتيجي أساسي للاقتصاد الوطني والتنمية المستدامة، خاصة وأن تأمين امدادات الطاقة لا يرتبط بالنمو الاقتصادي فحسب، بل يرتبط أيضا بالأمن الشامل والتنمية الاستراتيجية للدولة، وقد ازداد طلب بكين على مصادر الطاقة مع تسارع وتيرة النمو الاقتصادي، الذي صاحبه نمو ديموغرافي كبير، فلم يعد القطاع الصناعي وحده هو المستهلك الوحيد للطاقة في الصين، وإنما تزايد استهلاك الافراد نظرا لتعداد السكان الكبير، ما جعل بكين تتصدر أكبر مستهلكي الطاقة في العالم².

إن ارتباط النمو الاقتصادي الصيني المستدام، بضمان وصول امدادات الطاقة الضرورية للنمو الاقتصادي والاستقرار الاجتماعي، ويتطلب ذلك دبلوماسية طاقة نشطة، ومبادرات تجارية واسعة، وتدعيما للقدرات العسكرية البحرية لتأمين وصول الطاقة من مورديها حول العالم، بالتوازي مع ذلك، تتجه البلاد نحو تطوير قطاع الطاقة النظيفة بهدف تحقيق الاكتفاء الذاتي، والحد من التلوث وخفض انبعاثات ثاني أكسيد الكربون، وأشار تقرير الأمم المتحدة لسنة 2019 م، إلى إن الصين كانت أكبر مستثمر في الطاقة المتجددة على مدار العقد الماضي³.

عصارة القول، أن الاعتماد على مصادر الطاقة المتجددة، يعني تناقص حاجة البلاد للموارد المحدودة من الخارج، ما قد يساهم في ضمان استمرار مسيرة النمو الاقتصادي والتنمية المستدامة، لكن وصول الصين فعليا للحد الأدنى من استيراد مصادر الطاقة من الخارج يحتاج وقتا لا بأس به، ما يعني أن أمن الطاقة ما زال تحديا على بكين تجاوزه حتى تقارب الاكتفاء الذاتي.

¹ - Cheng Enfu, Shaoyong Sun, Criteria For A Democratic And Effective National Political System: A Comparison Of Democratic Political Systems In China And The United States, International Critical Thought, Vol.13,No.2, Pp.177-192.

² - Wu Lei, Xuejun Liu, The China Energy Threat Thesis And Sino-U.S Relations: A Critical Review, Journal Of Middle Eastern And Islamic Studies (In Asia), Vol. 1, No (July 2018), Pp.31-45.

³ - Hu Hui, Xiang Li, Fuxia Yang, Total Factor Productivity And Energy Intensity: An Empirical Study Of China's Cement Industry, Emerging Markets Finance And Trade, Vol. 52, No.6 (May 2016), Pp.1405-1413.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بوادر نظام عالمي جديد"

3- قضية تايوان – الصين الواحدة

تعتبر قضية تايوان من أكثر القضايا حساسية لدى القيادة الصينية ، التي تعتبرها خطأ أحمر لا يمكن تجاوزه وشأنًا داخليًا ترفض التدخل به ، ويأتي التمسك الصيني بحتمية عودة تايوان ، في إطار الخوف من تآكل شرعية النظام في بكين ، فسياسة " الصين الواحدة " هي الركيزة الأساسية للمصلحة القومية الصينية ، مع تبني الحزب الشيوعي الصيني لرؤية موحدة للصين والعالم : صين واحدة ، عالم واحد ، حلم واحد ، ليصبح الإقرار بانفصال تايوان التام واستقلالها عن الصين الشيوعية من درب المستحيلات ، لأن انشقاقها عن الحضن الصيني قد يمهّد لسلسلة من الآن فصالات في التبت وتركستان الشرقية وغيرها ، عملاً بنظرية الدومينو ، فاستقلال أي جزء من أرضها قد يؤدي إلى استقلال أجزاء أخرى ، ما قد يهدد هيبة الصين ومكانتها الدولية ، لذلك ستبقى تايوان مصلحة أساسية لجمهورية الصين الشعبية ، طالما أن الحزب الشيوعي الصيني يحتكر السلطة¹.

من جانب ، يظهر وجود تايوان كديموقراطية نابضة بالحياة يزدهر فيها التنوع الثقافي والفكري والديني ، إن النظام الشيوعي الذي تبناه ماو ، وما زال قائماً حتى الآن ، ليس هو النظام السياسي الوحيد الذي يعمل لصالح الشعب الصيني ، فقد أصبحت تايوان حقيقة يمكن للمواطنين الصينيين رؤيتها بأعينهم ، وهو ما قد يحفز لديهم التفكير والمقارنة ، مع ازدياد التفاعل المتبادل بين المواطنين على جانبي مضيق تايوان ، التجاري والسياحي وغيره ، وبالتالي فإن فكرة وجود نموذج بديل قابل للتطبيق ، تعتبر فكرة مكروهة وغير مستحبة من قبل الحزب الشيوعي الصيني ، الذي لا يرغب برؤية ادعائه بالشرعية تطعن بأي شكل من الأشكال².

4- الأقليات ومشاكل حقوق الإنسان

لطالما اعتقد العديد من السياسيين والدبلوماسيين الدوليين ، أصحاب الفكر الليبرالي على وجه التحديد ، أن اندماج الصين في الأسواق والهيكل الاقتصادي العالمية ، يقلل من تهديد الصين ، ويعزز تكاملها مع بقية العالم ، إلا أن التحول الديموقراطي في الصين ، من شأنه أن يضع البلاد أمام مشكلة

¹ - Taylor Fravel, China's Potential Lessons From Ukraine For Conflict Over Taiwan, **The Washington Quarterly**, Vol.46, No.3(October2023), Pp.7-25.

² - He Kai, Huiyun Feng, Leadership Regime Security And China's Policy Toward Taiwan: Prospect Theory And Taiwan Crises, **The Pacific Review**, Vol.22, No.4 (September 2019), Pp.501-21.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بواذر نظام عالمي جديد"

الهوية الوطنية ،مع وجود شرائح من السكان لا تتماثل هويتها مع هوية الدولة القومية الصينية التي تعيش فيها ،فمن جهة تسعى التبت على سبيل المثال إلى الانفصال ،وخلق هويتها السياسية الخاصة ،من خلال إعادة بناء الهوية الثقافية والعرقية التبتية ،كذلك الأمر مع إقليم تركستان الشرقية ذو الأغلبية المسلمة ،لذلك فإن موقف بكين هو رفض تبني النهج الديمقراطي ،انطلاقا من أن الديمقراطية ستمنح الشعب حق تقرير مصيره ،ما قد يهدم عقودا من العمل الحثيث للحفاظ على وحدة الأراضي الصينية ،وترسيخ وجود الحزب الشيوعي الصيني¹ .

وعليه فإن التحول الديمقراطي في الصين الشعبية لن يحدث، طالما هناك خوف من استقرار نظام الحكم، واستمرار وجود الحزب الشيوعي، ما جعل البلاد تبقى منذ عام 1949 دولة مركزية، يحكمها الحزب الواحد، تتسم بقمع منظم للمعارضة، ونظام عدالة تشويه المحاكمات الجائرة، والتعذيب، والقمع الذي يمارس تحت ذريعة مكافحة النزعة الانفصالية او مكافحة الإرهاب، على وجه الخصوص في مناطق الأقليات.

5- التحدي البيئي

منذ بدء سياسة الإصلاح والانفتاح في أواخر سبعينيات القرن الماضي ،حدثت تغيرات اقتصادية واجتماعية هائلة في البلاد بما في ذلك انتشار الهجرة من الريف إلى المدينة ،وخصخصة الآن تاج ،والازدهار الصناعي الذي أدى إلى اندماج اكبر في الاقتصاد العالمي ،أدت هذه الإصلاحات إلى معدلات نمو مرتفعة ومستدامة للناتج المحلي الإجمالي ،لكن التكلفة البيئية كانت مرتفعة ،وتعتبر الصين من بين أبرز الدول الصاعدة التي تواجه معضلة بيئية جوهرية ،تشكل ضغطا وتحديا أمام استمرار صعودها الاستراتيجي ،فقد تجاوز النقاش حول التحديات البيئية التي تواجهها الصين ،العلاقة بين التزود بالطاقة والنمو الاقتصادي ،وبرزت العديد من القضايا الأخرى التي تشكل مصدر قلق بيئي ،قد ينعكس على الاستراتيجية التنموية الصينية والطموح الصيني باستدامة الدور والوصول إلى رفعة المكانة الإقليمية والدولية² .

¹ - united states , China responsible for 'serious human rights violations' in Xinjiang province: UN human rights report, 31 August 2022,p17-28.

² - Yang Gangqiang, Yongsheng Zhang, Haisen Wang ,The Environmental And Economic Utility Of The Third-Party Governance Of Environmental Pollution In China—An Analysis Based On The Business Registration

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بواذر نظام عالمي جديد"

إن التلوث والتدهور البيئي من أكبر العقبات التي تواجه النمو الاقتصادي المستقبلي للصين والاستقرار السياسي، وعدم قدرة الحكومة على معالجة التلوث وتأثيراته، قد يدفع المواطنين إلى التشكيك في شرعية قادة الصين ونظامها السياسي، في هذا السياق يرى " يانتشونغ هوانغ " في كتابه "السياسة السامة"، أنه لا يمكن للصين أن تستعيد عظمتها في العالم إذا استمر شعبيها في استنشاق الهواء الملوث، وشرب المياه السامة، وتناول الأطعمة الملوثة، وهو ما سيضر لا محالة بمكانة الصين الدولية¹.

ثانيا: قضايا البيئة الخارجية المؤثرة على الصعود الصيني:

مع تزايد وثيرة النمو الاقتصادي الصيني وتأثيراته على دور الصين العالمي، بما في ذلك المبادرات الاقتصادية في القارة السمراء وأمريكا اللاتينية وأماكن أخرى حول العالم، بدأت دول العالم، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، تولي الانتباه إلى تنامي النفوذ الصيني، وازداد هذا الترقب مع تداعيات استثمار الصين المتزايدة المرتبطة بمبادرة الحزام والطريق، وبنيتها التحتية العالمية الطموحة وبرامج المواصلات والاتصالات، التي يتم مناقشتها بشكل متزايد، هذه العوامل مجتمعة جعلت من البيئة الخارجية الإقليمية والدولية عاملا هاما في استمرار صعود الصين ومكانتها في النظام الدولي .

1- تحدي منافسة القوة العظمى

أخذت العلاقات الأمريكية الصينية منعطفا دراماتيكا سلبيا خلال العقد الماضي ،بفعل اشتداد المنافسة الاقتصادية ،واختلاف الرؤى حول الأنظمة الإقليمية ،إذ تنهت إدارة الرئيس الأسبق باراك أوباما إلى إن إشغال الولايات المتحدة الأمريكية في محاولة خلق شرق أوسط جديد ،وما تبع ذلك من حروب ونزاعات مكلفة ،جعل واشنطن تخطئ في التعامل مع بكين ،التي عكفت على تطوير بنيتها التحتية ،وتنمية قدراتها التصنيعية والتقنية ،وبناء اقتصادها ،وقد كان مقال وزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتون ،في عام 2011 ،الذي حمل عنوان " عصرأمريكا الباسفيكي " (PACIFIC AMERICAN ERA) من أهم مؤشرات توجه السياسة الخارجية الأمريكية نحو منطقة آسيا المحيط

Information Of Enterprises , **Journal Of Environmental Planning And Management**, Vol.3,No.1(June2023), 1-26.

¹ -Yanzhong Huang ،**Toxic Politics China's Environmental Health Crisis And Its Challenge To The Chinese State** ،(Cambridge: Cambridge University Press,2020) ،Pp.76-79.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بواذر نظام عالمي جديد"

الهادئ، اعتبرت على اثرها كلينتون أن المنطقة أصبحت المحرك الرئيس للسياسة العالمية، ودعت إلى زيادة الاستثمار الدبلوماسي، والاقتصادي في المنطقة، وتعميق العمل المشترك مع دول المنطقة والمؤسسات الإقليمية متعددة الأطراف، كذلك أكدت كلينتون على ضرورة التركيز على القضايا الإشكالية مع الصين، بما يشمل قضايا الديمقراطية وحقوق الإنسان، وحرية الملاحة في بحر الصين الجنوبي، والشفافية العسكرية الصينية¹.

فيما تبنت إدارة الرئيس دونالد ترامب، مبدأ المنافسة الاستراتيجية مع بكين، التي أعادت أذهان الحرب الباردة، فقد أصبح الخطاب المناهض للصين بارزا بشكل متزايد في الوثائق الاستراتيجية الأمريكية، مثل استراتيجية الأمن القومي للولايات المتحدة الأمريكية لعام 2017 التي اعتبرت أن هناك منافسة استراتيجية بين الرؤى الحرة والقمعية للنظام العالمي، تحدث في منطقة المحيطين الهندي والهادئ، حيث تسعى الصين إلى تحدي القوة والنفوذ، والمصالح الأمريكية، وتقويض الأمن والازدهار الأمريكي².

وسعت إدارة جون بايدن إلى التعاون مع حلفائها في المنطقة والعالم، من اجل اتخاذ العديد من الإجراءات الاستراتيجية المشتركة، مثل دعم صعود الهند، وتحالفات AUKUS و QUAD، واستراتيجية الناتو المحدثه لعام 2022 م، التي اشارت إلى تحدي الصين لقيم ومصالح وأمن الدول المنضوية فيه. في الوقت نفسه لا تتردد إدارة بايدن في فرض مجموعة واسعة من العقوبات على الأفراد والشركات الصينية، والحفاظ على بعض القيود التجارية الرئيسية التي فرضت في عهد دونالد ترامب، بما في ذلك الرسوم الجمركية، وإدراج العديد من الشركات الصينية في القوائم السوداء، كما منع الأمريكيون من الاستثمار في الشركات الصينية ذات البعد الدفاعي، ناهيك عن زيادة الدعم وإيلاء الاهتمام بتأبيه باعتبارها الحجر المحرك لمنافسات القوى في الفضاء الأندوباسفيكي³.

¹ - Nawaz Rubab, Asma Bilal, Maria Rehman, United States-China Space Offensive: A Dangerous Competition, *Astropolitics*, Vol. 20, No.1 (October 2022), Pp27-42.

² - Bethany Allen-Ebrahimian, China Is Worried About The Return Of Trump, But It Also Sees Opportunities If He Wins, At: <https://edition.cnn.com/2024/03/10/china/china-two-sessions-trump-election-analysis-intl-hnk/index.html>, accessed on (19-05-2024) (15:37)

³ - Emily Feng, Vincent Ni, 4 Takeaways From President Biden's 'Very Blunt' Meeting With China's Xi Jinping, At: <https://www.npr.org/2022/11/14/1136459450/biden-xi-meeting>, accessed on (19-05-2024) (18:22).

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بؤادر نظام عالمي جديد"

1- جوار إقليمي مضطرب

لأشك أن الصين أصبحت من أهم وأكبر اللاعبين السياسيين والاقتصاديين على مستوى العالم ، إلا أن تنامي قوة الصين ونفوذها يثير أسئلة مهمة لدى العديد من الدول ، لعل أهمها دول الإقليم ، ففي حين أن الصين الصاعدة توفر فرصا لمزيد من التعاون ، سواء على المستوى الثنائي أو الجمعي في إطار المؤسسات متعددة الأطراف ، وفرصا أكبر للتجارة والاستثمار ، وموارد أكبر لمواجهة التحديات العالمية المشتركة ، إلا أنها في المقابل عززت قلق وعدم يقين بعض دول الإقليم ، حول نوايا بكن المستقبلية تجاه جيرانها ، وكيف ستستخدم نفوذها في علاقاتها الإقليمية والدولية¹ .

تصاعدت هذه المخاوف ، بعد إن أصبحت بكن أكثر حزما في النزاعات الإقليمية ، ففي بحر الصين الشرقي هناك النزاع مع اليابان حول جزر دياويوتاي ، وكذلك في بحر الصين الجنوبي مع فيتنام والفلبين حول جزر سبراتلي ، والحوادث التصادية مع الهند على طول المنطقة الحدودية المتنازع عليها ، وفي الوقت نفسه ، أدى تطوير الصين لقدراتها العسكرية بما في ذلك إطلاق حاملات الطائرات الثلاث ، إلى تحفيز دول الجوار على تحديث قدراتهم العسكرية ، وتبنيهم الاستراتيجية التحوط من بكن ، ما أدى بدوره إلى تعزيز علاقاتهم مع الولايات المتحدة الأمريكية² .

2- عقبات تهدد مبادرة الحلم الصيني

يتمثل التحدي الرئيس قدرة الصين على الاستمرار في تمويل مشاريع المبادرة ، وتحمل عدم الالتزام في سداد الديون ، فعلى الرغم ، من توجه بكن للاستثمار في الخارج وتمويل مشاريع البنية التحتية ، وسكك الحديد والموانئ ، إلا أنها أصبحت تواجه تحديات في الإقراض وتمويل برامج التنمية ، تنتج هذه التحديات من عدم قدرة الدول المقترضة ، على سداد التزاماتها المالية ، ويشير تقرير AID DATA إلى أن 35 بالمائة من مشاريع البنية التحتية لمبادرة الحزام والطريق ، متوقفة بسبب نابعة من تراجع التمويل³ .

¹-Ningbo Wu ,China's Rights And Interests In The South China Sea: Challenges And Policy Responses , **Australian Journal Of Maritime & Ocean Affairs**, Vol. 8 ,No.4(October2016),Pp. 286-97.

²-Qi Huaigao, Joint Development in the South China Sea: China's Incentives And Policy Choices, **Journal Of Contemporary East Asia Studies**, Vol. 8, No.2 (November 2019), Pp.220-239.

³-Kamal Muhammad Abdul, Assad Ullah, Fiza Qureshi, China's Outward Fdi And Environmental Sustainability In Belt And Road Countries: Does The Quality Of Institutions Matter?, **Journal Of Environmental Planning And Management**, Vol. 66,No.5(November 2016),Pp.1002-1036.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بواذر نظام عالمي جديد"

وبذلك تفاقمت التحديات بفعل الازمة الاقتصادية العالمية الناتجة عن إنتشار جائحة كورونا، وما تبع ذلك من زيادة في التضخم العالمي، وارتفاع سعر الفائدة، الذي ترك الدول المشاركة في المبادرة تكافح من أجل سداد ديونها للصين، دفع ذلك بكين لمراجعة سياساتها التمويلية، ففي نوفمبر من سنة 2022، صرح الرئيس "شي جي بينغ" في اجتماع خاص حول مبادرة الحزام والطريق "إن المبادرة دخلت مرحلة تتطلب من الصين التعامل مع شبكة من القضايا متزايدة التعقيد"¹.

المطلب الثاني: تعقيدات وقيود البيئتين الداخلية والخارجية المعطلة لإعادة بعث الدور الروسي في النظام الدولي.

منذ وصوله إلى السلطة ركز خطاب الرئيس الروسي فلاديمير بوتين على تغذية الشعور القومي، واثارة الفخر الوطني لدى الروس الذين شعروا بالمهانة بعد تفكك إمبراطوريتهم الحمراء، واستخفاف الغرب بدورهم، وصولاً إلى مرحلة بدء الصدام مع الغرب بعد حرب أوسيتا الجنوبية عام 2008، التي بلغت ذروتها بعد استعادة شبه جزيرة القرم عام 2014، واقدامها على غزو أوكرانيا مطلع عام 2022 م، مع ما رافق ذلك من انتقادات غربية لسياسات روسيا، ونظام حكم بوتين، والتحذيرات المتزايدة في الغرب عامة، والولايات المتحدة الأمريكية على وجه الخصوص، من سعي روسيا إلى قيادة عالمية جديدة.

لا يخفي المنظرون السياسيون الروس - على تباين مشاربهم - رغبتهم في استعادة دور روسيا على المسرح العالمي، ولكنهم هذه المرة لا يدعون إلى عالم ثنائي القطبية تكون روسيا طرفاً فيه مقابل الولايات المتحدة الأمريكية كما كانت عليه الحال في اعقاب الحرب الباردة، لعلمهم بأن روسيا الحالية لا تمتلك المقومات التي تؤهلها لذلك، ولتجربتهم التي تعلموا من خلالها أن القيادة القطبية الثنائية تستدعي تحمل أعباء أكبر بكثير من أي مكاسب يمكن أن تتحقق من خلالها، بدلاً من ذلك ينطلقون من دعوة مفادها أن العالم مقبل على "تعددية قطبية" ستكون فيه روسيا قطباً ضمن عدة أقطاب عالمية أخرى، وفي هذه الحالة سيمتد نفوذ "القطب الروسي" المفترض إلى ما يسمى في الأدبيات السياسية الروسية "الجوار القريب"، أو بلدان الاتحاد السوفياتي سابقاً، ولكن شكل هذا القطب

¹ -Loc.cit.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بؤادر نظام عالمي جديد"

وهذا الاتحاد الجديد ،عليه اختلاف كبير بين النخب الروسية ،وأن الاتحاد الاقتصادي الاوراسي (EAEU هو التصور الأقرب اليه حتى الآن ¹.

وبعيدا عن الطموح المشروع لكل دولة او قوة ترى في نفسها القدرة، تعترض الطموحات الروسية عدة عقبات امام تحقيق ذلك الهدف سنبرزها فيما يلي:

أولاً: المعضلات الداخلية

يواجه الصعود الاستراتيجي الروسي معضلات حاسمة قد تؤدي إلى تراجعها، لعل أهمها ضعف المناخ السياسي الديمقراطي مع غياب شبه تام للبنية المؤسسية، واضطرابات داخلية فاقم منها التباطؤ السكاني.

1. هشاشة النظام السياسي

الاتحاد الروسي اليوم، ليس مصيره ببعيد عما حدث للدولة الروسية الأولى، "كيقسكايا روس «(879-1240)، و"روسيا القيصرية" (1547-1721)، و"روسيا الإمبراطورية" (1721-1917)، او "روسيا السوفياتية" (1922-1991)، فلا وجود لقيادة واضحة ما بعد الرئيس بوتين، وكل الشخصيات على الساحة محدودة الكفاءة والخبرة والثقافة، باستثناء وزير الخارجية "سيرغي لافروف"، البالغ من العمر 71 سنة، ووزير الدفاع سيرغي شويغر"، أما الحزب الحاكم في "روسيا الموحدة" فهو شبه بناد لتجمع أصحاب المصالح للالتحاق بحزب الحكومة، ويمثل خليطا من شخصيات مختلفة التوجهات، وكما يقول الصحفي الروسي "ماكسيم شيقتشينكو" " بدون بوتين لا وجود لشيء يسمى حزب روسيا الموحدة"، في الغالب تنتهي الأحزاب بنهاية مؤسسها في ظل افتقادها لأي أيديولوجية او قاعدة شعبية، ونظرا إلى تأسيسها الفوقي والغوغائي من السلطة، لن ينتظرها في الغالب سوى مصير التحلل والتفكك ².

¹ -Forsberg Tuomas, Graeme Herd, Russia And Nato: From Windows Of Opportunities To Closed Doors, **Journal Of Contemporary European Studies**, Vol.23 ,No.1(March2015),Pp41-57.

² -Mikhailov ,Authoritarian Regimes Of Russia And Tatarstan: Coexistence And Subjection, **Journal Of Communist Studies And Transition Politics**, Vol.26,No4(November 2020),Pp474-493.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بوادر نظام عالمي جديد"

لا يعرف النظام السياسي الروسي بدولة المؤسسات ،ولا يتقن الروس ما يتقنه الأمريكيون في " فن إدارة التناقضات " داخل أجهزة الدولة ،على العكس من ذلك ،هناك اطراف متصارعة مصالحها متضاربة لا تمثل سوى نفسها ،ولا وجد لقواعد حقيقية خلفها ويكمن دور الرئيس او " القيصر " في إدارة هذه الصراعات بنفسه ،وفي حالة ضعفه او غيابه لأي سبب كان ،تدخل البلاد كعادتها في حلقة من الفوضى ،وكما صرح بوتين نفسه عندما طرح البعض توليه منصب رئيس مجلس الدولة مع منحه صلاحيات عليا قبل ترك منصب الرئاسة في سنة 2024 ،فكان رده على هذا المقترح بالقول " تعدد السلطات في بلد مثل روسيا لا يعني سوى الفوضى " ، او وفقا للمثل الروسي " الغابة لا تتحمل سوى دب واحد " ¹.

قد يكون من المفيد التذكير برسالة مهندس الحرب الباردة جورج كينان المسماة البرقية الطويلة (LONG TELEGRAM) التي من بين ما قاله فيها " على الولايات المتحدة الامريكية ان تؤجل جميع مشاريعها لخلق تغيير في الاتحاد السوفياتي حتى وفاة جوزيف ستالين وبعدها يمكن العمل عليها بهدوء وصولا إلى تنفيذها " ،وهو ما كرره مستشار الامن القومي الأمريكي السابق " زيجنيورجينيديسكي " ،حين دعا عام 2016 إلى عدم الدخول في مواجهة حادة مع روسيا وانتظار مرحلة ما بعد بوتين ،لخلق التغيير المنشود ،ومنه يبدو أن الغرب قد درس وفهم تاريخ روسيا أكثر من بعض الروس ، ما مكن له تقصي ومعرفة تاريخ خصمه لوضعه تحت السيطرة ².

2. الخواء الروحي والايدولوجي

بعد تفكك الاتحاد السوفياتي وجد الروس أنفسهم في العراء ، لا قيم الأرثوذكسية لها وجود لدى غالبية الشعب الذي ولد وترعرع في ظل " القيم الاشتراكية " العلمانية ، ولا هذه القيم بقيت بعد تفكك الدولة التي كانت تعتنق ايدولوجيتها ، وحل محل ذلك مجموعات متناثرة من الأفكار المستنسخة في الغالب من الغرب.

¹ -Driedger Jonas ,Risk Acceptance And Offensive War: The Case Of Russia Under The Putin Regime, **Contemporary Security Policy** ,Vol.44,No.2(January 2023),Pp.119-125.

² -Zubok Vladislav, After Putin – What?, **Bulletin Of The Atomic Scientists** ,Vol.78,No.6 (November 2022),Pp.299–306.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بوادر نظام عالمي جديد"

الاتحاد الروسي الآن لا يمتلك نموذجا يمكن أن يشكل عامل إلهام لشعبه ،فضلا عن محيطه القريب وبالضرورة لباقي شعوب العالم الأخرى ،وعلى الرغم من جميع محاولات الرئيس فلاديمير بوتين ليبدو هو ونظامه في صورة " المحافظين " المؤمنين بالقيم الارثوذكسية والعادات والتقاليد الروسية العريقة ،فإن هذه الدعاية لا تجد لها صدى في الداخل الروسي ،ولدى الشباب تحديدا غير المكتثرين بها نتيجة لذلك نجد اليوم فجوة كبرى بين الشباب والكهول ،حيث يرى الفريق الأخير بوتين وقيم نظامه من خلال منظور ما شاهده قبيل تفكك الاتحاد السوفياتي ،وفوضى التسعينيات المرعبة ،في حين أن هؤلاء الشباب لم يعاصروا او يعوا جيدا تلك الاحداث ،ولديهم من وسائل المعرفة والاطلاع على العالم الخارجي ،مالم يتوفر لدى الجيل السابق لهم ،ويرون الاستقرار امرا مسلما به ،ويقارنون بين أوضاع بلادهم على مستوى الفساد والحريات والرفاهية وأوضاع باقي الشعوب¹.

على المستوى الأخلاقي، لا وجود لمنظومة قيم اجتماعية مبنية على أيديولوجية ما أقيم دينية، الا ربما داخل الأقليات القومية، أما على المستوى السلافي، فالفلسفات والأديان الشرقية، تلتقي لدى المهتمين بالجوانب الروحية رواجاً غير عادي مثل البوذية، والهندوسية، وحركة هاري كريشنا وغيرها.

أدى غياب ما تسمى بـ " القوى الناعمة " إلى معاناة روسيا من مشكلات لا حصر لها مع " محيطها القريب " الذي كان من المفترض أن يكون الأقرب اليها ،وقد تحول إلى عبء وعامل استنزاف ،حسب وصف البروفيسور تشاو هواشنغ (zaho huasheg)، الأستاذ في معهد الدراسات الدولية ،بجامعة فودان ،في شنغهاي الصينية ،أوكرانيا في حالة حرب تقريبا مع روسيا ،وكذلك جورجيا ،وبلدان آسيا الوسطى ،تتحفظ فيها أوزباكستان وتركمنستان ،على الانضمام إلى الاتحاد الاوراسي مع تنامي المشاعر القومية المناهضة لروسيا في كازخستان ، في حين تجبر الظروف الاقتصادية الصعبة كلا من طاجكستان وقرغيزستان على التقارب مع روسيا ،في الوقت الذي تكن فيه بلدان البلطيق العداء لموسكو ،وهناك قطيعة مع مولدافيا على اثر الخلاف بشأن إقليم ترانسنيستريا ،اما الحليف الرئيسي في البلقان صربيا، فما أن لوح لها الغرب وأبدى استعداداه للبدء في تسوية ما بشأن كوسوفو ،حتى قررت بلغراد الانسحاب من المناورات السنوية مع روسيا ،على غير العادة أرمينيا ،التي تعرضت لهزيمة مذلة

¹ -Christo Atanasov Kostov, Russian Fascism: The Six Principles Of Putin's Nationalist Ideology,At: <https://theconversation.com/russian-fascism-the-six-principles-of-putins-nationalist-ideology-218182> ,Accessed On (20-05-2024)(07:24)

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بواذر نظام عالمي جديد"

في حربها الأخيرة في ناغورنو قره باغ ، أعاد شعبيها انتخاب نيكول باشينيان ، المحسوب على الغرب ، والمعادي لروسيا ، رغم مرارة الهزيمة ، درئا لما هو أكثر " مرارة " ، حسب وصف أحد المعلقين ، بعودة حزب أرمينيا القريب من الكرملين¹ .

غياب النموذج السياسي او الاقتصادي ، او أي الهام لشعوب العالم ، كما كانت الحال في ظل الاتحاد السوفياتي ، مع كون 77 بالمائة من مساحة البلاد داخل قارة آسيا ، و فقط 33 بالمائة داخل القطاع الأوروبي ، ورغم ذلك يسكن فيه 80 بالمائة من السكان ، وحدود برية من 14 دولة ، منها الصين بتعداد سكاني مكون من عشرات الملايين على حدودها مقابل أقل من خمسة ملايين روسي ، وفي ظل التدهور الديموغرافي الحالي ، وعدم قدرة النظام على جعل موسكو ، هوليوود اورآسيا ، بتعزيز اللغة الروسية الاخذة في التراجع بجوارها القريب ، أو أن تكون قبلة للعلم والتكنولوجيا والفرص الاقتصادية كما كانت في الماضي ، أو مركزا للنخب الثقافية الاوراسية ، حيث لا يهتم النظام بكل هذه الموارد الضخمة ، ويؤمن فقط حصرا بالقوة ، ونظرته إلى الثقافة والفن تكاد تكون معدومة² .

بناء على ما سبق ، يصعب جدا أن تكون روسيا قطبا عالميا في ظل هذا الفراغ الروحي والايديولوجي ، وغياب منظومة قيمية واجتماعية راسخة ، إلى جانب التدهور الديموغرافي الذي يثير أطماع الشرق والغرب في أراضيها ذات الثروات الضخمة ، وبالتحديد في سيبيريا ، التي وفق بريجنسكي ، من الأفضل لروسيا أن تتبنى مشروع " سيبيريا الأوروبية " ليتولى الغرب اعمارها وتطويرها بدلا من سيطرة الصين الحتمية عليها .

3. الضعف الاقتصادي

عندما تولى الرئيس فلاديمير بوتين مقاليد الحكم ، كان اقتصاد روسيا تحت قبضة " الاوليفارشيون السبعة " ، المنتمين جميعا إلى قومية واحدة ، ويمتلكون 70 بالمائة من اقتصاد البلاد ، وقد واجههم بوتين بكل قوة وحزم ، واستبشر الروس بإن عهدا جديدا من الشفافية والمساواة الاقتصادية ينتظر البلاد ، لكن سرعان ما تبدد هذا الامل ، لتبلغ درجة الحرية الاقتصادية لروسيا

¹ -Amirov.V, Prospects For Cooperation Between Russia And The Countries Of Central Asia After The Global Crisis, **Problems Of Economic Transition** ,Vol. 53 ,No.5(December 2014),Pp.70–85.

² -Malle Silvana,The All-Russian National Front – For Russia: A New Actor In The Political And Economic Landscape ,**Post-Communist Economies** ,Vol.28,No.2 (February2018),Pp. 199–219.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بؤادر نظام عالمي جديد"

61.5 ، مما يجعل اقتصادها يحتل المرتبة الثانية والتسعين بين الاقتصادات الأكثر حرية في مؤشر سنة 2023 ، والمرتبة الثانية والأربعين بين 45 دولة في الفضاء الأوروبي ، وهي مرتبة اقل من المتوسطات الإقليمية والعالمية¹

وحسب منظمة الشفافية الدولية (TRANSPARENCY INTERNATIONAL) تحتل روسيا المرتبة 129 من 180 دولة حول العالم في مؤشر الفساد ، ودفع نحو 27 بالمئة من مواطنيها على الأقل رشوة إلى موظفي الخدمة العامة ، لتساوى بذلك مع مالي والغابون وكينيا ، وتقترب باكستان المتفوقة عليها بخمس نقاط ، حيث جاءت في المرتبة ال 124 ، وتفوق عليها رومانيا ب 80 نقطة والتي جاء ترتيبها ال 49 ، أما الولايات المتحدة الأمريكية فقد جاءت في المرتبة 25 ، والصين في المرتبة 78 ، وهو ما يوضح الهوة الكبيرة بين القوتين الصينية والأمريكية ونظيرتهما الروسية² .

مازال الاقتصاد الروسي حتى الآن ريعيا ، يعتمد على عائدات الغاز والنفط ، ولم تتمكن روسيا بعد من تنويع اقتصادها الضعيف ، الذي لا يؤهلها لتحمل أعباء عالمية ، على سبيل المثال بلغ الناتج الإجمالي لها سنة 2023 (2.24 تريليون دولار) ، في حين بلغ الناتج المحلي الإجمالي للولايات المتحدة الأمريكية من نفس السنة 22.68 تريليون دولار .

وأدى ضعف الاقتصاد ، واعتماده على الربيع وتفشي الفساد في مؤسسات الدولة ، إلى هجرة رؤوس الأموال والعقول والادمغة الروسية إلى خارج البلاد ، حتى بات المجتمع مكونا من أربع مجموعات رئيسية وهي النواذب ممن يمتلكون مقومات اقتصادية تسمح لهم بالهجرة إلى أوروبا وأمريكا الشمالية ، والمحظيون من أبناء الالوغارشيات وأقاربها ورجالات الدولة الذين يحصلون على وظائف مميزة بفضل دائرة علاقاتهم لا بفضل موهبتهم ، والمكافحون الذين جل طموحهم الهجرة للعمل والإقامة في موسكو ، وأصحاب الحظ السيء ممن لا يمتلكون مقومات اقتصادية او دائرة معارف قوية في دوائر أجهزة الدولة البيروقراطية خارج موسكو وسانت بطرسبورغ³ .

¹ -By Anders Aslund, Why The Russian Economy's Luck Is Running Out,At: <https://www.themoscowtimes.com/2023/11/21/why-the-russian-economy-luck-is-running-out-a83165> ,accessed on(20-05-2024)(9:07).

² - Jeffrey A Sonnenfeld, Actually, the Russian Economy Is Imploding: Nine myths about the effects of sanctions and business retreats debunked,at: <https://foreignpolicy.com/2022/07/22/russia-economy-sanctions-myths-ruble-business/> ,accessed on (20-05-2024)(10:03).

³ -Paul Krugman, How The West Is Strangling Putin's Economy, **New York Times**, No.17, May 19, 2022, P.27.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بواذر نظام عالمي جديد"

نتيجة لذلك، يعد الاستثمار في روسيا من المجازفات الخطرة في ظل غياب القانون والشفافية، ورجسية السلطة السياسية التي تمارس سياسة يمينية امبريالية تجاه جيرانها الأضعف، ربما أشد قسوة من سياسات الولايات المتحدة الأمريكية، دون مراعاة للتفرقة بين الشعوب لتجتذبهم النظم الحاكمة المختلفة معها، بدلا من أن تساعد سياسات السلطة الروسية على تأكيد نظريات " المعاديين " لها في محيطها القريب والترويج للمقولة الشهيرة " روسيا سجن الشعوب "، وضرورة التضحية مهما كانت الظروف للتحرر من نيرها ، والالتحاق بالمعسكر الغربي، وهو ما حدث في مولدافيا عام 2000 حيث أدت التطورات السياسية إلى تنحية رئيسها فلاديمير بورتين ، المفضل لدى موسكو، ووصول القوميين الراغبين في الوحدة والتكامل مع الاتحاد الأوروبي، وعليه فلا وجود للاقتصاد روسي حقيقي ولا قدرات روسية اقتصادية قادرة على مساعدة الحلفاء، مع خلط خطير بين الخلافات السياسية والاقتصاد دون قواعد واضحة وعدم القدرة على اجتذاب المحيط القريب لغياب نموذج اقتصادي ناجح، وكلها أمور لا تؤهل روسيا لبناء قوة عظمى عالمية¹.

4. المعضلة السكانية

تحظى هذه المعضلة باهتمام واسع لدى القيادة الروسية لما تمثله من أهمية ذات تأثير متعدد الابعاد في جميع نواحي القدرات الروسية وإمكانية تأثيرها على عملية صعودها الاستراتيجي، فالتراجع في عدد السكان أصبح يشكل تهديدا للأمن القومي الروسي.

ففي أول خطاب له بعد أسبوعين من توليه الرئاسة رسميا في مارس من عام 2000، صرح "فلاديمير بوتين " أن عدد سكان روسيا يتناقص بمعدل 750 ألف سنويا، وهناك احتمال أنه في المدى البعيد سيكون عدد سكان روسيا أقل بمقدار 22 مليون نسمة، ولو استمر هذا الانخفاض وبالمعادلات نفسها فسيكون هناك تهديد لبقاء الدولة الروسية نفسها².

¹ - Fernanda Paúl, Guerre - Ukraine Russie : Le Déclin De La Russie Signifie La Montée En Puissance De La Chine, Selon L'expert Qui A Prédit L'invasion De La Crimée, At : <https://www.bbc.com/afrique/monde-61054263>, Accessed On(20-05-2024)(14:26).

² - Cyrielle CABOT, Population Decline In Russia: 'Putin Has No Choice But To Win' In Ukraine,At: <https://www.france24.com/en/europe/20220524-population-decline-in-russia-putin-has-no-other-choice-but-to-win-in-ukraine>, Accessed On(20-05-2024)(19:41).

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بوادر نظام عالمي جديد"

ويأتي إنخفاض عدد السكان في روسيا نتيجة عبء الرأسمالية خلال الفترة الانتقالية في مرحلة ما بعد الاتحاد السوفياتي، وتدني الخدمات الصحية والاجتماعية، وارتفاع الأسعار وتدني الأجور بسبب تراجع الدولة عن توفير تلك الخدمات الأساسية، وما رافق ذلك من عملية التحول الاقتصادي في عهد بوريس يلتسن (1991-1999)، أما تداعيات المعضلة الأساسية في الدولة الروسية في المدين المتوسط والطويل، فإنها ستتعدى مستقبل روسيا ذاتها لتتفاعل مع التوازنات الدولية، حيث سينعكس ذلك على القوات المسلحة وأفرادها، وعلى نقص الايدي العاملة الروسية، وهذا مؤشر على طبيعة الخدمات في روسيا، ومدى قدرتها على دعم السياسة الخارجية لروسيا ما يؤثر في مكانة روسيا الدولية¹.

ثانيا: المعضلات الخارجية

تواجه روسيا تحديات كثيرة لفرض هيمنتها في مناطق الفراغ الجيوسياسي، وموازة الولايات المتحدة الامريكية في الهرم الدولي نجملها فيما يلي:

1. تهديدات الجوار القريب : التي تواجه روسيا مع دول الجوار تلك الدول التي تشكل عمق روسيا التاريخي والاستراتيجي منذ زمن الإمبراطورية الروسية في الاتحاد السوفياتي السابق، ومحاولة تلك الدول التقارب والتكامل مع الولايات المتحدة الامريكية والدول الغربية لمحاصرة روسيا، ولعل مشروع الدرع الصاروخي أكبر دليل لمحاولة الولايات المتحدة الامريكية لاحتواء روسيا، من خلال نشر عشرة صواريخ اعتراضية في بولندا بحلول عام 2013، وقد اعتبرت روسيا ذلك تهديدا لمصالحها خاصة مع وجود أقليات روسية في تلك الدول مثل جورجيا وأوكرانيا وغيرهما².

2. توسع حلف الشمال الأطلسي: ليضم دول الجوار القريب، واقتربه من حدود روسيا الاتحادية، إذ عبرت روسيا من خلال عقائدها العسكرية، عن كون حلف شمال الأطلسي (الناتو) هو الخطر الأساسي الذي يتعرض روسيا، خاصة إذا اخذنا بعين الاعتبار أن وجود حلف شمال الأطلسي كان مرتبطا بفترة الحرب الباردة وقيام الغرب بتهديد حلفاء روسيا التقليديين مثل صربيا اقوى حليف تاريخي لروسيا في البلقان بحكم التراث السلافي المشترك

¹ - Benoît Vitkine, En Russie, L'échec Démographique De Poutine, **Le Monde**, No.4, 28 Septembre 2023, P.13.

² - Götz Elias ,Russia The West And The Ukraine Crisis: Three Contending Perspectives , **Contemporary Politics**, Vol. 22, No.3 (Jun2016), Pp. 249-266.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بواذر نظام عالمي جديد"

، خاصة أخذنا باعتبار أن روسيا القيصرية دخلت الحرب العالمية الأولى من أجل صربيا الحليف التقليدي لروسيا لدعم الدول الغربية لاستقلال كوسوفو، وهو ما يكرر نفسه اليوم في الأراضي الأوكرانية التي تخوض فيها الحرب الروسية معرك اثبات الوجود¹.

المفارقة المستخلصة، أنه رغم قدرة الإصلاحات في مجال إزالة القيود التنظيمية على تخليص روسيا من امراضها، فمن المستبعد إن يتبنى بلد يتفشى فيه الفساد وتحكمه قيادة متعصبة لأجنداتها مثل هذه الخيارات ، فقد سعى بوتين في المقام الأول للترويج لهوية سلافية أبرز معالمها الارتياح في التأثير الثقافي والفكري الغربي، وبدلاً من تطوير استراتيجية لتحقيق التعافي طويل الأمد في روسيا، تبنى بوتين نهجاً تفاعلياً إنتهازياً، وهو نهج قد ينجح أحياناً ولكن على المد القصير فقط في مواجهة القلق الداخلي والانحدار الديموغرافي، والتهديدات الخارجية الملموسة ، وضعف الجيران ، مع السعي لتوطيد العلاقات مع الشرق ، مما يزيد احتمالية إن ينتهي الامر بروسيا إلى أن تكون الشريك الأدنى للصين .

¹ - Jonson Lena. „Russia NATO And The Handling Of Conflicts At Russia’s Southern Periphery: At A Crossroads?, **European Security**, Vol. 9, No.4 (October 2017).45–72.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بوادر نظام عالمي جديد"

المطلب الثالث: آليات الاستجابة الصينية -الروسية لتهديدات البيئة العالمية " بين الاستراتيجية التعديلية والمنطق التنافسي الصين -اوراسي "

رغم كل التقدم الذي أحرزته الشراكة الاستراتيجية الصينية – الروسية، إلا أنها لا تزال دون المستوى الكافي لتعميق الاعتماد المتبادل بين الدولتين في مختلف المجالات، ومواجهة السياسات الاحتوائية الأمريكية التي تستهدف الشريكين، ومن هنا تأتي أهمية الإجابة على التساؤل حول العوامل التي تحول دون تحقق ذلك.

أولاً: التصورات المشحونة بسوء إدراك الآخر:

العلاقات الصينية الروسية تتسم بطابع " ازدواجي "، فغالبا ما تجمع كل دولة تصورات مزدوجة عن الطرف الآخر. فأمّا التصورات الإيجابية فذكرت في المبحث السابق ضمن دوافع التعاون والتقارب، وبقيت التصورات السلبية التي تفصيلها كالآتي:

1- بالنسبة للصين: التاريخ الطويل بين الدولتين المطبوع بالزعة الاستعمارية الروسية، واعتداءاتها المتكررة على الأراضي الصينية، كرس عدم الثقة بين البلدين وجعل العلاقات بين البلدين غير مستقرة على طوال تاريخها القديم والحديث.

فمنذ القرن السابع عشر والاختلاف الثقافي والصراع الإقليمي قائم بينهما، وكانت الصين الضعيفة آنذاك، مضطرة للتخلي عن بعض اقاليمها للروس تطبيق لاتفاقيات جائرة بين القوي والضعيف، كما حاول الاتحاد السوفياتي فيما بعد التحكم في الحركة الشيوعية في الصين، وساهم في فصل منغوليا عنها واستغل الحرب بين الصين واليابان لخدمة مصالحه الخاصة، أما في خمسينيات القرن العشرين فإن العلاقات بينهما عرفت بعض التحسن والتعاون في المجالات العلمية والعسكرية لكنها لم تخل أيضا من التصعيد إلى حد الصدامات المسلحة في بعض المناطق الحدودية سنة 1969¹، ومن بعض التوجهات الروسية الاحتواء الصين أما عقد الثمانينات فقد شهد فتورا قويا في علاقة

¹ -Mc Allister, Stephen White, Economic Change And Public Support For Democracy In China And Russia, *Europe-Asia Studies*, Vol.69, No.1 (January 2017), Pp. 76–91.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بوادر نظام عالمي جديد"

القوتين لا سيما بعيد التقارب الصيني الأمريكي ،لتعود العلاقات إلى مجراها الطبيعي منتصف تسعينيات القرن المنصرم أخذت في التطور رويدا رويدا لتصل إلى ما هي عليه اليوم¹.

2- بالنسبة لروسيا: موضوع القلق والارتباك الكبير على المدى الطويل على طول حدودها الآسيوية يبقى الصين كما كانت في القديم واثناء الحرب الباردة.

وبالعودة إلى التاريخ القديم للدولتين والشعبين سنجد لحظات حاسمة كانت ولا تزال لها تأثيرات كبيرة في تشكيل الشراكة الروسية – الصينية الحالية وعلى مستقبلها، من أبرز الأحداث التاريخية التي أثرت في تصور الروس للصينيين هو غزو المغول لروسيا في القرن الثالث عشر ميلادي، وبقيت تلك الصورة ماثلة في ذهن الروس إلى اليوم، وكرست لديهم الاعتقاد بأن الصين مصدر دائم للتهديد.

وعلى الصعيد الداخلي الروسي لا تزال فئة روسية غير مقتنعة بشراكة استراتيجية مع الصين، وتشير إلى خطر العلاقات معها وتناولتها بمصطلحات عدائية مثل " الغزو السكاني الصيني " او "الاختراق الاقتصادي الصيني " او " التحدي العسكري "، إلى غير ذلك من اوصاف تنم على عدم الثقة والشك حتى الكراهية².

ومع ذلك، فإننا نجد أيضا داخل روسيا مواقف وتصورات إيجابية حول الصين تدعو إلى الارتباط بها والاقتداء بنموذجها التنموي، الشيء الذي بلور مواقف متعددة من العلاقات الروسية الصينية تلخص في المحاور الثلاثة التالية:

- الدعوة إلى تقوية العلاقات مع الصين لموازنة القوة الغربية، ومجابهة سيطرتها.
- التوازن في علاقات روسيا مع مختلف مراكز القوة.
- التحفظ على توطيد العلاقات مع الصين، بحجة أنها منافس جيوبوليتيكي يتقوى مع نوايا توسعية على حساب الإقليم الروسي.

¹ - Wu Fengshi, Ellie Martus, Contested Environmentalism: The Politics Of Waste In China And Russia, **Environmental Politics**, Vol.30, No.4 (September 2020), Pp. 493–512.

² -Belo Dani ,Conflict In The Absence Of War: A Comparative Analysis Of China And Russia Engagement In Gray Zone Conflicts ,**Canadian Foreign Policy Journal** ,Vol. 26,No.1 (July 2021),Pp.73–91.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بوادر نظام عالمي جديد"

ليبقى الموقفين الثاني والثالث من بين أهم العوامل التي تقف حائلاً أمام تقوية العلاقات الصينية – الروسية¹.

ثانياً: الشكوك المتبادلة:

استمرت التصورات السيئة لكل طرف عن الآخر، في خلق حالة من الشك وعدم الارتياح حتى مع تقدم الشراكة الاستراتيجية بينهما، فرغم أن مستوى الثقة المتبادلة اليوم أعلى مما كانت عليه من قبل، إلا أنه ليس هناك طرف مطمئن للآخر تماماً.

المسؤولين الصينيين ما زلوا يشكون بشكل خاص من أن موسكو تستمر في رؤية بكين بعين الريبة، فبالإضافة إلى تدميرهم من بيع روسيا أسلحة للهند أكثر تطوراً من تلك التي تبيعها للصين، فهم يشكون من أن الروس يتماطلون في استشارة الصين في قضايا ذات أهمية حيوية بالنسبة لها، مثل قرار الرئيس بوتين بالموافقة على تواجد فرق أمريكية في آسيا الوسطى بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وكذلك قبوله اللامبالي لإنسحاب الولايات المتحدة الأمريكية من معاهدة حظر الصواريخ الباليستية (ABM) الموقعة سنة 1972، حيث جاءت تلك الموافقة كمفاجأة غير سارة للقيادة الصينية².

وبالنسبة لروسيا فإن الحديث المستمر لمسؤوليها عن أن الفراغ الذي تعرفه منطقة الشرق الأقصى الروسية يمثل أحد الاخطار التي تهدد الأمن القومي الروسي، يعكس استمرار شكوكها بأن الصين ستبحث عن تحدي الحسم الذي تم لمسألة الحدود إذ شعرت بأنها قادرة على ذلك.

وهذه الشكوك المتبادلة تمتد أثارها لتشمل معظم مجالات العلاقات بين الدولتين، وتحول دون أحداث تقارب استراتيجي فعلي، إذ تقابل كل مبادرة صادرة عن أحد الطرفين بتحفظات عديدة من الطرف الآخر، تلك التحفظات ناتجة في الغالب عن الشكوك المتبادلة بينهما، أكثر منها عوامل موضوعية³.

¹ - Peshkov Ivan ,In The Shadow Of 'Frontier Disloyalty' At Russia–China–Mongolia Border Zones , **History And Anthropology** ,Vol.28 ,No.4(August2017) ,Pp.429–444.

² - Wang Yi,The Divisive Past And The Conflicted Other: How Chinese Netizens View Russia, **Journal Of Contemporary China** ,Vol.33,No.148(February 2022),Pp.634–648.

³ -Ian Johnson, What Are The Weaknesses Of The China-Russia Relationship?,At: <https://chinapower.csis.org/china-russia-relationship-weaknesses-mistrust> , accessed on(21-05-2024)(8:13).

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بوادر نظام عالمي جديد"

ثالثا: الاختلاف في الأولويات والأجندات:

رغم وجود مصالح كثيرة مشتركة ساهمت وستظل تساهم في التقارب الصيني - الروسي، إلا أن الشكوك المتبادلة أدت إلى خلق عامل أخري يعيق تطور العلاقة وهو الاختلاف في ترتيب الأولويات ورسم الأجندات، الذي لم يتم تجاوزه رغم تعدد المحاولات وتكثيف المشاورات.

فصعود الصين المرتكز أساسا على البعد الاقتصادي، جعل من الحصول على أسواق جديدة وأوسع للسلع الصينية، وتحقيق أمنها الطاقوي الضروري لنهوضها الاقتصادي في قمة أولوياتها، أي أن الشق الاقتصادي هو الغالب على توجهات السياسة الخارجية الصينية، والمحدد المهم لعلاقاتها الخارجية ودرجة تعميقها، وبشكل مختلف نوعا ما تتحدد الأولويات الروسية، فروسيا التي باتت تعاني من التوجهات الانفصالية في الداخل (الشيشان) و (داغستان)، واقترب حلف شمال الأطلسي من حدودها، جعل من المسائل الأمنية أولويتها الرئيسية¹.

ورغم أن الصين تقاسم روسيا انشغالاتها الأمنية، إلا أن الاختلاف في الأولويات ما زال طاغيا، وتجلى حتى على مستوى منظمة شنغهاي والبريكس حيث تحاول كل قوة توجيه نشاطاتها، وفق أولوياتها الخاصة، فالصين تدفع بها نحو الجانب الاقتصادي، وروسيا نحو البعد الأمني، الأمر الذي أثر على أداء المنظمتين ومساهماتها في تقريب وجهات النظر بين الدولتين.

رابعا: اختلال ميزان القوى بين الدولتين

الفجوة المتزايدة بين قوة الدولتين تعتبر من أهم مثبطات التقدم والتعمق في العلاقات الصينية - الروسية، ويزيد أثر هذا العامل بشكل كبير عند ربطه بسيكولوجية العلاقة المشار إليها في العنصر السالف، فالحال اليوم لم تبقى كما كانت عليه في عهد العلاقة الوثيقة بين " ستالين " و " ماوتسي تونغ "، فالعلاقة السوفياتية - الصينية كان يعبر عنها آنذاك بعبارات ودية أخوية، إذ حنذاك " الأخ الأكبر أي الاتحاد السوفياتي، يساعد الأخ الأصغر أي الصين على النمو والتطور .

¹ - Yun Sun ,China's Strategic Assessment Of Russia: More Complicated Than You Think, **War On The Rocks**, Vol.4, No.2 (March 2022), Pp.17-38.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بواذر نظام عالمي جديد"

أما اليوم فالأمور إنقلبت، فالزيادة الكبيرة في قوة الصين قد تثير مخاوف روسيا ودول اسيوية أخرى، مما يدفعها الإعاقة التقدم الصيني بدل التعاون والتحالف معها كطرف ضعيف، فالصين أقوى من روسيا وأكثر ديناميكية، وارتباطها قد يكون على حساب الشريك الأصغر وهو روسيا التي لن تقبل مثل هذا الوضع، كما أن عدم التوازن من ناحية الثروات الطبيعية وعدد السكان بين موسكو وبكين، يفرض عديدا من المخاوف الروسية إزاء الصين¹.

فروسيا من بين الدول التي تقيم نفسها على أنها ستكون ضحية للنهم والشراسة الاقتصادية الصينية، في حالة تقوية التعاون والشراكة الاقتصادية مع هذه الأخيرة، مع استمرار سيناريو عدم التوازن الحالي، واليوم روسيا هي الشريك التجاري السابع للصين في حين أن هذه الأخيرة هي الشريك الأول لروسيا، الأمر الذي يعني أن روسيا تصبح أكثر فأكثر تابعة للصين في المجال التجاري، وهو ما يثير مخاوفها ويجعلها تبحث عن تقوية علاقاتها الاقتصادية، بأطراف أخرى أكثر من اتجاهها نحو تعميق علاقاتها مع الصين².

والخوف من ديناميكية الاقتصاد الصيني، التي تسمح لها بأن تكون طرفا مهيما في آسيا الوسطى، هو أحد الأسباب التي تجعلها تنظر بتوجس للاتفاقيات الطاقوية بين الصين وجمهورية آسيا الوسطى، وتخشى أن تتحول منظمة شنغهاي للتعاون، التي تهتم أكثر بالملفات الاقتصادية، منبرا للصين لدعم نفوذها في آسيا الوسطى التي أغرقت أسواقها بالسلع الصينية، وروسيا تدرك أن تفوقها الوحيد على جارتها يكمن في التكنولوجيا العسكرية، لذلك تحرص على عدم فقدان هذه الميزة بعدم تقديم الكثير للصين في هذا المجال، وباتت لا تتجاوب مع معظم طلبات الترخيص لتصنيع بعض المنتجات التكنولوجية في الصين، وأبقت على الصفقات التقليدية ولم تعمق تعاونها التقني والعسكري مع الصين³.

ونتيجة كل ما سبق، تكون إدراك لدى الروس بأنه كلما توسعت وتعمقت علاقاتهم مع الصين، كلما زاد ميزان القوى رجحانا لصالح هذه الأخيرة، وبالتالي يرون أن استمرارهم في تعميق العلاقات مع

¹ - Jeffrey Mankoff, **Empires Of Eurasia: How Imperial Legacies Shape International Security**, (New Haven: Yale University Press, 2022), Pp.49-53.

² - Paul Stronski ,Nicole Ng, **Cooperation and Competition: Russia and China in Central Asia, the Russian Far East, and the Arctic**,(Washington, DC: Carnegie Endowment for International Peace, 2018),pp.25-31.

³ - ALEXEI DRUZHININ, Series: China-Russia Relations,at : <https://chinapower.csis.org/series-china-russia-relations/> , accessed on (21-05-2024)(11:02)

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بوادر نظام عالمي جديد"

الصين سيجعلهم يحققون تفوق الصين عليهم بأنفسهم، وما قد يتبع ذلك من مخاوف روسية متأصلة إزاء النوايا السيئة لصين أكثر قوة.

خامسا: الدور المثبط للفاعلين غير الدوليين:

وفقا للمقاربة البنائية المستند اليها في الفصل النظري من هذه الدراسة، للفاعلين غير الدوليين دور كبير في دعم او تثبيط التعاون بين الدول، وتحديد سياساتهم الخارجية تجاه بعضهم البعض وتجاه بقية العالم، وفي حالة الفيدرالية الروسية وعلاقتها بالصين، نجد العديد من الفاعلين غير الدوليين الذين يملكون قدرة كبيرة على تثبيط عملية تمتين التعاون بينهما، وتوحيد صفوفهما في مواجهة التحديات والضغوطات الخارجية المشتركة، ومن أهم أولئك الفاعلين: الحكام الإقليميين، الشخصيات، الإرهاب الدولي¹.

ففي الشرق الأقصى الروسي لعبت النخب الإقليمية الروسية دورا كبيرا ككابح أمام تطبيع العلاقات بين الدولتين، وأعاقوا مسار المفاوضات لتسوية الحدود في عديد المرات، مع الإشارة أن هدفهم الأول ليس إعاقة الشراكة بين الصين وروسيا، بقدر ما هو الحصول على المزيد من السلطات الاقتصادية والسياسية من الحكومة المركزية في موسكو².

أما بالنسبة للجريمة المنظمة أو ما يسمى ب " الخطر الأصفر " فهي بدورها ساهمت بشكل كبير في نشر تصورات الريبة والشك بين الدولتين، فمثلا مدينة " فلاديفوستوك " (VLADIVOSTOK) الروسية التي تعد من أكبر المدن الروسية في نسبة الجريمة، يلقي الروس المسؤولية في ذلك على المافيا الصينية، فقدوم المافيا الصينية المترافق مع حركات الهجرة يزيد من الشعور المعادي للصينيين في المنطقة، وهذا الخلط الشعبي بين الصينيين العاديين والمجرمين لا يستطيع الا أن يخفض من إمكانية الاندماج والتعاون بين الدولتين³.

¹ - Center For Strategic And International Studies "Transcript: What's Next For The China-Russia Relationship?, February 23, 2022, Pp.11-14.

² - Loc.Cit.

³ - Simone McCarthy, China And Russia Have Deep Defense Sector Ties. Putin's War Has Not Changed That, Data show, at : <https://edition.cnn.com/2023/03/09/china/china-russia-military-defense-ties-ukraine-war-intl-hnk/index.html> , accessed on (21-05-2024)(15:30).

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بوادر نظام عالمي جديد"

سادسا: المضاعفات السلبية المحتملة للتقارب

واحدة من مفارقات الشراكة الاستراتيجية الصينية، هي أنه كلما أصبحت العلاقات بين الدولتين أوثق، كلما زاد الشعور الروسي بعدم الارتياح إزاء التبعية للصين، فهناك حيرة روسية بين الرغبة في توسيع التعاون مع الصين والخوف من التبعية لها، حيث ترى فئة واسعة من الحاشية المحيطة بالرئيس فلاديمير بوتين أن تعميق العلاقات الاقتصادية بين الدولتين يصب في الأساس لصالح الصين أكثر من لروسيا.

فالمناطق الروسية المجاورة للحدود الصينية تكاد تكون تابعة بشكل كامل في تلبية حاجاتها الأساسية، للسلع الصينية بخسة الثمن، ونتيجة لذلك ازدادت التجارة بين الدولتين بشكل ملحوظ في السنوات الأخيرة، ولكنها لصالح الطرف الصيني الذي يصدر سلعا منتجة تعود عليه بفائدة أكبر، وفي غير صالح الطرف الروسي، الذي باستثناء تجارة الأسلحة، يعتمد على بيع الموارد الطبيعية والطاقة في شكلها الخام.¹

وأكثر المجالات حساسية بالنسبة لروسيا اليوم وفي المستقبل هو الخوف من التبعية التامة للصين في المجال الطاقوي، فالصين كسوق طاقوية تحتل مكانة بارزة مقارنة بمستهلك الطاقة في الضفة الغربية لأوروبا، لا سيما بعد الحرب في أوكرانيا، في هذه الحالة سيكون للصين نفوذ مواز لروسيا في قطاع المحروقات، وهذا لن يتماشى مع سمعة روسيا كقوة عظمى طاقوية، وإنعكس التخوف الروسي من أن تصبح الصين مستهلكا محتكرا للطاقة الروسية سلبا على بعض المشاريع التي كان من شأنها أن توثق العلاقة بين الدولتين في المجال الاقتصادي والطاقوي، ومن أهمها مشروع خط أنابيب شرق سيبيريا، حيث اعتمدت روسيا لعبة جيوبوليتيكية للموازنة بين أكبر مستهلكي الطاقة بالنسبة لها وهما الصين والاتحاد الأوروبي.

ومن غير المحتمل أن تفكر الصين جديا بتحالف شامل وبعيد الأمد مع روسيا ضد أمريكا، لأن ذلك سيعمق ويوسع مجال التحالف الأمريكي الياباني الذي تريد الصين تذويبه بسرعة، كما أن من

¹ -HUIZHONG WU, China And Russia: Explaining A Long, Complicated Friendship,At: <https://apnews.com/article/china-russia-history-xi-putin-ties-6f1b1b69fc4f7be1e979ac29de9728f7> ,accessed on(21-05-2024)(18:52).

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بواذر نظام عالمي جديد"

شأنه أن يعزل الصين عن مصادر رأس المال والتكنولوجيا الأجانب اللذان يمتلكان أهمية حاسمة بالنسبة لها¹.

ويضاف إلى ما سبق، أنه لن تكون مكاسب كبيرة لأي طرف من الأطراف المتحالفة، بل قد يؤدي تحالف كهذا إلى القضاء على الأطراف المشتركين فيه، بحكم أن الولايات المتحدة الأمريكية ما تزال تمتلك قدرة كبيرة على إدارة التوازنات الدولية.

¹ -Xu Bo, William M. Reisinger ,Russia's Energy Diplomacy With China: Personalism And Institutionalism In Its Policy-Making Process , **The Pacific Review** ,Vol.32,No.1(January2018),Pp.1-19.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بؤادر نظام عالمي جديد"

المبحث الثالث: المسارات المستقبلية لحراك منافسات القوى العظمى في النظام الدولي – رؤية استشرافية –

إن أهم النقاط التي يجب تثبيتها بداية البحث في مستقبل النظام الدولي بدلالات صعود وافول القوى الكبرى ،هو الإشارة إلى أن معطيات النظام الدولي الحالية لا تشير إلى أي نمط من أنماط أو معنى من معاني الهيكلية الدولية التي مرت بها العلاقات الدولية سابقا ،إذ أن القوة اليوم في النظام الدولي تكاد تكون مشتتة وموزعة بطريقة لا تسمح لأي باحث بتقديم توصيف عام أو دقيق عن مظهر الهيكلية الدولية ،لذا فإن من شبه المتفق عليه في الوسط الأكاديمي أن العالم يمر بمرحلة مخاض وصيرورة لولادة هيكلية جديدة ، قد تكون الأولى من نوعها على مرتاريخ العلاقات الدولية ،بسبب تشعب الفواعل ونموهم وتداخل مصالحهم مما أدى إلى التراكم في تشكيل صيرورة النظام ، فضلا عن تغير مداخل التغيير لهذا النظام وتعقيدها .

وقد أصبح من البديهي منذ عام 2008، الحديث عن وجود اختلال واضح وجسيم في طبيعة الموازين الجيواستراتيجية للنظام الدولي، فلم تعد الحالة الدولية السابقة (الهيمنة الأمريكية) هي العنوان الأبرز الذي يتصدر كتابات أكثر المتفائلين بدور الولايات المتحدة الأمريكية العالمي، الذي كان يروج على أنه منقطع النظير أمام مستوى الفعل الاستراتيجي، والأداء الشامل في مسرح العمليات الجيوسياسي العالمي خلال العقدين القادمين، على أساس أن فريدة القوة الأمريكية واحتكاريته ستوفر المساحة اللازمة لبقائها قطبا لمرحلة قادمة.

بيد أن تطورات الساحة الدولية في العقد الأخير، أضفت محفزا جديدا لمختلف القوى الدولية الكبرى ،لتبوء مساحة جديدة في النظام الدولي ،وإعادة تشكيل اتجاهات التفاعل داخل مفاصله ووحداته ،تولدت نتيجة للفراغ الذي تشكل من تراجع الولايات المتحدة الأمريكية عن بعض مسؤولياتها ،وعدم وجود قوة تستطيع تحمل الأعباء لوحدها وتثبيت أركان الهيكلية الدولية ،وهو بدوره ما شجع احتمالات مستقبلية واسعة النطاق ترتبط ارتباطا كليا بطبيعة القوى الصاعدة وادوارها الاستراتيجية في مجرى التفاعلات الدولية ،لأسيما الصين وروسيا اللتان ابديتا مستوى عالي من المنافسة لإعادة تقاسم الأدوار والمهام بما يتفق مع حجم إمكانيتهما المتنامية .

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بوادر نظام عالمي جديد"

على هذا الأساس سنعالج من خلال هذا المبحث الاحتمالات والمشاهد المستقبلية للنظام الدولي وتطوره الانعكاسي لنمو بعض القوى وتراجع بعضها الآخر في صور متعددة سنحاول بحثها في السياق الاتي:

المطلب الأول: سيناريو النظام الدولي بين إنحدار الأحادية القطبية وارتقاء مشهدها الثنائي

رغم كل الطروحات التي تشير إلى بداية أفول المكانة الامريكية عالميا، لا تزال الولايات المتحدة الامريكية تتمسك بقمة العرش الدولي سياسيا ، وعسكريا ، واقتصاديا إلى حد ما ، على أن ذلك لا يعني اطلاقا استدامة تلك القدرة مستقبلا ، لا سيما في ظل تواجد الرغبة لدى القوى الدولية الأخرى للبروز دوليا ، وممارسة دور يرقى إلى إمكانياتها الدولية ، وغني عن القول ، أن الارتكان إلى المشهد الأول لا يلغي بالضرورة فرصة المشهد الثاني واحتمالات تحقيقه أيضا ، انطلاقا من حركية مقدرات القوة لدى القوى الدولية ، فقد لا يأتي المستقبل بضمانات كافية الاستمرارية النفوذ الأمريكي ، وبالتالي يمكن لمكانة القوى التعديلية أن تجسد مشهد ثنائية القطبية مع القطب الأمريكي المتهاك .

أولا: مشهد الأحادية القطبية:

لعلنا لا نجانب الحقيقة كثيرا إذا ما قلنا القوة الامريكية ومستقبلها واتجاهات تشكيل النظام الدولي هي الخاصية والسمة البحثية الأكثر بروزا في كتابات المفكرين الأمريكيين وغيرهم ، وهي أكثر ما يؤرق الوسط الاكاديمي على مدار العقدين الماضيين ، إذ أن وجود نظام احادي القطبية بأي شكل من الاشكال يرتبط ارتباطا وثيقا بقوة ذات مواصفات خاصة وفريدة من نوعها كانت متوافرة لدى الولايات المتحدة الامريكية منذ عام 1991 حتى عام 2008 ، بيد أن الفرصة السانحة الاستمرارية هذا الدور العالمي قد تراجعت بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية باعتراف أكبر المتفائلين والمنظرين لصالح الاندفاع العالمي ومن من يشخصون إن القوة الامريكية لا تزال بخير كجون ميرشايمر ، وهنري كسنجر ، وزيجيود برجسكي ، وجوزيف ناي و الرئيس الأمريكي السابق بارك أوباما¹ .

يرى هنري كسنجر (HENRY KISSNGER) ، أن حالة من حالات النظام الدولي مهما بلغت من قابلية عالية على تقديم حلول لكافة المشكلات التي تظهر على مستوى النظام ، فإن هناك تحديين

¹ -Fettweis Christopher, Unipolarity Hegemony And The New Peace, **Security Studies**, Vol. 26, No.3 (May 2017), Pp.423-451.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بواذر نظام عالمي جديد"

رئيسيين يجب أن يوجهاهما هذا النظام عاجلا ام آجلا ، يقوم التحدي الأول على صعوبات تجديد الشرعية التي يستمد منها النظام مسوغات عمله ، أما التحدي الثاني فهو حدوث تحول في موازين القوى ما من شأنه أن يسهم في تغيير شكل ومعالم هذا النظام ، فلا يمكن لأي نظام أن يستمر في مقاومة التغيير ومحفزاته مهما بلغ من قابلية عالية على التكيف والقفز فوق الازمات ، إذ أن جدلية إنبهار النظم وبناء أخرى فوق ركامها أصبحت من بين اهم المسلمات المعمة لأي باحث متخصص في دراسة وتحليل العلاقات الدولية¹ .

على ذلك المنوال ، شكلت حالة القطبية الأحادية الدولية بعد عام 1991 ظاهرة فريدة من نوعها على نطاق العلاقات في التاريخ المعاصر ، إذ تم اسدال الستار بشكل رسمي في تلك المرحلة عن حالة نظام ثنائية القطبية ، وإعلان بدأ مرحلة جديدة من مراحل تطور الهيكلية الدولية القائمة على الأحادية القطبية من ثم الهيمنة التي أتت كمحصلة للأحادية القطبية بفعل فوران القوة الامريكية المفرط ، ورغم ذلك فإن هذه الحالة لم تدم طويلا ، فهي في حسابات الدول والعلاقات الدولية لا تذكر زمنا على أنها مرحلة موسعة ، بقدر ما إنها فرصة فوتتها الولايات المتحدة الامريكية لكي تتربع لمرحلة أطول على عرش الهيكلية الدولية² .

وقد شكلت النقاشات الاكاديمية من جديد ، فرصة كبيرة لبحث مستقبل المكانة الامريكية في ظل نظام دولي تتراجع فيه الولايات المتحدة الامريكية عن أداء أدوارها ووظائفها القديمة لا سيما في مرحلة الهيمنة ، وفي ظل نمو فرضيات جديدة تقول أن بإمكان الولايات المتحدة الامريكية أن تعود للواجهة من جديد لتعيد النظام الأحادي إلى الهيكلية الدولية ، بيد أن فروض هذا التيار غير قابلة للتطبيق على أقل تقدير على المدى القريب والمتوسط ، بسبب أن العمل لاستعادة هذه المكانة يتطلب جهدا استثنائيا كبيرا قد لا يتحقق بسبب اهمال تطور القوى الدولية الأخرى ، مقابل التركيز على قوة

¹ -Ambrosio Thomas, Carson Schram, Preston Heopfner, The American Securitization Of China And Russia: U.S. Geopolitical Culture And Declining Unipolarity, **Eurasian Geography And Economics** ,Vol. 61,No.2(December2019) ,Pp.162-94.

² -Kupchan Charles , The False Promise Of Unipolarity: Constraints On The Exercise Of American Power ,**Cambridge Review Of International Affairs** , Vol.24,No.2(July 2021) ,Pp.165-173.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بوادر نظام عالمي جديد"

الولايات المتحدة الأمريكية فقط، فضلا عن ضرورة العمل على ردم الهوة الأمريكية بين أهدافها الاستراتيجية ومواردها التي يجب أن تتوفر لتحقيق هذا الطموح¹.

تشكل هذه النقاشات بشكل عام، وهذا الجدل البحثي بشكل خاص، فرصة سانحة لاستشراف احتمالات عودة الأحادية القطبية إلى الهيكلية الدولية، وتتمحور الأسئلة الرئيسة التي يطرحها هذا الاتجاه العلمي حول هل من الممكن أن تظهر لنا دولة على مستوى مسرح العمليات الجيوسياسي العالمي قادرة على فرض أداء استراتيجي شامل في ظل هذا التشتت الواضح للقوة وتوزيعها بين فواعل متعددين؟ وهل هناك دولة قادرة بمفردها على تحمل هذا الالتزام والاعباء التي ستترتب عليها جراء هذه المسؤولية؟.

ويمكن الإجابة بأجزاء على هذه التساؤلات عبر جملة من المحطات، أهمها أن عناصر القوة التي أهلت الولايات المتحدة الأمريكية لأن تكون قوة عالمية منفردة مهيمنة على المسرح الجيوسياسي العالمي لم تعد متوفرة لها بشكل كامل ولا حتى لباقي القوى الدولية الأخرى، وهي قيد التحول الآن، وهذا ما يبتث حاليا أن النظام الدولي ليس أحاديا، وإنما هناك تحولات كبيرة تشهدها البيئة الدولية لتغيير موازين هذا النظام ومفاعيله².

على نحو آخر، الحديث عن عودة الأحادية القطبية على مستوى العالم الشامل في المستقبل القادم بأبعاده القريبة والمتوسطة والبعيدة، يتطلب دراسة فرص واحتمالات عودة مقومات الأحادية القطبية وتركزها بيد قوة استراتيجية واحدة شاملة، وهذا ما لا تحوزه أي قوة حاليا في النظام الدولي في ظل توازن قوى استراتيجي تشترك به فواعل من الدول وغير الدول والمنظمات والشبكات المعقدة من الأطراف الذين يؤثرون بشكل أو بآخر في صيرورة تشكيل النظام، وعليه تكمن ماهية هذه التحولات في مجموعة من التفسيرات التي توحى بتشتت القوة وتعثربعث الأنموذج الأحادي للأسباب التالية:

¹ -Glaser Charles , Why Unipolarity Doesn't Matter (Much), **Cambridge Review Of International Affairs**, Vol. 24 ,No.2(July 2021) ,Pp.135–147.

² -Voeten Erik., Unipolar Politics As Usual , **Cambridge Review Of International Affairs**, Vol. 24,No.2 (July 2021),Pp.121–28.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بؤادر نظام عالمي جديد"

1- صعود قوى متحدة:

إن بروز قوى دولية جديدة حازت على مكانة متميزة في النظام الدولي وهي تعمل بشكل دؤوب على تعزيز هذه المكانة وتطويرها عبر الآن غماس في إدارة الازمات الدولية والتكيف مع التغيرات السريعة التي تصيب هذا النظام، فضلا عن أن هذه القوى باتت أكثر مرونة وقابلية على امتصاص الضوائق وعبرها باقتصاداتها المتطورة والمتنامية مثل الصين وروسيا واليابان وألمانيا، كل هذه العوامل أدت إلى توسيع مفهوم توزيع القوة، فبات من الصعب تحكم قوة واحدة بمفاصل النظام الدولي استنادا إلى النمو المتسارع للمنافسين الصاعدين، إذ أنه إلى الآن وعلى المستوى القريب ليس ثمة دولة قادرة على فرض أداء استراتيجي شامل على النظام يدفع بها إلى تحقيق الهيمنة الشاملة¹.

2- أزمات الامن العالمي المركبة:

إن التطور الملحوظ في مستويات الإرهاب الدولي وآليات عمله واتساعها شكلت إحدى أهم الأسباب التي دفعت اتجاه التكافل الجماعي الدولي، للحد من هذه الظاهرة وذلك مع اتساع رقعة الفواعل دون الدولانية وتنوعهم من منظمات إلى افراد عالميون مرتبطون بشبكات اتصالية عالية التنظيم والدقة، يستخدمون التكنولوجيا وأساليب الجيل الخامس والسادس من الحروب في ظل العولمة العالمية غير المسيطر عليها، وقد افرزت هذه الأطراف أنماط جديدة من المشكلات والمنازعات، فقد ساهمت هذه التنظيمات في خصخصة الحروب، وطففت إلى سطح مشكلات الحروب السيبرانية أو حروب الفضاء المفتوح، كل هذه المعطيات أدت بشكل كبير إلى انفتاح رقعة المخاطر وتنوعها فيما يتعلق بالجانب الأمني، مما تطلب ضرورة ملحة لإعادة النظر في كيفية محاربة هذا النوع من الجريمة والإرهاب بصورة تكافلية تشترك فيها جميع القوى، بما يتناسب مع حجمها فضلا عن مكانتها في النظام الدولي².

¹ -Shiffrinson Joshua, The Rise Of China Balance Of Power Theory And Us National Security: Reasons For Optimism?, **Journal Of Strategic Studies**, Vol. 43, No.2 (Decembre 2018), Pp.175-2016.

² -World Economic Forum, **These Are The Biggest Global Risks We Face In 2024 And Beyond**, Jan 10, 2024, Pp.1-27.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بواذر نظام عالمي جديد"

3-التخصص والتنوع:

لما ادركت القوى الدولية الكبرى على مختلف تجلياتها أنه من الصعب مواكبة كل مفردات الاستراتيجية النهضوية المؤدية لزعزعة قطب دولي اعظم من مكانته، من ثم الحيازة على جزء كبير من مقومات القوة، ركزت هذه القوى على تخصيص جزء كبير من استراتيجياتها لصالح مفردة واحدة من مفردات القوة وتوسيع ذلك بعد حين وتنويعه، وهذا ذهبت اليه القوة الاقتصادية الصينية التي أصبحت معلم من معالم مفرداتها الاستراتيجية والتي نمت من مقوماتها الأخرى بسبب الطفرة التكنولوجية، لذا يمكن رصد حيثيات نظام دولي عولمي متعدد الأقطاب، وكان لهذا التنوع والتخصص القسط الاوفر في اغلاق الباب امام أي دولة ترغب بأن تكون مهيمنة على نطاق عالمي غير محدود، وجعل من فرصة الأحادية القطبية حلم صعب المنال على المدى القريب على أقل تقدير¹.

4-تراجع فكرة الحروب الآن فرادية (الاستباقية والوقائية):

إن عودة بروز التحالفات العسكرية العالمية لا سيما بعد عام 2014 م جاء محصلة بارزة لعدم رغبة وقابلية القوى الكبرى التورط في حرب إنفرادية تستنزف قواها الاقتصادية، فالحرب الانفرادية تتطلب إمكانيات اقتصادية كبيرة لا سيما إذا كانت ذات نية طويلة، وهذا ما اعتزلته الدول الكبرى بشكل جزئي، بسبب التكاليف المرتفعة على هكذا تدخلات وهو ما شهدناه في انسحاب الولايات المتحدة الامريكية من أفغانستان².

ورغم كل هذه الإشارات الواضحة التي تعزز انتهاء مرحلة القطبية الأحادية بصورة غير رسمية، فإنه ليس هنالك أي رأي ثابت متفق من حوله، إذ ثمة من يجادل بحثيا "كروبرت كاغان" (KROBERT) إلى أن الولايات المتحدة الامريكية لا زالت تهيمن على أعلى ميزانية عسكرية في العالم، وهي تشترك في أكبر التفاعلات الاقتصادية، فضلا عن انتفاء شكل جديد للهيكلية الدولية يمكن التعبير عنها واعتمادها كحقيقة واقعية لإزاحة الأحادية رسميا، بالإضافة إلى اتفاق اغلب باحثي العلاقات الدولية على أن الولايات المتحدة الامريكية لم تعد تلك الدولة المهيمنة على أوثار النظام الدولي كما شهدته

¹ - Marina Lebedeva, Vladimir Morozov, **Turning Points Of World Transformation New Trends: Challenges And Actors**, (New York : Palgrave Macmillan,2022),Pp.40-47.

² - Jean-Pierre COLIN, Jérôme SPINOZA, La Guerre Préventive : Une Stratégie Illogique, At : <https://www.afri-ct.org/article/la-guerre-preventive-une-strategie/>, Accessed On (22-05-2024)(09 :06).

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بواذر نظام عالمي جديد"

العلاقات الدولية في العقد الأولين ، وقد أسهمت الازمة المالية العالمية بشكل عام والآن فتاح الأمريكي غير المسؤول في اتجاهات عدة دون ضبط هذا الانفتاح وبرمجته وحساب كلفته الاستراتيجية ، في تعميق تراجع الولايات المتحدة عن موقعها السابق في النظام الدولي كقوة مهيمنة ¹.

لا يفوتنا التنويه ، عن شيوع مفهوم " الأحادية القطبية الجزئية " باعتباره أنسب مفهوم يصف بنية النظام الدولي الراهن والذي سيدوم مدة طويلة من الزمن ، فقد ولت الأيام التي كانت فيها الولايات المتحدة الأمريكية تحظى بصدارة عالمية فريدة بعد سقوط الاتحاد السوفياتي مباشرة ، رغم ذلك تظل الفجوة الحالية في القوة قائمة وسوف تأخذ وقتا طويلا ليتم جسرهما في الحقيقة ، وفي سبيل ذلك بدلت الصين جهودا كبيرة لتقليص الفجوة القائمة في المجال الاقتصادي ، إلا إنها قامت بالقليل فيما يتعلق بالقدرة العسكرية والتكنولوجية بالأخص ، كنتيجة لذلك يبقى توزيع القوة اليوم اقرب للأحادية القطبية منه إلى الثنائية القطبية او التعددية ².

والتراجع النسبي في القوة الأمريكية جعل قوى صاعدة تختبر إمكانياتها التعديلية في النظام الدولي ، هذا ما حاولت روسيا فعله عبر غزوها لأوكرانيا عام 2022 م ، لتنصيب حكومة موالية لها في كييف سدا لشبهة حلف الناتو المتوغل في تخمونها الجيوسياسية ، اما الصين فإن نزعتها التعديلية مدفوعة بقدرات شاملة أكثر ، لكن نجاحاتها تبقى متواضعة جدا إلى غاية الآن تعمل الصين على تغيير الوضع الإقليمي القائم في بحر الصين الجنوبي فقط ، حيث تشيد هناك بعض الجزر الاصطناعية إلا أن هذه الممتلكات الصغيرة والمكشوفة يمكن بسهولة إن يتم جعلها غير عملية من طرف الجيش الأمريكي ، وحتى إن كان بمقدور الصين أن تؤمن لنفسها كل الأجزاء المتنازع عليها في بحر الصين الجنوبي ، فإن الأهمية الاقتصادية الشاملة للموارد هناك - خاصة السمكية - تعتبر ضئيلة الحجم ، فمعظم الموارد البترولية والغازية تقع في المناطق غير المتنازع عليها ، وقد يستغرق الامر عقودا حتى تطور الصين مجموعة تامة من القدرات الضرورية لمنازعة الولايات المتحدة الأمريكية في السيطرة على الجو والبحار المفتوحة والفضاء ³.

¹ - Mélanie Dubuy, La "guerre préventive" et l'évolution du droit international public, at : <https://hal.univ-lorraine.fr/hal-04018345v1> , accessed on(22-05-2024)(10 :23)

² - Joshua Shiffrinson, Anne-Marie Slaughter ,Bilahari Kausikan , The Long Unipolar Moment?Debating American Dominance, **Foreign Affairs**.Vol.5,No.1(October2023),Pp.17-24.

³ - Matt Pottinger, Matthew Johnson, David Feith, Xi Jinping In His Own Wordswhat China's Leader Wants— And How To Stop Him From Getting It ,**Foreign Affairs**,Vol.7,No3(November 2022),Pp.33-49.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بواذر نظام عالمي جديد"

حاليا، هنالك مكان واحد فقط قد تظهر فيه الصين نزعتها التعديلية وهو تايوان، لا سيما مع عزم الزعيم الصيني "شي جي بينغ" على التوحيد الكامل للوطن الام، وإن تمكنت الصين من حياة تايوان سيولد عن ذلك تأرجحا دراماتيكيا في توزيع القوة العالمي من النوع الذي يجعل الأحادية القطبية الجامدة في مهب الريح، وما يخلق مشاكل لواشنطن وحلفائها اليوم هو الشراكة المزدهرة بين بكين وموسكو ما يعني تشكيل تحالف موازي للقوة الامريكية قادر على تحقيق توازن إقليمي ومن ثم عالمي¹.

وبالمحصلة النهائية، إن كل ما تم ذكره من مؤشرات لتشتت القوة وتوزعها يعزز وبشكل كبير فشل فرضية إمكانية عودة القطبية الأحادية بصورة سريعة على المدى القريب على اقل تقدير، مما يستبعد بنسبة عالية احتمالية عودة النظام الأحادي إلى الواجهة، نتيجة لتوازنات القوى الكبرى التي ترفض إنسياب القوة لفاعل دولي أوحده يستأثر بزعامة السيد، كما أن العالم يتجه في كثير من جوانبه نحو لا مركزية واسعة النطاق في كافة الجوانب، لا سيما تلك المتعلقة بالشؤون العسكرية والسياسية والاقتصادية بعد بروز فرضيات جديدة للاقتصاد المخصص والحروب السيبرانية وتشتت سيادة الدولة المركزية، في خضم تماهي الحدود الجيوسياسية بفعل سيولة التكنولوجيا العالية.

ثانيا: مشهد الثنائية القطبية:

ترتبط عملية التحولات الدولية الراهنة نحو نظام ثنائي القطبية، بفرضية رئيسية مفادها هو وجود قوتين دوليتين منفردتين تستطيعان أن تشغلا مساحة أكبر في النظام الدولي وتحملان الالتزامات وتفرضان الأداء وتفودان النظام وتتقاسمان العمل سوية مع متطلبات فلسفة الثنائية القطبية، إلا أن هذه الفرضية سرعان ما باتت تتعرض لحجاجة اختبارية كبيرة مع أول امتحان لها نظرا لما توشى به الوقائع.

على الصعيد ذاته، فإن توزيع القوة او بمعنى آخر تشتتها شكل حالة دولية جديدة ومسافة لا يستهان بها في الاقتراب النسقي، سمحت ببلورة نظام ثنائي القطبية على درجة من الانسيابية والسهولة والسيولة التي تعتمد في الأصل على صعود قوة دولية واحدة تحتاج لفارق قوي عن باقي القوى لتشكيل

¹ - Jessica Chen Weiss, The China Trap. S. Foreign Policy And The Perilous Logic Of Zero-Sum Competition, Foreign Affairs, Vol9, No.1 (October 2022), Pp.3-17.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بوادر نظام عالمي جديد"

نظام للثنائية القطبية ،تتقاسم مع الولايات المتحدة الامريكية العمل في النظام الدولي ،او صعود قوتان تزيج الولايات المتحدة الامريكية من مكانتها وتؤسس لنظام ثنائي القطبية ،بيد أن ذلك لا يمنع بأي شكل من الاشكال محاولات الفحص النظري لكشف الاحتمالات المستقبلية ،لما تكنه العلاقات الدولية من تغيرات استعجالية¹.

فقد توقع تقرير مجلس الامن القومي الأمريكي المعنون ب (العالم عام 2025) الصادر عن هيئة الاستخبارات المركزية عام 2008 ، أن يتحول النظام الدولي إلى نظام ثنائي القطبية بصفة رسمية كحالة أولية -باعتبار الملمح الوصفي للنظام الدولي القائم لا يعبر عن معنى او صورة واضحة للاستقطاب والهيكلية في ظل تشعب خارطة القوى وتفرعاتها – لما يرتبه صعود الصين من تحولات راديكالية على مفردات القوة في مفاصل النظام ،وقد أثار التقرير مخاوف حيال الصين المتجهة لأن تكون دولة رائدة في مجال التأثير على مستوى السياسة الدولية بفعل نموها الاقتصادي المتسارع والمؤثر بشكل واسع على تفاعلات ومجريات المسرح الجيوسياسي العالمي ،فضلا عن ارتفاع كفاءة ومستوى القدرات العسكرية².

على المستوى النظري، معظم النقاشات الاكاديمية التي تطرقت لموضوع ومشهد الثنائية القطبية، ركزت بشكل مفرط على دور الصين العالمي القادم وقاربت هذه الثنائية (ثنائية الصعود الصيني الذي يتناسب طرديا مع احتمالات تحول النظام إلى ثنائي القطبية)، الكتابات الامريكية وأضحت هاجسا إرهابيا لتطور الحالة الدولية وتشكل القطبية.

واخذت هذه الكتابات مناحي عدة – إيجابية وسلبية – في تفسير وتحليل ظاهرة التحول في النظام الدولي ،كإنعكاس ودلالة على صعود الصين الاستراتيجي المتدرج والمأخوذ أساسا من تراجع دور الولايات المتحدة الامريكية وإنحساره ،في هذا الممشى يتحدث جوزيف ناي عن دور مستقبلي صيني صاعد اتجاه القطبية الثنائية ،بيد أنه من غير الصواب وضع الصين والولايات المتحدة الامريكية في منزلة واحدة رغم تطور اقتصاد الصين وارتفاع منسوبها الاستراتيجي القوي ،فيشير إلى أن المسافة لا

¹ - Lawrence Freedman, Order And Disorder In The New World, **Foreing Affairs**, Vol2, No3 (February 2019), Pp.8-22.

² - Lindsey Galloway, Five superpowers ruling the world in 2050, at: <https://www.bbc.com/travel/article/20200322-five-superpowers-ruling-the-world-in-2050> ,accessed on (22-05-2024)(13:58).

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بواذر نظام عالمي جديد"

تزال بعيدة بين الصين والولايات المتحدة الأمريكية لكي يصبح نظيرين قطبيين متساويين رغم النمو الصيني الكبير، نظراً لما تكابده الصين اليوم من تحديات ومشكلات داخلية يأتي على رأسها مشكلة التلوث البيئي والانفجار الديموغرافي، وموقع الصين الاستراتيجي وسط قوى عالمية تبحث هي الأخرى عن مكانة في النظام الدولي، فضلاً عن شح مصادر الطاقة الذاتية والتحديات الأمنية الأخرى الوافدة من محيطها الجيوأمني القريب¹.

وعلى الوقع ذاته، يعقد ناي مقارنة بين مستويات ارتفاع الناتج المحلي الصيني سنوياً والذي لامس مستوى نمو يعادل 6 بالمائة في العام الواحد خلال العقدين القادمين، مقابل نمو أمريكي في الناتج القومي بنسبة 2 بالمائة سنوياً، وهو يعكس بدوره التكافؤ الاقتصادي أما إذا قورن الدخل السنوي للفرد الأمريكي مقابل نظيره الصين فستطفو هوة فارقة تصل إلى اضعاف، ورغم ذلك فإن المسافة الاستراتيجية المتبقية بين الصين والولايات المتحدة الأمريكية لردم الفجوة تتضاءل يوماً بعد يوم، وهذا ما يعزز اتجاه الحالة الدولية نحو الثنائية القطبية، غير أن ذلك لا يعد دليلاً كافياً لتحول النظام نحو الثنائية القطبية في ظل بروز قوى أخرى صاعدة تمتاز بمكانة استراتيجية كبيرة، وتتحكم بمفردات قوة فريدة من نوعها يمكنها إن تحقق الفارق وتسد الهوة بينها وبين القوى الأخرى².

من جانب آخر، بدأت الأوساط الأكاديمية في مجال العلاقات الدولية تتحدث عن بداية حرب باردة جديدة في مناطق مختلفة من العالم وصراع دولي جديد بين الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا الاتحادية، التي أعادة توجيه وتصويب مفردات قوتها وولجت من جديد في وحدات النظام ومفاعيله، التي شرعت تعيد بنا الأذهان إلى مرحلة الحرب الباردة والصراع السوفيياتي الأمريكي، إذ يرى منظرو هذا الاتجاه إن روسيا استطاعت أن تقطع شوطاً كبيراً في عملية إعادة المراجعة الاستراتيجية لموقعها في النظام الدولي، وأصبحت على أعتاب النظام الثنائي رغم تعثراتها المستمرة، وهو ما يرسمه وضعها في جورجيا وسوريا وأكرانيا ومناطق مشمولة من جورها القريب وأجزاء من آسيا الوسطى والشرق الأوسط، إلا إن هذه التطورات لا تمنح إشارات واضحة يمكن الاستدلال عليها لتبرير العملية الانتقالية صوب البيان الثنائي، ذلك أن روسيا الوتينية مازالت تعاني من الوهن والضعف مع وجود مساحات

¹ - Kupchan Cliff. ,Bipolarity Is Back: Why It Matters., **The Washington Quarterly**, Vol. 44,No.4(February 2022),Pp.123-139

² - David Rennie, China Wants To Change, Or Break, A World Order Set By Others, **The Economist**, Vol.14, No.9 (April 2024), Pp182-197.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بوادر نظام عالمي جديد"

غير ناضجة في استراتيجيتها الدولية، فضلا عن التنافس والصراع المحتدم على حيازة هذه المكانة مع باقي القوى الدولية الصاعدة والتي تشاطرها نفس الطموح¹.

لذا إن ما يشجع علميا على استبعاد هذا المشهد وعدم ترجيحه كسيناريو مستقبلي يمكن أن يتحقق بسهولة، هو أن القوى الدولية الكبرى الآن ليست محدودة العدد والتأثير، فلدى التكتلات الدولية كالاتحاد الأوروبي وتكتل البريكس واتحاد رابطة دول جنوب شرق آسيا ومنظمة شنغهاي والشراكات الدولية الاستراتيجية التي تعقد بين الحين والآخر، نوايا وطموحات كبيرة في تحويل النظام الدولي إلى متعدد الاقطاب (هذا لا يعني ترجيح هذا الأخير أيضا)، بل إن الرؤية الصينية والروسية بحد ذاتها غير مقتنعة كليا بأن تكون قوتها المنفردتين بالوقت الراهن موازية لقوة الولايات المتحدة الامريكية، لتحول مشهد النظام إلى الثنائية القطبية سواء بصيغة بنيان (صيني - امريكي / اوروبي - امريكي / او صيني - روسي)، وكثيرا ما عبرت هاتين القوتين عن ضرورة وجود نظام عالمي تشاركي تكافلي جماعي متعدد الأقطاب يدار عبر التقاء المصالح الدولية المشتركة، تتحمل فيه جميع الأطراف مسؤوليتها الملقاة على عاتقها دون إنفراد طرف او اثنين بعملية التحكم بمفاصل هذا النظام².

لذا لا يرجح على البتة هذا المشهد، كونه صعب التحقق من الناحية النظرية والعملية في ظل بزوغ قوى دولية صاعدة وفواعل عابرين للحدود لا سياديين يرسمون ملامح النظام الدولي بصورة جماعية، تتوزع فيه القوى بمصوب لا يسمح لأي قوة بالتفرد على باقي الوحدات الدولية، يضاف إلى ذلك غياب قوتين استراتيجيتين شاملتين يمكنهما تحويل الهيكلية الدولية نحو الثنائية القطبية بسهولة ممتنعة وإنسيابية على المدين القريب والمتوسط، استنادا إلى دلالات تاريخية انتقال القوة في سنن صعود القوى وتهاولها³.

زبدة القول، أن هذه التحولات التي تم استعراضها على مدى الصفحات السابقة كانت بمثابة عرض لبانوراما النظام الدولي والقوى الكبرى وطبيعة تفاعلهم ومتغيراتهم ومفاعيلهم الجيوسياسية

¹ - Reuters Daniel , Russia Warns US Against 'Fatal' Miscalculation In Ukraine, At: <https://www.reuters.com/world/europe/russia-warns-us-against-fatal-miscalculation-ukraine-2024-06-03/>, accessed on(22-05-2024)(16:11).

² - ABISHUR PRAKASH, New Geopolitical Blocs Will Govern The Future,At: <https://www.politico.eu/article/new-geopolitical-blocs-govern-future/> , Accessed On (23-05-2024)(10:12).

³ - Richard Maher, The Paradox Of American Unipolarity: Why The United States May Be Better Off In A Post-Unipolar World, **OrbisA Journal of World Affairs**, Vol.55, No.9(Spring 2021),Pp.53-68.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بؤادر نظام عالمي جديد"

الشاملة، وهي محاولة استطلاعية لمصفوفة التأثير المتبادل الاستيعاب الكيفية التي يدار بها العالم واستشراف القوى المؤهلة لإدارته في معترك إنحدار الأحادية القطبية في طورها الأمريكي، مقابل الصعود الاستراتيجي لقوى الشرق الذي تقوده الصين وروسيا العاكفتان على إعادة تشكيله.

المطلب الثاني: سيناريو التعددية القطبية وعدميتها في عصر الطفرة التكنولوجية

أولاً: مشهد التعددية القطبية:

يشكل مشهد التعددية القطبية التقليدي للوهلة الأولى فرضية تراجيدية ذات احتمالات كبيرة للتحقق نظرياً، لما تمر به القوى الكبرى من ارهاصات وتحولات بنيوية في التوازنات الاستراتيجية تفضي بالنتيجة إلى ترجيح هذا الفرض القابل للتحقيق نسبياً، بناء على معطيات وتحليل النظام والبيئة الدولية، بيد أن التطور الحاصل في ميكانيزمات القوة وتوسعها فضلاً عن تشعب اللاعبين وتعقدهم، لم يعد قابلاً لتطبيق حالة دولية تقليدية على واقع دولي بهذه السهولة، فإنسيابية القوة وسيولتها وغزارة الفواعل وتنوعهم أخرجت الهيكلية الدولية من اطارها النمطي، لتدخله في هياكل ومفصليات جديدة -القوة في عالم ما بعد الحداثة والنمطية - يتطلب معها إعادة تعريف الهيكلية الدولية والفواعل على حد سواء، كي تتناسب مع تطور التوازنات الجيوسياسية الجديدة¹.

وبالرغم من أن اقرب حالة دولية للاتفاق الاكاديمي، تعد حالة التعددية القطبية في النظام الدولي، إلا أنه ليس من الصواب بمكان الركون إلى هذا التحليل دون اختبار هذه الفرضية بطريقة مباشرة، فالنظام الدولي وكما سبقت الإشارة يمر بملحمة إعادة تشكيل وترتيب أركانه بما يتفق مع طبيعة وحجم التغيير الذي تمر به القوى الكبرى وآخر التحديثات التي بلغتها مفردات قوتها، ويشير جوزيف ناي إلى أننا بحاجة إلى سردية أكثر دقة من صعود وهبوط القوى الكبرى لكي نستطيع أن نبلور ملامح النظام الجديد بما يتواءم مع حجم التغيير الكمي والنوعي الحاصل، فمن الملاحظ أن القوة الاقتصادية ليست محتكرة في لعب دولي واحد، ناهيك عن أن التفاعلات في المجتمع الدولي أصابها تحول مهم يتمثل في العلاقات العابرة للقوميات التي تقودها فواعل اللادولتية، مما خلق مستويين من التفاعل، أحدهما بين الدول والآخر حراك بين الدول وغيرها من الوحدات، وعليه لا تستطيع الولايات

¹ - Stephen Mc Glinchey, Sahil Mathur Amitav Acharya, Introducing Bipolarity, Tripolarity, Unipolarity, Multipolarity And Multiplexity, At: <https://www.e-ir.info/2022/03/27/introducing-bipolarity-tripolarity-unipolarity-multipolarity-and-multiplexity-in-international-relations/>, accessed on (23-05-2024)(15:28).

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بواذر نظام عالمي جديد"

المتحدة الامريكية بأي حال من الأحوال مواجهة التغيرات العميقة التي تحدثها التحولات الجديدة ، لا سيما في ميدان المعلوماتية والعملة¹ .

ولعل أبرز ما يعزز فكرة توسع رقعة التفاعل في بيئة النظام الدولي هو وجود محفزات عديدة تساعد في التركيز على مستقبل نظام الدولي اتجاه التعددية القطبية وذلك بسبب:

1- ارتفاع مستوى التحديات الدولية المجاوزة للقيادة الفردية

إن التحديات الأمنية والاقتصادية وتحديات البيئة والاحتباس الحراري ومخاطر الآن تشار النووي والعنف الدولي، وانعكاسات النظم والدول الفاشلة على العالم وعملة الإرهاب تمثل واحدة من أكثر القضايا التي تتطلب تشاركا دوليا لحلها، لذا بات من المتعذر الاطلاع بمشروع استراتيجي عالمي انفرادي لحلها، ما كرس الاتجاه لزيادة التعاون والشراكات الدولية في مواجهة هذه القلاقل ،ترسيما لمعالم التعددية القطبية السائرة في طريق التبلور رويد رويدا².

2- مطارحات تراجع العظمة الامريكية

وهو أحد أهم وأكثر المؤشرات تحفيزا لزيادة تعزيز فكرة التعددية القطبية العالمية ،بوصف أن نظام الهيمنة الذي كان يسود ما بعد عام 1991 ، تعرض لانتكاسة أدت به للعودة إلى الأحادية القطبية المرنة التي يمكن أن نلاحظها من خلالها تحركات لدول ما دون العظمى بحرية واستقلالية إنعتاقية أكبر ،غير أن التراجع الأمريكي إلى ما دون الأحادية نتيجة الانفلات القطبي الحادث على نطاق النظام ،ساعد في تحفيز بعض القوى لحيازة مكانة عالمية جديدة في ظل الفراغ المتشكل ،لذا فإن تعزيز فكرة الشراكة الدولية جاءت نتيجة فقدان القطب الأمريكي لفرامل القيادة ،ما سدّد خطاها نحو إيجاد مخرج استراتيجي لإعادة بعث وتجديد الهيمنة الامريكية ،عبر انتهاج سبيل الاستيعابي للقوى الصاعدة ومن ثم احتواء وكبح جماحها تفاديا لأي صيغ عدوانية³.

¹ - ABDUL RASOOL SYED, Emerging Multipolarity and its consequences, at: <https://moderndiplomacy.eu/2020/10/05/emerging-multipolarity-and-its-consequences/> , accessed on(23-05-2024)(17:49).

² -Güven, Ali Burak , The World Bank And Emerging Powers: Beyond The Multipolarity–Multilateralism Conundrum ,**New Political Economy**, Vol. 22,No.5(December 2016),Pp496-520.

³ --Gray Kevin, Barry K. Gills ,South–South Cooperation and the Rise of the Global South, **Third World Quarterly** ,vol.37 ,no.4(march 2016),pp.557–74.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بوادر نظام عالمي جديد"

3- صعود الباقين

وهو المصطلح الذي تطرق اليه الكاتب الأمريكي فريد زكريا في كتابه "عالم ما بعد أمريكا" (The Post-American World) ، حيث يتحدث هذا الأخير عن تراجع الولايات المتحدة الأمريكية وعن مستقبل القوة الأمريكية في ظل تنامي القوى الدولية الصاعدة كالصين وروسيا والهند واليابان ألمانيا ، مؤكداً أن النظام الدولي في مرحلة ما بعد الهيمنة الأمريكية سيكون متعدد الأقطاب ، وفق ما تأثر اليه المعطيات الحالية لدى دراسة وتحليل البيئة الجيوسياسية الدولية .

4- اقتصاد المعلومات

يمثل اقتصاد المعلومات واحد من أهم معالم وخطوات التوجه نحو التعددية القطبية، وقد شكلت الطفرة المعلوماتية نقلة نوعية بارزة لمستويات الدول على النطاق الدولي، فضلاً عن إنهاء فكرة المركزية بتوزيعية القوة في مختلف المفاصل، إذ برزت كيانات اقتصادية وفواعل سياسية ومجتمعية وإعلامية وحتى عسكرية وأمنية دولية، أنهت عملية السيطرة العليا لطرف واحد أو طرفين على وحدات النظام الدولي¹.

5- الفرد العالمي

أصبح من البديهي في علم العلاقات الدولية الحديث التأكيد على دور الفرد الذي يعد محورا رئيسا من محاور تحليل النظام الدولي القائم ، إذ يتم التركيز في ذلك على نوعيته ومستوياته وآليات تعامله مع محيطه وتفاعله معه ، فالعالم اليوم بدأ يخرج عن نطاق كونه مجتمع دولي إلى نطاق مجتمع عالمي تحت قوى فاعلة (افراد عالميون ، منظمات غير حكومية ، تنظيمات دولية مسلحة) ، فالتحولات الجيوسياسية مكنت من إيجاد المواطن الشبكي المرتبط بكل أصقاع الأرض ، كذلك مكنت الشرطي الشبكي من أن يصل إلى كل العالم ويتجاوب معه ، وهكذا هو الحال مع السياسي العالمي والفرد العالمي والاقتصادي العالمي ، بسبب ما خلفته التكنولوجيا من تحولات أسهمت في زيادة تداخل الافراد الذي كان محصورا في بيئة صغيرة ، ليصبح في بيئة عالمية واسعة التشابك ، جعلت الكل مرتبط بالكل

¹ -Margulis, Matias E., Tony Porter, Governing The Global Land Grab: Multipolarity, Ideas, And Complexity In Transnational Governance , Globalizations , Vol.10, No.1 (February 2013), Pp.65-86.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بوادر نظام عالمي جديد"

ومتأثراً بكل ما يجري من حوله ،كل ذلك أدى في الأخير لتراجع فكرة المركزية العالمية التي تحتكرها دولة ما وتفرضها على باقي وحدات النظام ،وصب في مصلحة توسيع رقعة القطبية الدولية¹ .

6- بروز التكتلات الأمنية والاقتصادية والسياسية الدولية

إن ظاهرة التكتلات التخصصية أصبحت سمة أساسية من سمات التوجه نحو التعددية القطبية العالمية بشكل كبير، إذ إن تكتل بريكس الاقتصادي الذي يضم العمالة الخمس في السياسة العالمية (الصين ،روسيا ،الهند، البرازيل ،جنوب افريقيا) نموذج مهم للتعددية الاقتصادية الدولية ،فضلا عن الشراكات الاقتصادية لا سيما في قارتي آسيا وأوروبا كشراكات منظمة الآسيان ومنظمة شنغهاي للتعاون والشراكة الأوروبية المتوسطية وشراكات الاتحاد الأوروبي والسوق الاقتصادية الموحدة ،كما أن التحالف الدولي الذي حدث لمحاربة تنظيم داعش في العراق وسوريا ، هو تعبير عن وصورة أخرى من صور التعاون الأمني التشاركي المجسد لتوجه عسكري نحو شراكات أمنية دولية تحت مظلة الولايات المتحدة الأمريكية ،بعد أن تم تطوير تجربة الناتو وتحويله من مجرد منظمة ميكانيكية يقتصر العمل بين أعضائها إلى منظمة عابرة لحدود العضوية ،فضلا عن البرامج السياسية الدولية التي توحد الشأن الدبلوماسي والسياسي عبر المنظمات الدولية والهيئات التحكيمية ،والتي صبت و ركزت بشكل كبير لصالح التعددية القطبية الدولية² .

7- تقلص الفجوة العسكرية والاقتصادية

إن غزارة تأثير الازمة المالية على الولايات المتحدة الأمريكية، انعكست بشكل واضح على ميزانية الدفاع العسكرية، مما أدى إلى تقليص الفجوة بينها وبين القوى الدولية الأخرى في هذا الجانب، فالمؤشرات الدولية تفصح عن ارتفاع حاد في نفقات القوى الصاعدة لا سيما الصين وروسيا، وما يوحى بالذهاب نحو نظام دولي متعدد الأقطاب هو الركود الاقتصادي الذي تعاني منه الولايات المتحدة الأمريكية بارتفاع نسبة الدين لعام، فضلا عن انخفاض معدلات النمو الاقتصادي.

¹ -O'sullivan Declan ,The History Of Human Rights Across The Regions: Universalism Vs Cultural Relativism, The **International Journal Of Human Rights**, Vol. 2,No.3(October2017) ,Pp.22-48.

² - Pitakdumrongki Kaewkamol ,What Causes Changes In International Governance Details?: An Economic Security Perspective, **Review Of International Political Economy** ,Vol.29,No.2(September 2020) ,Pp.399-424.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بواذر نظام عالمي جديد"

بالمحصلة، إن اعتماد المؤشر الاقتصادي كأولوية تحليلية لمعرفة احتمالات ومصير النظام الدولي، يمثل الأساس المحرك لباقي القطاعات الدولية الأخرى، فالإنفاق العسكري والدبلوماسية الناشطة والفعالة وتطوير التكنولوجيا والقوة الاجتماعية الشاملة وترويج النموذج يعتمد كلياً على الاقتصاد وقوته، ما ينم على أن المؤشرات السابقة المذكورة لتفاعلية القوة في رحاب التعددية القطبية، بلورة خصائصها بشكل جلي مع التطورات الدولية المتلاحقة.¹

بناءً على المعطيات التحليلية أعلاه، واتساقاً مع ما جاءت به نتائج قياس الصعود والافول، يمكن القول أنه من المغالطة التسليم بانضواء النظام الدولي إلى الصورة التي لجأ إليها قبل أكثر من ثلاثة قرون ونصف المنبثق من وستفاليا إلى مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، إذ إن أدوات التوازن قد تغيرت وطبيعة المصالح كذلك فضلاً عن خصائص القوة وأشكالها، وهذا يعني إن النظام الدولي المستقبلي إذ اصطُبع بالتعددية القطبية، فإنه سيكون نظاماً استثنائياً تكون فيه الولايات المتحدة الأمريكية لمرحلة زمنية قد تطول أو تقصر قطباً قيادياً تعتمد في ذلك على مدى قدرتها لتجاوز محنة الركود، ورغم ذلك فإن ترجيح هذه الحالة الدولية تمثل من الناحية المنهجية والتحليلية الاقتراب الأنسب لتحقيق، لعدم توافر القدرة أو القابلية لأي قوة دولية في تحمل تركة النظام الدولي وإزاحة القوى الباقية عن الساحة، أو جعلها خارج نطاق إدارة الشؤون الجيوسياسية العالمية.²

ثانياً: مشهد اللاقطبية:

ثمة سجال عميق ليس له أفق محدود بدأه الخبير شؤون السياس الخارجية الأمريكي، ريتشارد هاس بطرحه لنظرية اللاقطبية الدولية التي قصد بها أن لا قوى دولية عالمية مهيمنة لوحدها ولا معالم واضحة يمكن الارتكاز عليها للنظام الدولي ولا معايير ثابتة يمكن أن تكون بوابة للتفاعل وفق ما خلفته الحالات الدولية السابقة، إذ يبدأ هاس بتحديد الفوارق الأساسية بين التعددية القطبية التي

¹ - Alexander Nikolaevich, Alexander Ivanovich Kostyaev, Anatoly Sergeevich Truba Ponkratov Gagarina ,Economic Ramifications Of China–United States Trade War For The Russian Federation , **China Economic Journal** ,Vol.12 ,No.3(March2019),Pp.316-335.

² - Albert Halim, Is America a 'failing state'? How a superpower has been brought to the brink,at: <https://theconversation.com/is-america-a-failing-state-how-a-superpower-has-been-brought-to-the-brink-139680> ,accessed on (23-05-2024)(22:19).

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بوادر نظام عالمي جديد"

تتسم بتمركز القوى بيد عدد محدد من الأقطاب ،وبين اللاقطبية التي تتميز بتوزيع القوة على عدد كبير من المراكز المؤثرة ليسوا فقط دول ولا منظمات بل كيانات لا سيادية عابرة للحدود القومية .

ومن هذا المنعرج، يتحدث رتشارد ومن بعده مجموعة عريضة من الباحثين المؤيدين لهذه النظرية على أن الحالة الدولية قد تذهب نحو اتجاه اللاقطبية، وفقا لمعايير خاصة قد تتوفر في البيئة الدولية تبرز ملامحها الأولى في غياب تام للسيطرة الكلية التي كانت تمارسها الدولة في السابق على أرضها وعلى نطاق العلاقات الدولية، وتآكل مفهوم السيادة الوستفالية بشكل كبير، فضلا عن ارتداد كل ذلك بالجدل الحماسي الذي لا يكاد ينفك عن البحث في مستقبل الولايات المتحدة الأمريكية والدور المشفوع لها¹.

وتجدر الإشارة أن احتمال اللاقطبية كحالة دولية فريدة من نوعها قد تتضح ملامحها وتبلور بعمق نتيجة لغياب الاستقرار المؤسسي على مستوى فواعل النظام الدولي وأطرافه، فلا محركات للقوة ولا محددات للتدخل ولا كوابح تعيق السلوك الدولي، ويضع رتشارد هاس حجر الزاوية بتأكيده أن نظام اللاقطبية يختلف عن وضعية النظام القطبي سواء كان في حلتة التعددية أو الثنائية أو الأحادية، فهو نظام تغيب عنه مركزية القوة، نظرا لفقدان الدولة القومية لقوتها أمام ضغط المؤسسات الدولية من الأعلى والقوى المناهضة لها من الأسفل، ومؤسسات المجتمع المدني من داخلها².

وفي المقام الموالي، ينافح هاس أنه من العسير الركون إلى نظام دولي متعدد الأقطاب أو ثنائي بسبب تداخل هذه الفواعل الإقليمية من الدول وغير الدول، فلدينا البرازيل والأرجنتين والتشيلي والمكسيك وفنزويلا في أمريكا اللاتينية، نيجيريا وجنوب افريقيا في القارة السمراء تمتلك طموحات إقليمية ذات دلالات دولية وفي الفضاء الشرق اوسطي لدينا تركيا المملكة العربية السعودية وإيران وإسرائيل، في حين نجد كل من الهند والباكستان في جنوب القارة الآسيوية، بالإضافة إلى استراليا اليابان وكوريا الجنوبية في شرق آسيا وأوقيانوسيا، وتضم لائحة مراكز القوة عدد لا يستهان به من المنظمات، بما فيه العالمية (هيئة الأمم المتحدة، صندوق النقد الدولي، والبنك العالمي)، والإقليمية

¹ - ALEX FANG, Today's nonpolar world requires new international order, at: <https://asia.nikkei.com/Opinion/The-Nikkei-View/Today-s-nonpolar-world-requires-new-international-order>, accessed on (24-05-2024)(9:23).

² - Goedele De Keersmaecker, **Polarity Balance Of Power And International Relations Theory: Post-Cold War And The 19th Century Compared**, (New York, Palgrave Macmillan, 2017), Pp.34-51.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بؤادر نظام عالمي جديد"

(الاتحاد الافريقي ، جامعة الدول العربية ، رابطة شعوب جنوب شرق آسيا ، الاتحاد الأوروبي ، ومنظمة الدول الامريكية) وتلك المتخصصة (الوكالة الدولية للطاقة ، ومنظمة شنغهاي ، والابيك ، ومنظمة الصحة العالمية ...) ، ومن ثم هناك الشركات العالمية الكبرى للتكنولوجيات المعاصرة مثل (شركة ابل امازون وفيسبوك ومكروسوفت) . والطاقة مثل (الاخوات السبع) ، اما المؤسسات الأخرى التي تستحق أن تدرج هنا ، فهي وسائل الاعلام العالمية كسكاي نيوز sky news والإذاعة البريطانية bbc ومحطة cnn ، والجماعات المسلحة (كداعش ، وحركة طالبان ، والقاعدة ، وجماعة بوكو حرام ، وجهة النصرة) ، والأحزاب السياسية ، والحركات الدينية ، واتحاد تجار المافيا والمخدرات ، والمنظمات غير الحكومية (مؤسسة بيل وميليندا غايتس ، وأطباء بلا حدود ، ومنظمة السلام الأخضر)¹ ، بالمحصلة إن عالم اليوم يصبح بشكل متزايد عالما تتوزع فيه القوة بدلا من أن تتركز في موقع واحد ، وهكذا فإن خلاصة التداخلات بين المستويات الثلاثة ، الدول الكبرى ، والدول الإقليمية النافذة ، والأطراف من غير الدول المعولة (فواعل عابرون للقومية) ، تنتج عالما صفته الأساسية اللاقطبية .

وتماشيا مع ما تم ذكره ، لن يكون لأي قوة مهما كان حجم مؤهلاتها ومقوماتها المادية سواء عسكرية او اقتصادية او تقنية مفتاح السيطرة على هذا النظام اللاقطبي او اخضاعه لمصالحها ، فالنفوذ والتأثير في داخل هذا النظام لا تعكسها القوة فحسب ، بل هي نتاج عوام عديدة ليست القوة الا احداها ، ويتميز هذا النظام بحسب (هاس) بالمساحة التعاونية بين مكوناته ، والصراعات والنزاعات إذا حصلت لن تكون صراعات كلية شاملة ، بل سوف تكون صراعات جزئية حول مسائل محددة لا تمنع تحقيق التعاون بين الأطراف في مسائل أخرى ، وسيقود هذا التحول إلى تحول آخر في مفهوم التحولات الدولية ، وسوف تكون هذه الأخيرة متنقلة ومتغيرة بحسب الموضوع الذي يجري الصراع او التحالف حوله ، وستسود تبعا لذلك التنافسية في العلاقات الدولية ، بديلا للصراعات المزمنا الناشئة لاختلال موازين القوى الحاكمة للنظام القطبي² .

وعلى العموم ، فإن حالة اللاقطبية لا يمكنها بأي حال من الأحوال أن تصبح جزءا من الهيكلية الدولية ، لأن الدولة لا تزال الفاعل المركزي في بيئة التفاعلات الدولية رغم فقدانها لمقومات عديدة

¹ - Deniz Aktunç, The International Systems: Unipolarity, Bipolarity and Multipolarity ,at: <https://www.byarcadia.org/post/the-international-systems-unipolarity-bipolarity-and-multipolarity> ,accessed on (24-05-2024)(11:37).

² - Tomja. A, Polarity And International System Consequences. **Interdisciplinary Journal Of Research And Development**, Vol.3, No.1(October2023),Pp. 57–71.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بواذر نظام عالمي جديد"

وتراجع مكانتها كقطب محتكر للقوة حصرا ، الا أن هناك من الدول من استطاعت تجاوز أزمة التحولات الهيكلية في وظائف وأدوار الدول داخل المبنى الهرمي للنظام الدولي ، والقفز عليها وعبور مرحلة تفكك الدولة القومية التقليدي بعلاجات مرنة فسحت المجال لها بالمطالبة والتأثير على إدارة مستعصيات البيئة الدولية ، وأهلها شرعيا لحمل مظلة الهيكلية الدولية بحرص منقطع النظير¹.

واستخلاصا لما أتى الذكر عليه، بات من الواضح أن هناك مفاعيل جديدة بدأت بالتغلغل على حساب الدولة القومية التي أصبحت ذات تأثير شبه معدوم في مجرى التبدلات والتغيرات الجيواستراتيجية التي افرزتها طفرة العولمة، مولدة لفضاءات الفراغ الجيوسياسي ما أبان عن جدور الاعطاب في المسؤولية الدولية المترافقة بإنصهار هيكلية التعددية القطبية واللاقطبية في قالب جامع.

المطلب الثالث: سيناريو فوضوية النظام الدولي بين مشهد القطبية القارية والقطبية التخصصية

يشكل مشهد الفوضى العالمية أحد أبرز الخيارات المطروحة كحالة دولية يمكن أن تصبح حقيقة ملموسة إذا ما توافرت لها الشروط الموضوعية التامة، وتتعدد أسباب ومداخل هذا المشهد بتعدد احتمالاته التي تشمل حدوث تحول بنيوي في خيارات اللاعبين الدوليين والفواعل من غير الدول نتيجة لاختلال التوازن الاستراتيجي على المستويين النظمي والنسقي، وعليه ينطلق هذا المشهد من فرضية رئيسية مفادها أن الفوضى العالمية كخيار مستقبلي للنظام الدولي ، هي نتيجة حتمية للانهيارات الدولية التي تحدث والاختلالات القيمية التي مست المنظومة الدولية برمتها ، فضلا عن استفحال إشكاليات بناء الدولة التي ترتب عنها فشل دولتي فتك بكيان الدولة القومية ووحدها السيادة والغى طابعها المؤسسي².

يعزي منظرو هذا الاتجاه وعلى رأسهم هنري كيسنجر وزيغيود برجنسكي أسباب الطابع الفوضوي للنسق الدولي إلى الانسحاب المفاجئ للولايات المتحدة الأمريكية من ناصية الريادة العالمية، ما شكل فرصة مائعة للفواعل الصغار الذي احسنوا استغلال الوضع الاستراتيجي، وراحوا ينموا قوتهم

¹ - Nina Graeger, Ole Wæver, Anders Wivel, **Polarity in International Relations: Past, Present, Future**, (new York, Palgrave MacMillan), pp.131-142.

² - Parent Joseph , Emily Erikson , **Anarchy Hierarchy And Order**, **Cambridge Review Of International Affairs** , Vol.22, No.1 (March 2019) , Pp.129-45.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بوادر نظام عالمي جديد"

ويراكموا قدراتهم ليتغلغلوا في مفصّل النظام الدولي، ما يجعل عملية ازاحتهم مستقبلا من قبيل المستحيلات، كالشركات العسكرية الخاصة، والجماعات الإرهابية والحركات الراديكالية التي أضحت تؤثر وتتأثر بما يحدث على نطاق السياسة الدولية¹.

ويناقش برجنسكي " ZBBIGNIEW REZINSKI " في كتابه فوضى الاضطراب العالمي عند مشارف القرن الحادي والعشرين OUT OF CONTROL : GLOBAL TURMOIL ON THE EVE OF (THE TWENTY-FIRST CENTURY) ، أن هناك محرك رئيس للفوضى العالمية مستقبلا وهي صدام القوميات الذي أخذ يبرز بشكل ملفت للنظر بعد انتهاء الحرب الباردة لدى الأقليات النامية والتي دمجت ضمن تخوم الدول رغما عنها ، ما يغدي زخمها الثوري للاستقلال عن المركز ، وهذا ما شهدته يوغسلافيا وبعض جمهوريات الاتحاد السوفياتي، وتشهده اليوم منطقة الشرق الأوسط بجلاء في ظل تراجع المسؤولية والشرعية الدولية للتدخل .

بينما يذهب صامويل هنغنتون إلى الكشف عن جانب آخر من الموضوع، مرشحا أسباب حدوث الفوضى العالمية في صدام الحضارات الثمانية الكبرى والتي قد تخلف حروبا فرعية في القارات الخمس ، ستندثر على اثرها حضارات عدة مقابل صمود الحضارة الغربية أمام الصراع طويل الأمد ، ويضيف أن المصدر الرئيسي للمنازعات كان اقتصاديا في جانب وايدولوجيا في جانب آخر²، وكان المعيار المعتمد لتقسيم الوحدات الدولية هو الأنظمة السياسية والاقتصادية ومراحل التطور الاقتصادي ، مشيرا إلى إن أكثر الصراعات احتمالية هو صراع الحضارة الغربية مع غريمتها الكونفوشيوسية الملتحمة مع الحضارة الإسلامية³.

من جانب ثاني، يذكر ريتشارد هاس أن هناك أيضا تفسيرات محلية أخرى لتنامي حالة عدم الاستقرار العالمية، فالشرق الأوسط يعاني قدر كبير من عدم التسامح والوفاق، نظرا لضمور الرغبة لدى قياداته في منع التطرف، في ظل ترهل دولي قوي للحد من هذه الظاهرة ما يولد إنفجارا للآزمات وحروب النظم الإقليمية الفرعية للنظام الدولي، التي لا شك أنها ستكون بوابة رئيسية للفوضى

¹ - Philip G Cerny , Alex Prichard, The New Anarchy: Globalisation And Fragmentation In World Politics, **Journal Of International Political Theory**, Vol.13, No.3 (Jun2017), Pp.20-38.

² - Brzezinski Zbigniew , **Out Of Control : Global Turmoil On The Eve Of The Twenty-First Century**, (Canada, New York : Maxwell Macmillan International 1993), Pp.57-61.

³ - **Ibid**, P.63.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بوادر نظام عالمي جديد"

والاضطراب العالمي، نظرا إلى هشاشة دول المنطقة التي غدت نشاط الميليشيات والجماعات الإرهابية المسلحة المدعومة من أذرع خارجية¹.

ولا مناص من القول ،أنه رغم الطروحات الفكرية التي ينظر لها كبار مفكري العلاقات الدولية والدراسات المستقبلية فيما يخص النظام الدولي وترجيح خيار الفوضوية كحتمية قادمة ،إلا أن المصالح الدولية ستبقى دائما هي المعيار الأعلى للتفاعلات العلائقية ،وأن الانحسار التراجيدي لأي قوة من شأنه أن يخلف نوعا محددا من الفوضى ستدرك تدريجيا من قبل جميع الفواعل بطريقة متوازنة لا مضطربة لحين اكتمال الرؤية ،ومن البديهي أن أي حالة انتقالية في أي نظام سواء داخليا او إقليميا او دوليا ترافق بعملية فوضى بين مرحلتي الاستلام والتسليم بين العهدين القديم والحديث ،فربما تطول نسبيا هذه الفوضى وربما تقصر بسبب نزوج الأطراف المتفاعلة².

اتساقا مع ما سبق الخوض فيه، يبدو أنه من المرجح وفي ظل غياب آليات موثوقة وجهود منسقة لحل الازمات العالمية ، أن يظل العالم مضطربا ،مع احتدام التنافس الجيوبوليتيكي بين القوى العظمى وزيادة الصراعات الأيديولوجية ،وتعمق سباق التسلح ،وبخاصة تقنيات أسلحة الفضاء ،ومن المرجح أن تشتد الحروب الهجينة والهجمات الالكترونية قريبا ،إذ يعتقد الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية ، أن صعود الاستبداد وإنتشاره هو التحدي المركزي لسير النظام العالمي بسلاسة ،وذلك من الناحية الأيديولوجية ،بينما ترى قوى أخرى مثل الصين وروسيا أن الهيمنة الأمريكية هي العامل الأكثر زعزعة للاستقرار في العالم اليوم ،لشنها منافسات جيوبوليتيكية عالية المستوى تجاه القوى العالمية ،على خلفية التعددية المتوترة ،والانتعاش الاقتصادي غير المؤكد ،والوباء المستعمر ،والمخاطر المتصاعدة لتغير المناخ ،وعدم استقرار سوق الطاقة³.

أصبحت العلاقة بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين ذات أهمية متزايدة في الجيوبولتيك العالمية ،وزاد الرئيس الصيني شي جي بينغ من قبضة الحزب الشيوعي على الجيش والاقتصاد ،وقيد

¹ - Paikin,Zachary,Great Power Rivalry And The Weakening Of Collective Hegemony: Revisiting The Relationship Between International Society And International Order,Cambridge Review Of International Affairs,Vol. 34,No.1 (February 2020),Pp.22-45.

² - Gray Colin ,Nicholas John Spykman, The Balance Of Power And International Order,Journal Of Strategic Studies ,Vol.38,No.6 (Jun2015),Pp.873-897.

³ - Kaufmann Jane, Kathryn Hedgecock, Nathan Hedgecock , Emerging Technology, Strategy, And International Order,Defence Studies,Vol. 24,No.1 (November 2023),Pp.141-147.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بوادر نظام عالمي جديد"

الديمقراطية والحرية ،ونفذ عمليات تطهير داخل الحزب ،وجعل الصين منافسا مهما للنظام العالمي الذي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية ،وسرعان ما أصبحت منطقة الهندو – باسفيك مرتعا للمنافسة ،وقد أدى نمو الصين إلى زيادة الصعوبات الأمنية اليابانية التي لا زالت تحتمي بالمضلة الأمريكية في مواجهة الصين المعادية ،وكوريا الشمالية المتحاربة ،وقد تزايد نفور الغرب من روسيا مع غزو الأخيرة لأوكرانيا ،ما حدا بها إلى التقارب مع الصين ،وشهد غرب آسيا اضطرابات سياسية واقتصادية متزامنة على مدار سنوات ،ناهيك عن حيوية المشهد الصراعى بدول الشرق الأوسط في ظل استمرارية المشهد النزاعى على الأراضي السورية ،ودك الحرب في اليمن ،وإنهيار معالم الدولة في لبنان ،وقد غيرت اتفاقات ابرهام قواعد اللعبة في المنطقة مع تقوية روابط إسرائيل بدول الخليج وهو ما كشف عنه طوفان الأقصى ،من ناحية أخرى يرفض الإيرانيون تقديم أي تنازلات في القضية النووية ويتجهون إلى توسيع علاقاتهم الاستراتيجية مع روسيا والصين¹ .

مشهد الفوضوية العالمية يضع النظام الدولي امام خيارين حتميين تقرهم متناقلي القطبية القارية الإقليمية والقطبية التخصصية اللتان اضحتا تتأرجحان فوق رقعة شطرنجية احتدامية تخوض الفواعل الدولاتية في سياجها معترك التغيير.

أولاً: مشهد القطبية القارية والإقليمية:

بدأت ملامح هذا المشهد في التبلور مع بروز التكتلات الاقتصادية الدولية والإقليمية لمجابهة الهيمنة الأمريكية ،وهو ما صدقته الكتلة القارية الآسيوية في مسار بناء نظم اقتصادية تعتمد في تفاعلاتها على الأسواق الاقتصادية المفتوحة ومنصات تبادل العملات وترسيخ مبدأ الأمن الآسيوي الجماعي ،وشكلت كل من رابطة الآسيان ومنظمة منتدى التعاون الاقتصادي لدول آسيا وصندوق آسيا النقدي ومنظمة التجارة الآسيوية قاعدة عريضة للتعبير عن التكامل القاري القطبي الآسيوي ،ومن جانب فإن الشق الأمني هو الآخر قد تطور في آسيا ودخلت نظريات الأمن الجماعي القائم على أساس توازن المصالح والتكافل الجماعي لردع أي عدوان ،لكن تبقى الريبة والحذر موجودة في تصور ومدرك كل القوى الآسيوية ،كالهند والباكستان ،وبين الكوريتين ،وبين اليابان والصين التي يمكن إن

¹ - Simón Luis, Maximilian Ernst , Competition With China And U.S ,Defence Strategy: From Net Assessment To Competitive Strategies ,**Defence Studies**,Vol. 23,No.3 (July2023),Pp.359-380.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بؤادر نظام عالمي جديد"

تشكل بحسب هذا المشهد كتلة قارية كاملة لما تؤهلها جغرافيتها من مساحة وموارد تجعل منها اعظم قوة في النسق الجيوسياسي العالمي¹.

من جهة ثانية تبرز بحسب هذا المشهد المستقبلي، أوروبا ككتلة قارية قطبية إقليمية قد تستطيع أن تكون موحدة بعد حين إذا توافرت بعض الشروط السياسية والتقت المصالح بشكل اعمق من ما هي عليه الآن، رغم تهديدات التفكك (البريكست)، إذ تمثل التجربة الإقليمية الأوروبية مرحلة متقدمة من مراحل التكامل الاستراتيجي الشامل في أبعاده الاقتصادية والعسكرية فضلا عن الأمنية وبعضا من التكامل السياسي النسبي، وتبرز أوروبا ككتلة قارية قطبية إقليمية تربع على قاعدة اقتصادية لدول ذات أساس متين كألمانيا وفرنسا².

ثانيا: مشهد القطبية التخصصية:

إن التخصص القطبي القوي يعطي زخما استراتيجيا كبير، إذ تركز الدولة على جانب معين يعطيها اسبقية دولية واسعة التأثير، الا أنها لا تغفل أهمية باقي المفردات والعمل على تطويرها وتنميتها كجزء من استراتيجيتها الشاملة، إذن أن التسلسل الاستراتيجي للهوض يعتمد بداية على مفردة رئيسية قد تكون هي السبب في نهوض باقي المقومات، وهو ما تعتمد عليه الصين وروسيا كنموذجين صاعدين نحو النظام الدولي، وما يمكن أن تعتمد عليه الولايات المتحدة الأمريكية مستقبلا كقوة دولية تتراجع بشكل كبير عن مكانتها العالمية السابقة، والتي من المرجح أن يكون درب التخصص هو الطريق الأمثل للملمة البعثة الاستراتيجية الأمريكية³.

من خلال ما تقدم بالتحليل حول مستقبل النظام الدولي وتحول القوة بات جليا التعظيم في دراماتيكية القوى الدولية ما ولد اختلالات استراتيجية في تراتبية القوة، وكرس مشهدا ضبابيا لسلوك القوى الصاعدة والمهيمنة امام اشتداد منطق المنافسة الجيوبولتكية، التي صاغته اتجاهات جديدة لهرمية النظام الدولي المنسوج بالتحول والتغير في ميكانيزمات القوة وفواعلها على مسرح العمليات العالمي.

¹ - David Law, Three Scenarios For The Future Of Geopolitics, At: <https://www.weforum.org/agenda/2018/06/david-law-global-futures-3-scenarios/>, accessed on (24-05-2024)(16:20).

² - Peters, Michael A , The Emerging Multipolar World Order: A Preliminary Analysis, **Educational Philosophy And Theory** ,Vol. 55,No.14(November 2022),Pp.1653-1663.

³ - Özker Kocadal, More Power To Middle Powers: Toward A Multipolar Re-Globalization, **Global Journal**, Vol.14, No.10 (April2021), Pp.18-33.

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بوادر نظام عالمي جديد"

خلاصة الفصل الثالث

يتسم النظام الدولي بالديناميكية والتغير المستمر، وهو ما يعتبر حافزا للقوى الدولية الصاعدة مثل الصين التي تسعى لتعزيز قوتها وتطوير إمكانياتها وقدراتها، وكذلك الأمر بالنسبة لروسيا وريث الاتحاد السوفياتي، التي تسعى إلى استعادة مكانتها الدولية، من خلال إعادة تطوير إمكانياتها وعناصر قوتها وتوظيفها بالشكل الذي يحقق أهدافها المختلفة، ومنه خلص الفصل لمجموعة من الاستنتاجات أهمها:

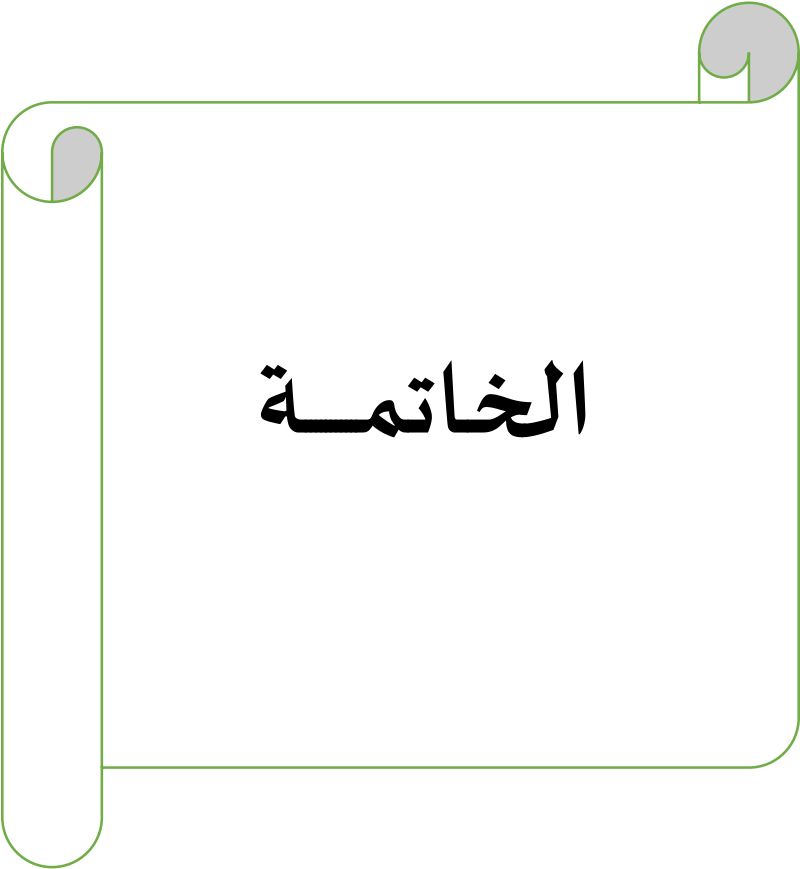
❖ يمكن وصف العلاقات بين موسكو وبكين بالمعقدة بعض الشيء حيث مرت بالعديد من التقلبات بين التحالف والوفاق إلى التنافس والنزاع، مع ذلك تشهد العلاقات بين الجانبين تقارباً ملحوظاً في السنوات الأخيرة.

❖ يعكس التقارب الاستراتيجي بين موسكو وبكين في الحقبة الجديدة، انعدام ثقة البلدين في النظام العالمي الذي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية على المسرح العالمي، دون التدخل في القضايا الداخلية لبعضهم البعض، وينص البيان المشترك للبلدين حول علاقتها في العصر الجديد، على أن روسيا تدعم حق الصين في استعادة تايوان، وأن البلدين يعارضان استراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية في المحيطين الهندي والهادئ التي تزعزع استقرار المنطقة، في المقابل تتفهم الصين وتدعم اقتراح روسيا بإنشاء آلية ملزمة قانونياً لضمان أمن أوروبا على المدى الطويل، مع تمدد حلف الناتو.

❖ يشهد العالم حراك منافسات القوى من شأنه أن يغير التصورات الجيوسياسية للنظام الدولي، ففي حين أن روسيا تحت حكم الرئيس، فلاديمير بوتين، تشكل تحدياً قصير المدى، ستظل الصين تمثل التهديد الكبير على المديين المتوسط والطويل، وبافتراض استمرار صعودها، فإنها ستخاطر في منافسة أمنية شديدة مع الولايات المتحدة الأمريكية، وسيكون ذلك بمنزلة السمة المركزية للسياسة الدولية على مدار القرن الحادي والعشرين، وسيقود هذا التنافس إلى خلق أنظمة محدودة يهيمن عليها من طرف الصين والولايات المتحدة الأمريكية، وستكون التحالفات العسكرية المركب المركزي لهذين النظامين، وهما الآن بصدد التشكل وسيشبه ذلك النظامين اللذان قادهما الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأمريكية خلال مرحلة الحرب الباردة

الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية "بوادر نظام عالمي جديد"

،وليس من المرجح أن تقلص المنافسة الأمنية بين النظامين التدفقات الاقتصادية والاستثمارية ،وستظل أوروبا تحت المظلة الأمريكية لعهد جديد ،هذه القراءات تجعل المشهد الاستشرافي لمستقبل النظام الدولي ضبابيا يختلط فيه الحابل بالنابل ،بين التكهن باستمرار سيناريو الأحادية المرنة وبين تنبؤات ترجح طور ثنائية القطبية، مروراً بتخمينات تحتضن مستقبل عدمية القطبية في عصر الطفرة التكنولوجية، وصولاً إلى تصورات الفوضى ونهاية العالم الواسفالي .



الخاتمة

حاولت هذه الدراسة ومن خلال فصولها الثلاثة معالجة وتحليل موضوع " الأدوار الاستراتيجية للقوى التعديلية في النظام الدولي الصين وروسيا دراسة مقارنة (2010-2023) "، لتخلص في الأخير الى اثبات صحة الفرضيات التي تم صياغتها من اجل فحص الإشكالية التي تناولتها هذه الأخيرة، وقد سمح ذلك بتحديد مفاهيم الدراسة، فضلا عن تتبع السياق الجيوبولتيكي لسياسات إدارة التنافس بين القوى العظمى على مجالات النفوذ، وتداعياتها على تراتبية القوة في رقعة الشطرنج العالمية.

1. يشهد النظام الدولي تحولات استراتيجية حاسمة ومفصلية ما بين الأحادية والتعددية، بفضل حالة انقسام جديدة يعيشها التاريخ البشري ما بين الشرق والغرب، حيث يتراجع هذا الأخير فيما يصعد الشرق تدريجيا، ويمتلك مقومات القوة في مختلف المستويات الاقتصادية والتكنولوجية والعسكرية، وتؤسس قواه الرئيسة الصين وروسيا غير الراضية عن الهيكل الحالي للنظام الدولي لتصوراتها الاستراتيجية ولمبادراتها العملية الخاصة بها، لإعادة تشكيل سلم القوى ليكون متناسبا مع امكانياتها وادوارها الاستراتيجية في المسرح الجيوسياسي العالمي الجديد وهو ما يؤكد صحة الفرضية الأولى القائلة بـ: "تصاعد حالة عدم الرضا عن الوضع القائم على الهيمنة الامريكية دوليا، بتزايد عناصر ومقومات القوة التي تحوزها كل من الصين وروسيا كقوى صاعدة تعديلية".

2. كما تم اثبات صحة الفرضية الثانية التي تقرب: " تتعزز فرص قوى الشرق لتعديل النظام الدولي. بتزايد عناصر قوتها وبتراجع مؤشرات القوة الغربية" وفي هذا الصدد نشير الى أن مخرجات المحصلة النهائية لانتقال القوة التي نشهدها حاليا، تعتمد على عدة عوامل منها ما يتعلق بمدى وضوح رؤية الصين وروسيا اللتان تقودان مسعى تغيير هيكل النظام الدولي، ومدى قدرتهما على تقريب وجهات نظرهما وتجاوز خلافتهما، وموازنتهما لعلاقتهما البينية من جهة وعلاقتهما مع الولايات المتحدة الامريكية من جهة أخرى، التي لا يتصور تنازلها بسهولة عن القمة العالمية، وهو ما يفسح المجال لحسابات معقدة وتوقعات متباينة بشأن طبيعة عملية الانتقال التي ستحصل، وما اذا كانت ستكون بشكل سلمي او صراعي، وما اذا كانت ستضمن تشكيل نظام دولي اكثر استقرارا، أم أنها ستدخل العالم في دوامة فوضى دولية جديدة قد تجر تلك القوى لعسكرة متزايدة واحتمالات تصادم، وهو ما يندربه سيناريو

الانتقال الصراعى، فيما يتجه سيناريو الانتقال التوافقى نحو تسويات وحالات قبول متبادل وتنزلات لتجنب الأسوأ وحفظ الاستقرار على المستوى العالمى .

3. أما بخصوص الفرضية الثالثة القائلة بـ: "كلما غابت آليات التوافق فى الأهداف والغايات بين الصين وروسيا، كلما عجزت قوى الشرق عن خلق استراتيجية شاملة لمواجهة قوى الغرب المنسجمة استراتيجياً" فإنه يمكن الإقرار بها مادامت الشراكة المزدهرة بين الصين وروسيا، تخلق مشاكل لواشنطن وحلفائها، لكنها لا تحمل أى وعد بتحول نظمى للقوة فى الأفق، يمكن الطرفين من تشكيل تحالف موازن مضاد يضاهاى القوة الأمريكية أو تحالفاتها، فضلاً أن القوتان لا تسميان علاقتهما تحالفاً رسمياً، وقد أظهرت الحرب الأوكرانية الأخيرة حدود هذه العلاقة وقيودها، فلم تبدل الصين سوى الشيء القليل لمساعدة روسيا فى العقوبات الغربية التى طالتها.

خلصت الدراسة إلى عديد الاستنتاجات يمكن اجمالها فيما يلى:

- تتفاعل القوى الكبرى والصاعدة اليوم مع ديناميكيات إقليمية وعالمية متسارعة وشديدة التعقيد، وضمان استمرار الصعود الاستراتيجى وبناء القوة الذاتية، يتوقف على مدى تبني استراتيجيات واضحة مع فعالية وسرعة الحركة والتحديث، وهو ما باتت تعيه الصين وروسيا جيداً.
- تواجه النزعة التعديلية للصين وروسيا تحدياً بنوياً، فبينما تظل محصورة فى توازن إقليمي، يمكن للولايات المتحدة الأمريكية أن تردّ على مستوى عالمى، هذا ما أثبتته الحرب الروسية على أوكرانيا، مع قدرة الولايات المتحدة الأمريكية على حشد استجابة عالمية لمعاينة موسكو على مختلف الأصعدة، وبالمثل يمكن للولايات المتحدة الأمريكية أن تصعد عالمياً إذ حاولت الصين أخذ تايوان، عبر فرض حصار بحرى شامل للحد من وصولها للاقتصاد العالمى.
- تعيق المعايير الدولية الحالية أيضاً مسعى مراجعة المحور الصين-روسي لشكل القطبية الدولية، فالعديد من الهيئات والمؤسسات وحتى الأعراف واللوائح الدولية هي من تصميم الكتلة الغربية المنتصرة فى اعتاب الحرب العالمية الثانية.
- الضعف الاقتصادى لروسيا، فى زمن العولمة الذى أصبح فيه العامل الاقتصادى أكثر أهمية فى بناء الاستراتيجيات الداخلية والخارجية، جعلها أكثر عرضة للضغوطات الخارجية، وأضعف كثيراً من قدرتها على بناء استراتيجيات مقاومة، على خلاف الحالة الصينية التى وإن جعلتها قوتها

الاقتصادية المتزايدة عرضة للسياسات الاحتوائية الامريكية، فقد اعطتها بالمقابل قدرة كبيرة على المقاومة والدفاع عن مصالحها.

■ بعد دراسة عناصر قوة كل من الدولتين، يتضح أن الصين أكثر قدرة من روسيا من ناحية بناء استراتيجية مراجعة ومصححة لهيكلية النظام الدولي القائم، ما يجعل منها المرشح الأبرز لإزاحة القوة الامريكية من عرش الأحادية القطبية.

■ الضعف الذي يكتسي كل من روسيا والصين في بعض ابعاد القوة يحدّ من قدرتهما على تشكيل جبهة منافسة للكتلة الغربية المتحورة حول واشنطن.

■ رغم التراجع الذي تعرفه القوة العالمية للولايات المتحدة الامريكية اليوم، في مقابل صعود قوى تعديلية كبرى كالصين وروسيا خلال العقدين الماضيين، لا تزال تحظى بتفوق استراتيجي على نظيرتها، لا سيما ما تتميز به من قدرات عسكرية وتكنولوجية وثقل اقتصادي ومزايا جغرافية، بشكل يدحض توجه النظام الدولي في بنيتها صوب التعددية او الثنائية القطبية.

■ امتزاج العولمة بما أدخلته من تعقيد على العلاقات الدولية وطرق وأدوات جديدة لتفاعل القوى الكبرى مع التفوق الأمريكي المترجم الى الهيمنة، حدّ من عدد الاستراتيجيات المتاحة امام الصين وروسيا التعديليتين، بإزاحتها للخيارات الأكثر عنفا كالتغيير الجذري أو الثورة على النظام الدولي القائم، والتوسع أو الغزو، وابقائها على خيار " الإصلاح " او " التحالف ".

■ تتسم الاستراتيجيات الروسية بالتردّد والتقلب بين الغرب والشرق، فتارة تتّجه نحو الدول الغربية، وتارة أخرى تتّجه نحو جيرانها الاسيويين، كما أنّها تعتمد أسلوب التقرب من الغرب أحيانا وأسلوب المواجهة والتصعيد أحيانا أخرى، الامر الذي جعلها معزولة ومتوجسة من الطرفين، وفاقم من معضلاتها الإقليمية والعالمية.

■ الصين تعتمد استراتيجية اصلاح وتنسيق وليست مواجهة مباشرة، رغم امتلاكها لعناصر قوة معتبرة، وذلك درئاً لأي تهديد أو تحد من شأنه تعطيل مسارها التنموي.

■ وما يمكن استخلاصه من مقارنة استراتيجيات القوتين -ولو مقارنة ضمنية، هو عدم اكتمال وتكامل الاستراتيجيات الروسية تجاه الغرب عموما والولايات المتحدة الامريكية خصوصا، ذلك ان سياساتها تجاه هذه الأخيرة منذ نهاية الحرب الباردة، وكأنها تدور في حلقات مفرغة، فهي تبدأ مع كل رئيس جديد وأهوائه، على خلاف حالة الصين أين تنتهج هذه الأخيرة استراتيجية تتسم بثبات

- ولونسي، وهذا يكسبها قدرة أكبر على مقاومة سياسات الاحتواء الأمريكية والتخفيف من اثارها على مصالح بكين وأجنداتها.
- كما تسعى بكين الى توظيف مدخل القوة الناعمة لمد نفوذها الاستراتيجي وتلميع صورتها في الخارج أكثر مما تهتم به موسكو.
 - يقتصر الدور الاستراتيجي لروسيا في بيئة التفاعلات الدولية على رد الفعل، بمعنى أن عنصر المبادرة يكاد يكون غائبا لديها، وهذا ما يثبط من نجاعة استراتيجيتها وأهدافها، في حين أن الرؤية الصينية مصممة على مضاعفة حظوظ أدائها الاستراتيجي، لإدراك وثبة انتقالية في مبنى النظام الدولي.
 - بعد تحليل العناصر الأساسية والمبادئ التي تحكم الشراكة الاستراتيجية بين الصين وروسيا، اتضح أنه تمت صياغتها وبلورتها بأسلوب خاص لا ينم عن مواجهة مباشرة مع القوة العظمى، ولكن في مضامينها تشير الى انها معقودة خصيصا لمقاومة الأفكار والسياسات الأمريكية المكرسة لهيمنتها على اسيا والعالم.
 - تحتوي العناصر المستمدة من أفكار الواقعية الجديدة (التعددية القطبية ومعارضة مناطق النفوذ)، وأخرى من أفكار الليبرالية الجديدة (التنمية الاقتصادية والتعاون في إطار الهيئات والتكتلات والاقتصادية)، ما يعني ان القوتين تبنيان استراتيجيات المواجهة مع القوة العظمى على أسس متعددة المصادر الفكرية والاستراتيجية، وتراعي التحولات العالمية الطارئة واثار العولمة على علاقاتها ومساراتها التنموية.
 - يعكس التقارب الاستراتيجي بين موسكو وبكين في الحقبة الجديدة انعدام ثقة البلدين في النظام العالمي الذي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية على المسرح العالمي دون التدخل في القضايا الداخلية لبعضهم البعض، وينصّ البيان المشترك للبلدين حول علاقتها في العصر الجديد على أن روسيا تدعم حق الصين في استعادة تايوان وان البلدين يعارضان استراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية في المحيطين الهندي والهادئ التي تزعزع استقرار المنطقة، في المقابل تتفهم الصين وتدعم اقتراح روسيا بإنشاء آلية ملزمة قانونيا لضمان أمن أوروبا على المدى الطويل مع تمدد حلف الناتو.
 - استطاعت بكين وموسكو التعايش وتذليل العقبات أمام علاقتهما المشتركة بفضل التداخل الكبير في مصالحهما المشتركة فكلاهما يرغب بالحفاظ على اقليم مزدهر ومستقر بعيدا عن النفوذ

الأمريكي، وعليه طور البلدان تقسيما للعمل حيث كان طلب بكين على السلع الأساسية واستثمارات البنية التحتية هو المحرك الرئيس للتنمية الإقليمية بينما ظلت موسكو تلعب دور رجل الامن في المنطقة، وفي مبادرة الحزام والطريق اختارت الصين عدم تحدي الاتحاد الاقتصادي الاوراسي بقيادة روسيا ويبقى هامش الخلاف والاحتكاك بينهما أيضا محتملا فهناك العديد من القضايا التي يمكن أن تدفع بالعلاقة نحو اتجاه اكثر تصادمية على المدى المتوسط أو البعيد .

■ التنفيذ والتجسيد العملي الصين -روسي لفرض تغيير الوضع القائم، تركز في توسيع عضوية مجموعة البريكس، وتنوع آليات عملها السياسية والاقتصادية، كما تمثل منظمة شنغهاي للتعاون التي تتمحور بؤرة تركيزها على اوراسيا، نموذج للعمل المؤسسي الإقليمي في منطقة جيوبولتكية يعتبرها الفكر الاستراتيجي قلب العالم.

■ في الوقت ذاته تثير المساعي لتأسيس مؤسسات وبنوك مالية منافسة وبديلة لنظيرتها قلق الولايات المتحدة الامريكية وحلفاءها المهيمنين على تلك المؤسسات، التي سيطرت لعقود طويلة على اقتصاديات ومصار الشعوب المغلوبة على امرها، مع جهود عملية حثيثة لكسر هيمنة الدولار، وزيادة قيمة مبادلات عملتيهما الوطنية، وهو ما يمهد الطريق نحو بناء نظام مالي عالمي جديد.

■ التحالف السياسي-العسكري من شأنه أن يحد من شدة أثر السياسات الاحتوائية الامريكية على الدولتين بزيادة التنسيق بينهما، وتقليص هامش التفوق الأمريكي الكبير على الدولتين منفردتين، وقد يؤدي ذلك الى فرض نظام عالمي متعدد الأقطاب.

■ المواجهة والصدام، التي قد تحدث بين الصين وروسيا نتيجة نوايا توسعية صينية، أو نتيجة احتدام التنافس بين الدولتين على مناطق النفوذ في اسيا الوسطى، مع التفوق الاقتصادي والتكنولوجي الصيني.

■ نهاية التاريخ أي تبني الصين وروسيا للقيم الليبرالية الغربية، وهذا امر مستبعد، سيعني غياب دوامة مقاومة السياسات الامريكية المناهضة لصعودهما الاستراتيجي.

■ ركود العلاقات الصينية-الروسية، الذي قد يحدث نتيجة وصول العلاقات الثنائية الى مستواها الطبيعي الذي يمثل اعلى مستوى يمكن ان تبلغه، او نتيجة سياسات " التنوع الاستراتيجي " التي تتبعها الدولتين، ومن شأن هذا الركود أن يؤدي الى بهتان مسعاها التعديلي لبرا كية القوة في النظام الدولي.

■ بقاء آفاق التعاون الصيني - الروسي في مواجهة الأحادية القطبية في طورها الأمريكي مفتوحة على كل السيناريوهات، واتجاهها نحو سيناريو التحالف والتنسيق التام يتوقف على عدة عوامل أهمها: الحسم في طبيعة العلاقة بين البلدين، الدعم الشعبي للشراكة واستمرار السيطرة الأمريكية على مقاليد النظام الدولي، تطور الاطار المؤسسي في اوراسيا .

تأسيسا على ما تم عرضه من نتائج، يمكن القول ان دراماتيكية التحول الاستراتيجي في بداية هذا القرن بانتقال القوة نحو الكتلة الاوراسية بدأت تطفو الى السطح بعودة خطوط الصدع والصراع الاستراتيجي للظهور مرة أخرى تقودها نهضة كل من الصين وروسيا، مقابل تراجع الولايات المتحدة الأمريكية وفقدانها لقدر كبير من تماسكها وقوتها وجاذبيتها المهيمنة، وهو ما تؤكده الأرقام والمؤشرات المختلفة، اذ يمثل المحور الصيني- الروسي فعلا وزنا فارقا في معادلة القوة الحالية والمستقبلية فواقع الحال يؤكد تصاعد مؤشرات الإيجابية اقتصاديا وتجاريا وماليا وتكنولوجيا وتزايد الأهمية الاستراتيجية للمناطق التي يترتب عليها سواء في الفضاءات القارية الممتدة في اوراسيا ، أو المساحات البحرية الواسعة المنفتحة على المحيطين الهادي والهندي ومركز القوة والاهتمام الاستراتيجيين انتقالا بالفعل الى تلك المناطق، مقابل تراجع الفضاء عبر الأطلسي الذي كان مركز الثقل التجاري والاقتصادي والجيوبولتيكي الى وقت قريب .

ومن الجدير بالذكر؛ أن القوتين التعديليتين الصينية والروسية المتزعمتين لمسعى التغيير عالميا تصطدم بتحديات داخلية وخارجية قد تعوق تقدمها، فروسيا غارقة في مستنقع الحرب الأوكرانية وتواجه عقوبات غربية غير مسبوقة وتحديات استراتيجية من حلف شمال الأطلسي على حدودها واقتصادها لا يزال ريعيا واستخراجيا، مع ما يرافق ذلك من هشاشة في حالة نفاذ تلك الموارد او انخفاض أسعارها او فرض حصر على تصديرها للخارج وسكانها يشيخون ونموها الديمغرافي يتراجع، بينما الصين لا تزال تعاني التبعية للخارج في قضية محورية مثل أمن الطاقة وهي بحاجة الى تأمين الموارد الطاقوية اكثر الوسائل فاعلية وأمانا لتجنب وقوعها ضحية لهنهما الشديد للموارد الناضبة، ولا تزال عقدة الحفاظ على وحدة سيادة البلاد تمثل هدفا محوريا في ظل التوتر بسبب قضية تايوان، والمخاوف الانفصالية في شينجيانغ والتبت والمطالب الاستقلالية في هونغ كونغ وانخراتها في نزاعات خطيرة في بحرهما الجنوبي والشرقي.

وبالمحصلة فإن أحداث التغيير المرغوب من طرف الصين وروسيا المتحديان لهيكلية الوضع الراهن تتطلب تعبئة وتجنيد كم هائل من الموارد ورسم سياسات واستراتيجيات آنية ومستقبلية فعالة مع توحيد جهودهما على صعيد النسقين الإقليمي والعالمي، والاستعداد الاسوأ السيناريوهات والتي قد تتضمن الحرب وعسكرة التفاعلات في حال تعثرت فرضية الصعود السلمي، ولعل الإشكالية التي تطرح نفسها في هذا السياق وتفتح مجالا أوسع وأرحب أمام الباحثين والمستشرفين لتحولات النظام الدولي فهل سيفضي التغيير من داخل النظام الى تقبل الولايات المتحدة الامريكية حقيقة تحول الصين وروسيا الى فاعلين دوليين أساسيين على المسرح الدولي بحكم الامر الواقع، ليسود نوع من الهيمنة المشتركة التي يتمتع بموجها كل طرف بمناطق نفوذ خاصة به وحدوث تعايش بين القوى الثلاث دون ان يجرأ أحدهما على التصادم مع الآخر ؟ وهل سيسدي تخندق الصين وروسيا في نفس الجانب الى بناء شراكة مستقرة تخدم مصالحهما معا وتدعم مقتضيات أمنهما العالمي لبناء دولي جديد.

تنبع أهمية الموضوع والحاجة إلى التعمق في دراسته، ومعرفة آفاقه التي لم تلم بها هذه الدراسة بشكل كامل ودقيق، وعليه يمكن إدراج أهمها في التوصيات التالية:

- تتبع التطور الحالي والمستقبلي للعلاقات الصينية- الروسية وأثرها على الهيمنة الامريكية وتفوقها العالمي يكتسي أهمية بالغة لكل من يحاول التعرف على احتمالات تطور بنية النظام العالمي، وتوزيع القوة فيه لذا يعتبر التركيز على علاقات القوتين والتوسع في دراستها أمرا ضروريا .
- القوى المتوسطة والصغيرة تقع في قلب ديناميكيات "الاحتواء ومقاومة الاحتواء" الدائرة بين الولايات المتحدة الامريكية والمحور الصين-روسي، كموضوع وأداة للتنافس، لذا بات لزاما عليها التحوط استراتيجيا لمحاولة استغلال سياسات الاستقطاب او التخفيف من اثارها السلبية.



قائمة المراجع

مراجع باللغة العربية:

❖ الكتب:

1. تيم دان، كوركي أميليا ،ستيف ، ترجمة: الخضراء ديمما ، نظريات العلاقات الدولية التخصص والتنوع، (قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016) .
2. سليم محمد السيد ، تطور السياسة الدولية في القرن التاسع عشر والعشرين، (القاهرة: دار الفجر الجديد للنشر والتوزيع، ط2 ، 2008).
3. ابن خلدون، عبد الرحمان ، مقدمة ابن خلدون، (بيروت : دار الكتب العالمية ، 2013) .
4. مقلد إسماعيل صبري ، دراسة في الأصول والنظريات، (الكويت: منشورات دار السلاسل، الطبعة الرابعة، 1985).
5. - عبد الحي وليد سليم ، المكانة المستقبلية للصين في النظام الدولي 1978-2010 (ابوظبي: مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، طبعة 2، 2014)،

❖ المجلات والدوريات:

1. السيد سليم محمد ، الصعود الصيني والصعود الهندي في النظام العالمي، مركز سبأ للدراسات الاستراتيجية، ع. 198 (اكتوبر 2011)،
2. حمشي محمد ، نظرية التعقد والنقاش النظري الخامس: مراجعة للأدبيات، المجلة الجزائرية للأمن والتنمية، ع.12 (جانفي 2018).
3. عوني مالك ، تحدي الأحادية: القوى الإقليمية الصاعدة واتجاهات تطور هيكل القيادة الدولية، السياسة الدولية، م.50، ع.198 (نوفمبر 2014).

❖ المذكرات والرسائل الجامعية :

1. حمشي محمد ، النقاش الخامس في حقل العلاقات الدولية نحو اقحام نظرية التعقيد داخل الحقل، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في العلوم السياسية تخصص علاقات دولية(جامعة باتنة 1 قسم كلية الحقوق والعلوم السياسية ، 2017).

❖ المواقع الالكترونية :

1. أمين سمير ، هل تمثل مجموعة الدول الصاعدة بديلا للعولمة الفجة،
<https://gate.ahram.org.eg/daily/News/41319/4/328> (20/03/2024)(22:07).

ثانيا: مراجع باللغة الأجنبية

❖ Books :

1. L. Lamy Steven ,**Contemporary Mainstream Approach : Neorealism And Neoliberalism** , (Oxford : Oxford University Press , 3rd Edition , 2008) .
2. Amitva Acharya, Buzan Barry, **Why Is There No Non-Western International Relations**, (Stanford: Stanford University Press, 2007).
3. Organski Afk, N. Rosenau, **The Power Transition In: Political Foreign Policy** (New York: The Free Press Of Glencoe, 1961).
4. DUGAIN ALEXANDER, **THE THEORY OF A MULTIPOLAIR WORLD** , (LONDON : ARKOTS MEDIA LTD ,2020).
5. Toynbee Arnold , **A Study Of History : The Growth Of Civilization** , (Oxford : Oxford University Press,2007) .
6. Buzan Barry And Others, **The Logic Of Anarchy: Neorealism To Structural Realism**, (New York: Columbia University Press, 1993).
7. Buzan Barry, **An Introduction To English School: The Social Approach**, (United Kingdom: Policy Press, 2014).
8. Biddle Bruce ,Edwin Thomas, **Role Theory : Concept And Research** , (New York, London : Willy And Soon , 1966),Pp. 7,8.
9. Zbigniew Brzezinski , **Out Of Control : Global Turmoil On The Eve Of The Twenty-First Century**, (Canada, New York : Maxwell Macmillan International1993).
10. Schon Douglas , Melik Kaylan , **Return To Winter Russia China And The New Cold War Against America** , (New York : Encounter Books ,2015) .
11. Hallet Carr Edward, **The Twenty Years Crisis 1919-1939**, (New York: Papermac, 1981).
12. Goedele De Keersmaeker, **Polarity Balance Of Power And International Relations Theory: Post-Cold War And The 19th Century Compared**, (New York, Palgrave Macmillan, 2017).
13. Morgenthau Hans , **From Great Power To Superpowers** , (London :Oxford University Press ,1969) .
14. Morgenthau Hans, **Politics Among Nations: The Struggle For Power And Peace**, (New York: Lfred Knopf, 5th Edition).
15. Bull Hedley , **The Control Of The Arms Race : Disarmament And Arms Control In The Missile Age** , (New York , Praeger,4éme Edition , 1989).
16. Clinton Hillary ,Tim Kaine, **Strong Together: A Blueprint America's Future**, (United States: Simon &Schuster, 2016).

- 17.Kugler Jack ,Afk Organski ,**The Power Transition: A Retrospective And Prospective Evaluation** ,In: Midlarsky Manus (Ed) ,**Handbook War Studies** ,(New Yor: Rutledge Revivals , 1989).
- 18.Garygiel Jakub J, **The Unquiet Frontier: Rising Rivals Vulnerable Allies, And The Crisis Of American Power**, (New York: Princeton University Press, 2016).
- 19.Mankoff Jeffrey, **Empires Of Eurasia: How Imperial Legacies Shape International Security**, (New Haven: Yale University Press, 2022).
- 20.Edkins Jenny ,**Poststructuralisme And International Relations: Bringing The Political Back** ,(Minneapolis: University Of Minnesota Press ,1999) .
- 21.Baylis Johan ,**The Globalization Of World Politics : An Introduction To International Relations** , (Oxford : Oxford University Press , 3rd Edition , 2005) .
- 22.Fairbank Johan King, Meler Goldman, **Histoire De La Chine Des Origines A Nos Jour** (Paris : Tallandier, 2010).
- 23.Ney Joseph, **The Future Of Power**, (New York: Public Affairs, 2011).
24. Keir Giles, **Moscow Rules: What Drives Russia To Confort The West**, (London: Chatham House, 2019)
- 25.Waltz Kenneth N, **Theory Of International Politics**, (London: Addison – Wesley Publishing, 1979)
- 26.Brunette Michel, Raymond Duvall, **The Dividing Discipline: Hegemony And Diversity In International Theory**, (Boston :Allen Unwin , 2006).
- 27.- Murray Michelle, **The Struggle For Recognition In International Relations: Status Revisionism And Rising Powers**, (Oxford: Oxford University Press, 2019) .
- 28.Graeger Nina, Wæver Ole, Wivel Anders, **Polarity in International Relations: Past, Present, Future**, (new York, Palgrave MacMillan).
- 29.Boniface Pascal, **Comprendre Le Monde : Les Relation International Expliquees A Tous**, (Paris : Armand Colin, 7eme Edition, 2023).
30. Onuf Nicholas, **World Of Our Making** ,(Columbia : University Of South Carolina Press ,1995).
- 31.Stronski Paul ,Nicole Ng, **Cooperation And Competition: Russia And China In Central Asia, The Russian Far East, And The Arctic**,(Washington, DC: Carnegie Endowment For International Peace, 2018).
- 32.Viotti Paul ,Mqrk Kauppi, **International Relations Theory: Realism, Pluralism, Globalism**, (United State: Allyn Bacon, 2011).

33. Scheweller Randll L, **Unanswered Threats: Political Constraints On The Balance Of Power**, (United State: Princeton University Press, 2006).
34. ARON RAYMOND, **PAIX ET GUERRE ENTRE LES NATIONS**, (PARIS : CALMANN- LEVY, 8EME EDITION, 1984).
35. Giplin Robert, **War And Change In World Politics**, (Cambridge: Cambridge University Press, 1981).
36. Jackson Robert, Georg Sorensen, **Introduction To International Relations Approaches**, (United Kingdom: Oxford University Press, 2017).
37. Keohan Robert O, Joseph S Ney, **Power And Interdependence World Politics Transition**, (Boston: Little Brown, 1977).
38. Gill Stephen, **America Hegemony And The Trialteral Commession**, (Cambridge: Cambridge University Press, 2015).
39. Brems Knudsen Tonny, Cornelia Navari, **Power Transition The Anarchical Society: Revising Power Institutional Change And The New World Order**, (Cambridge: Palgrave Macmillan, 2022).
40. Wang Jisi, **International Relations Theory And The Study Of Chinese Foreign Policy**, (Oxford : Clarendon Press , 2011) .
41. Yanzhong Huang, **Toxic Politics China's Environmental Health Crisis And Its Challenge To The Chinese State**, (Cambridge: Cambridge University Press, 2020).
42. Yuen Foong Khong, **Power In Transition The Peaceful Change Of International Order**, (New York : Unup , 2001).
43. Fareed Zakaria, **The Future Of Freedom: Illiberal Democracy At Home And A Border**, (New York: Norton Publishers, 2009).
44. Dugain Alexander, **The Forth Political Theory**, (London : Arkots Media Ltd , 2012) .
45. Lukin Alexander, **China And Russia: The New Rapprochement** (Cambridge: Polity Press, 2018).
46. Alexander Wendt, Stefano Guzzini, Anna Leander, **Constructionivism And International Relations**, (New York: Routledge, 2006).
47. Björn Hettne, András Inotai, Osvaldo Sunke, **The New Regionalism And The Future Of Security And Development**, (New York: Palgrave Macmillan, 2018).
48. Campbell A.B, **Applied Choo's Theory A Paradigm For Complexity** (New York: Academic Press Pigeon, 2003).
49. Dawish Karaen, Parrott Bruce, **Russia And The New States Of Eurqsiq : The Politics Of Upheaval**, (Cambridge : Cambridge University Press , 2005).

50. Hass Ernst, **Beyond The Nation – State : Functionalism And International Organization** , (Stanford : Stanford University Press ,1964) .
51. Fukuyama Francis, **Liberalism And It's Discontents**, (New York: Farrar Straus And Giroux, 2022).
52. Encel Frederic, **Les Voies De La Puissance : Penser La Geopolitique Au 21eme Siecle**, (Paris : Odile Jacob ,2022).
53. Steingart Gabor, **The War For, Wealth: The True Story Of Globalization Or Why The Flat Is Broken**, (New York: Mcgraw Hill, 2008).
54. Modelski George, **Long Cycles In World Politics**, (Cambridge: Cambridge University Press, 1987).
55. Breslauer George W, **The Rise And Demise Of World Communism**, (New York: Harpercollins, 2009).
56. Bull Hedley, **The Anarcbical Society: A Study Of Order In World Politics**, (New York: Columbia University Press, 3rd Edition, 2004).
57. Kissnger Henery, **Leadership: Six Studies In The World Strategy**, (New York: Penguin Press, 2022).
58. Kissnger Henery, **World Order**, (New York: Penguin Press, 2014).
59. Levy Jack, **War In Modern Great Power System**, (Lexington: University Press Of Kentucky, 2007).
60. Dougherty James, Pfltzraff Robert, **Contending Theories Of International Relation**, (New York: Longman, 2001).
61. Davidson Jason , **The Origins Of Revisionist And Status-Quo State** , (New York: Routledge Publisher ,2011).
62. Baylis Johan, **International Relations And Global Security In The Post – Cold War Era** , (Oxford : Oxford University Press , 2004)
63. Mearshimer Johan, **The Great Delusion: Liberal Dreams And International Realities**, (New Haven: Yale University Press, 2018).
64. Mearshimer Johan, **The Tragedy Of Great Power Politics**, (New York: Norton Company, 2001).
65. Ney Joseph S, **Is The American Century Over** ,? (United States: Policy Press, 2015).
66. Booth Ken, J. Wheeler, **The Security Dilemma: Fear Cooperation And Trust In World Politics**, (Basingstoke: Palgrave, 2008).
67. -Lu Peng, **A History Of China In The 21 Century**, (New York: Palgrave Macmillan, 2018).

68. Lebedeva Marina, Morozov Vladimir, **Turning Points Of World Transformation New Trends: Challenges And Actors**, (New York : Palgrave Macmillan, 2022), Pp.40-47.
69. Galeotti Mark, **Putin's War From Cheyhan To Ukraine**, (New York: Bloomsbury, 2022).
70. Wolf Martin, **The Crisis Of Democratic Capitalism**, (London: Allen Lane, 2023).
71. Kaplan Mortan, **System And Process In International Politics**, (Colchester, England 11Espr, 2005), Pp. 52-61, System And Process In International Politics, (Colchester, England : 11Espr, 2005).
72. Kennedy Paul, **The Rise And Falloff Great Power From 1500 To 2000**, (New York : Ransom House , 1987) .
73. Zeihan Peter, **Disunited Nations: The Scramble For Power In Ungoverned World**, (United States: Haper Business, 2020).
74. Reus- Smit Christian, **American Power World Order** ,(Cambridge : Cambridge University Press ,2014) .
75. Cox Robert, **Production Power And World Order : Social Forces In The Making Of History** , (New York : Columbia University Press , 1987).
76. Jervis Robert , **System Effects ,Complexity In Political And Social Life** (New Jersey :Princeton University Press , 1998).
77. Ronald Ronald, **Power Transitions: Strategies For The 21st Century** (New York: Seven Bridges Press, 2015).
78. Huntigton Smaul P, **Who We: The Challenges To America's National Identity** (United States: Simon & Shustes, 5edetion, 2005).
79. Brzezinski Zbigniew, **Strategic Vision: America And Crisis Of Global Power**, (New York: Basic Books, 2013).
80. Raymond Aron, **Paix Et Guerre Entre Les Nations**, (Paris : Calmann- Levy, 8eme Edition, 1984).

❖ Periodiclas :

1. Belo Dani ,Conflict In The Absence Of War: A Comparative Analysis Of China And Russia Engagement In Gray Zone Conflicts ,**Canadian Foreign Policy Journal** ,Vol. 26, No.1 (July 2021).
2. Benoît Vitkine, En Russie, L'échec Démographique De Poutine, **Le Monde** ,No.4, 28 (Septembre 2023).
3. Bu Danlu, Chenyu Zhang, Philip T. Lin, Political Uncertainty Institutions And Accounting Conservatism: Evidence From The Provincial Leader

- Turnover In China, **Spanish Journal Of Finance And Accounting**, Vol.49, No.4 (August 2016).
4. Cheng Enfu, Shaoyong Sun, Criteria For A Democratic And Effective National Political System: A Comparison Of Democratic Political Systems In China And The United States, **International Critical Thought** , Vol.13, No.2 (November 2013).
 5. Singer David J , Correlates Of War Project :Interim Report And Rational , **World Politics** ,Vol.24, No.2(January 1972).
 6. Rennie David, China Wants To Change, Or Break, A World Order Set By Others, **The Economist**, Vol.14, No.9 (April 2024).
 7. Duncan Bell, What Is Liberalism?, **Political Theory** , Vol .42 , No. 6 (December 2014).
 8. Snyder Glenn, Mearsheimer's World –Offensive Realism And The Struggle For Security, **International Security**, Vol .27, No .1 (December 2002).
 9. Götz Elias ,Russia The West And The Ukraine Crisis: Three Contending Perspectives , **Contemporary Politics**,Vol. 22, No.3 (Jun2016).
 10. Colin Gray ,Nicholas John Spykman, The Balance Of Power And International Order,**Journal Of Strategic Studies** ,Vol.38, No.6 (Jun2015).
 11. He Kai, Huiyun Feng, Leadership Regime Security And China's Policy Toward Taiwan: Prospect Theory And Taiwan Crises, **The Pacific Review**, Vol.22, No.4 (September 2019)
 12. Hu Hui, Xiang Li, Fuxia Yang , Total Factor Productivity And Energy Intensity: An Empirical Study Of China's Cement Industry ,Emerging Markets Finance And Trade ,Vol. 52, No.6(May 2016) .
 13. Chen Weiss Jessica, The China Trap.U.S. Foreign Policy And The Perilous Logic Of Zero-Sum Competition, **Foreign Affairs**, Vol9, No.1(October2022).
 14. O'Neill Jim, Building Better Global Economic Brics, Global Economics, Vol.7, No.66 (November 2001).
 15. Jonson Lena. ,Russia NATO And The Handling Of Conflicts At Russia's Southern Periphery: At A Crossroads?, **European Security**,Vol. 9, No.4 (October2017).
 16. Ney Joseph S, Can Cyber Warfare Be Deterred?, **Project Syndicate** , Vol.16, No.1(December 2015).
 17. Joshua shifrinson, Anne-Marie slaughter ,Bilahari Kausikan , The Long Unipolar Moment?Debating American Dominance, **foreign affairs**.vol.5, no.1(october2023).

18. Dutsh Karl, J Singer David, Multipolarity Power Systems And International Stability, **World Politics**, Vol .16, No.3,(July 1964).
19. Kaufmann Jane, Kathryn Hedgecock, Nathan Hedgecock , Emerging Technology, Strategy, And International Order, **Defence Studies**, Vol. 24, No.1 (November 2023).
20. Lawrence Freedman, Order And Disorder In The New World, **Foreing Affairs**, Vol2, No3 (February 2019).
21. Lingxiao Tang, Ouyang Yao, Huang Zexian, The Foundation For The Establishment Of The Brics New Development Bank: Immediate Impetus And Theoretical Rationale, **Social Sciences In China** , Vol. 36, No.4 (November 2015).
22. Pottinger Matt, Matthew Johnson, David Feith, Xi Jinping In His Own Words what China's Leader Wants And How To Stop Him From Getting It , **Foreign Affairs**, Vol.7, No3 (November 2022).
23. Allister M.C., White Stephen, Economic Change And Public Support For Democracy In China And Russia, **Europe-Asia Studies**, Vol.69, No.1 (January 2017).
24. Barnett Michael , Raymond Duvall , Power In International Politics , **The Washington Quarterly** , Vol.42 , No.4 (Winter 2005).
25. Mishina Viktoriia, Liubov Khomiakova, The Integrated Foreign Exchange Market In The Eurasian Economic Space And Settlements In National Currencies: Myth Or Reality?, **Problems Of Economic Transition** , Vol. 58 , No.4 (October 2016).
26. Mol Arthur P. J , Neil T. Carter , China's Environmental Governance In Transition, **Environnemental Politis** , Vol.15, No.2 (August 2016)
27. Muldavin Joshua, From Rural Transformation To Global Integration: Comparative Analyses Of The Environmental Dimensions Of China's Rise, **Eurasian Geography And Economics** , Vol.54, No.3 (October 2017) .
28. Nawaz Rubab, Assam Bilal, Maria Rehman, United States-China Space Offensive: A Dangerous Competition, **Astropolitics** , Vol. 20, No.1 (October 2022) .
29. Hynek Nik , Vít Stritecky , Political Revisionism: Old And New, **Europ-Asia Studies** , Vol .4, No.3 (July 2020) .
30. Özker Kocadal, More Power To Middle Powers: Toward A Multipolar Re-Globalization, **Global Journal**, Vol.14, No.10 (April 2021).
31. Paikin Zachary, Great Power Rivalry And The Weakening Of Collective Hegemony: Revisiting The Relationship Between International Society And

- International Order, **Cambridge Review Of International Affairs**, Vol. 34, No.1 (February 2020).
32. Parent Joseph , Erikson Emily , **Anarchy Hierarchy And Order**, **Cambridge Review Of International Affairs** , Vol.22, No.1 (March 2019).
33. Peshkov Ivan , **In The Shadow Of 'Frontier Disloyalty' At Russia–China–Mongolia Border Zones** , **History And Anthropology** , Vol.28 , No.4 (August 2017) .
34. Peters Michael A , **The Emerging Multipolar World Order: A Preliminary Analysis**, **Educational Philosophy And Theory** , Vol. 55, No.14 (November 2022).
35. Cerny Philip, Prichard Alex, **The New Anarchy: Globalisation And Fragmentation In World Politics**, **Journal Of International Political Theory**, Vol.13, No.3 (Jun 2017).
36. Pitakdumrongki Kaewkamol , **What Causes Changes In International Governance Details?: An Economic Security Perspective**, **Review Of International Political Economy** , Vol.29, No.2 (September 2020) .
37. Qobo Mzukisi, Soko Mills , **The Rise Of Emerging Powers In The Global Development Finance Architecture: The Case Of The Brics And The New Development Bank** , **South African Journal Of International Affairs**, Vol. 22 , No.3 (October 2015).
38. Scheweller Randll L. , **Bandwagoning For Profit: Bringing The Revisionist State Back**, **International Security**, Vol.19, No.1, (Summer 1994).
39. Otspeich Richard , **Perspectives On The Economic Relations Between China And Russia** , **Journal Of Contemporary Asia** , Vol.36 , No.1 (May 2017).
40. Masland- Richard H. , **Little Approaches To International System: Some Ontological And Epistemological Consideration**, **British Journal Of International Studies**, Vol.3, No.5, (October 1977).
41. Richard Maher Richard , **The Paradox Of American Unipolarity: Why The United States May Be Better Off In A Post-Unipolar World**, **Orbis A Journal of World Affairs**, Vol.55, No.9 (Spring 2021).
42. Jervis Robert , **Cooperation Under The Security Dilemma**, **World Politics**, Vol. 30, No .2, (January 1978).
43. Keohane Robert O. And Others , **Correspondence Back To The Future Of International Relations Theory And Post – Cold War** , **International Security** , Vol.15 , No. 2, (January 1990).

44. Simón Luis, Maximilian Ernst , Competition With China And U.S ,Defence Strategy: From Net Assessment To Competitive Strategies ,**Defence Studies**,Vol.23,No.3 (July2023).
- 45.Brooks Stephen G, Wohlforth William, The Rise And Fall Of The Great Power In The Twenty –First Century: China Rise And The Fate Of America’s Global Position, **International Security**, Vol.40, No.3 (Winter2015).
46. Fravel Taylor, China’s Potential Lessons From Ukraine For Conflict Over Taiwan, **The Washington Quarterly**, Vol.46, No.3(October2023).
47. Tomja A, Polarity International System Consequences, **Interdisciplinary Journal Of Research And Development**, Vol.3, No.1(October2023),Pp. 57–71.
- 48.Wang Yi,The Divisive Past And The Conflicted Other: How Chinese Netizens View Russia, **Journal Of Contemporary China** ,Vol.33,No.148(February 2022).
49. Wang Yiwei , Development Of International Relations Theory In China , **International Studies** , Vol.46, No.5,(December 2009) .
50. Wu Lei, Xuejun Liu ,The China Energy Threat Thesis And Sino-U.S Relations: A Critical Review , **Journal Of Middle Eastern And Islamic Studies** (In Asia),Vol. 1,No (July2018).
- 51.Gangqiang Yang, Yongsheng Zhang, Haisen Wang ,The Environmental And Economic Utility Of The Third-Party Governance Of Environmental Pollution In China—An Analysis Based On The Business Registration Information Of Enterprises , **Journal Of Environmental Planning And Management**, Vol.3,No.1(June2023).
52. Yun Sun ,China’s Strategic Assessment Of Russia: More Complicated Than You Think, **War On The Rocks**,Vol.4,No.2(March 2022).
53. Zakaria Fareed, Can America Be Fixed: The New Crisis Of Democracy, **Foreign Affairs**, Vol.3, No.15, (January – February 2009) .
- 54.Acobsen Carl, Russia-China: The New Strategic Partnership, **European Security** ,Vol.7, No.4, (October2017).
55. Wendt Alexander ,Anarchy Is What State Make Of It: The Social Construction Of Power Politics ,**International Organization** , Vol.46,No.2,(Spring 1992).
56. Ambrosio Thomas, Carson Schram, Preston Heopfner,The American Securitization Of China And Russia: U.S Geopolitical Culture And Declining Unipolarity , **Eurasian Geography And Economics**,Vol. 61,No.2 (December2019)

57. Amirov.V, Prospects For Cooperation Between Russia And The Countries Of Central Asia After The Global Crisis, **Problems Of Economic Transition**, Vol. 53, No.5(December 2014).
58. Angela Stent, Russia And China: Axis Of Revisionists?, **Global China**, Vol.3, No2(February2020).
59. Aris Stephen, Aglaya Snetkov, Global Alternatives Regional Stability And Common Causes The International Politics Of The Shanghai Cooperation Organization And Its Relationship To The West, **Eurasian Geography And Economics**, Vol. 54, No.2(July 2023).
60. Åslund Anders, Penelope B. Prime, Economic Transformation In Russia And China: Two Comments On A Comparison, **Eurasian Geography And Economics**, Vol. 49, No 4(May 2023).
61. Béraud-Sudreau, Lucie, Nouwens Meia, Weighing Giants: Taking Stock Of The Expansion Of China's Defence Industry, **Defense And Peace Economics**, Vol. 32, No.2 (Jun 2019).
62. Bossuyt Fabienne, Marcin Kaczmarek, Russia And China Between Cooperation And Competition At The Regional And Global Level: Introduction, **Eurasian Geography And Economics**, Vol. 62, No5-6(January 2022).
63. Bratersky Maxim, Kuttyrev Geory, BRICS And The Evolving Russia-India-China Security Agenda, **Strategic Analysis**, Vol.43, No.6 (October 2019).
64. Tessman Brock, Critical Periods And Regime Type: Integrating Power Cycle Theory The Democratic Peace Hypothesis, **International Interaction**, Vol.31, No.3, (Spring 2005), Pp.225-239.
65. Byoung Won Min, Understanding International Hegemony And Legitimacy: A Complex Systems Approach, **Journal Of International Area Studies**, Vol. 10, No.1 (September 2003).
66. Doran Charles, Power Cycle Theory: The Shifting Tides Of History And Interpreting China's Rise, **The Bologna Center Journal Of International Affairs**, Vol.15, No.01,(Spring 2012).
67. Cox Michael, Whatever Happened To American Decline. International Relations And The New United States Hegemony, **New Political Economy**, Vol. 6, No. 3(August 2020).
68. -Dadabaev Timur, Shanghai Cooperation Organization (Sco) Regional Identity Formation From The Perspective Of The Central Asia States, **Journal Of Contemporary China**, Vol .23, No. 85(Jun 2023).

69. Niebel David, The Power Transition Theory And The Sino-American Contention For Power, **Towson University Journal Of International Affairs**, Vol.20, No.1 (September 2020).
70. Diciccio Jonathan And Levey Jack, Power Shift: The Evaluation Of Power Transition Research Program, **The Journal Of Conflict Resolution**, Vol.43, No.06 (November 1999).
71. Dikarev Andrey, Lukin Alexander, Russia's Approach To South China Sea Territorial Dispute: It's Only Business Nothing Personal, **The Pacific Review**, Vol. 35, No.4 (January 2021).
72. Dominic Wilson, R. Purushothaman, Dreaming With Brics: The Path To 2050, **Political Science Economics Business**, Vol.2, No.99 (November 2006).
73. Driedger Jonas, Risk Acceptance And Offensive War: The Case Of Russia Under The Putin Regime, **Contemporary Security Policy**, Vol.44, No.2 (January 2023).
74. -Feng Yong Ping, The Peaceful Transition Of Power From United State To The Chinese, **Journal Of International Politics**, Vol.7, No.1 (Janvier 2016).
75. Ferguson Chaka, The Strategic Use Of Soft Balancing: The Normative Dimensions Of The Chinese-Russian Strategic Partnership, **Journal Of Strategic Studies**, Vol.35, No.2 (January 2012).
76. Fettweis Christopher, Unipolarity Hegemony And The New Peace, **Security Studies**, Vol. 26, No.3 (May 2017).
77. Forsberg Tuomas, Graeme Herd, Russia And Nato: From Windows Of Opportunities To Closed Doors, **Journal Of Contemporary European Studies**, Vol.23, No.1 (March 2015).
78. Rozman Gilbert, Sino-Russian Relations: Will The Strategic Partnership Endure? **Demokratizatsiya**, Vol. 6, No. 2 (Spring 1998).
79. Glaser Charles, Why Unipolarity Doesn't Matter (Much), Cambridge Review Of **International Affairs**, Vol. 24, No.2 (July 2021).
80. Gray Kevin, K. Gills Barry, South-South Cooperation and the Rise of the Global South, **Third World Quarterly**, vol.37, no.4 (march 2016).
81. Gürçan, Efe Can, The Construction Of Post-Hegemonic Multipolarity In Eurasia: A Comparative Perspective, **The Japanese Political Economy**, Vol.46, No.2-3 (October 2020).
82. Taliaferro Jeffery, Security Seeking Under Anarchy, **International Security**, Vol.25, No.3, (October 2000).

83. Jianmin Li ‘Contemporary Russia’s Economic Transition And Development And China-Russia Economic And Trade Cooperation’ **Social Sciences In China** ‘ Vol. 42‘No.4 (December 2021).
84. Berryman Johan ‘ Geopolitics And Russian Foreign Policy ‘ **International Politics** ‘ Vol.34‘ No.4(July 2012).
85. Mearsheimer Johan ‘ The Gathering Storm China’s Challenge To United State Power In Asia ‘ **The Chinese Journal Of International Politics** ‘ Vol .3 ‘ No .10(Novembre 2010).
86. Mearshimer Johan‘ Bound To Fail The Rise And The Fall Of Liberal‘ **International Security**‘ Vol.43‘ No.4 (Spring 2019).
87. Diccio Jonathan‘ Power Transition And Essence Of Revisionism‘ **Oxford Research Encyclopedia Of Politics**‘ Vol.13‘ No.2 (September 2017).
88. Kamal Muhammad Abdul‘ Assad Ullah‘ Fiza Qureshi‘ China’s Outward Fdi and Environmental Sustainability in Belt and Road Countries: Does the Quality of Institutions Matter?’ **Journal Of Environmental Planning And Management**‘ Vol. 66‘No.5(November 2016).
89. Kavalski Emilian‘ The Fifth Debate and the Emergence of Complex International Relations Theory: Notes on the Application of Complexity Theory to the Study of International Life‘ **Cambridge Review of International Affairs**‘ vol. 20‘ no.3 (2007).
90. Waltz Kenneth N‘ Realist Thought And Neorealist Theory‘ **Journal Of International Affairs**‘ Vol.44‘ No.1‘ (September 1999).
91. Kireev Anton ‘China In Russia‘ Russia In China: Ethnic Aspect Of Migration Between The Two Countries In The Past And Present ‘ **Asian Ethnicity** ‘Vol.17‘No. 1(October 2015).
92. Schwab Klaus ‘Shaping The Fourth Industrial Revolution ‘**The Project Syndicate** ‘Vol.18 ‘No.7 (April 2016) ‘Pp.12-18.
93. Kupchan Charles ‘ The False Promise Of Unipolarity: Constraints On The Exercise Of American Power ‘**Cambridge Review Of International Affairs** ‘ Vol.24‘No.2(July 2021).
94. Benjamin kurylo ‘The Limits Of The ‘No Limits’ Russian-Chinese Partnership: The Case Of Africa‘ **South African Journal Of International Affairs** ‘Vol.1‘No.29(May 2024).
95. -Lei Yu‘ Sophia Sui‘ China–Russia Strategic Partnership And The Oil And Gas Collaboration‘ Innovation‘**The European Journal Of Social Science Research**‘ Vol.2‘ No.1 (December 2023).

96. Chenghong Li, Limited Defensive Strategic Partnership: Sino–Russian Rapprochement And The Driving Forces, **Journal Of Contemporary China**, Vol.16, No52 (July 2013).
97. Lissovolik Yaroslav, Evgeny Vinokurov, Extending BRICS To BRICS+: The Potential For Development Finance Connectivity And Financial Stability, **Area Development And Policy**, Vol. 4, No.2 (January 2019).
98. Liu Ming, Development: A Long Way To A Powerful Economic Club And New International Organization, **The Pacific Review**, Vol.29, No.3 (March 2016).
99. Lui Hebron, Testing Dynamic Theories Of Conflict: Power Cycles, Power Transitions Foreign Policy Crises And Militarised Interstate Disputes, **International Interactions**, Vol.33, No.1, (Summer 2007).
100. Malle Silvana, The All-Russian National Front – For Russia: A New Actor In The Political And Economic Landscape, **Post-Communist Economies**, Vol.28, No.2 (February 2018).
101. Margulis, Matias E., Tony Porter, Governing The Global Land Grab: Multipolarity, Ideas, And Complexity In Transnational Governance, **Globalizations**, Vol.10, No.1 (February 2013).
102. Mastanduno Michael, Partner Politics: Russia, China, And The Challenge Of Extending Us Hegemony After The Cold War, **Security Studies**, Vol. 28, No.3 (Jun 2019).
103. Menon Rajan, The Limits Of Chinese–Russian Partnership, **Survival**, Vol.51, No.3 (March 2021).
104. Mikhailov, Authoritarian Regimes Of Russia And Tatarstan: Coexistence And Subjection, **Journal Of Communist Studies And Transition Politics**, Vol.26, No.4 (November 2020), Pp474-493.
105. Ningbo Wu, China's Rights And Interests In The South China Sea: Challenges And Policy Responses, **Australian Journal Of Maritime & Ocean Affairs**, Vol. 8, No.4 (October 2016).
106. O'sullivan Declan, The History Of Human Rights Across The Regions: Universalism Vs Cultural Relativism, **The International Journal Of Human Rights**, Vol. 2, No.3 (October 2017).
107. Krugman Paul, How The West Is Strangling Putin's Economy, **New York Times**, No.17, (May 19, 2022).
108. Huaigao Qi, Joint Development in the South China Sea: China's Incentives And Policy Choices, **Journal Of Contemporary East Asia Studies**, Vol. 8, No.2 (November 2019).

109. Schweller Randall L, Triopolarity And The Second World War, **International Studies Quarterly**, Vol.12, No .1 (March 1999).
110. Kaplan Robert D, The Downside Of Imperial Collapse: When Empires Or Great Power Fall Chaos And War Rise, **Foreign Affairs**, Vol .4, No.11 (October 2022)
111. Cynthia Roberts, The Brics In The Era Of Renewed Great Power Competition, **Strategic Analysis**, Vol. 43, No.6 (October 2018).
112. Runkos Judit, Comparing Russian, Chinese And American Soft Power Use: A New Approach, **Global Society**, Vol.35, No.3 (December 2020), Pp.395–418.
113. Rochlitz Michael, Vera Kulpina, Thomas Remington, Performance Incentives And Economic Growth: Regional Officials In Russia And China, **Eurasian Geography And Economics**, Vol. 56, No.4 (October 2023), Pp.421–445.
114. Runkos Judit, Comparing Russian, Chinese And American Soft Power Use: A New Approach, **Global Society**, Vol.35, No.3 (December 2020)
115. -Shifrinson Joshua, The Rise Of China Balance Of Power Theory And Us National Security: Reasons For Optimism?, **Journal Of Strategic Studies**, Vol. 43, No.2 (Decembre 2018), Pp.175-2016.
116. Sosnovskikh Sergey, A New Form Of Parallel Trading Within Economics Relations Between Russia And China, **Post-Communist Economies**, Vol. 33, No.1 (May 2020), Pp.94–118.
117. Stanley Hoffman, International Systems And International Law, **World Politics Transition**, Vol.14, No.1, (Spring 1974), Pp. 32,33
118. Voeten Erik, Unipolar Politics As Usual, **Cambridge Review Of International Affairs**, Vol. 24, No.2 (July 2021), Pp.121–28.
119. -Walter Russel Mead, The Return Of Geopolitics: The Revenge Of Revisionist Powers, **Foreign Affairs**, Vol.93, No.3 (May 2014), Pp.69-74.
120. Watts John, Sofia Lekberg, Kjell Engelbrekt, Brothers In Arms, Yet Again? Twenty-First Century Sino-Russian Strategic Collaboration In The Realm Of Defence And Security, **Defence Studies**, Vol.16, No.4 (September 2020), Pp.427–49.
121. Wilkins Thomas, Russo–Chinese Strategic Partnership: A New Form Of Security Cooperation?, **Contemporary Security Policy**, Vol. 29, No.2 (Septembre 2018), Pp.358–383.
122. Wishnick Elizabeth, In Search Of The ‘Other’ In Asia: Russia–China Relations Revisited, **The Pacific Review**, Vol.30, No.1 (July 2016).

123. Vladislav Zubok , After Putin – What?, **Bulletin Of The Atomic Scientists** ,Vol.78,No.6 (November 2022).
124. Xu Bo, Reisinger William ,Russia's Energy Diplomacy With China: Personalism And Institutionalism In Its Policy-Making Process , **The Pacific Review** ,Vol.32,No.1(January 2018)
- Yaqing Qin , Theoretical Problematic Of International Relationship Theory And Construction Of A Chinese School , **Social Sciences In China** , Vol 34,No.1, (Spring 2007).

❖ **Theses:**

1. YAZGAN KORHAN, **Change In International System: A Comparative Study Of Hierarchic And Anarchic Systems**, A Thesis Presented To The University Of Waterloo Fulfilment Of Thesis Requirement For The Degree Of Master In Political Science (Waterloo, Ontario, Canada, 2005).
2. Glosny Michael , **The Grand Strategy Of Resign Powers : Reassurance Correction And Balancing Responses** , (Phd Thesis , The City University Of New York, 2014).
3. Jonathan rynn, **The Power To Great Wealth: A System Based Theory Of Rise And Decline Of Great Powers**, (Phd Thesis , The City University Of New York 2013).
4. Jose Pedro Filipe, Deoliveria Baptista , **Power Transition And Conflict Applying Power Transition Theory And Liberalinstitutionalist Theory Tou United State – China Relations**, (Master Degree Peace And Conflict Studies , University Of Oslo , 2012).

❖ **Reports:**

1. United Kingdom: London, Price Water House Coopes – Pwc Report, The World In 2050: Will The Shift In Global Economic Power Continue, February 2017, Pp. 2-14.
2. united states , **China responsible for 'serious human rights violations' in Xinjiang province: UN human rights report**, 31 August 2022.
3. United States, **Global Trends 2030: Alternatives World National Intelligence Council**, 2013.
4. World Economic Forum, **These Are The Biggest Global Risks We Face In 2024 And Beyond**, Jan 10, 2024.
5. Center For Strategic And International Studies “**Transcript: What's Next For The China-Russia Relationship?**”, February 23, 2022.

6. Rand Corporation ‘**Understanding Competition: Great Power Rivalry In Changing International Order** –Concepts And Theories ‘March 2022.

❖ **Web sites:**

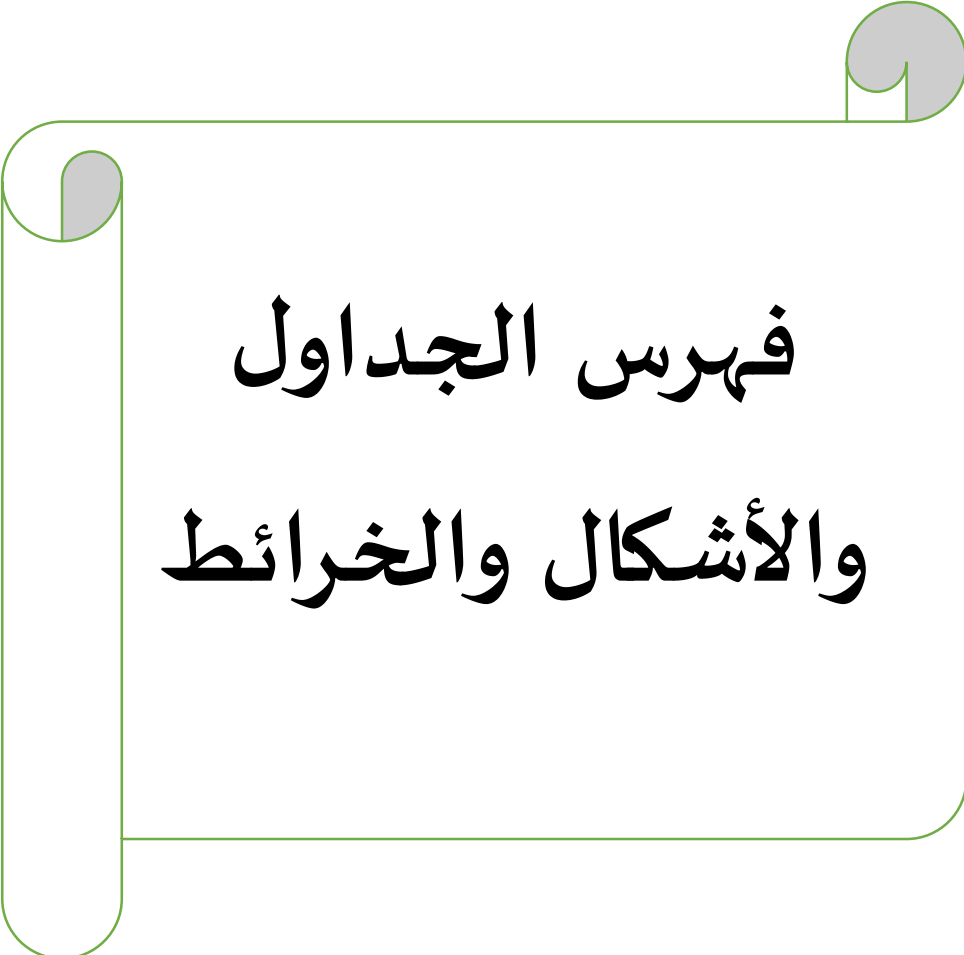
1. Abdul Rasool Syed‘ Emerging Multipolarity And Its Consequences‘ At: <https://Moderndiplomacy.Eu/2020/10/05/Emerging-Multipolarity-And-Its-Consequences> ‘ (23-05-2024)(17:49).
2. Abishur Prakash‘ New Geopolitical Blocs Will Govern The Future‘At: <https://Www.Politico.Eu/Article/New-Geopolitical-Blocs-Govern-Future>‘(23-05 2024)(10:12).
3. Albert Halim‘ Is America A ‘Failing State’? How A Superpower Has Been Brought To The Brink‘At: <https://Theconversation.Com/Is-America-A-Failing-State-How-A-Superpower-Has-Been-Brought-To-The-Brink-139680>‘ (23-05-2024)(22:19).
4. Alex Fang‘ Today's Nonpolar World Requires New International Order‘ At: <https://Asia.Nikkei.Com/Opinion/The-Nikkei-View/Today-S-Nonpolar-World-Requires-New-International-Order> ‘(24-05-2024)(9:23).
5. Druzhinin - Alexei‘ Series: China-Russia Relations‘at : <https://chinapower.csis.org/series-china-russia-relations> ‘(21-05-2024)(11:02).
6. Freeman Carla‘What Does Further Expansion Mean Shanghai Cooperation Organization ‘At: <https://Www.Usip.Org/Publications/2024/05/What-Does-Further-Expansion-Mean-Shanghai-Cooperation-Organization> ‘(18-05-2024)(17:07).
7. - Cyrielle Cabot‘ Population Decline In Russia: ‘Putin Has No Choice But To Win’ In Ukraine‘At: <https://Www.France24.Com/En/Europe/20220524-Population-Decline-In-Russia-Putin-Has-No-Other-Choice-But-To-Win-In-Ukraine> ‘ (20-05-2024)(19:41).
8. Law David‘ Three Scenarios For The Future Of Geopolitics‘At: <https://Www.Weforum.Org/Agenda/2018/06/David-Law-Global-Futures-3-Scenarios> ‘(24-05-2024)(16:20).
9. Deniz Aktunç‘ The International Systems: Unipolarity‘ Bipolarity And Multipolarity ‘At: <https://Www.Byarcadia.Org/Post/The-International-Systems-Unipolarity-Bipolarity-And-Multipolarity> ‘ (24-05-2024)(11:37).
10. Fernanda Paúl‘ Guerre - Ukraine Russie : Le Déclin De La Russie Signifie La Montée En Puissance De La Chine‘ Selon L'expert Qui A Prédit L'invasion

- De La Crimée, At : <https://www.bbc.com/Afrique/Monde-61054263> , (20-05-2024)(14:26).
11. Faulconbridge Guy, Lidia Kelly , Andrew Hayley, Russia China To Talk About Deeper Security Co-Operation In Eurasia Lavrov Says ,At : <https://www.reuters.com/world/russia-china-cooperate-fight-against-terrorism-russian-agencies-cite-lavrov-2024-04-09/> , (16-05-2024)(7:35)
 12. Ian Johnson, What Are The Weaknesses Of The China-Russia Relationship?, At: <https://chinapower.csis.org/china-russia-relationship-weaknesses-mistrust/>, (21-05-2024)(8:13).
 13. Colin Jean-Pierre, Jérôme Spinoza, La Guerre Préventive : Une Stratégie Illogique, At : <https://www.afri-ct.org/article/la-guerre-preventive-une-strategie> (22-05-2024)(09 :06).
 14. Sonnenfeld Jeffrey A, Actually, The Russian Economy Is Imploding: Nine Myths About The Effects Of Sanctions And Business Retreats Debunked, At: <https://foreignpolicy.com/2022/07/22/russia-economy-sanctions-myths-ruble-business> , (20-05-2024)(10:03).
 15. Lindsey Galloway, Five Superpowers Ruling The World In 2050, At: <https://www.bbc.com/Travel/Article/20200322-five-superpowers-ruling-the-world-in-2050> , (22-05-2024)(13:58).
 16. Mariko Kodaki, Nikkei Staff, China And Russia Step Up Bid To Challenge U.S. Dollar's Dominance, At: <https://asia.nikkei.com/Business/Markets/Currencies/China-And-Russia-Step-Up-Bid-To-Challenge-U.S-dollar-dominance> , (19-05-2024)(12:43).
 17. Megha Bahree, Russia Needs China More': Are Putin And Xi In A Marriage Of Convenience?, At: <https://www.aljazeera.com/Economy/2024/5/28/China-Russia-New-Era-Relationship> , (15-05-2024)(16:03).
 18. Mélanie Dubuy, La "Guerre Préventive" Et L'évolution Du Droit International Public, At : <https://hal.univ-lorraine.fr/Hal-04018345v1> , (22-05-2024)(10 :23)
 19. Dickinson Peter, The 2008 Russo-Georgian War: Putin's Green Light, At: <https://www.atlanticcouncil.org/Blogs/Ukrainealert/The-2008-Russo-Georgian-War-Putins-Green-Light> , (12-05-2024) (14:20).

20. Foroohar Rana ' China' Russia And The Race To A Post-Dollar World' At: <https://www.ft.com/content/E5735375-75df-4859-Bbf0-Ae22e4fe2ff6>, (19-05-2024) (11:03).
21. Reuters Daniel ' Russia Warns Us Against 'Fatal' Miscalculation In Ukraine' At: <https://www.reuters.com/world/europe/russia-warns-us-against-fatal-miscalculation-ukraine-2024-06-03>, (22-05-2024)(16:11).
22. Simone Mccarthy' China And Russia Have Deep Defense Sector Ties. Putin's War Has Not Changed That' Data Show' At : <https://edition.cnn.com/2023/03/09/china/china-russia-military-defense-ties-ukraine-war-intl-hnk/index.html>, (21-05-2024)(15:30).
23. Glinchey- Stephen Mc' Sahil Mathur Amitav Acharya' Introducing Bipolarity Tripolarity' Unipolarity' Multipolarity and Multiplexity at : <https://www.eir.info/2022/03/27/introducing-bipolarity-tripolarity-unipolarity-multipolarity-and-multiplexity-in-international-relations> (23-05-2024)(15:28).
24. Sumayya Ismail' Can Brics Dethrone The Us Dollar? It'll Be An Uphill Climb' Experts Say' At: <https://www.aljazeera.com/features/2023/8/24/can-brics-dethrone-the-us-dollar-itll-be-an-uphill-climb-experts-say>, (19-05-2024)(13:27).
25. Bernard Orr' Faulconbridge Guy' Osborn Andrew' Putin And Xi Pledge A New Era And Condemn The United States' At: <https://www.reuters.com/world/putin-visit-chinas-xi-deepen-strategic-partnership-2024-05-15>, (15-05-2024)(9:11).
26. Bethany Allen-Ebrahimian ' China Is Worried About The Return Of Trump' But It Also Sees Opportunities If He Wins 'At: <https://edition.cnn.com/2024/03/10/china/china-two-sessions-trump-election-analysis-intl-hnk/index.html>, (19-05-2024)(15:37)
27. Aslund Anders' Why The Russian Economy's Luck Is Running Out' At: <https://www.themoscowtimes.com/2023/11/21/why-the-russian-economy-luck-is-running-out-A83165>, (20-05-2024)(9:07).
28. Langridge Charlotte' Liberalism: Another Tool Of Western Hegemony' At: <https://www.e-ir.info/2013/10/30/liberalism-another-tool-of-western-hegemony> (18-05-2024)(19:32).
29. Christo Atanasov Kostov' Russian Fascism: The Six Principles Of Putin's Nationalist Ideology' At: <https://theconversation.com/russian-fascism-the-six-principles-of-putins-nationalist-ideology-218182>, (20-05-2024)(07:24)

- 30.Fong Clara, Lindsay Maizland , China And Russia: Exploring Ties Between Two Authoritarian Powers,At: <https://www.cfr.org/backgrounder/china-russia-relationship-xi-putin-taiwan-ukraine> , Accessed On (16-05-2024)(11:24).
- 31.Emily Feng, Vincent Ni, 4 Takeaways From President Biden's 'Very Blunt' Meeting With China's Xi Jinping ,At : <https://www.npr.org/2022/11/14/1136459450/biden-xi-meeting> ,Accessed On(19-05-2024)(18:22).
- 32.Gordon Brown , A New Multilateralism How The United States Can Rejuvenate The Global Institution It Created , At : <https://foreignpolicy.com/2023/09/11/us-china-russia-multilateralism-diplomacy-alliances-trade/11/09/2023> , (11/03/2024)(18 :27)
- 33.Hal Brand , Coronavirus Is China's Chance To Weaken The Liberal Order , At: <https://www.aei.org/op-eds/coronavirus-is-chinas-chance-to-weaken-the-liberal-order-16/03/2020> , (14/03/2024) (16 :12).
- 34.Huizhong Wu, China And Russia: Explaining A Long, Complicated Friendship,At: <https://apnews.com/article/china-russia-history-xi-putin-ties-6f1b1b69fc4f7be1e979ac29de9728f7> , (21-05-2024)(18:52).
- 35.Ines Canto , A L'issue Du Sommet De Johannesburg, Les Brics Accueillent Six Nouveaux Membres,At : <https://www.la-croix.com/Monde/Brics-Six-Nouveaux-Pays-Integrent-Bloc-Pays-Emergents-Dont-Liran-Lethiopie-2023-08-24-1201279926> (18-05-2024)(12 :17).
- 36.Kapersen. A, A.Hagan ,Emerging Technologies Transforming International Security,At: <https://www.atlanticcouncil.org/commentary/event-recap/emerging-technologies-and-the-future-of-global-security/> ,17/03/2024
- 37.Kathleen Miller's ,Climate Change Impact On Ecosystems , At : <https://www.epa.gov/climateimpacts/climate-change-impacts-ecosystems> , ,18/03/2024(16:12)
- 38.Kevin Modlin , Zenel Garcia, How Committed Are China And Russia To Their Strategic Partnership?,At: <https://thediplomat.com/2022/11/how-committed-are-china-and-russia-to-their-strategic-partnership> , (15-05-2024)(12:16)
- 39.Longari Marco, Quel Rôle Pour Les Brics Dans L'économie Mondiale ?,At : <https://theconversation.com/quel-role-pour-les-brics-dans-leconomie-mondiale-214122> , (17-05-2024)(9:43).

- 40.Nicolas Falez, Quels Enjeux Pour Le 15e Sommet Des Brics Qui S'ouvre A Johannesburg?, At: <https://Www.Rfi.Fr/Fr/Afrique/20230822-Quels-Enjeux-Pour-Le-15e-Sommet-Des-Brics-Qui-S-Ouvre-%C3%A0->, (18-052024)(10:24)
- 41.Samantha Granville, Sommet Des Brics : Un Nouveau Bloc Est-Il En Train D'émerger Pour Rivaliser Avec Le Leadership Américain ?, At: <https://Www.Bbc.Com/Afrique/Articles/Czv7nd5lx09o>, (17-05-2024)(13:09)

A decorative graphic of a scroll with a green border and grey circular accents at the corners and along the left edge.

فهرس الجداول والأشكال والخرائط

قائمة الجداول

الرقم	العنوان	الصفحة
01	يوضح اجمالي الناتج المحلي الصيني(1968-2022)	112
02	يوضح بعض قدرات جيوش " الولايات المتحدة الامريكية – روسيا – الصين لسنة 2023 "	126
03	يوضح المسار التاريخي لتطور عدد السكان الروس (1990-2023).	156
04	يوضح الانفاق الدفاعي الروسي 2015-2023	163
05	يوضح أكبر مستوردي السلاح الروسي لسنة 2023م	165

قائمة الأشكال

الرقم	العنوان	الصفحة
01	التصنيف الهرمي للدول في النظام الدولي عند اورغانسكي.	56
02	مخطط يوضح تبلور الثقافة الاستراتيجية الصينية.	106
03	يوضح مؤشر التنمية البشرية في الصين (1999-2023) .	108
04	تمثيل بياني يوضح الاستثمار الأجنبي المباشر في الصين (2015-2023).	114
05	تمثيل بياني يوضح صادرات الصين خلال سنة 2023.	116
06	تمثيل بياني يوضح صادرات الصين خلال العقد الأخير(2015-2023).	116
07	يوضح اهم ميزانيات الدفاع لعام 2022.	122
08	يوضح ميزانية الدفاع الصينية مقارنة ببقية اسيا(2008-2022).	123
09	تمثيل بياني يوضح المخزون العالمي من الرؤوس الحربية النووية لسنة 2023.	125
10	تمثيل بياني يوضح اجمالي البلدان الرائدة في الانفاق العالمي على البحث والتطوير لسنة 2023.	130
11	تمثيل يوضح صافي الناتج المحلي الإجمالي لروسيا الاتحادية من 2004-2022.	159
12	تمثيل بياني يوضح الصادرات النفطية الروسية 2013-2022.	161

13	تمثيل بياني يوضح انتشار القواعد العسكرية والقوات الامريكية في بعض دول العالم لسنة 2023.	187
14	تمثيل بياني يوضح اقوى خمسة اقتصادات عالمية لسنة 2023 (بحسب الناتج المحلي الإجمالي).	190
15	تمثيل بياني يوضح عجز الميزانية الامريكية بمقارنة العهديات الرئاسية (1993-2023).	191
16	تمثيل بياني يوضح ميزان المدفوعات التجاري للولايات المتحدة الامريكية (2010-2023).	192
17	دائرة نسبية توضح أكبر عشر شركاء تجاريين لروسيا لعام 2023.	230
18	دائرة نسبية توضح أكبر عشر شركاء تجاريين للصين لسنة 2023 .	231
19	تمثيل بياني يوضح قيمة المبادلات التجارية الروسية (التصدير-الاستيراد – الميزان التجاري) مع الصين من 2008 إلى 2023 .	233
20	تمثيل بياني يوضح الطلب الصيني على المعدات العسكرية الروسية من 1990 إلى 2023.	236
21	تمثيل بياني يوضح حصة اجمالي النشاط الاقتصادي العالمي للتكتلات الاقتصادية لسنة 2023 .	251
22	دائرة نسبية توضح صافي الناتج المحلي الإجمالي لمجموع دول منظمة شنغهاي في سنة 2023.	256
23	تمثيل بياني يوضح سعر الصرف للتبادل بين عمليتي اليوان والروبل 2019-2024.	259

قائمة الخرائط

الرقم	العنوان	الصفحة
01	توضح الموقع الجغرافي لروسيا الاتحادية	154



فهرس المحتويات

	شكروعرفان
	إهداء
14-1	مقدمة
15	الفصل الاول: الإطار المفاهيمي والنظري للدراسة
16	تمهيد
17	المبحث الأول: تحولات البيئة الدولية وفضاءات الفراغ الجيوسياسية جذور الاعطاب وسياقات الإنجاز في القرن الحادي والعشرين
17	المطلب الأول: النظام الدولي بين معطى البناء والتعديل "إشكالية المفهوم وحدود التوظيف".
34	المطلب الثاني: ملامح النظام الدولي على ضوء التطورات والمستجدات المرحلية "فحص القضايا والاهتمامات".
45	المطلب الثالث: التعقد كبرادغم تحليلي للاتجاهات الجيوسياسية العالمية.
52	المبحث الثاني: الأداء الاستراتيجي للقوى التعديلية وسياسات انتقال القوة كآلية للتوازن الجيوسياسي العالمي.
53	المطلب الأول: ديناميكيات التفاعلات الدولية دراسة لدلالات التغيير والترتيب في مراكز القوة العالمية.
60	المطلب الثاني: أبعاد الصعود الاستراتيجي للقوى التعديلية في النظام الدولي "بحث المكانة والدور"
68	المطلب الثالث: استيعاب القوى التعديلية في النظام الدولي منعطف محورية الصراع وحيوية التموقع.
76	المبحث الثالث: الأطر النظرية والمقاربات الاستراتيجية المفسرة لتفاعلات البيئة الدولية.
78	المطلب الأول: حوارات التنظير الكبرى في السياسة الدولية جدلية حدود التفسير والتنبؤ.
85	المطلب الثاني: المقاربات الاستراتيجية المفسرة للسلوك التعديلي الصين - الروسي.
90	المطلب الثالث: النظريات الشارحة لتحول القوة في النظام الدولي.
96	خلاصة الفصل الأول

97	الفصل الثاني: الرؤى الاستراتيجية للمنظومة الدولية " منظور مقارن بين الصين وروسيا كقوى موازنة في النظام الدولي "
98	تمهيد
100	المبحث الأول: الصعود السلمي للصين كقوة عظمى " بين طموح تعزيز المكانة واستراتيجية الهيمنة العالمية "
101	المطلب الأول: مؤشرات الصعود الصيني في النظام الدولي "مبدأ الاعتدال والسلمية "
131	المطلب الثاني : التوجهات الناعمة في السياسة الخارجية الصينية.
142	المطلب الثالث: الصعود الاستراتيجي للصين وأثره على التوازنات الإقليمية والدولية.
151	المبحث الثاني: الادراك الاستراتيجي الروسي للنظام الدولي " القبول والفرص "
152	المطلب الأول: مقومات وأبعاد القوة الاستراتيجية الروسية.
168	المطلب الثاني: الصلوة الاستراتيجية الروسية بين تصور العودة وادراك التغيير في السياسة الدولية.
174	المطلب الثالث: تداعيات التوجهات الاستراتيجية الروسية على بنية النظام الدولي.
182	المبحث الثالث: الأداء الاستراتيجي الأمريكي تجاه السلوك التوازني للصين وروسيا كقوى تعديلية.
183	المطلب الأول: طموح العظمة الامريكية جدلية تجديد الهيمنة ومسلمة التراجع.
195	المطلب الثاني: صراعات أضلاع المثلث الاستراتيجي العالمي بين نزعة التفرد والتعديل.
205	المطلب الثالث: استراتيجية الصين وروسيا كقوى تعديلية في مواجهة سياسة الاحتواء الامريكية.
220	خلاصة الفصل الثاني
222	الفصل الثالث: الاتجاهات العظمى للتوازنات الاستراتيجية العالمية " بوادر نظام عالمي جديد".
223	تمهيد
224	المبحث الاول: مقومات التحالف وميكانيزمات الاستقطاب الصين – الروسي وأثره على النسق التفاعلي في البيئة الدولية " المضامين والتوجهات "

225	المطلب الأول: الديناميات الجيواستراتيجية لمسار حركية العلاقات الصينية الروسية (2010-2023).
238	المطلب الثاني: دوافع ومركزات التحوط الاستراتيجي الصيني – الروسي لإعادة تشكيل بنية النظام الدولي.
248	المطلب الثالث: الشراكة الاستراتيجية الصينية – الروسية وأفاق مؤسسة توازن دولي جديد.
262	المبحث الثاني: التحديات الجيوستراتيجية أمام المحور الصيني – الروسي في ضوء كسمبولتانية السياسة العالمية "العقلانية والمسؤولية في إدارة التحول البنيوي".
263	المطلب الأول: قضايا البيئتين الداخلية والخارجية المؤثرة على الأداء الاستراتيجي للصين في النظام الدولي.
271	المطلب الثاني: تعقيدات وقيود البيئتين الداخلية والخارجية المعطلة لإعادة بعث الدور الروسي في النظام الدولي.
280	المطلب الثالث: آليات الاستجابة الصينية -الروسية لتهديدات البيئة العالمية " بين الاستراتيجية التعديلية والمنطق التنافسي الصين -اوراسي".
288	المبحث الثالث: المسارات المستقبلية لحراك منافسات القوى العظمى في النظام الدولي – رؤية استشرافية-
289	المطلب الأول: سيناريو النظام الدولي بين إنحدار الأحادية القطبية وارتقاء مشهدها الثنائي.
299	المطلب الثاني: سيناريو التعددية القطبية وعدميتها في عصر الطفرة التكنولوجية.
306	المطلب الثالث: سيناريو فوضوية النظام الدولي بين مشهد القطبية القارية والقطبية التخصصية.
311	خلاصة الفصل
314	الخاتمة
322	قائمة المراجع
345	فهرس الجداول والأشكال والخرائط
348	فهرس المحتويات
352	الملخص

المخلص

ملخص باللغة العربية:

تتناول هذه الدراسة الأدوار الاستراتيجية للقوتين التعديليتين الصينية والروسية، الرافضة لفكرة وجود الولايات المتحدة الأمريكية قوة عظمى وحيدة على قمة النظام الدولي خلال الفترة الممتدة من (2010-2023)، إلى جانب التطرق إلى أهم العوامل والسياقات التي ساهمت في صعودهما الاستراتيجي على مسرح التفاعلات الجيوسياسية العالمية، كما سعت الدراسة إلى رصد نزعة التغيير والمراجعة للأداء المؤسسي العالمي الذي لم يعد يتماشى مع تنامي طموحاتهما وأهدافهما، وبحث خيارات التعاون والتحالف الصين-الروسي التي انعكست في الجهود المبذولة من طرفهما لبناء نظام دولي متعدد الأقطاب، ويوفر لهما هامش التفاعل والتأثير، فضلاً عن تقييم المستقبلات الاحتمالية لملامح القطبية الدولية والتحديات الناجمة عن منافسات القوى العظمى وصراع النطاقات الجيوبولتكية.

الكلمات المفتاحية: القوى التعديلية – القطبية الدولية – انتقال القوة – منافسات القوى

العظمى – التقارب الصين-الروسي.

Abstract :

This study explores the strategic roles of China and Russia as revisionist powers, challenging the notion of the United States as the sole superpower from 2010 to 2023. It examines key factors contributing to their rise on the global stage and analyzes their efforts to reshape global institutional performance to align with their ambitions. The study also discusses cooperation and discord between China and Russia, focusing on their pursuit of a multipolar international system to enhance their influence. Additionally, it assesses potential future features of international polarity and the challenges arising from great power rivalries and geopolitical conflicts.

Keywords: revisionist powers – international polarity – power transition – great power rivalries – China-Russia rapprochement